

العقائد الإسلامية

عرضٌ مقارنٌ لأهمِّ موضوعاتها من مصادر السنة والسير

تأليف: الدكتور محمد عبدالمجيد
مراجعة: الدكتور محمد عبدالمجيد

المجلد الثالث

يشتمل على مسائل الشفاعة

الطبعة الأولى ١٤١٩



Books.Rafed.net



books.rafed.net

مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

العقائد الإسلامية : عرض مقارنة لأهم موضوعاتها من مصادر

السنة والشيعة / مركز المصطفى للدراسات الإسلامية .

قم : مركز المصطفى للدراسات الإسلامية ، ١٤١٩ هـ .

ج ٣ : ٥٠٠ ص .

١ . الشفاعة . الف . العنوان .

٢٩٧ / ٤٢

BP ٢٢٢٢ / ٧ / م ٤٤٧

شابك (ردمك) ٦ - ١١٧ - ٣١٩ - ٩٦٤ دورة ٦ جزء احتمالاً

ISBN 964 - 319 - 117 - 6 / 6 VOLS.

شابك (ردمك) ٦ - ١٢٠ - ٣١٩ - ٩٦٤ / ج ٣

ISBN 964 - 319 - 120 - 6 / VOL 3

الكتاب : العقائد الإسلامية - ج ٣

المؤلف : مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

الناشر : مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

العدد : ٣٠٠٠ نسخة

الطبعة : جمادى الأولى - ١٤١٩

المطبعة : ستاره

السعر : ٧٠٠٠ ريال



Books.Rafed.net



books.rafed.net

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا

محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد ، فهذا هو المجلد الثالث من كتاب العقائد الإسلامية وقد اشتمل على أكثر مسائل الشفاعة ، وعددٍ من البحوث النافعة فيها .

ونظراً لأهمية مسائل الشفاعة ، فقد حاولنا استقصاء الآراء فيها ، وتعرضنا أحياناً لآراء غير المسلمين .

وسوف ترى أن هذه العقيدة الربانية من أكبر النعم الألهية السابغة على العباد ، وتلاحظ ما تعرضت له من تحريفات كبيرة بعد الأنبياء عليهم السلام خدمةً لأغراضٍ سياسية وثقافية ، بعيدة عن الدين الألهي !!

وقد ساعد على ذلك أنهما من عقائد الغيب والآخرة غير المنظورة ، التي يسهل على المخرفين التحريف فيها ، ويصعب كشف عملهم .

نسأله تعالى أن يجعلنا من المشمولين بشفاعة سيد المرسلين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وأن يصلي عليهم أجمعين .

مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

علي الكوراني العاملي





نسخة مقرءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork

الباب الثالث
في مسائل الشفاعة





نسخة مقرءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork

الفصل الأول تعريف الشفاعة وتاريخها

موقع الشفاعة من الرحمة الإلهية

الرحمة الإلهية وسعت كل شيء ، ولا يمكن للبشر أن يحصوا أعدادها . . ولا أنواعها . . لكن نشير إلى ستة أنواع كبرى منها ، ليتضح موقع الشفاعة من بينها .

النوع الأول : التوبة ، التي تمحو السيئات .

النوع الثاني : أن السيئة بواحدة والحسنة بعشرة .

النوع الثالث : أن نية الحسنة تكتب ، ونية السيئة لا تكتب .

النوع الرابع : أن الحسنات يذهبن السيئات .

النوع الخامس : أنواع الرحمة الإلهية الخاصة بالآخرة .

النوع السادس : الشفاعة ، وهي نوع من الوساطة الى الله تعالى من وليٍّ مقربٍ عنده ليغفر لمذنب ويسامحه .



شبهة حول أصل الشفاعة

يدور في ذهن البعض سؤال عن أصل الشفاعة مفاده : أن رحمة الله تعالى ومغفرته وسعت وتسع كل شيء ، وهي تتم بشكل مباشر ، فلماذا يجعلها الله تعالى تحتاج إلى واسطة عباده مثل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ؟

والجواب : أن الرحمة الإلهية المباشرة في الدنيا والآخرة أنواع كثيرة لا تحصى ، ولا يمنع أن يكون منها رحمة غير مباشرة جعلها الله تعالى مرتبطة بالدعاء والشفاعة لمصالح يعلمها سبحانه ، كأن يريد رحمة عدد كبير من عباده بالشفاعة ، ويظهر كرامة أنبيائه وأوليائه عنده . .

فالشفاعة من ناحية عقلية لا مانع منها ولا إشكال فيها ، نعم ، لا تثبت إلا بدليل ، وفي الحدود والدائرة التي يدل عليها الدليل .

مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة

يمكن تقريب الشفاعة إلى الذهن بأنها (قاعدة الاستفادة من الدرجات الإضافية) كأن يقال للطالب الذي حصل على معدل عال : يمكنك أن تستفيد من النمرات الإضافية على معدل النجاح فتعطيها إلى أصدقائك ، الأقرب فالأقرب من النجاح . .

ولنفرض أن الإنسان يحتاج للنجاة من النار ودخول الجنة إلى ٥١ درجة (من رجحت حسناته على سيئاته) فالذي بلغ عمله ٤٠٠ درجة مثلاً يسمح له أن يوزع ٣٤٩ درجة على أعزائه ، ولكن ضمن شروط ، مثل أن يكونوا من أقربائه القريبين ، وأن يكون عند أحدهم ثلاثين درجة فما فوق ، وذلك لتحقيق أفضل استفادة وأوسعها من هذه الدرجات الإضافية .

وقد نصت بعض الأحاديث عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على أن شفاعة المؤمن تكون على قدر عمله ، ففي مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٥ عن الإمام الباقر عليه السلام



في قوله تعالى : **وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً** . الآية ، قال : ذلك النبي ﷺ وعلي ﷺ يقوم على كوم قد علا الخلائق فيشفع ثم يقول : يا علي إشفع ، فيشفع الرجل في القبيلة ، ويشفع الرجل لأهل البيت ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله . فذلك المقام المحمود . انتهى . وورد شبيهه به في مصادر السنة أيضاً .

وعلى هذا ، فالشفاعة مقننة بقوانين دقيقة حكيمة مثل كل الأعمال الإلهية الدقيقة والحكيمة ، وليست كما يتصوره البعض من نوع الوساطات والمحسوبيات والمنسوبيات الدنيوية .

وبما أن درجات الملائكة والأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ودرجات المؤمنين متفاوتة ، وأعظمهم عملاً وأعلاهم درجةً نبينا ﷺ فليس غريباً أن يكون أعظمهم شفاعة عند الله تعالى .

وبما أن سيئات الناس تتفاوت دركاتهما ويصل بعضها إلى تحت الصفر بألوف الدرجات مثلاً . . فإن الذين تشملهم الشفاعة هم الأقرب إلى النجاح والأفضل من مجموع المسيئين ، وقد وردت في شروطهم عدة أحاديث ، منها عن النبي ﷺ (إن أدناكم مني وأوجبكم عليّ شفاعةً : صدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانةً ، وأحسنكم خلقاً ، وأقربكم من الناس) . مستدرک الوسائل ج ١١ ص ١٧١

. قال أبو الصلاح الحلبي في الكافي ص ٤٩٧

إن قيل : فإذا كانت الإثابة والمعاقبة مختصتين به تعالى ، فكيف يصح لكم ما تذهبون إليه من الحوض واللواء والوقوف على الأعراف ، وقسمة النار وإدخال بعض إليها وإخراج بعض منها ، مع كون ذلك ثواباً وعقاباً ؟

قيل : لا شبهة في اختصاص أمور الآخرة أجمع به تعالى ، غير أنه تعالى ردها أو ردها إلى المصطفين من خلقه : رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة من آلهم صلوات الله عليهم ، فأوردوها عن أمره وأصدروها . كما يضاف تعذيب أهل النار وتنزيل أهل الجنة حاصلاً بالملائكة المأذون لهم فيه . . . وليس لأحد أن يقول : فأبي



ميزة لهم بتولي هذه الأمور على غيرهم في الفضل وهي موقوفة على إذنه تعالى ، لأن الآخرة لما كانت أفضل الدارين بكونها دار الجزاء وغاية المستحقين ، وجعل الله سبحانه إلى هؤلاء المصطفين أفضل منازلهم وأسنى درجاته من اللواء والحوض والشفاعة وقسمة النار ، دل على تخصصهم من الفضل بما لا مشارك لهم فيه .

محاولات المستشرقين التشكيك في الشفاعة

وقد حاول بعضهم الإشكال على قانون الشفاعة في الإسلام فتصوره أو صورته بأنه من نوع الوساطات الدنيوية المخالفة للعدالة ، التي يفعلها الناس عند الحكام الظلمة لمن يجونه من المجرمين . . وقد مدح جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي ص ١٩٢ المعتزلة وزعم أنهم لم يقبلوا الشفاعة لأنها تنافي العدالة ، قال : والمعتزلة . . لا يريدون التسليم بقبول الشفاعة على وجه أساسي حتى لمحمد ذلك بأنه يتعارض مع اقتناعهم بالعدل الإلهية المطلق . انتهى .

ولكن لا يمكن لعاقلي أن يدعي بأن زيادة الرحمة الإلهية والمغفرة للمذنبين بأسباب متعددة ، أمرٌ يتنافى مع العدالة الإلهية ! !

ثم إن الذي نفاه المعتزلة هو شمول الشفاعة لأهل الكبائر ، ولم ينفوا الشفاعة لمرتكي المعاصي الصغائر ، كما سيأتي في محله .

على أن تسيهر اليهودي نفسه يعتقد بالشفاعة التي يزعمها اليهود لكل بني إسرائيل دون سواهم من البشر ، ولا يراها منافية للعدالة الإلهية ، فلا معنى لمدحه المعتزلة بأنهم يرفضون الشفاعة لأنهم طلاب مساواة !

تهافت منطقي الوهابيين في الشفاعة والإستشفاع

والأعجب من المستشرقين الوهابيين . . حيث يتوسعون في الشفاعة فيجعلونها تشمل اليهود والنصارى وجميع الخلق ، على حد تعبير ابن تيمية ، قال في مجموعة رسائله ج ١ ص ١٠ : أجمع المسلمون على أن النبي (ص) يشفع للخلق يوم القيامة



بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله في الشفاعة . ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة . . . أنه يشفع لأهل الكبائر ، ويشفع أيضاً لعموم الخلق . انتهى .

ولكنهم في نفس الوقت يجرّمون الإستشفاع والتوسل بالنبي ﷺ ويعتبرونه شركاً ، مع أن هو الإستشفاع طلب شفاعة النبي ﷺ إلى الله تعالى في الآخرة ، أو في أمر من أمور الدنيا !

إن التناسب بين الإعتقاد بسعة الشفاعة في الآخرة يقتضي تجويز الإستشفاع بأهلها في الدنيا !

وبتعبير آخر : إن تحريم الإستشفاع والتوسل في الدنيا ، يناسبه إنكار الشفاعة في الآخرة ، لا القول بسعتها لجميع الخلق !

وقد التفتت إلى ضرورة هذا التناسب بعض المتأثرين بالفكر الوهابي في تحريم التوسل والإستشفاع ، فأنكر شفاعة نبينا ﷺ بمعناها المعروف ، وفسرها بتفسير شاذ جعل منها أمراً شكلياً بعيداً عن أفعال الله تعالى .

قال فيما قال : إن الشفاعة هي كرامة من الله لبعض عباده فيما يريد أن يظهره من فضلهم في الآخرة فيشفعهم في من يريد المغفرة له ورفع درجته عنده ، لتكون المسألة في الشكل واسطة في النتائج التي يتمثل فيها العفو الإلهي الرباني ، تماماً كما لو كان النبي السبب أو الولي هو الواسطة .

إلى أن قال : وفي ضوء ذلك لا معنى للتقرب للأنبياء والأولياء ليحصل الناس على شفاعتهم ، لأنهم لا يملكون من أمرها شيئاً بالمعنى الذاتي المستقل . بل الله هو المالك لذلك كله على جميع المستويات ، فهو الذي يأذن لهم بذلك في مواقع محددة ليس لهم أن يتجاوزوها . الأمر الذي يفرض التقرب إلى الله في أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له . انتهى .

ولم يصح صاحب هذا القول بجرمة طلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء ﷺ ،



ولكن محمد ابن عبد الوهاب صرح بذلك ، واعتبر طلب الشفاعة منهم عليهم السلام شركاً ! قال (فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه ، وقل : اللهم لا تحرمني شفاعة الله منهم شفاعة في . وأمثال هذا .

فإن قال : النبي (ص) أعطي الشفاعة ، وأنا أطلب مما أعطاه الله . فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة وهناك عن هذا ، وقال : فلا تدعوا مع الله أحداً . . الخ .) .

وقد قسم ابن عبد الوهاب الشفاعة الى شفاعة منفية ، وهي التي (تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله) وشفاعة مثبتة ، وهي (التي تطلب من الله الشافع المكرم بالشفاعة . . الخ .) انتهى .

والجواب الكلي على هذه المقولة أنها دعوى بدون دليل ، نشأت من سوء الفهم لمعنى الشفاعة ، ومعنى طلبها من الشافع ، ومعنى الإستشفاع والتوسل الى الله تعالى بالنبي وآله عليهم السلام وأوليائه المقربين ! فافترضت فيها معانٍ لا توجد فيها !!

والجواب عنها بشيء من التفصيل ، أنها تتضمن شبهتين ينبغي التفكيك بينهما :

فالشبهة الأولى حول الشفاعة ، ومفادها أن آيات الشفاعة وأحاديثها ، يجب أن تحمل على المجاز ، لأن الشفاعة فيها أمرٌ شكلي لا حقيقي !
ولم يذكر صاحب هذه الشبهة دليلاً على لزوم ترك المعنى الحقيقي وحمل نصوص الشفاعة على المجاز ، بل لم نجد أحداً من الوهابيين ذكر ذلك . . نعم ذكر محمد رشيد رضا إشكال بعضهم على ذلك وأجاب عنه بما قد يفهم منه أن الشفاعة أمرٌ شكلي !

. قال في تفسير المنار ج ٨ ص ١٣ :

فإن قيل : أليس الشفعاء يؤثرون في إرادته تعالى ، فيحملونه على العفو عن المشفوع لهم والمغفرة لهم ؟

قلنا : كلا إن المخلوق لا يقدر على التأثير في صفات الخالق الأزلية الكاملة



فيكون ذلك إظهار كرامةٍ وجاهٍ لهم عنده ، لا إحداث تأثير الحادث في صفات القاسم وسلطانٍ له عليها ، تعالى الله عن ذلك . انتهى .

ومفاد هذه الشبهة أن القول بالشفاعة الحقيقية يستلزم أن تكون إرادة الخالق متأثرة بإرادة المخلوق ، وهو محال ، فلا بد من القول بأن الشفاعة شكلية !!

وكذلك القول بتعليق بعض أفعاله تعالى على طلب أنبيائه وأوليائه منه ، مثل الرزق ، والشفاء ، والمغفرة ، والنجاة من النار وإدخال الجنة . . لا بد أن يكون شكلياً ، لأن الحقيقي منه محال .

والجواب عنها : أن أصحاب هذه الشبهة أخطأوا في تخيلهم أن تعليق الله تعالى لمغفرته أو عطائه على طلب مخلوقٍ ، معناه تأثير المخلوق في إرادته سبحانه وتعالى ! فإن تعليق الإرادة على شيء ممكن بالوجدان ، ولا محذور فيه ، لأنه بذاته فعلٌ إرادي وتأكيدٌ للإرادة لا سلبها ، أو جعلها متأثرة بفعل آخر ، أو شيء آخر . لقد تصور هؤلاء أن الشفاعة من الله ، إذا أعطيت لأحدٍ تصير شفاعةً من دون الله تعالى ، فوقعوا في هذه الشبهة !

أما إذا قالوا إن ذلك ممكنٌ ولكن الله تعالى لا يفعله لأنه لا يجوز له ، فلا دليل لهم عليه من عقلٍ ، ولا قول الله تعالى ولا قول رسوله ﷺ .

وإن كانوا يمنعون من عند أنفسهم ، فهو تعددٌ على الله تعالى ، وتحديدٌ لصلاحيات من لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون !

ثم إن اللغة تَأبى عليهم ما قالوه ، فأيات الشفاعة وأحاديثها ظاهرة في الشفاعة الحقيقية لا الشكلية ، ولا يمكنهم صرفها عن ظاهرها !

والشبهة الثانية حول الإستشفاع بالنبي وآله ﷺ ، وهي الشبهة التي يكررها ابن تيمية والوهابيون ، وهي غير شبهة الشفاعة وإن كانت مرتبطة بها .

ومفادها أن طلب الشفاعة حتى ممن ثبت أن الله تعالى أعطاهم إياها حرامٌ ، لأنه شركٌ بالله ، وادعاءٌ لهؤلاء المخلوقين بأنهم يملكون الشفاعة من دون الله تعالى !!



وقد استدلل ابن عبد الوهاب على ذلك بآيات النهي عن اتخاذ شريك مع الله كقوله تعالى (**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**) .

والجواب عنها : أنه ثبت من القرآن والسنة أن كثيراً من الأفعال الإلهية تتم بواسطة الملائكة ، وليس في ذلك أي شرك لهم مع الله تعالى ، لا في ملكه ، ولا في أمره ، بل هم عباد مكرمون مطيعون . ولا مانع من العقل أو النقل أن يجعل الله تعالى أنواعاً من أفعاله وعطائه بواسطة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام أو يجعلها معلقة على طلبهم منه !

ولا يصح التفريق بين الأمرين والقول بأن ذلك إن كان بواسطة الملائكة فهو إيمان لأنهم لا يصيرون شركاء ، أما إن كان بواسطة غيرهم فيصيرون شركاء لله تعالى ! أو القول بأن تعليق العطاء الإلهي على طلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام شراكة لله تعالى وشرك به ، لكن شراكة الملائكة لله تعالى والشرك بهم لا بأس به !!

نقول لأصحاب هذه الشبهة : إقرؤوا قول الله تعالى : **وَلِلَّهِ جُنُودَ السَّمَاوَاتِ**

وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيْرًا حَكِيْمًا . الفتح . ٤

وقوله تعالى : **وَلِلَّهِ جُنُودَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيْرًا حَكِيْمًا** . الفتح . ٧

وقوله تعالى : **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** . المدثر . ٣١

ثم نقول لهم : نحن وأنتم لا يحق لنا أن نقسم رحمة الله تعالى أو نحصرها ، أو نحصر طرقها ، أو نضع له لائحة فتاوى لما يجوز له أن يفعله وما لا يجوز !
ومعرفتنا ومعرفتكم بما يمكن له تعالى أن يفعله وما لا يمكن ، إنما جاءت مما دلنا عليه العقل دلالة قطعية ، أو دلنا عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

والعقل لا يرى مانعاً في أن يربط الله تعالى أفعاله بطلب ملائكته أو أوليائه ، فيجعلهم أدوات رحمته ، ووسائل فيضه ، ووسائل عطائه . . وذلك لا يعني تشريكهم في ألوهيته ، بل هم عباده المكرمون المطيعون ، ووسائله وأدواته التي يرحم بها عباده .

هذا من ناحية نظرية . . وأما من ناحية الوقوع والثبوت ، فقد دل الدليل على أن أنظمة الفعل الإلهي وقوانينه واسعة ومعقدة ، ودل على أنه تعالى جعل كثيراً من



عطائه . إن لم يكن كله . عن طريق خيرة عباده من الملائكة والأنبياء والأوصياء عليهم السلام ودل الدليل على جواز الإستشفاع والتوسل بنبينا وآله عليهم السلام والطلب من الله تعالى بحقهم وحرمتهم وواسطتهم ، سواء في ذلك أمور الدنيا والآخرة . .

ودل الدليل على أن موتهم عليهم السلام ليس كموت غيرهم ، وأن حرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياء صلوات الله عليهم .

وقد قال تعالى في آخر سورة أنزلها من كتابه : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** . المائدة . ٣٥ . ولا فرق في أصحاب الوسيلة إلى الله تعالى بين الملائكة وغيرهم ، بل التوسل بنبينا عليهم السلام أفضل وأرجى من التوسل بالملائكة ، لأنه أفضل مقاماً عند الله منهم .

وسياتي ذلك في بحث التوسل والإستشفاع ، إن شاء الله تعالى . ويأتي أنه يجوز لنا أن نطلب العطاء الإلهي المعلق على شفاعة الأنبياء والأولياء ، أو غير المعلق ، منهم أنفسهم عليهم السلام ولا يعتبر ذلك شركاً ، بل هو طلب من الله تعالى .

وأن حكم التوسل بالأنبياء والأولياء والإستشفاع بهم إلى الله تعالى ، لا يختلف بين الأموات منهم والأحياء عليهم السلام . . الى آخر المسائل التي خالف فيها الوهابيون عامة المسلمين .

— وقد أجاب السيد جعفر مرتضى في كتابه خلفيات مأساة الزهراء ٣ ص ٢١٩ على الشبهتين المذكورتين ، ومما قاله :

١ . إن الكل يعلم : أن لا أحد يدعو محمداً عليه السلام أو علياً عليه السلام أو أي نبي أو ولي كوجودات منفصلة عن الله تعالى ومستقلة عنه بالتأثير ، ولم تحدث في كل هذا التاريخ الطويل أن تكونت ذهنية شرك عند الشيعة نتيجة لذلك فضلاً عن غيرهم .

٢ . إننا نوضح معنى الشفاعة في ضمن النقاط التالية :

أ . إن الإنسان المذنب قد لا يجد في نفسه الأهلية أو الشجاعة لمخاطبة ذلك الذي أحسن إليه وأجرم هو في حقه ، أو هكذا ينبغي أن يكون شعوره في مواقع



كهنده ، فيوسط له من يحل مشكلته معه ممن لا يرد هذا المحسن طلبهم ولا يخيب مسألتهم . .

ب . إن الله إنما يريد المغفرة للعبد المذنب بعد شفاعته الشفيع له . . ولم تكن تلك الإرادة لتتعلق بالمغفرة لولا تحقق الشفاعة . . فلو أن الشفيع لم يبادر إلى الشفاعة لكان العذاب قد نال ذلك العبد المذنب .

وهذا كما لو صدر من أحد أولادك ذنب فتبادر إلى عقوبته ، فإذا وقف في وجهك من يعز عليك وتشفع به فإنك تغفو عنه إكراماً له ، وإن لم يفعل ذلك كما لو لم يكن حاضراً مثلاً فإنك ستمضي عقوبتك في ذلك الولد المذنب لا محالة . . فالشفاعة على هذا سبب في العفو أو جزء سببه له .

إذن فليس صحيحاً ما يقوله البعض من أن الله تعالى له قد تعلقت إرادته بالمغفرة للعبد قبل الشفاعة بحيث تكون المغفرة له حاصلة على كل حال ، ثم يكرم الله نبيه ويقول له : هذا العبد أريد أن أغفر له فتعال وتشفع إلي فيه . .

ج . إذا كان الشخص المذنب قد أقام علاقة طيبة مع ذلك الشافع وتودد إليه ورأى منه سلوكاً حسناً واستقامة وانقياداً ، فإن الشافع يرى أن من اللائق المبادرة إلى مساعدته في حل مشكلته أما إذا كان قد أغضبه وأساء إليه أو تعامل معه بصورة لا توحى بالثقة ولا تشير إلى الاستقامة ، فإنه لا يبادر إلى مساعدته ولا يلتفت إليه . . فسلك المشفوع له أثر كبير في مبادرة الشافع إلى الشفاعة .

د . وحين يكون الشفيع لا يريد شيئاً لنفسه من ذلك الشخص ولا من غيره ويكون ما يرضيه هو ما يرضي الله سبحانه فإن تقديم الصدقات والقربات للفقراء والإهتمام بما يرضى الشافع ، هو في الواقع إثباتات عملية على أن ذلك المذنب راغب في تصحيح خطئه وتدارك ما فاتته ، وهو براهين وإثباتات على أنه قد التزم جادة الاستقامة وندم على ما فرط منه ، فإذا قدم مالاً للفقراء أو أطعم أو ذبح شاة وفرقها على المحتاجين ، فإن ذلك لا يكون رشوة للنبي أو الولي . . وهو يعلم أن النبي



والولي لا يأخذ ذلك لنفسه بل يعود نفعه إلى الفقراء والمحتاجين أو يستثمر في سبيل الله وفي نشر الدين والباذل إنما يبذل ذلك رغبة في الحصول على رضا الشافع الذي رضاه رضا الله .

هـ . أما إذا أدار ذلك المذنب ظهره للنبي والوصي ولم يلمس الشافع منه أنه يتحرق لتحصيل العفو والرضا عنه ، ويقرع كل باب ويتوسل بكل ما من شأنه أن يحل هذا الاشكال ، ويأدر إلى العمل بكل ما يعلم أنه يرضي سيده عنه ، فإنه لا يشفع له ولا كرامة . .

و . ومن الواضح : أن من يكون جرمه هائلاً وعظيماً فإن إمكانيته وفرص الإقدام على الشفاعة له تتضاءل وتضعف . . فلا يضع النبي والوصي نفسه في مواضع كهذه ولا يرضى الله سبحانه له ذلك . كما أن من يدبر ظهره لأولياء الله ولا يهتم لرضاهم ولا يزعجه سخطهم فإنه لا يستحق شفاعتهم قطعاً ، لأن الإهتمام بهم وبرضاهم جزء من عبادته تعالى ومن المقربات إليه وموجبات رضاه . . فالتوسل إليهم والفوز بمحبتهم وبرضاهم سبيل نجاة وطريق هدى وسلامة وسعادة .

ز . إن من الواضح أن المجرم لا يمكن أن يتشفع في مجرم مثله ، وأن المقصر لا يتشفع بنظيره ، لأن الشفاعة مقام عظيم وكرامة إلهية فلا يقبل الله سبحانه شفاعة كل أحد ، بل الذين يشفعون هم أناس مخصصون بكرامة الله سبحانه لأنهم يستحقونها . .

ح . قد ظهر مما تقدم : أن إرادة الله لم تكن قد تعلقت بالمغفرة للمذنب قبل الشفاعة لتكون شفاعة النبي أو الوصي بعدها . بالشكل . ومن دون أن يكون لها تسبب حقيقي . . بل هناك تسبب حقيقي للشفاعة ، فإنها هي سبب المغفرة وهي سبب إرادة الله بأن يغفر لذلك المذنب ولو لم يقم الشافع بها لم يغفر الله لذلك المذنب .

ولولا ذلك فإنه لا يبقى معنى للشفاعة . . ولا يكون العفو إكراماً للشافع واستجابة له . انتهى .



تعريف الشفاعة في اللغة

. قال الخليل في كتاب العين ج ١ ص ٢٦٠

الشافع : الطالب لغيره ، وتقول استشفعت بفلان فتشفع لي إليه فشفعه فيّ .
والإسم : الشفاعة . واسم الطالب : الشفيح . قال :
زعمت معاشر أنني مستشفع
لمما خرجت أزوره أقلامها
أي : زعموا أني أستشفع (بأقلامهم) أي بكتبهم إلى الممدوح ، لا بل إلي أستغني
عن كتب المعاشر بنفسي عند الملك . والشفعة في الدار ونحوها معروفة يقضى
لصاحبها . والشافع : المعين ، يقال فلان يشفع لي بالعداوة ، أي يعين علي ويضادني
قال النابغة : أتاك امرؤ مستعلن شنانه له من عدوٍ مثل ذلك شافع أي : معين .
وقال الأحوص : بأن من لأمني لأضرمها كانوا علينا بلومهم شفعا أي : أعانوا .

. وقال الراغب في المفردات ص ٢٦٣

الشفع : ضم الشيء إلى مثله ويقال للمشفوع شفع . والشفع والوتر : قيل الشفع
المخلوقات من حيث إنها مركبات كما قال : ومن كل شيء خلقنا زوجين . والوتر هو
الله من حيث إن له الوحدة من كل وجه .
وقيل : الشفع يوم النحر من حيث إن له نظيراً يليه ، والوتر يوم عرفة . وقيل الشفع ولد
آدم والوتر آدم لأنه لا عن والد .
والشفاعة : الإنضمام إلى آخر ناصرأ له وسائلاً عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام
من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى . ومنه الشفاعة في القيامة قال (لا
يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً . لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له
الرحمن . لا تغني شفاعتهم شيئاً . ولا يشفعون إلا لمن ارتضى . فما تنفعهم شفاعة
الشافعين ، أي لا يشفع لهم . ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة . من حميم
ولا شفيح . من يشفع شفاعة حسنة . ومن يشفع شفاعة سيئة ، أي من انضم إلى غيره
وعاونه وصار شفعاً له أو شفيعاً في فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه في
نفعه وضره .



وقيل الشفاعة هاهنا أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير أو طريق شر فيقتدي به ،
فصار كأنه شفيع له وذلك كما قال ﷺ : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل
بها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ، أي إثمها وإثم من عمل بها
وقوله : ما من شفيع إلا من بعد إذنه ، أي يدبر الأمر وحده لا ثاني له في فصل الأمر إلا
أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه .
واستشفعت بفلان على فلان فتشفع لي ، وشفعه أجاب شفاعته ، ومنه قوله ﷺ :
القرآن شافع مشفع .

والشفعة : هو طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه ، وهو من الشفع
وقال ﷺ : إذا وقعت الحدود فلا شفعة .

وقال في المفردات ص ٤٣٦ .

وأما قوله : من يشفع شفاعة حسنة إلى قوله : يكن له كِفْلٌ منها ، فإن الكفل ههنا
ليس بمعنى الأول بل هو مستعار من الكفل وهو الشيء الردي .

وقال الزبيدي في تاج العروس ج ٥ ص ٢٦٠ .

وشفيعته فيه تشفيعاً حين شفع كمنع شفاعة ، أي قبلت شفاعته ، كما في العباب
قال حاتم يخاطب النعمان :

فَكَّكْتَ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا فَأَفْضَلَ وَشَفَعَنِي بِقَيْسِ بْنِ جُحْدِرِ

وفي حديث الحدود : إذا بلغ الحد السلطان فلن الله الشافع والمشفع .

وفي حديث أبي مسعود ﷺ : القرآن شافع مشفع وماحل مصدق ، أي من اتبعه
وعمل بما فيه فهو شافع له مقبول الشفاعة من العفو عن فرطاته ، ومن ترك العمل به
ندم على إساءته وصدق عليه فيما يرفع من مساويه ، فالمشفع الذي يقبل الشفاعة .

والمشفع الذي تقبل شفاعته ، ومنه حديث الشفاعة : إشفع تشفع ، واستشفعه
إلينا ، وعبارة الصراح واستشفعه إلى فلان أي سأله أن يشفع له إليه ، وأنشد
الصاغاني للأعشى :

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرِبتُ مَرْتَحَلًا يَا رَبِّ جَنَّبَ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا



واستشفعت من سراة الحي ذا شرفٍ
 فقد عصاها أبوها والذي شفعا
 يريد والذي أعان وطلب الشفاعة فيها . وأنشد أبو ليلى :
 زعمت معاشر أنني مستشفعُ
 لما خرجت أزوره أقلامها
 قال زعموا أني أستشفع بأقلامهم في الممدوح أي بكتبهم .
 ومما يستدرك عليه الشفيع من الأعداد ما كان زوجاً ، والشفع ما شفيع به سمي
 بالمصدر ، وجمعه شفعا ، قال كثير :

وأخو الإبساء إذ رأى خلانـه
 تلي شفاعةً حوله كالإذخر
 شبههم بالإذخر لأنه لا يكاد يثبت إلا زوجاً زوجاً . وشاة شفوع كشافع ويقال هذه شاة
 الشافع كقولهم صلاة الأولى ومسجد الجامع .

وهكذا روى في الحديث الذي تقدم عن سمر بن ديسم رضي الله عنه ، وشاة مشفع كمكرم
 ترضع كل بهيمة ، عن ابن الأعرابي . وتشفع إليه في فلان : طلب الشفاعة ، نقله
 الجوهري . وتشفعه أيضاً مطاوع استشفع به كما في المفردات . وتشفع صار شافعي
 المذهب وهذه مولدة .

والشفاعة ذكرها المصنف ولم يفسرها وهي كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها
 لغيره . وشفع إليه في معنى طلب إليه . وقال الراغب : الشفع ضم الشيء الى مثله ،
 والشفاعة الإنضمام إلى آخر ناصرأ له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل في انضمام من
 هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة . وقال غيره : الشفاعة
 التجاوز عن الذنوب والجرائم . وقال ابن القطاع : الشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذمام .

تعريف الشفاعة عند المتكلمين

. قال الشريف المرتضى في رسائله ج ١ ص ١٥٠

وحقيقة الشفاعة وفائدتها : طلب إسقاط العقاب عن مستحقه ، وإنما تستعمل في
 طلب إيصال المنافع مجازاً وتوسعاً ، ولا خلاف في أن طلب إسقاط الضرر والعقاب
 يكون شفاعة على الحقيقة .



. وقال في ج ٣ ص ١٧

وشفاعة النبي ﷺ إنما هي في إسقاط عقاب العاصي لا في زيادة المنافع ، لأن حقيقة الشفاعة تختص بذلك ، من جهة أنها لو اشتركت لنا شافعين في النبي ﷺ إذا سألنا في زيادة درجاته ومنازله . انتهى .

. وقال في ج ٢ ص ٢٧٣

الشفاعة : طلب رفع المضار عن الغير ممن هو أعلى رتبة منه ، لأجل طلبه .

. وقال أبو الصلاح الحلبي في الكافي ص ٤٦٩

وقلنا : إن الشفاعة وجة عندنا لإجماع الأمة على ثبوتها له ﷺ ومضى إلى زمان حدوث المعتزلة على الفتوى بتخصيصها بإسقاط العقاب ، فيجب الحكم بكونها حقيقة في ذلك ، لانعقاد الإجماع في الأزمان السابقة لحدوث هذه الفرقة .

. تفسير التبيان ج ٥ ص ٣٣٤

قوله تعالى : **إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . . .**

وقوله : وما من شفيع إلا من بعد إذنه ، فالشفيع هو السائل في غيره لإسقاط الضرر عنه . وعند قوم أنه متى سأل في زيادة منفعة توصل إليه كان شفيعاً . والذي اقتضى ذكره هاهنا صفات التعظيم مع اليأس من الإتكال في دفع الحق على الشفيع .

والمعنى هاهنا أن تدبيره للأشياء وصنعتة لها ، ليس يكون منه بشفاعة شفيع ، ولا تدبير مدبر لها سواه ، وأنه لا يجسر أحداً أن يشفع إليه إلا بعد أن يأذن له فيه ، من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم . . .

وإنما ذكر الشفيع في الآية ولم يذكر له ذكر ، لأن المخاطبين بذلك كانوا يقولون الأصنام شفعاءهم عند الله ، وذكر بعدها : ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا



ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة ! مع أنه لا يشفع عنده إلا من ارتضاه الله .

. كنز الدقائق ج ١ ص ٢٣٨

واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون . واستدللت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر .

قال البيضاوي : وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة ، قال : ويؤيده أن الخطاب معهم ، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم .

أقول : الآية يحتمل أن تكون مخصصة للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة الدالة على عمومها ، كما أن كون الخطاب معهم يحتمل أن يكون مؤيداً للتخصيص بالكفار ، فلا يتم الاستدلال من الجانبين ، فتأمل .

. مجمع البحرين ج ٢ ص ٥٢٢

قال تعالى : **مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا** ، قيل معناه من يصلح بين اثنين يكن له جزء منها . ومن يشفع شفاعة سيئة ، أي يمشي بالنميمة مثلاً ، يكن له كفل منها أي إثم منها .

وقيل المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين ، وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم .

قوله : ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، دينه ، وهو مروى عن الرضا عليه السلام وعن بعض المفسرين ولا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر ، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة . قال الصدوق : المؤمن من تسره حسنته وتسوؤه سيئته لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ، ومتى ساءته سيئته ندم عليها والندم توبة ، والتائب مستحق الشفاعة والغفران . ومن لم تسوؤه سيئته فليس بمؤمنٍ ومن لم يكن مؤمناً لم يستحق الشفاعة ، لأن الله تعالى غير مرتضى دينه .



قوله : فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل في معناه لا شافع ولا شفاعة ، فالنفي راجع إلى الموصوف والصفة ، كقوله لا يسألون الناس إلحافاً .

وفي الحديث تكرر ذكر الشفاعة فيما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة ، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم ، ومنه قوله ﷺ : أعطيت الشفاعة .

قال الشيخ أبو علي : واختلفت الأمة في كيفية شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة فقالت المعتزلة ومن تابعهم : يشفع لأهل الجنة ليزيد في درجاتهم . وقال غيرهم من فرق الأمة : بل يشفع لمذنب أمته ممن ارتضى الله دينهم ، ليسقط عقابهم بشفاعته .

وفي حديث الصلاة على الميت : وإن كان المستضعف بسبيل منك فاستغفر له على وجه الولاية . وفي الخبر : إشفع تشفع ، أي تقبل شفاعتك ، وفيه : أنت أول شافع وأول مشفع ، هو بفتح الفاء ، أي أنت أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته . وفي الحديث : لا تشفع في حق امرئ مسلم إلا بإذنه . وفيه : يشفعون الملائكة لإجابة دعاء من يسعى في المسعى كأنهم يقولون : اللهم استجب دعاء هذا العبد .

. تفسير الرازي ج ٢ جزء ٣ ص ٥٥

أجمعت الأمة على أن لمحمد (ص) شفاعة في الآخرة ، وحمل على ذلك قوله تعالى : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ، وقوله تعالى : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** . . . ثم اختلفوا بعد هذا في أن شفاعته ﷺ لمن تكون ؟ أتكون للمؤمنين المستحقين للثواب ، أم تكون لأهل الكبائر المستحقين للعقاب ؟ فذهب المعتزلة إلى أنها للمستحقين للثواب . . . وقال أصحابنا تأثيرها في إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب .





نسخة مقرءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork

الفصل الثاني

تحريف اليهود والنصارى للشفاعة

أولاً : مقولاتهم في الشفاعة من مصادرهم

عراقية عقيدة الشفاعة

. قاموس الكتاب المقدس ص ٥١٣

شفع . شفيع . شفاعة : وهي التوسط بين شخص وآخر . وهي دليل محبة الإنسان لأخيه الإنسان . كما أنها مؤسسة على أن معاملة الله للبشر معاملة ليست فردية فحسب بل جماعية أيضاً .

والصلاة الشفعية قديمة قدم نوح (تك ٨ : ٢٠ و ٢٢) وإبراهيم (تك ١٧ : ١٨ و ٢٣ . ٣٣) وموسى (خر ١٥ : ٢٥) .

وخليفة موسى الذي رفع صلواته كقاضي وكاهن ونبي هو صموئيل (١ صم ٧ : ٥



و ٨) وحياة المسيح كانت مليئة بالصلوات الشفعية . بل إن الصلاة الربانية تحمل روح الشفاعة في طلب الملكوت ومغفرة ذنوب الآخرين .

والصلاة الشفعية يرفعها الإنسان لأجل صديق أو لأجل عدو (مت ٥ : ٤٤) أما الروح القدس فهو يشفع فينا (رو ٨ : ٢٦) أما المسيح في حياته الشخصية وموته على الصليب فهو شفيعنا الذي ساقته شفاعته للموت على الصليب كفارة لخطايا البشرية . أنظر (وسيط) .

. قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٣

وكان موسى وسيطاً بين الله وشعب بني إسرائيل وهكذا المسيح هو وسيط بين الله والناس .

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٠٧

١٨ . لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضاً من موعد . ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعده .

١٩ . فلماذا الناموس . قد زيد بسبب التعديت إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له مرتباً بملائكة في يد وسيط .

٢٠ . وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد .

شفاعة ابراهيم للمؤمنين ولإسماعيل ولوط

. قاموس الكتاب المقدس ص ١١

ثم أعلن الرب لإبراهيم خراب سدوم وعمورة بسبب شرهما فتشفع إبراهيم لأجل الأبرار هناك فأنقذ الرب لوطاً بيد ملاكين (تك ص ١٨ و ١٩) وحيثما سكن إبراهيم كان يقيم مذبحاً للرب ويدعو باسمه (تك ١٢ : ٧ و ٨) وقد قدم صلوات تشفعية لأجل الآخرين ففي تك ١٧ : ٢٠ صلى لأجل إسماعيل وفي تك ١٨ : ٢٣ . ٣٢ . تشفع لأجل لوط .



شفاعة زكريا لبني إسرائيل

. قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤١

كما ظهر لزكريا بروح النبوة واقفاً على هذا الجبل شافعاً في شعبه (زك ١٤ : ٤)

البشارة بالشفيع الذي سيأتي (البراقليطس)

. قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٧

معز : (يو ١٤ : ١٦ و ١٥ : ٢٦ و ١٦ : ٧) وهو الروح القدس . ولم ترد إلا في إنجيل يوحنا . والكلمة الأصلية اليونانية (پراكليتيس) وتعني (معز ومعين وشفيع ومحام) وتشير إلى عمل الروح القدس لأجلنا .

توسيع بولس للشفاعة وحصرها بالمسيح

. قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٤

ومع أن بني الإنسان قد فقدوا الصورة الإلهية التي خلقوا عليها ، ومع أنهم وقعوا تحت طائلة العقاب الإلهي الرهيب ، إلا أنهم بسبب عمل الفداء أهل لأن ينالوا غفران خطاياهم غفراناً تاماً كاملاً إذا آمنوا بالرب يسوع المسيح (الشفيع الوحيد بين الله والناس) وندموا على خطاياهم ندامة صحيحة حقيقية ، وأصبحوا أهلاً للتحرر من عبودية الخطيئة ورقها والانتقال إلى حرية أبناء الله بالنعمة المجانية .

. قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٥

وقد وصف يسوع بأنه رئيس كهنة المؤمنين العظيم الذي نضح قدس الأقداس السماوي بدمه ، والذي جلس عن يمين الآب هناك حيث هو الآن يشفع فيهم (عب ٤ : ١٤ و ٧ : ٢٥ و ٩ : ١٢) الخ .

. قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦٩

وأعلن لهم أن يهوذا الذي كان واحداً منهم سيسلمه (مر ١٤ : ١٨ . ٢١ . يو ١٣ : ٢١ . ٣٠) ورسم لهم فريضة العشاء الرباني (مت ٢٦ : ٢٦ . ٢٩ . وما يليه) ثم قدم صلاته



الشفاعية العظمى من أجل أتباعه (يو ١٧ : ١ . ٢٦ . من ثم قدم نفسه نهائياً للأب وسلم إرادته تسليمًا كلياً له في بستان جثسيماني (مت ٢٦ : ٣٩ . ٤٦ غير ه) .

. قاموس الكتاب المقدس ص ٨٨٩

وسيط ١ تي ٢ : ٥ وسيط العهد الجديد عب ١٢ : ٢٤

. قاموس الكتاب المقدس ص ٩٠٤

وكذلك يذكر فيلو (ملكي صادق) كرمز ومجاز للعقل الصائب الخير ، بينما يذكره كاتب الرسالة إلى العبرانيين رمزاً للمسيح الفادي والوسيط الأعظم .

. العهد القديم والجديد ج ٢ ص ٥٧

لأن معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها .

١٣ . تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إهتنا . تكلمنا بالظلم والمعصية ، حبنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب .

١٤ . وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً . لأن الصدق سقط في الشارع والإستقامة لا تستطيع الدخول .

١٥ . وصار الصدق معدوماً والحائد عن الشر يسلب ، فرأى الرب وساء .

١٦ . فرأى أنه ليس إنسان وتخير من أنه ليس شفيح . . .

٣٤ . من هو الذي يدين . المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا .

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٣٩

٥ . لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس : الإنسان يسوع المسيح .

٦ . الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع ، الشهادة في أوقاتها الخاصة .

٧ . التي جعلت أنا لها كارزاً ورسولاً . الحق أقول في المسيح ولا أكذب . معلماً

للأمم في الإيمان والحق .

٨ . فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال



. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٢٥٦

٢٦ . وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاءنا ، لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها .

٢٧ . ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين .

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٥٨

٢٥ . فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله ، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم .

٢٦ . لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس ، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات .

٢٧ . الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب ، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه .

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٦١

١١ . وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة ، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذين ليس من هذه الخليقة .

١٢ . وليس بدم تيوس وعجول ، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس ، فوجد فداء أبدياً .

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٦٢

ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد ، لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديت التي في العهد الأول ، ينالون وعد الميراث الأبدي .

. العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٦٧

٢٢ . بل قد أتيتم إلى جبل صهيون ، وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية ، وإلى ربوات هم محفل ملائكة .



٢٣ . وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات ، وإلى الله ديان الجميع ، وإلى أرواح
أبرار مكملين .

٢٤ . وإلى وسيط العهد الجديد يسوع ، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هايل .

٢٥ . انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم . لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من
المتكلم على الأرض ، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من السماء .
العهد القديم والجديد ج ٣ ص ٣٨٦

١ . يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا ، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند
الآب يسوع المسيح البار .

٢ . وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً .

٣ . وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه .



نفهم من هذه النصوص ملامح حقائق عديدة أهمها :

أولاً : أن أصل شفاعة الأنبياء والأوصياء وخيار المؤمنين للخاطئين ، هي عندهم

كما عندنا ، أمرٌ ثابتٌ في الرسالات الإلهية من عهد إبراهيم ، بل من عهد نوح عليه السلام .

ثانياً : أنها أخذت في اليهود شكل شفاعة رؤساء الكهنة ومسؤولي القرايين في

المعابد ، ثم وصلت إلى ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأجباؤه ، وأنهم شعب الله

المختار ، وأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة . . فلا يحتاجون إلى شفاعة !

ثالثاً : أن (عقيدة الفداء المسيحية) التي تدعي أن المسيح عليه السلام قد شفع في

خطايا كل البشر بتحملة الصلب والقتل . . هي توسيع لعقيدة الشفاعة اليهودية ، وقد

اخترعها بولس الذي نصرَّ النصارى ، وعممها لغير القومية اليهودية .

— قال الدكتور أحمد شلبي في كتابه مقارنة بين الأديان ج ٢ ص ٢٤٥ تحت عنوان : الله في

التفكير المسيحي :



ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوجدانية إلى التثليث ونقل عيسى من رسول إلى إله ، والقول بأن المسيحية رسالة عامة ، والقول بأن عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه ، كان هذا كله عملاً جديداً على المسيحية التي جاء بها عيسى .

كيف انتقلت المسيحية من حال إلى حال ومن الذي قام بذلك ومتى ؟

هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلي :

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة في المسيحية هي شخصية شاول (بولس) ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه العناصر الجديدة من صنع هذا الرجل . . . !

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودي فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات — أعمال الرسل ٢٣ : ٦) وكان عدواً للمسيحيين وهو في ذلك يقول (سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية ، إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أتريبي في جنسي ، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي (غلاطية ١ : ١٣ - ١٤) .

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة ، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف في وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة ، فادعى شاول أن السيد المسيح . بعد نهايته على الأرض . ظهر له وصاح فيه وهو في طريقه إلى دمشق : لماذا تضطهدين ، فخاف شاول وصرخ : من أنت يا سيد ؟ قال : أنا يسوع الذي تضطهده ! قال شاول : ماذا تريد أن أفعل ؟ قال يسوع : قم وكرز بالمسيحية ! !

ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هي :

وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أنه ابن الله (أعمال ٩ : ٣ - ٣٠) انتهى .



رابعاً : أن الإتجاه العام عند محرفي الأديان بعد أنبيائهم هو تسهيل أمر المغفرة الإلهية ودخول الجنة لأتباعهم ، والإفراط في ذلك الى حد إلغاء قانون العقوبة الإلهية ، وفي المقابل التشدد مع خصومهم ومخالفيهم من التابعين لنفس الدين ، والحكم عليهم بأنهم من أهل النار !

خامساً : بما أنه ثبت عن النبي ﷺ بأحاديث صحيحة عند الجميع ، أن الأمة الإسلامية سوف تتبع سنن اليهود والنصارى في انحرافها عن الإسلام وتحريفها له ، وفي صراعاتها الداخلية . . فإن على الباحث أن يكون حذراً متنبهاً في أحاديث الصحابة في الشفاعة ، لكي يميز بين الثابت منها بنصوص متفق عليها عند جميع المسلمين ، وبين الذي يتبناه صحابي نافذ ، أو ففة حاكمة ، وفي نفس الوقت يوجد في الصحابة من ينفيه أو يكذبه !

ثانياً : مقولاتهم في الشفاعة من مصادرنا

قال الله تعالى : **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ، يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .** المائدة ١٨ . ١٩

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٤٧٧

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . . . روي عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ حين حذرهم بنقمة الله وعقوباته فقالوا : لا نخوفنا فإننا أبناء الله وأحباؤه .

وقال السدي : إن اليهود تزعم أن الله عز وجل أوحى إلى بني اسرائيل أن ولدك بكر من الولد . وقال الحسن : إنما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد .



وأما قول النصارى فقليل فيه : إنهم تأولوا ما في الإنجيل من قول عيسى أذهب إلى أبي وأبيكم . وقال قوم : لما قالوا المسيح ابن الله أجرى ذلك على جميعهم كما يقولون : هذيل شعراء ، أي منهم شعراء

وقوله : وأحباءؤه ، جمع حبيب فقال الله لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء المفترين على ربهم : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ فلأي شيء يعذبكم بذنوبكم إن كان الأمر على ما زعمتم ، فإن الأب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه .

واليهود تقرُّ أنهم يعذبون أربعين يوماً ، وهي عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل !

وقوله : بل أنتم بشر ، معناه قل لهم ليس الأمر على ما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباءؤه ، بل أنتم بشر ممن خلق من بني آدم ، إن أحسنتم جوزيتهم على إحسانكم مثلهم ، وإن أسأتم جوزيتهم على إساءتكم ، كما يجازى غيركم ، وليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه .

. تفسير التبيان ج ١ ص ٤٨٦

أتحاجوننا في الله وكانت محاجتهم له ﷺ أنهم زعموا أنهم أولى بالحق لأنهم راسخون في العلم وفي الدين ، لتقدم النبوة فيهم والكتاب ، فهم أولى بأن يكون الرسول منهم .

وقال قوم : بل قالوا نحن أحق بالإيمان ، لأننا لسنا من العرب الذين عبدوا الأوثان .

وقال الحسن : كانت محاجتهم أن قالوا نحن أولى بالله منكم ، وقالوا نحن أبناء الله وأحباءؤه ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا . وغرضهم بذلك الإحتجاج بأن الدين ينبغي أن يلتمس من جهتهم ، وأن النبوة أولى أن تكون فيهم . وليس الأمر على ما ظنوا ، لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ومن الذي يقوم بأعبائها ويتحملها على وجه يكون أصلح للخلق وأولى بتدبيرهم . وقوله : لنا أعمالنا ، معناه الإنكار لاحتجاجهم بأعمالهم ، لأنهم مشركون ونحن له مخلصون . وقيل معناه الإنكار للإحتجاج بعبادة العرب للأوثان ، فقليل : لا حجة في ذلك ، إذ لكل أحد عمله لا يؤخذ بجرم غيره .



. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٠٣

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء ، وبجرى بن عمرو ، وشاس بن عدي ، فكلّموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقتمه ، فقالوا : ما نخوفنا يا محمد ؟ ! نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى فأنزل الله تعالى فيهم : وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم . . . الخ . ورواه فيالدر المنثور ج ٢ ص ٢٦٩ عن ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل ، عن ابن عباس .

. الدر المنثور ج ٢ ص ١٤

عن قتادة : وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون ، حين قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد : وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون ، قال : غيرهم قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة .

. الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٠

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله : ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ، قال : هم اليهود والنصارى ، قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . وأخرج ابن جرير عن السدي في قوله : ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ، قال : نزلت في اليهود قالوا : إنا نعلم أبناءنا التوراة صغاراً فلا يكون لهم ذنوب ، وذنوبنا مثل ذنوب آبائنا ، ما عملنا بالنهار كُفّرنا بالليل .

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٧

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : وخرقوا له بنين وبنات ، قال كذبوا له ، أما اليهود والنصارى فقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، وأما مشركوا العرب فكانوا يعبدون الالات والعزى ، فيقولون : العزى بنات الله ، سبحانه وتعالى عما يصفون ، أي عما يكذبون . . .



وأخرج الطسّتي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قوله :
 وخرقوا له بنين وبنات ، قال : وصفوا لله بنين وبنات افتراء عليه ، قال : وهل تعرف
 العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت حسان بن ثابت يقول :

اخترق القبول بما لا هيأاً مستقبلاً أشعث عذب الكلام

. الدر المنثور ج ١ ص ٨٩

أخرج ابن جرير عن أبي العالفة قال : قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو
 نصارى ، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، فأنزل الله : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند
 الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، فلم يفعلوا .

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في هذه الآية قال : قل لهم يا محمد إن
 كانت لكم الدار الآخرة ، يعني الجنة كما زعمتم خالصة من دون الناس ، يعني
 المؤمنين فتمنوا الموت إن كنتم صادقين أنها لكم خالصة من دون المؤمنين . فقال
 لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن كنتم في مقالتكم صادقين قولوا : اللهم أمتنا ،
 فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه ، فأبوا أن يفعلوا
 وكرهوا ما قال لهم ، فنزل : ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم ، يعني عملته أيديهم
 والله عليم بالظالمين .

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : فتمنوا
 الموت ، أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب ، فأبوا ذلك ، ولو تمنوه يوم قال
 ذلك ما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات .

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ولتجدنهم
 أحرص الناس على حياة ، يعني اليهود ، ومن الذين أشركوا ، وذلك أن المشرك لا
 يرجو بعثاً بعد الموت فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة
 من الخزي بما ضيع ما عنده من العلم .

وقال الله تعالى : **وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . البقرة ٨٠ . ٨٢**

. تفسير التبيان ج ١ ص ٣٢٣

قالوا لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أياماً معدودة ، وإنما لم يبين عددها في التنزيل لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الأيام التي يوقتونها في النار ، فلذلك نزل تسمية عدد الأيام وسماها معدودة لما وصفنا . وقال أبو العليّة وعكرمة والسدي وقتادة : هي أربعون يوماً . ورواه الضحاك عن ابن عباس . ومنهم قال : إنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل .

وقال ابن عباس : إن اليهود تزعم أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً إن ما بين طرقي جهنم مسيرة أربعين سنة ، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم واحد ، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب ، وهلكت النار .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس : إنها سبعة أيام ، لأن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنهم يعذبون بعدد كل ألف سنة يوماً واحداً من أيام الآخرة ، وهو كألف سنة من أيام الدنيا .

ولما قالت اليهود ما قالت من قولها : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة على ما بيناه ، قال الله تعالى لنبيه : **قل أتخذتم عند الله عهداً بما تقولون من ذلك أو ميثاقاً ، فالله لا ينقض عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون من الباطل جهلاً وجرأة عليه . . .**

قوله تعالى : **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . . .** قوله بلى جواب لقوله لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ، فرد الله عليهم بأن قال : بلى من أحاطت به خطيئته . . .



. كنز الدقائق ج ٢ ص ٤٧

بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة : بسبب تسهيلهم أمر العذاب . وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون ، من قولهم السابق ، أو أن آبائهم الأنبياء يشفعون لهم ، أو أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم ، وتكرير الكذب والإفتراء يصيره في صورة الصدق عند قائله ومفتريه .

. تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٩٣

في تفسير علي بن ابراهيم قوله : وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ، قال : قال بنو اسرائيل : لن تمسنا النار ولن نعذب إلا الأيام المعدودات التي عبدنا فيها العجل ، فرد الله عليهم قل : يا محمد لهم أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون .

. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨٠

وقالوا : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون .

قال ابن إسحاق : وحدثني مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة ، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : وقالوا لن تمسنا النار إلا أيام معدودة ، قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ، أي من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، أي خلدوا أبداً . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . أي من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها ، يخبرهم أن



الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ولا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل يؤنبهم : وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل ، أي ميثاقكم ، لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلاً منكم ، وأنتم معرضون . أي تركتم ذلك كله . . .

. الدر المنثور ج ١ ص ٨٤ .

قوله تعالى : **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ** الآية . أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والواحدي عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة . . . الخ .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : اجتمعت يهود يوماً فخاصموا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ، وسموا أربعين يوماً ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد يده على رؤسهم : كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها إن شاء الله تعالى أبداً ، ففيهم أنزلت هذه الآية : وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ، يعنون أربعين ليلة .

وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لليهود : أنشدكم بالله وبالتوراة التي أنزل الله على موسى يوم طور سيناء : من أهل النار الذين أنزلهم الله في التوراة قالوا : إن رهم غضب عليهم غضبة فتمكث في النار أربعين ليلة ثم نخرج فتخلفوننا فيها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبتم والله لا نخلفكم فيها أبداً ، فنزل القرآن تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيباً لهم : وقالوا لن تمسنا النار إلى قوله هم فيها خالدون .

. مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣١٤ .

قوله تعالى : **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً** عن ابن عباس أن يهوداً كانوا



يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب لكل سنة يوماً في النار وإنما سبعة أيام معدودات ، فأنزل الله عز وجل : **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً** ، إلى قوله : **فِيهَا خَالِدُونَ** .



وقال الله تعالى : **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** . البقرة ١١١ . ١١٢

— **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** البقرة ٤٧ . ٤٨

— **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** آل عمران ٣١

— **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا** . النساء ٤٨ . ٥١

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٢٢٠

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيتهم . قال الزجاج : اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ بأولادهم الأطفال فقالوا : يا محمد أعلی هؤلاء ذنوب ؟ فقال ﷺ : لا ، فقالوا : كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار ، وما نعمل بالنهار يغفر بالليل ، فقال الله تعالى : بل الله يزكي من يشاء .



وقال : مجاهد وأبو مالك : كانوا يقدمونهم في الصلاة ويقولون : هؤلاء لا ذنب لهم . وقال ابن عباس : كانوا يقولون : أطفالنا يشفعون لنا عند الله .

. كنز الدقائق ج ٢ ص ٥٨

قال الله تعالى : **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . . .**

قال البيضاوي : روي أنها نزلت لما قالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقيل : نزلت في وفد نجران لما قالوا : إنا نعبد المسيح حباً لله . . انتهى .

. حقائق التأويل ص ١٢٦

وقال بعضهم إنهم قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فالخلائق غيرنا عبيد لنا ومنخفضون عن علونا ، فليس علينا جناح في أكل أموال عبيدنا ومن هم في الرتبة دوننا . قال صاحب هذا القول : واليهود يتدينون باستحلال أموال كل من خالفهم باستعمال الغش في معاملاتهم ، ويدعون أن ذلك فرض عليهم في دينهم ، وليس تأولهم لذلك على حد ما يتأوله المسلمون في أهل الحرب .

وذهب أبو علي إلى أن قولهم : ليس علينا في الأميين سبيل ، إنما يعنون به ليس علينا لهم سلطان ولا قدرة ، فلا يجب علينا اتباعهم ولا النزول تحت حكمهم ، يريدون بذلك النبي ﷺ وأصحابه ، فلذلك استحلوها أموالهم . انتهى .

. تفسير التبيان ج ١ ص ٢١٣

وقوله : ولا يقبل منها شفاعة ، مخصوص عندنا بالكفار ، لأن حقيقة الشفاعة عندنا أن يكون في إسقاط المضار دون زيادة المنافع . والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي ﷺ فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلاة ، لما روي من قوله ﷺ : ادخرت شفاعةي لأهل الكبائر من أمتي . . .

والشفاعة ثبتت عندنا للنبي ﷺ وكثير من أصحابه ، ولجميع الأئمة المعصومين ،



وكثير من المؤمنين الصالحين .

وقيل إن نفي الشفاعة في هذه الآية يختص باليهود من بني إسرائيل ، لأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه ، وأن آباءهم يشفعون إليه ، فأيسهم الله من ذلك فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص .

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٢١

قوله تعالى : **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا** . . . قال الحسن والضحاك وقتادة وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام : إنهم اليهود والنصارى في قولهم : **نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ** .

قال الزجاج : اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله بأولادهم الأطفال فقالوا : يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب ؟ فقال صلى الله عليه وآله : لا ، فقالوا : كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار وما نعمل بالنهار يغفر بالليل ، فقال الله تعالى : **بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ** . وقال : مجاهد وأبو مالك : كانوا يقدمونهم في الصلاة ويقولون : هؤلاء لا ذنب لهم . وقال ابن عباس : كانوا يقولون : أطفالنا يشفعون لنا عند الله .

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٢٢٢

وافترأوهم الكذب على الله هاهنا المراد به تزكيتهم لأنفسهم بأننا أبناء الله وأحباؤه ، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، ذكره ابن جريج . وقوله : وكفى به إثماً مبيناً ، معناه تعظيم إثمه ، وإنما يقال كفى به في العظم على جهة المدح أو الذم كقولك كفى بحال المؤمن نبلاً ، وكفى بحال الكافر إثماً .

. تفسير التبيان ج ٣ ص ٧٦

وقوله : **ويجبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** . . . قال البلخي : إنهم قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه وأهل الصوم والصلاة . وليسوا بأولياء الله ولا أحباؤه ولا أهل الصلاة



والصيام ، ولكنهم أهل شرك ونفاق . وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام . . .

. تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٨٩

في نهج البلاغة من كلام له عليه السلام يصف فيه المتقين : لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، إذا زُكِّي أحد منهم خاف مما يقال له ، فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي من نفسي ، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون . انتهى .



هذا ، والآيات والأحاديث في تحريفات اليهود للشفاعة ومقولاتهم فيها كثيرة ، وسوف نرى أن بعض الصحابة قد أخذوا أفكار اليهود وتحريفاتهم للشفاعة حرفاً بحرف ، **حَذُوا الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ، وَالنَّعْلَ بِالنَّعْلِ . .** كما أخبر به الصادق الأمين

عليه السلام !



الفصل الثالث

الشفاعة عند عرب الجاهلية

تدل آيات القرآن الكريم على أن عبادة العرب للأصنام كانت على أساس أنها رموز لمخلوقات مقربة عند الله تعالى تشفع لهم عنده . قال الله عز وجل :

— وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ . الروم ١٢ . ١٣

— أَلْتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونِ . إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ يس ٢٣ . ٢٤

— أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ مِمَّنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ .

الزمر ٤٣ . ٤٥



— لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . الزمر ٣ . ٤

. رسائل الشريف المرتضى ج ٣ ص ٢٢٣

حكى أبو عيسى الوراق في كتابه كتاب المقالات أن العرب صنوف شتى : صنف أقر بالخالق وبالإبتداء والإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام ، زعموا لتقربهم إلى الله زلفى ومعبراً إليها ، ونحروا لها الهدايا ونسكوا لها النسائك ، وأحلوا لها وحرموا . ومنهم صنف أقروا بالخالق وبابتداء الخلق وأنكروا الإعادة والبعث والنشور . ومنهم صنف أنكروا الخالق والبعث والإعادة ، ومالوا إلى التعطيل والقول بالدهر ، وهم الذين أخبر القرآن عن قولهم : **مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ** . ومنهم صنف مالوا إلى اليهودية ، وآخر إلى النصرانية .

. رسائل الشريف المرتضى ج ٣ ص ٢٢٨

وقد عبد الأصنام قوم من الأمم الماضية من أهل الهند والسند وغيرها ، وقد أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم عبدوها أيضاً فقال : **لَا تَدْرِنَ آلِهَتِكُمْ وَلَا تَدْرِنَ وُدًّا وَلَا سُوعَاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** . . . وكان (سواع) لهذيل وكان برهاط وكان بدومة الجندل ، وكان (يغوث) لمذحج ولقبائل اليمن ، وكان (نسر) لذي الكلاع بأرض حمير ، وكان (يعوق) لهمدان ، وكانت (السلات) لثقيف وكانت بالطائف ، وكانت (العزى) لقريش وجميع بني كنانة وسدنتها من بني سليم ، وكانت (مناة) للأوس والخزرج وغسان وكانت بالمسلك ، وكان (الهبل) أعظم أصنامهم عند أنفسهم وكان على الكعبة . وكان (أساف ونائلة) على الصفا والمروة ، ووضعها عمرو بن يحيى فكان يذبح عليهما تجاه الكعبة .



. مجمع الزوائد ج ٧ ص ١١٥

عن ابن عباس أن العزى كانت ببطن نخلة ، وأن اللات كانت بالطائف ، وأن مناة كانت بقديد ، قال علي بن الجعد : بطن نخلة هو بستان بني عامر .

. تفسير القمي ج ٢ ص ٢٥٠

قوله : **أَمْ اتَّخَذُوا مِنَ اللَّهِ شُفَعَاءَ** ، يعني الأصنام ليشفعوا لهم يوم القيامة ، وقالوا إن فلاناً وفلاناً يشفعون لنا عند الله يوم القيامة . وقوله : **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ، قال : لا يشفع أحد إلا بإذن الله تعالى .

. تفسير القمي ج ٢ ص ٢٨٩

وقال علي بن ابراهيم : **وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ** ، قال : هم الذين قد عبدوا في الدنيا ، لا يملكون الشفاعة لمن عبدهم .

. تفسير التبيان ج ٤ ص ٢٠٧

وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ . . . يقول تعالى لهؤلاء الكفار : **مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ** ، الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة . وقال عكرمة : إن الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة حيث قال : سوف يشفع في اللات والعزى ، فنزلت الآية .

وقوله : لقد تقطع بينكم ، أي وصلكم . وصل عنكم ما كنتم تزعمون ، أي جار عن طريقكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم أنه شريك لله تعالى ، وأنه يشفع لكم عند ربكم ، فلا شفيع لكم اليوم .

. تفسير التبيان ج ٩ ص ٣٣

ثم أخبر عن هؤلاء الكفار فقال (**أَمْ اتَّخَذُوا**) معناه بل اتخذ هؤلاء الكفار (**مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ**) بزعمهم من الأصنام والأوثان فقال (**قُلْ**) لهم يا محمد : أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ، تنبيهاً لهم على أنهم يتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يقدرون على شيء من الشفاعة ، ولا غيرهما ولا يعقلون شيئاً . والألف في (**أَوْلَئِ**)



ألف الإستفهام يراد به التنبيه .

ثم قال (**قُلْ**) لهم يا محمد (**لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) أي الشفاعة لمن له التدبير والتصريف في السموات والأرض ، ليس لأحد الإعتراض عليه في ذلك .

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، معاشر الخلق أي إلى حيث لا يملك أحد التصرف والأمر والنهي سواه ، وهو يوم القيامة فيجازي كل إنسان على عمله على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب .

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٠٢

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . . . أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال قال النضر : إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى ، فأنزل الله تعالى : **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ** . ومثله في ج ٣ ص ٨

. الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٩

قوله تعالى : **أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ** . . أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله : **أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ** قال : الآلهة .

. الدر المنثور ج ٣ ص ١٤٩

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : **وَدَّرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** قال : اشتقوا العزى من العزيز ، واشتقوا اللات من الله .

مكانة اللات والعزى عند مشركي العرب

كان لصنمي اللات والعزى مكانة عظيمة عند قريش خاصة ، وعند بعض قبائل العرب ، ويليهما صنم مناة ، أما هبل فهو وإن كان الإله الأكبر عندهم ولكن ارتباطهم المباشر وقسمهم الرسمي ومراسم عبادتهم الأساسية إنما كانت لللات والعزى ، وليس لهبل . .



. قال المحدث البحراني في حلية الأبرار ج ١ ص ١٢٧

الشيخ في أماليه بإسناده عن ابن عباس قال : وقف رسول الله ﷺ على قتلى بدر فقال : جزاكم الله من عصابة شراً ! لقد كذبتُموني صادقاً ، وحوّنتُموني أميناً . ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال : إن هذا أعنى على الله من فرعون ! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَّحَدَّ الله ، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى ! ! راجع أمالي الطوسي ج ١ . ٣١٦ . والبحار ج ١٩ . ٢٧٢ . ح ١١ ومثله في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٩١)

. وقال في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢١

وعن رجل من بني مالك بن كنانة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي الجواز يتخللها يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، قال وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول : لا يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى ، وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قلت : إنعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بين بردين أحمرين ، مربوع ، كثير اللحم ، حسن الوجه ، شديد سواد الشعر ، أبيض شديد البياض ، سايف الشعر . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٨

وأخرج أبونعيم في الدلائل عن ابن عباس قال : ما كان أبو لهب إلا من كفار قريش ، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالات قريش حتى حصرونا في الشعب وظاهرهم ، فلما خرج أبو لهب من الشعب لقي هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه فقال : يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى ؟ قالت : نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة ! قال : إن محمداً يعدنا أشياء لا نراها كائنة ، يزعم أنها كائنة بعد الموت فما ذاك ! وصنع في يدي ثم نفخ في يديه ، ثم قال : تبال كما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ! فنزلت : تبت يدا أبي لهب . قال ابن عباس : فحصرونا في الشعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة ، حتى أن الرجل ليخرج منا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع ، حتى هلك فينا من هلك ! !



اليمين الرسمي المقدس عند قريش باللات والعزى

. روى الحاكم في المستدرک ج ١ ص ١٦٣

عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهي تبكي فقال : يا بنية ما يبكيك قالت : يا أبت مالي لا أبكي وهؤلاء المألأ من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك ، وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك ! فقال يا بنية إئتني بوضوء فتوضأ رسول الله ﷺ ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا : ها هوذا ، فطأطأوا رؤوسهم وسقطت أذقانهم بين يديهم ، فلم يرفعوا أبصارهم ! فتناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال : شامت الوجوه ، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصاته إلا قتل يوم بدر كافراً . هذا حديث صحيح ، قد احتجا جميعاً بيحيى بن سليم . واحتج مسلم بعبد الله بن عثمان بن خثيم ولم يخرجاه . انتهى . ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٢٨ وقال : رواه أحمد بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح .

. وروى العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٢٥٩

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ** ، قال : ما يقولون فيها ؟ قلت : يزعمون أن المشركين كانوا يحلفون لرسول الله أن الله لا يبعث الموتى . قال : تبأ لمن قال هذا ، ويلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى ؟ قلت : جعلت فداك فأوجدني به أعرفه . قال : لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قبايع سيوفهم على عواتقهم ، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون : بعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم ، فيبلغ ذلك قوماً من أعدائنا فيقولون : يا معشر الشيعة ما أكذبكم ! هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيها ، لا والله ما عاشوا ولا تعيشوا إلى يوم القيامة ، فحكى الله قولهم فقال : وأقسموا بالله جهد أيمانهم . انتهى .



وتدل مصادر الفقه على أن عادة القسم باللات والعزى بقيت في أذهان القرشيين وعلى ألسنتهم حتى بعد إسلامهم ! فقد روى البخاري في صحيحه ج ٦ ص ٥١ : عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله . ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليصدق . انتهى .

ورواه في أربعة مواضع أخرى في ج ٧ ص ٩٧ وص ١٤٤ وص ٢٢٢ و ٢٢٣ ، ورواه مسلم في ج ٥ ص ٨١ وص ٨٢ ، ورواه ابن ماجة في ج ١ ص ٦٧٨ ، وروى بعده عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص ! قال : حلفت باللات والعزى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم انفت عن يسارك ثلاثاً ، وتعوذ ولا تعد . ورواه أبو داود في ج ٢ ص ٩٠ ، والترمذي في ج ٣ ص ٤٦ وص ٥١ ، والنسائي في ج ٧ ص ٧ ، وأحمد في ج ١ ص ١٨٣ و ١٨٦ وج ٢ ص ٣٠٩ ، والبيهقي في سننه ج ١ ص ١٤٩ وج ١٠ ص ٣٠ ، ومالك في المدونة ج ٢ ص ١٠٨

- وأفتى به ابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٥١ ، وابن قدامة في المغني ج ١ ص ١٦٩ وج ١١ ص ١٦٢ ، وعلله في ج ١١ ص ١٦٣ بقوله :

لأن الحلف بغير الله سيئة والحسنة تحو السيئة ، وقد قال الله تعالى : **إِنَّ** **الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ** ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها . ولأن من حلف بغير الله فقد عظم غير الله تعظيماً يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى ، ولهذا سمي شركاً لكونه أشرك غير الله مع الله تعالى في تعظيمه بالقسم به ، فيقول لا إله إلا الله توحيداً لله تعالى وبراءة من الشرك .

اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى وضرهما

. مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٠٢ عن امرأة يقال لها زهرة قال :

أسلمت فأصيب بصرها ، فقالوا لها أصابك اللات والعزى ، فرد ﷺ عليها بصرها فقالت قريش : لو كان ما جاء محمد خيراً ما سبقتنا إليه زهرة ! فنزل : **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ .**



. مسند أحمد ج ١ ص ٢٦٤

عن عبد الله بن عباس قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلدأ أشعر ذا غريرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال محمد ؟ قال نعم فقال : يا ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك . قال : لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك . قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، الله بعثك إلينا رسولاً ؟ فقال : اللهم نعم . قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا يعبدونها معه ؟ قال : اللهم نعم . قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم . قال ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص .

قال ثم انصرف راجعاً إلى بعيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولى : إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة . قال فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بنست اللات والعزى ! قالوا مه يا ضمام ، إتق البرص والجذام ، إتق الجنون . قال : ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . قال فوالله ما أمسى من



ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً !

قال يقول ابن عباس : فما سمعنا بوفد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

مصادرنا تروي بغض النبي ﷺ لأصنام قريش

. كمال الدين وتمام النعمة ص ١٨٤

قال بحيرى : يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنيها . فغضب رسول الله ﷺ عند ذكر اللات والعزى وقال : لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما ، وإنما هما صنمان من حجارة لقومي ! فقال بحيرى : هذه واحدة ، ثم قال : فبالله إلا ما أخبرتني ، فقال : سل عما بدالك فإنك قد سألتني بإلهي وإلهك الذي ليس كمثله شيء ، فقال : أسألك عن نومك ويقظتك ، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه ، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التي عنده ، فانكب عليه بحيرى فقبل رجله وقال : يا بني ما أطيبك وأطيب ريحك ، يا أكثر النبيين أتباعاً . . .

. الخرائج والجرائح ج ١ ص ٧١

في خبر الراهب بحيرى مع النبي ﷺ : قال : يا غلام أتخبرني عن أشياء أسألك عنها قال : سل . قال : أنشدك بالللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه ، وإنما أراد أن يعرف لأنه سمعهم يخلفون بهما فذكروا أن النبي ﷺ قال له : لا تسألني بالللات والعزى فإني والله لم أبغض بغضهما شيئاً قط . قال : فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه قال : فجعل يسأله عن حاله في نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله ﷺ يخبره فكان يجدها موافقة لما عنده . . . فأخذه الإفكل وهو الرعدة واهتز الديراني فقال : من أبو هذا الغلام ؟ قال أبو طالب : هو ابني . قال : لا والله لا يكون أبوه حياً . قال أبو طالب : إنه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه قال : مات وهو ابن شهرين . قال صدقت ! . . .
— وروى في ج ٣ ص ١٠٨٩ تنمة قول الراهب : كأني بك قد قدت الأجناد والخيل وقد تبعك العرب والعجم طوعاً وكرهاً ، وكأني بالللات والعزى قد كسرتكما وقد صار



البيت العتيق تضع مفاتيحه حيث تريد . . . معك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام . أنت الذي لا تقوم الساعة حتى تدخل المملوك كلها في دينك صاغرةً قِمةً .

وتمسك سدنة اللات والعزى بهما إلى آخر نفس

. شرح الأخبار ج ٢ ص ١٦٣

ولما فتح رسول الله ﷺ الطائف سأله أهلها أن يدع لهم اللات . وكانوا يعبدونها . لمدة ذكروها وقالوا : إنا نخشى في هدمها سفهاءنا ، فأبي عليهم .

. مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥٢

ابن عباس في قوله : **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا** ، قال وفد ثقيف : نبايعك على ثلاث : لا ننحني ، ولا نكسر إلهاً بأيدينا ، وتمدعنا باللات سنة . فقال ﷺ : لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود ، فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم ، وأما الطاغية اللات فإني غير ممتعكم بها .

وحطم النبي ﷺ كل الأصنام

. مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٩٩

وحدثني أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي ، عن اسماعيل بن أحمد الواعظ ، عن أبي بكر البيهقي بإسناده عن أبي مريم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إحملي لنطرح الأصنام عن الكعبة ، فلم أطق حمليه ! فحملني فلو شئت أتناول السماء فعلت ! وفي خبر والله لو شئت أن أنال السماء بيدي لنتلتها .

وروى القاضي أبو عمرو عثمان بن أحمد ، عن شيوخ بإسناده عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام : قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسره ، فقاما جميعاً فلما أتياه قال له النبي : قم على عاتقي حتى أرفعك عليه ، فأعطاه علي ثوبه فوضعه رسول الله على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت ، فأخذ علي الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة . . .



. حلية الأبرار ج ٢ ص ١٢٥

عن علي عليه السلام : أنا الذي قال في الأمين جبرئيل عليه السلام : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، أنا صاحب فتح مكة ، أنا كاسر اللات والعزى ، أنا هادم الهبل الأعلى ، ومناة الثالثة الأخرى ، أنا علوت على كتف النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت الأصنام ، أنا الذي كسرت يعوث ويعوق ونسراً .

واخترعت قريش قصة الغرائق انتصاراً لللات والعزى

قال الله عز وجل : **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى . أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى . أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنثُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى . أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرْضَى . إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى . وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا . فَأَعْرَضَ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . النجم ٨ . ٣١**

نزلت هذه الآيات في مكة بعد مرحلة (**أُنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) وبعد مرحلة (**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**) وإعلان النبي صلى الله عليه وسلم دعوته لجميع الناس ودخول عدد من المستضعفين في الإسلام وتضييق قريش عليهم وتعذيبهم ، وهجرة بعضهم إلى



الحبشة . . . ومن الواضح أن الصراع في تلك المرحلة كان يتفاقم بين الإسلام والمشركون ، وكان أهم ما يتسلح به المشركون ويطرحونه سبباً لمقاومتهم الإسلام هو (أن محمداً قد سبَّ ألهتنا وسقَّه أحلامنا) .

وقد كان موقف النبي ﷺ من ألهتهم موقفاً صريحاً قوياً لا مساومة فيه ولا مهادنة . . . وقد اتضح ذلك من السور الأولى للقرآن ، وآياتها القاطعة في مسألة الأصنام . . . ولم تكن سورة النجم إلا استمراراً لذلك الخط الرباني الصريح القوي ، بل هي الحسم الإلهي النهائي في المسألة ، ووضع النقاط على الحروف بتسمية أصنام قريش المفضلة (اللات والعزى ومناة) بأسمائها ، وإسقاطها إلى الأبد !

ومن الطبيعي أن تكون هذه الآيات شديدة جداً على قريش ، وأن تشير كبرياءها وعواطفها لأصنامها ، وأن تقوم بردة فعل بأشكال متعددة . وقصة الغرانيق ما هي إلا واحدة من ردات الفعل القرشية . . . !

لكن متى اختُرِعَتْ ومن اخترعها ؟ !

يغلب على الظن ما ذكره الشريف المرتضى من أن المشركين عبدة هذه الأصنام الثلاثة لما سمعوا ذمها في آيات السورة حَرَّفَ بعضهم الآيات ، ووضع بعد أسماء الأصنام الثلاثة عبارة (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترجى) فأعجب ذلك القرشيين ، وتمنوا لو يضاف هذا المديح لألهتهم في السورة !

ولكن كيف يمكن ذلك ؟ وكيف ينسجم مع السياق ، والسياق كله حملة شديدة على فكر الأصنام وأهلها ؟ ! !

هكذا ولدت قصة الغرانيق على ألسنة القرشيين ، ولكنها كانت هذياناً ولغوياً في القرآن من قريش المشركة لا أكثر !

ولكن الجريمة الكبرى عندما حولت قريش المناقصة هذا اللغو في القرآن الى آيات الغرانيق واتهمت بها النبي بعد وفاته ﷺ لإثبات أنه لم يكن معصوماً عصمة مطلقة لتكون كل تصرفاته وأقواله حجة ، بل كان يخطئ حتى في تبليغ الوحي ! وفي

ذلك فوائد عديدة لقريش للإلتفاف على أوامر النبي ﷺ وتبرير أخطاء حكامها ومخالفاتهم لسنته !!

وهكذا سجلت مصادر السنين قصة الغرائق التي تزعم أن النبي ﷺ قد ارتكب خيانة والعياذ بالله في نص القرآن ، وشهد بالشفاعة لأصنام اللات والعزى ومناة ، وسجد لها لكي ترضى عنه قريش !

وقد طار منافقو قريش بهذه القصة فرحاً ، ثم طار بها فرحاً ورثتهم الغريون !!

وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢ بعض روايات الغرائق ، وروى السيوطي عدداً وافراً منها في الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ وص ٣٦٦ وبعضها صحيح السند ، خلافاً لمن برأ منها الرواة المعتمدين عند حكام قريش ! قال السيوطي في ص ٣٦٦ :

وأخرج البزار والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهم لترجى ! ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آهتنا ! فجاء جبريل فقال : إقرأ علي ما جئتك به ، فقرأ : أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهم لترجى ! فقال ما أتيتك بهذا ، هذا من الشيطان !! فأنزل الله : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى . . . إلى آخر الآية . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن سعيد بن جبير . . . الخ . !! انتهى .

وقد ورد في بعض رواياتهم الإفتراء على النبي ﷺ بأنه سجد للأصنام ! (فقال : وإنهن لمن الغرائق العلى وإن شفاعتهم لهي التي ترجى ، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، وذقت بها ألسنتهم وتباشروا بها ، وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد كل من حضر من مسلم

ومشرك ، ففشيت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة فأُنزل الله : وما أرسلنا من قبلك . . .) .

وفي بعضها (ألقى الشيطان على لسانه : وهي الغرائق العلى شفاعتهن ترتجى فلما فرغ من السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص فإنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه وقال : قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير ، فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت ، فأرادوا أن يُقْبِلُوا واشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ما ألقى الشيطان على لسانه فأُنزل الله : **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ . . .** الآية) انتهى .

وقد تجرأ بعض العلماء السنيين ورثوا روايات الغرائق ولكنهم ضعفوا سندها رغم صحته عندهم ، من أجل أن لا يطعنوا في مؤلفي صحاحهم والموثقين من رواتهم !

. قال المجلسي في بحار الأنوار ج ١٧ ص ٥٦ :

قوله تعالى : **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ . . .** قال الرازي : ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن الرسول لما رأى إعراض قومه عنه شق عليه ما رأى من مباعدهم عما جاءهم به تمنى في نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه ، وذلك لحرصه على إيمانهم فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش كثير أهلته وأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ينفروا عنه وتمنى ذلك ! فأُنزل تعالى سورة **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ** ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ : **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى ! فلما سمعت قريش فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته وقرأ السورة كلها ، فسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، سوى الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص ، فإنهما أحذا حفنةً من البطحاء ورفعاهما إلى جبهتيهما وسجدا عليها ، لأنهما كانا

شيخين كبيرين لم يستطيعا السجود ، وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا :
 قد ذكر محمد آهتنا بأحسن الذكر ، فلما أمسى رسول الله أتاه جبرئيل فقال : ماذا
 صنعت ! تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ، وقلت ما لم أقل لك ! فحزن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً عظيماً حتى نزل قوله : **وَمَا
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ . . . الآية .**

هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين ، وأما أهل التحقيق فقد قالوا : هذه الرواية
 باطلة موضوعة واحتجوا بالقرآن ، والسنة ، والمعقول ، أما القرآن فوجوه :

أحدها : قوله تعالى : **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
 مِنْهُ الْوَتِينَ .**

وثانيها : **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ .**

وثالثها : قوله : **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى .**

فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرائق العلى لكان قد أظهر كذب الله تعالى في
 الحال ، وذلك لا يقول به مسلم .

ورابعها : قوله تعالى : **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ،** وكاد معناه قرب أن يكون لأمر كذلك
 مع أنه لم يحصل .

وخامسها : قوله : **وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ،** وكلمة (**لَوْلَا**) تفيد انتفاء الشيء لانتهاء غيره ،
 فدل على أن الركون القليل لم يحصل .

وسادسها : قوله : **كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ .**

وسابعها : قوله : **سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى .**

وأما السنة فهي أنه روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة
 فقال : هذا من وضع الزنادقة ، وصنف فيه كتاباً .

وقال الإمام أبو بكر البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم
 في أن رواية هذه القصة مطعونون ، وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أنه ﷺ قرأ

سورة (**وَالنَّجْمِ**) وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرائيق ، وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائيق .

وأما المعقول فمن وجوه : **أحدها** : أن من جوز على الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه صلى الله عليه وسلم كان في نفي الأوثان .

وثانيها : أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة أمناً لأذى المشركين له ، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه ، وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة ، وذلك يبطل قولهم .

وثالثها : أن معاداتهم للرسول ﷺ كانت أعظم من أن يقرؤا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر ، فكيف أجمعوا على أنه عظم آهتهم حتى خروا سجداً ، مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم .

ورابعها : قوله : فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، وذلك أن أحكام الآيات بإزالة تلقية الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تنتفي الشبهة معها ، فإذا أراد الله تعالى إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً ، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً ، أولى .

وخامسها : وهو أقوى الوجوه : أن لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه ، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله تعالى : **بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ، فإنه لا فرق بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه !

فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة ، أكثر ما في الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد التواتر . وخير الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة . . . انتهى .

ولم يلتفت هذا المفسر الكبير الى أن الآية التي ادعوا أنها نزلت على أثر القصة مدنية ، نزلت بعد النجم بنحو عشر سنوات ! كما لم يلتفت الى أن رواية البخاري وغيره التي ذكرها هي قصة الغرائق بعينها !

البخاري ومسلم رويا فرية الغرائق

وينبغي أن نحسن الظن بالرازي وأمثاله الذين دافعوا عن البخاري والصحاح فقالوا إنهم لم يرووا قصة الغرائق ، حيث لم يقرؤوا الصحاح جيداً ، وإلا لوجدوا فيها قصة الغرائق بأكثر من رواية ! غاية الأمر أن أصحابها حذفوا منها أن النبي ﷺ زاد في السورة مدح أصنام المشركين ، ولكنهم ذكروا دليلاً عليه وهو سجود المسلمين والمشركين وحتى سجود أبي أحيحة أو أمية بن خلف أو غيرهما على كف من تراب أو حصى !! فإن سجود المشركين بعد سماع القرآن لم ينقله أي مصدر على الإطلاق في أي رواية على الإطلاق ، إلا في رواية الغرائق ! ومضافاً الى رواية البخاري الفظيعة التي ذكرها الرازي فقد روى البخاري أيضاً في ج ٥ ص ٧ : عن عبد الله ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ والنجم فسجد بها وسجد من معه ، غير أن شيخاً أخذ كفاً من تراب فرفعه إلى جبهته فقال يكفيني هذا ! قال عبد الله : فلقد رأيته بعد قتل كافراً . انتهى . ورواه مسلم في ج ٢ ص ٨٨

. وروى البخاري أيضاً في ج ٦ ص ٥٢

عن الأسود بن يزيد عن عبد الله ﷺ قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم ، قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً ، وهو أمية بن خلف .

. وقال الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٢٢١

عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله قال : أول سورة قرأها رسول الله ﷺ على الناس الحج ، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس إلا رجلاً أخذ التراب فسجد عليه



فأرأيتَه قتل كافرًا . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً ولم يخرجاه ، إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبي اسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبي ﷺ قرأ والنجم فذكره بنحوه ، وليس يعلل أحد الحديثين الآخرين فإني لا أعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم غير قيس بن الربيع . والذي يؤدي إليه الإجتهد صحة الحديثين ، والله اعلم .

ومعنى كلام الحاكم : أنه كان الأولى بالبخاري ومسلم أن يرويا رواية السجود في سورة الحج لأنها أصح ، ولكنهما تركاها ورويا رواية سورة النجم !!

. وقال البيهقي في سننه ج ٢ ص ٣١٤

عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها ، يعني والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس . رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر وغيره ، عن عبد الوارث .

. ورواها في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١١٥ أيضاً وصحها ، قال :

قوله تعالى (**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ**) عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى (**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ**) فجرى على لسانه : تلك الغرائق العلى الشفاعة منهم ترجى ، قال فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسروا بذلك ، فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**) رواه البزار والطبراني وزاد إلى قوله (عذاب يوم عقيم) يوم بدر . ورجلهما رجال الصحيح إلا أن الطبراني قال لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم حديث مرسل في سورة الحج أطول من هذا ، ولكنه ضعيف الإسناد . انتهى .

ويقصد بالرواية الطويلة الضعيفة ما رواه في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٧٠ وقد ورد فيها :

حين أنزل الله السورة التي يذكر فيها (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ**) فقال المشركون لو كان



هذا الرجل يذكر آهتنا بخير أقررناه وأصحابه ، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر به آهتنا من الشتم والشر ، فلما أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم وقرأ (**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ**) ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت فقال : وإني من الغرائق العلى ، وإن شفاعتهم لترجى ، وذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك وذلكت بما ألسنتهم واستبشروا بها وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر السورة التي فيها النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه ، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان على السنة المشركين ، وأما المشركون فاطمأننت أنفسهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدثهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأها في السجدة ، فسجدوا لتعظيم آهتهم ، ففشيت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة ! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه ، أقبلوا سراعاً ! فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فشكا إليه فأمره فقرأ له ، فلما بلغها تبرا منها جبريل وقال : معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك ! ! فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليه وقال : أطعت الشيطان وتكلمت بكلامه وشركني في أمر الله ! ! فنسخ الله ما يلقي الشيطان وأنزل عليه (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ



وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته ، انقلب المشركون بضالهم وعداوتهم ، فذكر الحديث ، وقد تقدم في الهجرة إلى الحبشة . رواه الطبراني مرسلًا وفيه ابن لهيعة ، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة . انتهى .

فتبين من مجموع ذلك أن سند القصة في مصادر السنين صحيح ، ولا يصح القول بأن الواقدي تفرد بها ، أو أن الصحاح لم تروها !!

نماذج من ردود علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام على فرية الغرائق

. قال الشريف المرتضى في تنزيه الأنبياء ص ١٥١

مسألة : فإن قال فما معنى قوله تعالى : **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** .

أو ليس قد روي في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى تولى قومه عنه شق عليه ما هم عليه من المباعدة والمنافرة وتمنى في نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبينهم وتمكن حب ذلك في قلبه ، فلما أنزل الله تعالى عليه : **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ** ، وتلاها عليهم ، ألقى الشيطان على لسانه لما كان تمكن في نفسه من محبة مقاربتهم : تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فلما سمعت قریش ذلك سرت به وأعجبهم ما زكى به آهتهم ، حتى انتهى إلى السجدة فسجد المؤمنون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آهتهم بما أعجبهم ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ، إلا الوليد بن المغيرة فإنه كان شيخاً كبيراً لا يستطيع السجود فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرق الناس من المسجد وقریش مسرورة بما سمعت . وأتى جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله معاتباً على ذلك فحزن له حزناً شديداً . فأنزل الله تعالى عليه معزياً له ومسلماً : **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ** . . الآية .

قلنا : أما الآية فلا دلالة في ظاهرها على هذه الخرافة التي قُصِّوها ، وليس يقتضي



الظاهر إلا أحد أمرين : إما أن يريد بالتمني التلاوة كما قال حسان بن ثابت :

تمنى كتساب الله أول ليله
وأخبره لاقى حمام المقادر
أو أريد بالتمني تمني القلب .

فإن أراد التلاوة ، كان المراد من أرسلنا قبلك من الرسل ، كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا ، كما فعلت اليهود في الكذب على نبيهم فأضاف ذلك إلى الشيطان ، لأنه يقع بوسوسته وغروره . ثم بين أن الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه ، ويجسم مادة الشبهة به .

وإنما خرجت الآية على هذا الوجه مخرج التسلية له ﷺ لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته مدح آلهتهم ما لم يكن فيها .

وإن كان المراد تمني القلب ، فالوجه في الآية أن الشيطان متى تمنى النبي ﷺ بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس إليه بالباطل ويحدثه بالمعاصي ويغريه بها ويدعوه إليها ، وأن الله تعالى ينسخ ذلك ويطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره .

وأما الأحاديث المروية في هذا الباب ، فلا يلتفت إليها من حيث تضمنت ما قد زهت العقول الرسول ﷺ عنه . هذا لو لم يكن في أنفسها مطعوننة ضعيفة عند أصحاب الحديث بما يستغني عن ذكره .

وكيف يجيز ذلك على النبي ﷺ من يسمع الله تعالى يقول : كذلك لثبت به
فؤادك يعني القرآن ، وقوله تعالى : **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ، وقوله تعالى : **سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى !**

على أن من يجيز السهو على الأنبياء ﷺ يجب أن لا يجيز ما تضمنته هذه الرواية المنكرة لما فيها من غاية التنفير عن النبي ﷺ لأن الله تعالى قد جنب نبيه من الأمور الخارجة عن باب المعاصي كالغلظة والفظاظة وقول الشعر ، وغير ذلك مما هو دون مدح الأصنام المعبودة دون الله تعالى .

على أنه لا يخلو ﷺ . وحوشي مما قذف به . من أن يكون تعمد ما حكوه
 وفعله قاصداً أو فعله ساهياً . ولا حاجة بنا إلى إبطال القصد في هذا الباب
 والعمد لظهوره ، وإن كان فعله ساهياً فالساهي لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ
 المطابقة لوزن السورة وطريقها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام ، لأننا نعلم ضرورة أن
 من كان ساهياً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها
 وفي معنى البيت الذي تقدمه ، وعلى الوجه الذي يقتضيه فائدته ، وهو مع ذلك يظن
 أنه من القصيدة التي ينشدها . وهذا ظاهر في بطلان هذه الدعوى على النبي ﷺ
 على أن الموحى إليه من الله النازل بالوحي وتلاوة القرآن جبرائيل عليه السلام وكيف يجوز
 السهو عليه ؟ !

على أن بعض أهل العلم قد قال : يمكن أن يكون وجه التباس الأمر أن رسول
 الله ﷺ لما تلا هذه السورة في ناد غاصّ بأهله وكان أكثر الحاضرين من قريش
 المشركين فانتهى إلى قوله تعالى : **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ** ، وعلم في قرب مكانه منه
 من قريش أنه سيورد بعدها ما يسوؤهم به فيهن قال كالمعارض له والراد عليه :

تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فظن كثير ممن حضر أن ذلك من
 قوله ﷺ واشتبه عليهم الأمر ، لأنهم كانوا يلغظون عند قراءته ﷺ ويكثر كلامهم
 وضجاجهم طلباً لتغليظه وإخفاء قراءته .

ويمكن أن يكون هذا أيضاً في الصلاة لأنهم كانوا يقربون منه في حال صلاته عند
 الكعبة ويسمعون قراءته ويلغون فيها .

وقيل أيضاً إنه ﷺ كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات وأتى
 بكلام على سبيل الحجاج لهم ، فلما تلا : **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ**
 قال : تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترتجى ؟ ! على سبيل الإنكار عليهم وأن الأمر
 بخلاف ما ظنوه من ذلك . وليس يمتنع أن يكون هذا في الصلاة لأن الكلام في
 الصلاة حينئذ كان مباحاً وإنما نسخ من بعد .

وقيل إن المراد بالغرائيق الملائكة ، وقد جاء مثل ذلك في بعض الحديث فتوهم



المشركون أنه يريد آهنتهم .

وقيل إن ذلك كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة فتلاه الرسول ﷺ فلما ظن المشركون أن المراد به آهنتهم نسخت تلاوته .

وكل هذا يطابق ما ذكرناه من تأويل قوله : إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، لأن بغيرور الشيطان ووسوسته أضيف إلى تلاوته ﷺ ما لم يرد بهما . وكل هذا واضح بحمد الله تعالى .

. نهج الحق للعلامة الحلي ص ١٣٩

ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء ﷺ معصومون عن الصغائر والكبائر ومنزهون عن المعاصي قبل النبوة وبعدها ، على سبيل العمدة والنسيان ، وعن كل رذيلة ومنقصة ، وما يدل على الخسة والضعفة .

وخالفت الأشاعرة في ذلك وجوزوا عليهم المعاصي . وبعضهم جوزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها ، وجوزوا عليهم السهو والغلط ، ونسبوا رسول الله ﷺ إلى السهو في القرآن بما يوجب الكفر فقالوا : إنه صلى يوماً وقرأ في سورة النجم عند قوله تعالى : **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** : تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترتجى . وهذا اعتراف منه بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها !

نعوذ بالله من هذه المقالة التي نسب النبي إليها ، وهي توجب الشرك ، فما عذرهم عند رسول الله ﷺ ؟ !

. مجمع البحرين للطريحي ج ٤ ص ٢٣٩

رووا أن رسول الله ﷺ كان في الصلاة فقرأ سورة النجم في المسجد الحرام وقريش يستمعون لقراءته ، فلما انتهى إلى هذه الآية : **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** ، أجرى إبليس على لسانه : فإنها الغرائيق العلى وشفاعتهن لترتجى ! ففرحت قريش وسجدوا وكان في ذلك القوم الوليد بن المغيرة المخزومي وهو شيخ كبير فأخذ كفاً من حصي فسجد عليه وهو قاعد ، وقالت قريش : قد أقر محمد بشفاعة اللات والعزى . قال فنزل جبرئيل فقال له : قرأت ما لم أنزل به عليك ! انتهى .



وقد طار أعداء الإسلام بهذه القصة كما أشرنا وشنعوا بها على الإسلام ورسوله ، محتجين بأنها وردت في مصادر المسلمين ! وكان آخر من استغلها المرتد سلمان رشدي والدول التي وراءه ! وقد أخذها من المستشرقين بروكلمان ومونتغمري وأمثالهما ، وأخذها هؤلاء من مصادر السنين ! !

وقد نقد الباحث السوداني الدكتور عبد الله النعيم في كتابه (الإستشراق في السيرة النبوية) — المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧ ، استغلال المستشرقين لحديث الغرائيق ونقل في ص ٥١ ، افتراء بروكلمان حيث قال عن النبي ﷺ (ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بأهله الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله ، وقد أشار اليهن في إحدى الآيات الموحاة اليه بقوله : تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترجى . . . ثم ما لبث أن أنكر ذلك وتبرأ منه في اليوم التالي) ! !

ونقل الدكتور النعيم في ص ٩٦ زعم مونتغمري وات (تلا محمد الآيات الشيطانية باعتبارها جزءاً من القرآن إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين ، وأن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزءاً من القرآن يدل على أنه تلاها ، وأن عبادة محمد بمكة لا تختلف عن عبادة العرب في نخلة والطائف . . . ولقد كان توحيد محمد غامضاً (!) ولا شك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله) انتهى .

أما نحن فإننا تبعاً لأهل البيت ﷺ نرفض رواية الغرائيق من أصلها ، ونعتقد أنها واحدة من افتراءات قريش الكثيرة على النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته . . . ونستدل بوجودها على أن مطلب قريش كان الإعتراف بأهلهما وشفاعتهم ، وأن منافقي قريش وضعوا هذه الروايات طعناً في عصمة النبي ﷺ فخدموا بذلك هدف قريش المشركة ، وهدف أعداء الإسلام في كل العصور !

ومع أن المستشرقين لا يحتاجون إلى الروايات الموضوعة ليتمسكوا بها ، فهم يكذبون على نبينا ﷺ وعلى مصادرنا جهاراً نهاراً ، ولكننا نأسف لأن مصادر إخواننا السنين روت عدة افتراءات على النبي ﷺ على أنها حقائق ، منها قصة الغرائيق ،



ومنها قصة ورقة بن نوفل في بدء الوحي ، وغيرها من الروايات المخالفة للعقل والتهذيب والإحترام الذي ينبغي لمقام النبي ﷺ . ثم لم يرووا ما ورد في مصادرنا من بغض النبي لأصنام قريش منذ طفولته ، ولم يرووا تكذيب أهل البيت ﷺ لرواية ورقة بن نوفل ، وتأكيدهم على الأفق المبين الذي نص عليه القرآن وبدأ فيه الوحي .

وقد ذكر الدكتور النعيم في هامش كتابه المذكور المصادر التي روت حديث الغرائيق وهي طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠٥ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٦ وتاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٧٧ وسيرة ابن سيد الناس ج ١ ص ١٥٧ . . وقال في ص ٩٧ (يعتبر الواقدي أول من روج لهذه الفريسة ثم أخذها عنه ابن سعد والطبري وغيرهم) وقال في ص ٩٨ (ولم يرو ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً ، ومهما يكن من أمر فالواقدي هو أصلها . إن ما يدعى للتساؤل هو كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل !) انتهى .

ولكن عرفت أن أصحاب الصحاح رووها ، فعلى الذي يرد سندها أن يرد جميع أسانيدها ، لا سند الواقدي وحده !

ثم نقل الدكتور النعيم نقد القاضي عياض في كتابه (الشفا) لحديث الغرائيق سنداً ومتمناً ، وكذلك نقد القرضاوي في كتابه (كيف نتعامل مع السنة النبوية) ونقل عنه قوله في ص ٩٣ (ومعنى هذا أن تفهم السنة في ضوء القرآن ولهذا كان حديث الغرائيق مردوداً بلا ريب ، لأنه مناف للقرآن) انتهى .

وليت بقية الباحثين من إخواننا السنين يتمسكون بدليل مخالفة القرآن ويردون به المكذوبات التي وضعها المنافقون ، وروجتها الخلافة القرشية ورواتها ، وما زالت الى عصرنا صحيحة أو موثقة ! !

تنبؤ عميق للنبي ﷺ حول اللات والعزى

روت مصادر السنين بأسانيد صحيحة عندهم أن النبي ﷺ أخبر أن العرب سوف يعبدون اللات والعزى مرة أخرى !



. فقد روى مسلم في صحيحه ج ٨ ص ١٨٢

عن أبي سلمة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ! فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أن ذلك تاماً . قال : إنه سيكون من ذلك ما شاء الله انتهى .

ورواه الحاكم في مستدركه ج ٤ ص ٤٤٦ وص ٥٤٩ وقال في الموردين (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ورواه البيهقي في سننه ج ٩ ص ١٨١ ورواه الهندي في كنز العمال ج ١٤ ص ٢١١ وقال عنه السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٦١ : وأخرج مسلم والحاكم وصححه . . وقال عن الحديث الأول في ج ٣ ص ٢٣١ أخرج أحمد ومسلم والحاكم وابن مردويه عن عائشة . انتهى .

وإذا صحت هذه الأحاديث فتفسيرها أن بعض العرب سوف يكفرون في المستقبل ، ويرجعون إلى عبادة اللات والعزى !

ولكن الأقرب أن يكون مقصوده ﷺ أن الأمة سوف تنحرف من عبده وتطيع شخصين من دون الله تعالى ، ويكون لهما تأثير اللات والعزى . . لأن من أطاع شخصاً في معصية الله تعالى أو من دون أمره ، فقد عبده من دون الله تعالى !!

والنتيجة التي نخلص بها من هذا البحث ، أن الشفاعة كانت معروفة عند مشركي العرب ، وكان يهمهم أن يثبتوا هذه المنزلة لأصنامهم . . وهي نقطة تنفعنا في فهم السبب لوضع بعض الأحاديث التي تدعي توسيع شفاعة نبينا ﷺ لتشمل كل قريش وكل المنافقين وغيرهم ، وتحل محل شفاعة اللات والعزى ، وتضاهي شفاعة اليهود المزعومة لقوميتهم !!



الفصل الرابع كليات الشفاعة في القرآن

آيات الشفاعة وعناوينها

الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة في الدنيا

— مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ، وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا . النساء . ٨٥

الشفعاء يوم القيامة يشفعون بعهد من الله تعالى

. لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا . مريم . ٨٧ .
. يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا . طه . ١٠٩ .

الأولياء المكرمون ينفعون مواليهم بشفاعتهم

— إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .
إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . الدخان . ٤٠ . ٤٢



عباد الله المكرمون كلهم شفعاء

— وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ، وَهُمْ مَنْ خَشِيَتْهُ مُمْشِقُونَ . الأنبياء ٢٦ . ٢٨

الشهداء بالحق شفعاء

— وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . الزخرف . ٨٦

الملائكة يشفعون للناس بإذن الله تعالى

— وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى . النجم . ٢٦

الشفيع الأكبر ﷺ

. عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا . الإسراء . ٧٩ .
. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . الضحى . ٥ .

لا شفاعاة من دون الله تعالى

— وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . الأنعام . ٥١

— اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ، مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ . السجدة . ٤

لا شفاعاة إلا بإذنه ومن بعد إذنه

— اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي



الأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا ، بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . البقرة . ٢٥٥

— إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ .
يونس . ٣

— وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ . سبأ . ٢٣

— وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَىٰ . النجم . ٢٦

الشفعاء المزعومون لا شفاعة لهم

— وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ! قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ .
يونس . ١٨

— وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ ، لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ، وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ الأنعام . ٩٤

— وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءَ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ . الروم . ١٣

— أَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ .
يس . ٢٣

— أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ . قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . الزمر ٤٣ . ٤٤



لا شفاعة في يوم القيامة كشفاعة الدنيا

— وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ . البقرة . ٤٨

— وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ . البقرة . ١٢٣

— يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ ، وَلَا خُلَّةٌ ، وَلَا شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ . البقرة . ٢٥٤

— وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَظَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ، وَإِنْ تَعَدِلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ، لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . الأنعام . ٧٠

. فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ . الشعراء . ١٠٠ . ١٠١

. فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ . المدثر . ٤٨

الكفار يبحثون بحثاً حثيثاً عن الشفعاء

— هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ، يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ، أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . الأعراف . ٥٣

— يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَقَالَ صَوَابًا .

النبا . ٣٨

لا شفاعة للظالمين

— وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ، كَاطِمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنَ حَمِيمٍ ، وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ . غافر . ١٨

. وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ . حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ . فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ . المدثر . ٤٦ . ٤٨



الفصل الخامس

شفاة نبينا ﷺ

تفسير (المقام المحمود) لنبينا ﷺ

قال الله تعالى : **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ ، إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ، وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا . وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ، عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا . الإسراء . ٧٩**

مصادرنا تصف المقام المحمود لنبينا ﷺ في المحشر

لعل أقوى نص في متنه يبين أهمية المقام المحمود الذي وعد الله رسوله ﷺ بأن يكرمه به يوم القيامة ، ما رواه الصدوق عن علي بن أبي طالب ، فقد بين فيه أن ليوم القيامة مراحل ومراسم قبل الحساب ، وأن المقام المحمود لنبينا ﷺ يبدأ في أوائل مراحل ذلك اليوم العظيم بتلك الخطبة (الفريدة) التي يفتح بها نبينا المحشر ويلهمه الله تعالى فيها أنواع الحماد لربه تعالى نيابة عن الخلائق ، ويعطى على أثرها لواء الحمد الذي هو رئاسة المحشر ، وذلك قبل الحساب والشفاة وحوض الكوثر . .



. قال الصدوق في التوحيد في حديث طويل ص ٢٥٥ . ٢٦٢

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال : حدثنا أحمد بن يحيى عن بكر بن عبد الله بن حبيب قال : حدثني أحمد بن يعقوب بن مطر قال : حدثنا محمد بن الحسن بن عبد العزيز الأحمد بن الجند بنيسابور قال : وجدت في كتاب أبي بخطه : حدثنا طلحة بن يزيد عن عبيد الله بن عبيد عن أبي معمر السعداني أن رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال :

يا أمير المؤمنين إني قد شككت في كتاب الله المنزل .

قال له عليه السلام : ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل !

قال : لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه .

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه

بعضاً ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به ، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل .

قال له الرجل : إني وجدت الله يقول : فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ، وقال

أيضاً : نسوا الله فنسيهم ، وقال : وما كان ربك نسياً . فمرة يخبر أنه ينسى ومرة يخبر

أنه لا ينسى ، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين !

قال : هات ما شككت فيه أيضاً

فقال علي عليه السلام : قُدُوسٌ رينا قدوس ، تبارك وتعالى علواً كبيراً ، نشهد أنه هو الدائم

الذي لا يزول ، ولا نشك فيه ، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأن الكتاب

حق ، والرسول حق ، وأن الثواب والعقاب حق ، فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن

ذلك بيد الله إن شاء رزقك وإن شاء حرملك ذلك ، ولكن سأعلمك ما شككت فيه ولا

قوة إلا بالله ، فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه وثبتك ، وإن يكن شراً ضللت

وهلكت .

أما قوله : نسوا الله فنسيهم إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته

فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً ، فصاروا منسيين من الخير



وكذلك تفسير قوله عز وجل : **فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا** ، يعني بالنسيان أنه لم يشبههم كما يشب أوليائه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه بالغيب . وأما قوله : **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ، فإن ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى ولا يغفل ، بل هو الحفيظ العليم ، وقد يقول العرب في باب النسيان : قد نسي فلان فلا يذكرنا أي أنه لا يأمر لنا بخير ولا يذكرنا به ، فهل فهمت ما ذكر الله عز وجل ؟ قال : نعم ، فرجت عني فرج الله عنك ، وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك .

فقال ﷺ : وأما قوله : **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** ، وقوله : **وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ، وقوله : **يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** ، وقوله : **إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ** ، وقوله : **لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ** ، وقوله : **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ، فإن ذلك في موطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة ! يجمع الله عز وجل الخلائق يومئذ في مواطن يتفرقون ويكلم بعضهم بعضاً ، ويستغفر بعضهم لبعض ، أولئك الذين كان منهم الطاعة في دار الدنيا . ويلعن أهل المعاصي الذين بدت منهم البغضاء وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا ، الرؤساء والأتباع من المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً . والكفر في هذه الآية : البراءة يقول يبرأ بعضهم من بعض ، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان : **إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ** ، وقول إبراهيم خليل الرحمن : **كَفَرْنَا بِكُمْ** ، يعني تبرأنا منكم .

ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه ، فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معائشهم ، ولتصدت قلوبهم إلا ما شاء الله ، فلا يزالون يبيكون الدم .



ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون : **وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ، فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم ، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم : **لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا** ، **قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ** .

ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون ، فيفر بعضهم من بعض ، فذلك قوله عز وجل : **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** ، فيستنطقون فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ، فيقوم الرسل صلى الله عليهم فيشهدون في هذا الموطن ، فذلك قوله : **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** .

ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد ﷺ وهو المقام المحمود فيثني على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله ، ثم يثني على الملائكة كلهم فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد ﷺ ، ثم يثني على الرسل : بما لم يثن عليهم أحد قبله ، ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة ، يبدأ بالصادقين والشهداء ثم بالصالحين ، فيحمده أهل السماوات والأرض ، فذلك قوله : **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** ، فطوبى لمن كان له في ذلك المقام حظ ، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب .

ثم يجتمعون في موطن آخر ويدال بعضهم من بعض ، وهذا كله قبل الحساب ، فإذا أخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه . نسأل الله بركة ذلك اليوم .

قال : فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين ، وحللت عني عقدة ،

فعظم الله أجرك . انتهى . ورواه في بحار الأنوار ج ٧ ص ١١٩



. الصحيفة السجادية ج ١ ص ٣٧

اللهم واجعله خطيب وفد المؤمنين إليك ، والمكسو حلال الأمان إذا وقف بين يديك ، والناطق إذا خرست الألسن في الثناء عليك .

اللهم وابسط لسانه في الشفاعة لأمته ، وأر أهل الموقف من النبيين وأتباعهم تمكن منزلته ، وأوهل أبصار أهل المعروف العلى بشعاع نور درجته ، وقفه في المقام الحمود الذي وعدته ، واغفر ما أحدث المحدثون بعده في أمته ، مما كان اجتهادهم فيه تحريماً لمرضاتك ومرضاته ، وما لم يكن تأليفاً على دينك ونقضاً لشريعته ، واحفظ من قبل بالتسليم والرضا دعوته ، واجعلنا ممن تكثر به وارديه ، ولا يذاد عن حوضه إذا ورد ، واسقنا منه كأساً رويلاً لا نظماً بعده .

. وروى في بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٣٥ عن تفسير فرات الكوفي :

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال النبي ﷺ : إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة وعديني المقام الحمود ، وهو وافٍ لي به . إذا كان يوم القيامة نصب لي منبر له ألف درجة فأصعد حتى أعلو فوقه فيأتيني جبرئيل عليه السلام بلواء الحمد فيضعه في يدي ويقول : يا محمد هذا المقام الحمود الذي وعدك الله تعالى ، فأقول لعلي : إصعد فيكون أسفل مني بدرجة ، فأضع لواء الحمد في يده ، ثم يأتي رضوان بمفاتيح الجنة فيقول : يا محمد هذا المقام الحمود الذي وعدك الله تعالى ، فيضعها في يدي فأضعها في حجر علي بن أبي طالب ، ثم يأتي مالك خازن النار فيقول : يا محمد هذا المقام الحمود الذي وعدك الله تعالى هذه مفاتيح النار أدخل عدوك وعدو أمتك النار ، فأخذها وأضعها في حجر علي بن أبي طالب ، فالنار والجنة يومئذ أسمع لي ولعلي من العروس لزوجها ، فهي قول الله تعالى : **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** . انتهى .

ويؤيد هذا الحديث أنك لا تجد تفسيراً مقنعاً لتثنية الخطاب في هذه الآية ، إلا هذا

الحديث !



. تفسير القمي ج ٢ ص ٢٥

وأما قوله : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ، فإنه حدثني أبي عن الحسن بن محبوب ، عن زرعة ، عن سماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة ؟ فقال : يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون : إنطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربنا فيأتون آدم فيقولون : يا آدم إشفع لنا عند ربك ، فيقول : إن لي ذنباً وخطيئة فعلتكم بنوح ، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه ، ويردهم كل نبي إلى من يليه ، حتى ينتهوا إلى عيسى فيقول : عليكم بمحمد رسول الله ، فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول : إنطلقوا ، فينطلق بهم إلى باب الجنة ويستقبل باب الرحمة ويخر ساجداً فيمكث ما شاء الله ، فيقول الله : إرفع رأسك واشفع تشفع ، واسأل تعط ، وذلك هو قوله : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** . انتهى . ورواه في تفسير

نور الثقلين ج ٣ ص ٢٠٦

. تفسير العياشي ج ٢ ص ٣١٤

عن عبيد بن زرارة قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة ؟ قال : نعم فقال له رجل من القوم : هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد يومئذ ؟ قال : نعم إن للمؤمنين خطايا وذنوباً ، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد يومئذ . قال وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ؟ قال : نعم يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله : إرفع رأسك إشفع تشفع ، أطلب تعط ، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله : إرفع رأسك ، إشفع تشفع واطلب تعط ، ثم يرفع رأسه فيشفع ، فيشفع ويطلب فيعطى .

. روضة الواعظين ص ٥٠٠

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : المقام الذي أشفع فيه لأمتي .

وفي ص ٢٧٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا قمت المقام المحمود تشفعت في

أصحاب الكبراء من أمتي فيشفعني الله فيهم ، والله لا تشفعت فيمن أذى ذريتي



ورواه في تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٤

. تفسير التبيان ج ٦ ص ٥١٢

وقوله : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ، معناه متى فعلت ما ندبناك إليه من التهجد يبعثك الله مقاماً محموداً ، وهي الشفاعة في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ، وقال قوم : المقام المحمود : إعطاؤه لواء الحمد . وعسى من الله واجبة .

. وقال أبو الصلاح الحلبي في الكافي ص ٤٩١

ولرسول الله ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، صلوات الله عليه وآله في ذلك اليوم المقام الأشرف والمحفل الأعظم ، له اللواء المعقود لواء الحمد ، والخوض المورود ، والمقام المحمود ، والشفاعة المقبولة والمنزلة العلية ، والدرجة المنيعه على جميع النبيين وأتباعهم . وكل شيء خص به من التفضيل ورشح له من التأهيل فأخوه وصنوه ووارث علمه ووصيه في أمته وخليفته على رعيته أمير المؤمنين وسيد المسلمين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام شريك فيه ، وهو صاحب الأعراف ، وقسيم الجنة والنار ، بنصه الصريح وقوله الفصيح .

وأعلام الأزمنة وتراجمة الملة بعدهما صلوات الله عليهم أعواناً عليه ومساهمون فيه ، حسب ما أخبر به وأشار بذكره .

ولشيعتهم من ذلك الحظ الأوفر والقسط الأكبر ، لتحققهم بالإسلام ممن عداهم وتخصصهم بالإيمان دون من سواهم .

— ونختم ما اخترناه من مصادرها بحديث طريف ورد عن أهل البيت عليهم السلام في مواعظ الله

تعالى لنبيه عيسى عليه السلام وشاهدنا منه الفقرة الأخيرة المتعلقة ببشارته بنبينا ﷺ وشفاعته ، لكن نوردته كاملاً لكثرة فوائده .



. فقد روى الكليني في الكافي ج ٨ ص ١٣١

عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن أسباط ، عنهم عليه السلام فيما وعظ الله عز وجل به عيسى عليه السلام :

يا عيسى ، أنا ربك ورب آبائك إسمي واحد ، وأنا الأحد المتفرد بخلق كل شيء ، وكل شيء من صني ، وكل إليّ راجع .

يا عيسى ، أنت المسيح بأمرى ، وأنت تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني ، وأنت تحيي الموتى بكلامي ، فكن إليّ راغباً ومني راهباً ، ولن تجد مني ملجأً إلا إليّ .

يا عيسى ، أوصيك وصية المتحنن عليك بالرحمة حتى حقت لك مني الولاية بتحرّيك مني المسرة ، فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيث ما كنت ، إشهد أنك عبدي ابن أمي ، أنزلي من نفسك كهملك واجعل ذكرى لمعادك ، وتقرب إلي بالنوافل ، وتوكل عليّ أكفك ، ولا توكل على غيري فأخذ لك .

يا عيسى ، إصبر على البلاء وارض بالقضاء ، وكن كمسرتي فيك ، فإن مسرتي أن أطاع فلا أعصى .

يا عيسى ، أحي ذكرى بلسانك ، وليكن ودي في قلبك .

يا عيسى ، تيقظ في ساعات الغفلة ، واحكم لي لطيف الحكمة .

يا عيسى ، كن راغباً راهباً ، وأمت قلبك بالخشية .

يا عيسى ، راع الليل لتحري مسرتي ، واطمأ نهارك ليوم حاجتك عندي .

يا عيسى ، نafs في الخير جهدك ، تعرف بالخير حيثما توجهت .

يا عيسى ، أحكم في عبادي بنصحي ، وقم فيهم بعدي ، فقد أنزلت عليك شفاء

لما في الصدور من مرض الشيطان .

يا عيسى ، لا تكن جليساً لكل مفتون .

يا عيسى ، حقاً أقول : ما آمنت بي خليقة إلا خشعت لي ، ولا خشعت لي إلا

رجوت ثوابي ، فاشهد أنها آمنة من عقابي ما لم تبدل أو تغير سنتي .



يا عيسى ابن البكر البتول ، إبك على نفسك بكاء من ودع الأهل وقلبي الدنيا وتركها لأهلها ، وصارت رغبته فيما عند إلهه .

يا عيسى ، كن مع ذلك لين الكلام وتفشي السلام ، يقظان إذا نامت عيون الأبرار ، حذراً للمعاد والزلازل الشداد ، وأهوال يوم القيامة ، حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال .

يا عيسى ، أكحل عينك بميل الحزن إذا ضحك البطالون .

يا عيسى ، كن خاشعاً صابراً ، فطوبى لك إن نالك ما وعد الصابرون .

يا عيسى ، رح من الدنيا يوماً فيوماً ، وذق لما قد ذهب طعمه ، فحقاً أقول : ما أنت إلا بساعتك ويومك ، فرح من الدنيا ببلغة ، وليكفك الخشن الجشب ، فقد رأيت إلى ما تصير ، ومكتوب ما أخذت وكيف أتلفت .

يا عيسى ، إنك مسؤول فارحم الضعيف كرحمتي إياك ، ولا تقهر اليتيم .

يا عيسى ، إبك على نفسك في الخلوات ، وانقل قدميك إلى مواقيت الصلوات واسمعي لذاذة نطقك بذكري ، فإن صنيعي إليك حسن .

يا عيسى ، كم من أمة قد أهلكتها بسالف ذنوب قد عصمتك منها .

يا عيسى ، إرفق بالضعيف ، وارفع طرفك الكليل إلى السماء وادعني ، فإني منك قريب ، ولا تدعني إلا متضرعاً إليّ ، وهمك همماً واحداً ، فإنك متى تدعني كذلك أجبك .

يا عيسى ، إني لم أرض بالدنيا ثواباً لمن كان قبلك ، ولا عقاباً لمن انتقمت منه .

يا عيسى ، إنك تفنى وأنا أبقى ، ومني رزقك ، وعندي ميقات أجلك ، وإليّ إيابك ، وعليّ حسابك ، فسلي ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة .

يا عيسى ، ما أكثر البشر وأقل عدد من صبر ، الأشجار كثيرة وطبيها قليل ، فلا يغرنك حسن شجرة حتى تذوق ثمرها .

يا عيسى ، لا يغرنك المتمرد عليّ بالعصيان ، يأكل رزقي ويعبد غيري ، ثم



يدعوني عند الكرب فأجيبه ، ثم يرجع إلى ما كان عليه ، فعليّ يتمرد ؟ أم بسخطي يتعرض ! ففي حلفت لأخذنه أخذةً ليس له منها منجاً ولا دوني ملجأ ، أين يهرب من سمائي وأرضي ؟ !

يا عيسى ، قل لظلمة بني إسرائيل : لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم ، والأصنام في بيوتكم ، فإني آليت أن أجيب من دعائي ، وأن أجعل إجابتي إياهم لعناً عليهم حتى يتفرقوا .

يا عيسى ، كم أطيل النظر ، وأحسن الطلب والقوم في غفلة لا يرجعون ، تخرج الكلمة من أفواههم لا تعيها قلوبهم ، يتعرضون لمقتي ويتحببون بقربي إلى المؤمنين .

يا عيسى ، لتكن في السر والعلانية واحداً ، وكذلك فليكن قلبك وبصرك ، واطو قلبك ولسانك عن المحارم ، وكف بصرك عما لا خير فيه ، فكم من ناظر نظرة قد زرعت في قلبه شهوة ، ووردت به موارد حياض الهلكة .

يا عيسى ، كن رحيماً مترحماً ، وكن كما تشاء أن يكون العباد لك ، وأكثر ذكر الموت ومفارقة الأهلين ، ولا تلهُ فإن اللهو يفسد صاحبه ، ولا تغفل فإن الغافل مني بعيد ، وادكرني بالصلحات حتى أذكرك .

يا عيسى ، تب إليّ بعد الذنب ، وذكّر بي الأوابين ، وآمن بي وتقرب بي إلى المؤمنين ، ومرهم يدعوني معك ، وإياك ودعوة المظلوم ، فإني آليت على نفسي أن أفتح لها باباً من السماء بالقبول ، وأن أجيبه ولو بعد حين .

يا عيسى ، أعلم أن صاحب السوء يُعدي ، وقرين السوء يردي ، وأعلم من تقارن واختر لنفسك إخواناً من المؤمنين .

يا عيسى ، تب إلي ، فإني لا يتعاضمني ذنب أن أغفره ، وأنا أرحم الراحمين .
إعمل لنفسك في مهلة من أجلك قبل أن لا يعمل لها غيرك ، واعبدني ليوم كألف سنة مما تعدون ، فيه أجزي بالحسنة أضعافها ، وإن السيئة توبق صاحبها ، فامهد لنفسك في مهلة ، ونافس في العمل الصالح ، فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار .



يا عيسى ، إزهد في الفاني المنقطع ، وطأ رسوم منازل من كان قبلك ، فادعهم
وناجهم ، هل تحس منهم من أحد ، وخذ موعظتك منهم ، واعلم أنك ستلحقهم في
اللاحقين .

يا عيسى ، قل لمن تمرد علي بالعصيان وعمل بالإدهان : ليتوقع عقوبتي وينتظر
إهلاكي إياه ، سيصطلم مع الهالكين .

طوبى لك يا ابن مريم ثم طوبى لك إن أخذت بأدب إلهك الذي يتحنن عليك
ترحمًا ، وبدأ النعم منه تكريمًا ، وكان لك في الشدائد . لا تعصه يا عيسى فإنه لا
يجلك عصيانه . قد عهدت إليك ما عهدت إلى من كان قبلك وأنا على ذلك من
الشاهدين .

يا عيسى ، ما أكرمت خليقة بمثل ديني ، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي .

يا عيسى ، إغسل بالماء منك ما ظهر وداو بالحسنات منك ما بطن ، فإنك إليّ
راجع .

يا عيسى ، أعطيتك ما أنعمت به عليك فيضاً من غير تكدير ، وطلبت منك قرضاً
لنفسك فبخلت به عليها ، لتكون من الهالكين .

يا عيسى ، تزين بالدين وحب المساكين ، وامش على الأرض هوناً ، وصل على
البقاع ، فكلها طاهر .

يا عيسى ، شمر فكل ما هو آت قريب ، واقرأ كتابي وأنت طاهر ، وأسمعني منك
صوتاً حزيناً .

يا عيسى ، لا خير في لداذة لا تدوم ، وعيش من صاحبه يزول .

يا ابن مريم ، لو رأيت عينك ما أعددت لأولياي الصالحين ذاب قلبك وزهقت
نفسك شوقاً إليه ، فليس كدار الآخرة دار ، تجاور فيها الطيبون ، ويدخل عليهم فيها
الملائكة المقربون ، وهم مما يأتي يوم القيامة من أهوالهما آمنون ، دارٌ لا يتغير فيها
النعيم ، ولا يزول عن أهلها .



يا ابن مريم ، نafs فيها مع المتنافسين ، فإنها أمنية المتمنين ، حسنة المنظر ، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين ، مع آباءك آدم وإبراهيم في جنات ونعيم ، لا تبغي لها بدلاً ولا تحويلاً ، كذلك أفعّل بالمتقين .

يا عيسى ، أهرب إلي مع من يهرب من نار ذات لهب ، ونار ذات أغلال وأنكال ، لا يدخلها روح ، ولا يخرج منها غم أبداً ، قطع كقطع الليل المظلم ، من ينج منها يفرز ، ولن ينجو منها من كان من الهالكين ، هي دار الجبارين والعتاة الظالمين ، وكل فظ غليظ ، وكل مختار فخور .

يا عيسى ، بئست الدار لمن ركن إليها ، وبئس القرار دار الظالمين ، إني أحذرك نفسك فكن بي حبيراً .

يا عيسى ، كن حيث ما كنت مراقباً لي ، واشهد على أبي خلقتك وأنت عبدي .

يا عيسى ، لا يصلح لسنانان في فم واحد ، ولا قلبان في صدر واحد ، وكذلك الأذهان .

يا عيسى ، لا تستيقظن عاصياً ، ولا تستنبهن لاهياً ، وافطم نفسك عن الشهوات الموبقات ، وكل شهوة تباعدك مني فاهجرها ، واعلم أنك مني بمكان الرسول الأمين ، فكن مني على حذو العم . إن دنيك مؤديتك إليّ وإني آخذك بعلمي ، فكن ذليل النفس عند ذكري ، خاشع القلب حين تذكرني ، يقظاناً عند نوم الغافلين .

يا عيسى ، هذه نصيحتي إياك وموعظتي لك ، فخذها مني ، وإني رب العالمين .

يا عيسى ، إذا صبر عبدي في جنبي كان ثواب عمله علي ، وكننت عنده حين يدعوني ، وكفى بي منتقماً ممن عصاني ، أين يهرب مني الظالمون ؟

يا عيسى ، أظب الكلام ، وكن حيثما كنت عالماً متعلماً .

يا عيسى ، أفض بالحسنات إليّ ، حتى يكون لك ذكرها عندي ، وتمسك بوصيتي فإن فيها شفاء للقلوب .

يا عيسى ، لا تأمن إذا مكرت مكري ، ولا تنس عند خلوات الدنيا ذكري .



يا عيسى ، حاسب نفسك بالرجوع إلي ، حتى تنتجز ثواب ما عمله العاملون ، أولئك يؤتون أجرهم وأنا خير المؤتين .

يا عيسى ، كنت خلقاً بكلامي ، ولدتك مريم بأمرى المرسل إليها روهى جبرئيل ، الأمين من ملائكتى ، حتى قمت على الأرض حياً تمشى كل ذلك فى سابق علمى .

يا عيسى ، زكريا بمنزلة أبيتك وكفيل أمك ، إذ يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقاً ، ونظيرك يحيى من خلقى ، وهبته لأمه بعد الكبر من غير قوة بها ، أردت بذلك أن يظهر لها سلطاني وتظهر قدرتي . أحبكم إلي أطوعكم لي ، وأشدكم خوفاً منى .

يا عيسى ، تيقظ ولا تيأس من روهى ، وسبحنى مع من يسبحنى ، وبطيب الكلام فقدسنى .

يا عيسى ، كيف يكفر العباد بي ونواصيهم فى قبضتى ، وتقلبهم فى أرضى ، يجهلون نعمتى ويتولون عدوى ، وكذلك يهلك الكافرون .

يا عيسى ، إن الدنيا سجن منتن الريح ، وحسن فيها ما قد ترى مما قد تذابح عليه الجبارون ، وإياك والدنيا فكل نعيمها يزول ، وما نعيمها إلا قليل .

يا عيسى ، إبغنى عند وسادك تجدى ، وادعنى وأنت لي محب ، فأبني أسمع السامعين ، أستجيب للداعين إذا دعونى .

يا عيسى ، خفى وخوف بي عبادى ، لعل المذنبين أن يمسكوا عما هم عاملون به ، فلا يهلكوا إلا وهم يعلمون .

يا عيسى ، إرهبنى رهبتك من السبع والموت الذى أنت لاقيه ، فكل هذا أنا خلقتة ، فأياي فارهبون .

يا عيسى ، إن الملك لي ويدي ، وأنا الملك فإن تطعنى أدخلتك جنى فى حوار الصالحين .

يا عيسى ، أبني إذا غضبت عليك لم ينفعلك رضى من رضى عنك ، وإن رضى عنك لم يضررك غضب المغضبين .



يا عيسى ، أذكرني في نفسك أذكرك في نفسي ، واذكرني في مالأك أذكرك في مالأ خير من مالأ الآدميين .

يا عيسى ، أدعني دعاء الغريق الحزين ، الذي ليس له مغيث .

يا عيسى ، لا تحلف بي كاذباً فيهتز عرشى غضباً . الدنيا قصيرة العمر طويلة الأمل وعندى دار خير مما تجمعون .

يا عيسى ، كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسرائر قد كتمتموها وأعمال كنتم بها عاملين .

يا عيسى ، قل لظلمة بني إسرائيل : غسلتم وجوهكم ودنستم قلوبكم ، أبي تغترون أم علي تجترئون ؟ ! تطيبون بالطيب لأهل الدنيا وأجوافكم عندي بمنزله الجيف المنتنة ، كأنكم أقوام ميتون !

يا عيسى ، قل لهم : قلموا أظفاركم من كسب الحرام ، وأصموا أسماعكم عن ذكر الحنا ، وأقبلوا علي بقلوبكم ، فإني لست أريد صوركم .

يا عيسى ، إفرح بالحسنة فإنها لي رضى ، وابك على السيئة فإنها شين ، وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك ، وإن لطم خدك الأيمن فأعطه الأيسر ، وتقرب إليّ بالمودة جهدك ، وأعرض عن الجاهلين .

يا عيسى ، ذلّ لأهل الحسنة وشاركهم فيها ، وكن عليهم شهيداً . وقل لظلمة بني إسرائيل : يا أخدان السوء والجلساء عليه ، إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير .

يا عيسى ، قل لظلمة بني إسرائيل : الحكمة تبكي فرقاً مني ، وأنتم بالضحك تهجرون ، أتتكم براءتي ، أم لديكم أمان من عذابي ، أم تعرضون لعقوبتي ؟ ! فبي حلفت لأترككم مثلاً للغابرين .

ثم أوصيك يا بن مريم البكر البتول ، بسيد المرسلين وحيي ، فهو أحمد صاحب الجمال الأحمر ، والوجه الأقر ، المشرق بالنور ، الطاهر القلب ، الشديد البأس ، الحي المتكرم ، فإنه رحمة للعالمين ، وسيد ولد آدم يوم يلقاني ، أكرم السابقين عليّ



وأقرب المرسلين مني ، العربي الأمين ، الديان بديني ، الصابر في ذاتي ، المجاهد المشركين بيده عن ديني ، أن تخبر به بني إسرائيل ، وتأمروهم أن يصدقوا به وأن يؤمنوا به وأن يتبعوه ، وأن ينصروه .

قال عيسى : إلهي من هو حتى أرضيه ، فلك الرضا ؟ قال : هو محمد رسول الله إلى الناس كافة ، أقربهم مني منزلة ، وأحضرهم شفاعة ، طوبى له من نبي ، وطوبى لأمته إن هم لقوني على سبيله ، يحمده أهل الأرض ويستغفر له أهل السماء ، أمين ميمون ، طيب مطيب ، خير الباقين عندي ، يكون في آخر الزمان ، إذا خرج أرخت السماء عزاليها ، وأخرجت الأرض زهرتها ، حتى يروا البركة ، وأبارك لهم فيما وضع يده عليه ، كثير الأزواج ، قليل الأولاد ، يسكن بكة ، موضع أساس إبراهيم .

يا عيسى ، دينه الحنيفية ، وقبلته يمانية ، وهو من حزبي وأنا معه ، فطوبى له ثم طوبى له ، له الكوثر والمقام الأكبر في جنات عدن ، يعيش أكرم من عاش ويقبض شهيداً ، له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس ، من رحيق مختوم ، فيه آنية مثل نجوم السماء ، وأكواب مثل مدر الأرض ، عذب فيه من كل شراب ، وطعم كل ثمار في الجنة ، من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً ، وذلك من قسمي له وتفضيلي إياه . على فترة بينك وبينه ، يوافق سره علانيته ، وقوله فعله ، لا يأمر الناس إلا بما يبدأهم به ، دينه الجهاد في عسر ويسر ، تنقاد له البلاد ويخضع له صاحب الروم . على دين إبراهيم ، يسمي عند الطعام ، ويفشي السلام ، ويصلي والناس نيام ، له كل يوم خمس صلوات متواليات ، ينادي إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار ، ويفتح بالتكبير ويختتم بالتسليم ، ويصف قدميه في الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها ، ويخشع لي قلبه ورأسه ، النور في صدره والحق على لسانه ، وهو على الحق حيثما كان أصله . يتيمّ ضال برهة من زمانه عما يراد به ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ، له الشفاعة ، وعلى أمته تقوم الساعة ، ويدي فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى



بما عاهد عليه أوفيت له بالجنة ، فمر ظلمة بني إسرائيل ألا يدرسوا كتبه ، ولا يحرفوا سنته ، وأن يقرؤوه السلام ، فإن له في المقام شأناً من الشأن . انتهى .
وقد يكون حدث في هذا النص تغيير ما من الرواة ، ولكن فيه أفكاراً وأموراً مهمة يحسن مقارنتها وأمثالها مما ورد في مصادرنا عن عيسى عليه السلام بالنصوص التي تشابهها من الإنجيل والتوراة ، لمعرفة التفاوت والتغيير فيها .



تفسير إخواننا السنين القريب من تفسيرنا

. مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤١

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً ، قال : هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه .

. الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٧

أخرج سعيد بن منصور والبخاري وابن جرير وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء ، كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان إشفع لنا ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يعثه الله المقام المحمود .

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً ، وسئل عنه قال : هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي .

وأخرج ابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المقام المحمود الشفاعة .

وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً ، قال مقام الشفاعة .



وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال : هو الشفاعة .

. الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨

وأخرج ابن أبي شيبة عن سلمان رضي الله عنه قال : يقال له : سل تعطه ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، واشفع تشفع ، وادع تجب ، فيرفع رأسه فيقول : أمي مرتين أو ثلاثاً فقال سلمان رضي الله عنه : يشفع في كل من في قلبه مثقال حبة حنطة من إيمان ، أو مثقال شعيرة من إيمان ، أو مثقال حبة خردل من إيمان . قال سلمان رضي الله عنه : فذلكم المقام المحمود .

. الدر المنثور ج ٥ ص ٩٨

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : بأبي أنت وأمي أين كنت آدم في الجنة ؟ فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال : إني كنت في صلبه ، وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه ، وركبت السفينة في صلب أبي نوح ، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم ينزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام هدايتي وبين في التوراة والإنجيل ذكرني ، وبين كل شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها ، وعلمني كتابه ، ورقبي بي في سمائه ، وشق لي من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد ، ووعدني أن يجبوني بالحوض وأعطاني الكوثر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ، ثم أخرجني في خير قرون أممي ، وأممي الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . انتهى .

— ورواه في كنز العمال ج ١٢ ص ٤٢٧ وأضاف فيه : قال ابن عباس : فقال حسان بن

ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم :

مستودعٍ حيث يخصف الورقُ

من قبلها طبت في الظلال وفي

أنت ولا نطفة ولا علق

ثم سكنت البلاد لا بشرُّ



مطهر تركب السفين وقد
تنقل من صلب إلى رحم
ألجم أهل الضلالة الغرق
إذا مضى عالم بدا طبق

. تفسير الطبري ج ١٥ ص ٩٦

وقوله : عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، عن ابن عباس قال : المقام المحمود
مقام الشفاعة . .

— ومثله في طبقات المحمدين بأصبهان ج ١ ص ٢٠١ عن جابر وأبي سعيد مرفوعاً وفي
مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ١ جزء ٢ ص ١٦٥ عن ابن عباس .

. الشفا للقاضي عياض ص ٢١٦

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود ، قال الله
تعالى : **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** . . . عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر
يقول : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى ، كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان إشفع لنا
يا فلان إشفع لنا ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم
يبعثه الله المقام المحمود .

. تفسير الرازي ج ١١ جزء ٢١ ص ٣١

قال الواحدي : أجمع المفسرون على أنه (المقام المحمود) مقام الشفاعة . . . إن
احتياج الإنسان إلى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع
الزائدة التي لا حاجة به إلى تحصيلها . وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله :
عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ، هو الشفاعة في إسقاط العقاب . انتهى . وراجع

التفسير الوسيط للنيسابوري ج ٣ ص ١٢٢

— وقال في ج ١٦ جزء ٣٢ ص ١٢٧ قوله تعالى : **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ** ، الكوثر هو المقام
المحمود الذي هو الشفاعة . . . شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .



تفسيرهم الذي فيه تجسيم

. صحيح البخاري ج ٨ ص ١٨٣

فأستأذن على ربي في داره ! فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول : إرفع يا محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط . قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحدي لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة . قال قتادة : وسمعتهم أيضاً يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فاستأذن على ربي في داره ! فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : إرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه ، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، قال ثم أشفع فيحدي لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة . قال قتادة : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن إلى ربي في داره ! فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول إرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه ، قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، قال ثم أشفع فيحدي لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة . قال قتادة : وقد سمعته يقول : فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن ، أي وجب عليه الخلود . قال : ثم تلا الآية : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ، قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم .

ونحوه في صحيح مسلم ج ١ ص ١٢٣ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٤٤ وشبيهه في مسند أحمد ج ١ ص ٣٩٨ وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣٧٠ ومستدرک الحاکم ج ٤ ص ٤٩٦ والدر المنثور ج ٣ ص ٨٧ عن الطبري .

. وفي الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٧ في قصة الدجال

عن ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال . . . إلى آخر



الرواية . وستأتي بتمامها في بحث الخلود في الجنة والنار وفي بعض نصوصها تجسيم صريح وفي بعضها رائحة التجسيم .

وكذلك ما رواه البخاري في تسعة مواضع من صحيحه ج ٢ جزء ٤ ص ١٠٥ وج ٣ جزء ٥ ص ١٤٦ وص ٢٢٥ وج ٢٢٨ وج ٧ ص ٢٠٣ وج ٨ ص ١٧٢ وص ١٨٣ وص ٢٠٠ وص ٢٠٣ من حديث الشدة التي تكون على الناس في المحشر حتى يلجؤون (كذا) الى آدم وغيره من الأنبياء فيحولونهم على نبينا ﷺ فيشفع إلى الله تعالى فيشفعه . وروى ذلك في كنز العمال ج ٢ ص ٢٦ وغيره .

. سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٢٥

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل له : ما المقام المحمود ؟ قال : ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه يئط كما يئط الرجل الجديد من تضايقه به ، وهو كسعة ما بين السماء والأرض ، ويجاء بكم حفاة عراة غرلاً ، فيكون أول من يكسى إبراهيم ، يقول الله تعالى إكسوا خليلي فيؤتى بربطتين بيضاوين من رباط الجنة ، ثم أكسى على أثره ، ثم أقوم عن يمين الله مقاماً يغطني الأولون والآخرون . انتهى .

— ورواه أحمد في مسنده عن عمر ج ٤ ص ١٣٧ ورواه الحاكم في ج ٢ ص ٣٦٤ والبغوي في مصابيح ج ٣ ص ٥٥٢ والهندي في كنز العمال ج ١٤ ص ٤١٢ والسيوطي في الدر المنثور ج ٣ ص ٨٤ وروى نحوه في الدر المنثور ج ١ ص ٣٤ وص ٣٢٨ وص ٣٢٤ قال : وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن مسعود قال قال رجل : يا رسول الله ما المقام المحمود ؟ قال . . .

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال كان الحسن يقول : الكرسي هو العرش . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وسع كرسيه السموات والأرض ، فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرجل الجديد ! ! . انتهى . ورواه في كنز العمال ج ١٤ ص ٦٣٦



. وفي فردوس الأخبار ج ٣ ص ٨٥

عن ابن عمر : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ، يجلسني معه على السرير .

— وفي ج ٤ ص ٢٩٨ عن أنس بن مالك : من كرامتي على ربي عز وجل فعودي على العرش .

. مجمع الزوائد ج ٧ ص ٥١ :

وعن ابن عباس أنه قال في قول الله : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ، يجلسه بينه وبين جبريل ويشفع لأمته ، فذلك المقام المحمود . ورواه السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨

. وروى البيهقي في دلائل النبوة ج ٥ ص ٤٨١

يأتي رسول الله (ص) يوم القيامة إلى الله وهو جالس على كرسیه .

. وقال الشوكاني في فتح القدير ج ٣ ص ٣١٦

إن المقام المحمود هو أن الله سبحانه يجلس محمداً معه على كرسیه حكاة ابن جرير . . . وقد ورد في ذلك حديث .

— وفي تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٢ عن ليث بن مجاهد في قوله : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** قال : يقعه معه على العرش . .

. وفي تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٢

عن عبد الله بن خليفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكرسي الذي يجلس عليه الرب عز وجل وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع ، وإن له أطيظاً كأطيظ الرجل الجديد !

قال أبو بكر المروزي قال لي أبو علي الحسين بن شبيب قال لي أبو بكر بن سلم العابد حين قدمنا إلى بغداد : أخرج ذلك الحديث الذي كتبه عن أبي حمزة ، فكتبه



أبو بكر بن سلم بخطه وسمعه جميعاً ، وقال أبو بكر بن سلم : إن الموضع الذي يفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم ليجلسه عليه ! قال أبو بكر الصيدلاني : من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبي بكر المرزوي ، وعلى أبي بكر بن سلم العابد ! !

القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية

. قال جولد تسيهر في مذاهب التفسير الإسلامي ص ١٢٢

سجلت فتنة ببغداد أثارها نزاع على مسألة من التفسير ذلك هو تفسير الآية ٧٩ من سورة الإسراء : ومن الليل فتهجد به نافلة **عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا** ، ما المراد من المقام المحمود ؟ ذهب الحنابلة . . . الى أن الذي يفهم من ذلك هو أن الله يقعد النبي معه على العرش . . . ربما كان هذا متأثراً بما جاء في انجيل مرقس ١٦ . ١٩ ، وآخرون ذهبوا إلى أن المقام المحمود . . . هو مرتبة الشفاعة التي يرفع إليها النبي . انتهى .

وقد أوردنا في المجلد الثاني من العقائد الإسلامية أن أفكار التجسيم والصفات المادية لله تعالى وعرشه قد أخذها بعض المسلمين من اليهود وأدخلوها في الثقافة الإسلامية ، وأضاف إليها هؤلاء المقلدة إجلال نبيهم إلى جنب الله تعالى ! بينما روى اليهود إجلال موسى وداود إلى جنبه ! وروى المسيحيون جلوس عيسى على السرير إلى جنب أبيه ! ! وقد تقدم ذلك في الشفاعة عند اليهود والنصارى .

ونلاحظ أن ابن سلام اليهودي الذي أسلم يقول عن نبينا ﷺ إنه لا يجلس إلى جنب الله تعالى بل (يلقى) له كرسي في جنب المجلس مثلاً فيجلس عليه ! قال البيهقي في دلائل النبوة ج ٥ ص ٤٨٦ : عن عبد الله بن سلام : وينجو النبي (ص) والصالحون معه ، وتتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم . . حتى ينتهي إلى الله عز وجل فيلقى له كرسي . انتهى .

وسوف تعرف في بحث الشفيع الأول أن مصادر السنين تأثرت بالإسرائيليات



وصححت رواياتهما وجعلت شفاعة أنبياء بني إسرائيل قبل نبينا ﷺ وجعلته الشفيع الرابع قال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨ : وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : يأذن الله تعالى في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ثم يقوم عيسى وموسى عليهما السلام ثم يقوم نبيكم صلى الله عليه وسلم رابعاً ليشفع . . . ورواه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٤٩٦ بسند صحيح على شرط الشيخين !!

أما الفتنة التي ذكرها تسيهر فقد ذكرها ابن الأثير في تاريخه ج ٥ ص ١٢١ فقال : (في سنة ٣١٧ هـ) وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين غيرهم من العامة ، ودخل كثير من الجند فيها ، وسبب ذلك أصحاب المروزي قالوا في تفسير قوله تعالى : **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ، هو أن الله سبحانه يقعد النبي (ص) معه على العرش ! وقالت طائفة إنما هو الشفاعة ، ف وقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة . انتهى . وذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام ج ٢٣ ص ٣٨٤ وأنها بسبب تفسير آية المقام المحمود ، حيث قالت الحنابلة إنما تعني أن الله يقعه على عرشه كما قال مجاهد . وقال غيرهم : بل هي الشفاعة العظمى .

انتقاد بعض علماء السنة للتفسير بالقعود على العرش

. قال السقاف في صحيح شرح العقيدة الطحاوية ج ١ ص ٥٧٠

قال الإمام الطحاوي رحمته الله : والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نأمن عليهم ، ولا نشهد لهم بالجنة ، ونستغفر لمسيئهم ، ونخاف عليهم ولا نقنطهم .

الشرح : لقد ثبتت الشفاعة منطوقاً ومفهوماً في القرآن الكريم وخاصة للنبي ﷺ

ومن تلك الآيات قوله تعالى : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** . الضحى ٣ . وقال تعالى : **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** . الإسراء ٧٩ . وتفسير المقام المحمود بالشفاعة



ثابت في الصحيحين وغيرهما (٣٣٨) .

وقال الله تعالى : **يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا .**

طه . ١٠٩ . وقال تعالى : **مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ .** يونس . ٣ .

وفي شفاعة الملائكة قوله تعالى : **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ . وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مَنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ .** الأنبياء . ٧٨

وقال في هامشه : (٣٣٨) أنظر البخاري ٣ . ٣٣٨ . ٨ و ٣٩٩ . ١٣ و ٤٢٢ . ومسلم ١٧٩ . ١ . ومن الغريب العجيب أن يعرض الجسمة والمشبهة عن هذا الوارد الثابت في الصحيحين ، ويفسروا المقام المحمود بجلوس سيدنا محمد على العرش بجانب الله ! تعالى الله عن إفكهم وكذبهم علواً كبيراً ، وهم يعتمدون على ذلك على ما يروى عن مجاهد بسند ضعيف من أنه قال ما ذكرناه من التفسير المنكر المستشنع ، وتكفل الخلال في كتابه السنة ١ . ٢٠٩ . بنصرة التفسير المخطيء المستشنع ، وقد نطق بما هو مستشنع عند جميع العقلاء !

. وقال السقاف في شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٠

وهذا الخلال يقول في سنته ص ٢٣٢ ناقلاً : لا أعلم أحداً من أهل العلم ممن تقدم ولا في عصرنا هذا إلا وهو منكر لما أحدث الترمذي (٩٩) من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله : **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ،** قال يقعه على العرش (١٠٠) فهو عندنا جهمي يهجر ونحذر عنه .

وقال السقاف في هامشه : (٩٩) مع أن التأويل والتفويض لم يحدثه ولم يخترعه الترمذي ؛ . ومن الغريب العجيب أيضاً أن محقق سنة الخلال عطية الزهراني حاول أن ينفي أن كون الترمذي المراد هنا هو الإمام المعروف صاحب السنن فقال ص ٢٢٤ في الهامش تعليق رقم ٤ هو جهم بن صفوان ثم تراجع عن ذلك ص ٢٣٢ فقال في الهامش التعليق رقم ٨ (كنت أظنه جهم ، ولكن اتضح من الروايات أنه يقصد

رجلاً آخر لم أتوصل إلى معرفته (فيا للعجب ! !

(١٠٠) وهذا القعود الذي يتحدثون عنه هو قعود سيدنا محمد ﷺ بجنب الله تعالى على العرش ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! والدليل عليه قول الخلال هناك ص ٢٤٤ : حدثنا أبو معمر ثنا أبو الهذيل عن محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد قال : **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ، قال : يجلسه معه على العرش قال عبد الله : سمعت هذا الحديث من جماعة وما رأيت أحداً من المحدثين ينكره ، وكان عندنا في وقت ما سمعناه من المشائخ أن هذا الحديث إنما تنكره الجهمية .

أقول : ومن العجيب الغريب أن الألباني ينكر هذا ، ويقول بعدم صحته وأنه لم يثبت كما سيأتي ، وكذلك محقق الكتاب وهو متمسلف معاصر ينكر ذلك أيضاً ويحكم على هذا الأثر بالضعف حيث يقول في هامش تلك الصحيفة تعليق رقم ١٩ : إسناده ضعيف ! فهل هؤلاء جهمية ! وما هذا الخلاف الواقع بين هؤلاء في أصول اعتقادهم !

ومن الغريب العجيب أيضاً أنهم اعتبروا أن نفي قعود سيدنا محمد ﷺ بجنب الله نافياً ودافعاً لفضيلة من فضائل النبي ﷺ والدليل على ما قلناه قول الخلال هناك ص ٢٣٧ : (وقال أبو علي إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي (وهو مجهول بنظر المحقق) : إن هذا المعروف بالترمذي عندنا مبتدع جهمي ، ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن رد فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام !) وقال ص ٢٣٤ ناقلاً (وأنا أشهد على هذا الترمذي أنه جهمي خبيث) ! انتهى .



تفسير قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

قال الله تعالى : **وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ**



لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ . الضحى ٥٠١

والعطاء في الآية مطلق شامل لأنواع ما يعطيه الله تعالى لرسوله ﷺ ومن الطبيعي أن يكون عطاء عظيمًا متناسبًا مع كرم الله تعالى على حبيبه أشرف الخلق وسيد المرسلين ﷺ . . ولم تنص الآية على أنه الشفاعة ولكن بعض الأحاديث نصت على ذلك ، وبعضها نص على أنها الشفاعة في أهل بيته وبني هاشم وعبد المطلب ، وبعضها نص على أنه العطاء في الجنة ، وبعضها أطلق . . وبعضها قال إنها الشفاعة في أهل بيته وأمته . . وجعلها بعضهم الشفاعة في جميع أمته ﷺ بحيث لا يدخل أحد منها النار أبدًا ! ولكن ذلك لا يصح لأنه مخالف لما ثبت عنه ﷺ من دخول بعض أمته النار ومخالف لقانون الجزاء الإلهي ، كما ستعرف .

تفسير الآية بالعطاء الإلهي الأعم من الشفاعة

. تفسير القمي ج ٢ ص ٤٢٧

حدثنا جعفر بن أحمد قال : حدثنا عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ** ، قال : يعني الكرة هي الآخرة للنبي ﷺ . قلت قوله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، قال : يعطيك من الجنة فترضى . ورواه في مختصر بصائر الدرجات ص ٤٧ وفي بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٩ وفي تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٩٤

. تفسير التبيان ج ١٠ ص ٣٦٩

قوله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، وعد من الله له أن يعطيه من النعيم والثواب وفنون النعم ما يرضي النبي ﷺ به ويؤثره .

. تأويل الآيات ج ٢ ص ٨١٠

قوله تعالى : **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** . تأويله ما رواه محمد بن العباس عليه السلام عن أبي داود ، عن بكار ، عن عبد الرحمان ، عن



إسماعيل بن عبد الله ، عن علي بن عبد الله بن العباس قال : عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كفوفاً كفوفاً فسراً فأنزل الله عز وجل : **وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنْ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، قال : فأعطاه الله عز وجل ألف قصر في الجنة ترابه المسك ، وفي كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم . وقوله : كفوفاً كفوفاً أي قرية ، والقرية تسمى كفوفاً . انتهى .

. ورواه في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١

عن ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عن ابن عباس قال . . . الخ . وقال : أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرتني ، فأنزل الله : **وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنْ الْأُولَى** .

. بحار الأنوار ج ١٦ ص ١٣٦

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أي من الحوض والشفاعة وسائر ما أعد له من الكرامة ، أو في الدنيا أيضاً من إعلاء الدين وقمع الكافرين .

. سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٩

قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به : ما ودَّعه وما قلاه ، فقال تعالى : **وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ، يقول : ما صرمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبك . **وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنْ الْأُولَى** ، أي لَمَّا عندي من مرجعك إلي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا . **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، من الفلج في الدنيا والشواب في الآخرة .



تفسيرها بالشفاعة لأمته أو بالشفاعة مطلقاً

. تفسير فرات الكوفي ص ٥٧٠

فرات قال : حدثني محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً : عن حرب بن شريح البصري قال : قلت ل محمد بن علي عليه السلام : أي آية في كتاب الله أرجى ؟ قال : ما يقول فيها قومك قال قلت يقولون : **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ، قال : لكننا أهل البيت لا نقول ذلك . قال قلت : فأيش تقولون فيها ؟ قال نقول : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، الشفاعة والله ، الشفاعة والله الشفاعة . ورواه

في بحار الأنوار ج ٨ ص ٥٧

. وقال في هامش تفسير فرات :

— وأخرج الحسكاني في شواهد التنزيل عن الحسين بن محمد الثقفى عن الحسين بن محمد بن حبيش المقري ، عن محمد بن عمران بن أسد الموصلي ، عن محمد بن أحمد المرادي ، عن حرب بن شريح البزاز ، عن محمد بن علي الباقر ، عن ابن الحنفية ، عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أشفع لأمتي حتى ينادي ربي : رضيت يا محمد ؟ فأقول : رب رضيت . ثم قال الباقر : إنكم معشر أهل العراق تقولون إن أرجى آية في القرآن : **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا** . قلت : إننا لنقول ذلك . قال : ولكننا أهل البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، وهي الشفاعة .

. وفي الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح عليه السلام قال قلت : لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين : رأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي ؟ قال : إي والله ، حدثني عمي محمد بن الحنفية ، عن علي أن رسول . . (بما يشبه رواية الحسكاني) . انتهى .



. وقال في الدر المنثور

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه أنه سئل عن قوله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ؟ قال : هي الشفاعة . انتهى . وروى الأول منهما في كنز العمال ج ١٤ ص ٦٣٦ عن مسند علي ، ورواه الواحدي النيسابوري في تفسيره ج ٤ ص ٥١٠ والكاندهلوي في حياة الصحابة ج ٣ ص ٤٦ والشوكاني في فتح القدير ج ٥ ص ٥٦٨ . مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٠ ، قال حسان :

لئن كلم الله موسى على
فإن النبي أباقاسم
وقد صار بالقرب من ربه
وإن فجر الماء موسى لهم
فمن كف أحمد قد فجرت
وإن كان هارون من بعده
فإن الوزارة قد نالها
وقال كعب بن مالك الأنصاري :

على جبل الطور المنيّف المعظم
على الموضوع الأعلى الرفيع المسوم
فإن يك موسى كلم الله جهرةً
فقد كلم الله النبي محمداً

داود عليه السلام كان له سلسلة الحكومة ليميز الحق من الباطل ، ولمحمد القرآن : **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ، وليست السلسلة كالكتاب ، والسلسلة قد فئيت والقرآن بقي إلى آخر الدهر . وكان له النعمة ، ولمحمد الحلاوة : **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ الرَّسُولِ** قال حسان :

وإن كان داود قد أوبت
ففي كف أحمد قد سبحت
جبال لديه وطير الهوا
بتقديس ربي صغار الحصى



. . . وسليمان كان يصفدهم لعصيانهم ، ونبينا أتوه طائعين راغبين . وسأل سليمان ملك دنيا : رب هب لي ملكاً . . . وعرض مفاتيح خزائن الدنيا على محمد فردها ، فشتان بين من يسأل وبين من يعطى فلا يقبل ، فأعطاه الله الكوثر والشفاعة والمقام المحمود : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى .**

وقال لسليمان : أمنن أو امسك بغير حساب ، وقال لنبينا : **مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا .** قال حسان بن ثابت :

سليمان والريح تجري رخوا
وإن كانت الجن قد ساسها
وشهر رواح به إن يشا
فشهر غدو به رايها
من المسجدين إلى المرتقى
فإن النبي سرى ليله
وقال كعب بن مالك :

سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمى
وإن تك نمل البر بالوهم كلمت
صغار الحصى في كفه بالترنم
فهذا نبي الله أحمد سبحت

ورواه في بحار الأنوار ج ١٦ ص ٤١٥

. مناقب آل ابي طالب ج ٣ ص ١٠٣ .

وكان رسول الله ﷺ يهتم لعشرة أشياء فأمنه الله منها وبشره بها :

لفراقه وطنه فأنزل الله : **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ .**

ولتبديل القرآن بعده كما فعل بسائر الكتب ، فنزل : **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .**

ولأتمته من العذاب ، فنزل : **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ .**

ولظهور الدين ، فنزل : **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ .**

وللمؤمنين بعده ، فنزل : **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ .**

ولخصمائهم ، فنزل : **يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا .**



- وللشفاعة ، فنزل : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** .
 وللفتنة بعده على وصيه ، فنزل : **فِيمَا نَذهَيْنَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ** يعني بعلي .
 ولثبات الخلافة في أولاده ، فنزل : **لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ** .
 ولايته حال الهجرة ، فنزل : **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا** . . . الآيات . انتهى .

. وقال الفخر الرازي في تفسيره ج ١٦ جزء ٣١ ص ٢١٣

قوله تعالى : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، فالمروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس أن هذا هو الشفاعة في الأمة . . . واعلم أن الحمل على الشفاعة متعين ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه تعالى أمره (ص) في الدنيا بالإستغفار . . . عن جعفر الصادق أنه قال : رضا جدي أن لا يدخل النار موحد ، وعن الباقر : أهل العراق يقولون : أرحى آية قوله (**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ**) . . . الخ .

تفسيرها بشفاعة النبي ﷺ لأهل بيته خاصة

. تفسير فرات الكوفي ص ٥٧٠

قال حدثني جعفر بن محمد الفزاري قال : حدثنا عباد ، عن نصر ، عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، قال : يدخل الله ذريته الجنة .

. تأويل الآيات ج ٢ ص ٨١٠

وروى أيضاً عن محمد بن أحمد بن الحكم ، عن محمد بن يونس ، عن حماد بن عيسى ، عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه صلى الله عليهما ، عن جابر بن عبد الله قال : دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من جلّة الإبل فلما نظر إليها بكى وقال لها : يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً ، فأنزل الله عليه : **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ** ، **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** .
 وروى أيضاً عن أحمد بن محمد النوفلي ، عن أحمد بن محمد الكاتب ، عن

عيسى بن مهران بإسناده إلى زيد بن علي عليه السلام في قول الله عز وجل : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، قال : إن رضى رسول الله صلى الله عليه وآله إدخال الله أهل بيته وشيعتهم الجنة ، وكيف لا وإنما خلقت الجنة لهم والنار لأعدائهم . فعلى أعدائهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

. مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٢٠

تفسير الثعلبي عن جعفر بن محمد عليه السلام وتفسير القشيري عن جابر الأنصاري أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من جلة الإبل . . . الخ .

ورواه في تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٩٤ عن المناقب لابن شهر آشوب عن تفسير الثعلبي ، وفي بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٨٥ عن تفسير الثعلبي وعن تفسير القشيري عن جابر الأنصاري .

— ورواه في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١ قال : وأخرج العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن هلال وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحى . . . الخ .

. مناقب أمير المؤمنين ج ١ ص ١٥٣

محمد بن سليمان قال : حدثنا أبو أحمد قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال : وحدثني محمد بن الصباح الدولابي قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي في قوله تعالى : **وَمَنْ يَفْتَرِ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا** ، قال : المودة في آل الرسول . وفي قوله تعالى : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، قال : يدخل أهل بيته الجنة .

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال : حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال : حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام ، حدثنا محمد بن الصباح الدولابي ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي في قوله عز وجل : **وَمَنْ يَفْتَرِ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا** ، قال : المودة في آل الرسول صلى الله عليه وآله . وفي قوله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، فقال : رضى محمد صلى الله عليه وآله أن

يدخل أهل بيته الجنة . انتهى .

وقال في هامشه : أقول : وقريباً منه رواه الحافظ الحسكاني في تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى والآية ٥ من سورة الضحى في كتاب شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٤٧ و ٣٤٤ .

. مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٥

تفسير وكيع ، قال ابن عباس في قوله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، يعني ولسوف يشفعك يا محمد يوم القيامة في جميع أهل بيتك فتدخلهم كلهم الجنة ترضى بذلك عن ربك . انتهى . ورواه في بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٣

. بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٤٨

وروى عن ابن المغازلي أيضاً بإسناده عن السدي مثله ، وزاد في آخره : وقال في قوله تعالى : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، قال : رضى محمد ﷺ أن يدخل أهل بيته الجنة .

. الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١

وأخرج ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، قال : من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار .

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** .

تفسيرها بشفاعة النبي ﷺ لجميع أمته !

. شعب الإيمان للبيهقي ج ٢ ص ١٦٤

عن ابن عباس من قوله عز وجل : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، قال : رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة .



. الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، قال : رضاه أن تدخل أمته الجنة كلهم .

وأخرج الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، قال : لا يرضى محمد وأحد من أمته في النار .

وأخرج مسلم عن ابن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله في إبراهيم : **فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي** ، وقول عيسى : **إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ** . الآية ، فرفع يديه وقال : اللهم أمي أمي وبكى ، فقال الله : يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ، ولا نسوؤك .

. تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٩٤

في مجمع البيان عن الصادق عليه السلام قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من جلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أبصرها فقال : يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علي : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** .

وقال الصادق عليه السلام : رضا جدي أن لا يبقى في النار موحد .

وروى حريث بن شريح ، عن محمد بن علي بن الحنفية أنه قال : يا أهل العراق تزعمون أن أرحى آية في كتاب الله عز وجل : **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ** . الآية ، وإننا أهل البيت نقول : أرحى آية في كتاب الله : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ، وهي والله الشفاعة ليعطاها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول : رب رضيت .

. مجمع البحرين ج ١ ص ١١٥

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم : كساه الله من حلال الأمان . قال بعض الشارحين : المراد



أمان أمته من النار ، فإن الله تعالى قال له : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، وهو ﷺ لا يرضى بدخول أحد من أمته إلى النار ، كما ورد في الحديث .

. مجمع البحرين ج ٢ ص ١٨٦

قوله تعالى : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، قال المفسرون : اللام في (**وَلَسَوْفَ**) لام الإبتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف ، والتقدير : ولأننت سوف يعطيك ، وليست بلام قسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد . وفي الرواية : إن أرجى آية في كتاب الله هذه الآية ، لأنه لا يرضى بدخول أحد من أمته النار .

. بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٩١

(المكسو حلل الأمان) قال الشيخ البهائي رحمه الله : المراد أمان أمته من النار ، فإن الله تعالى له : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، وهو ﷺ لا يرضى بدخول أحد من أمته في النار ، كما ورد في الحديث ، وحلل الامان استعارة .



ملاحظات

الأولى : قد يشكل على بعض هذه الأحاديث بأن سورة الضحى مكية فكيف نزلت في المدينة بعد ما قاله النبي للزهراء صلى الله عليه وعليها ؟ أو بعد أن سب بعض القرشيين بني هاشم وقال (إنما مثل محمد فيهم كمثل شجرة في كبا) كما ذكرت بعض الروايات ؟

والجواب : أنه لا مانع من القول بنزول بعض الآيات مرتين أو مرات ، كما قرر ذلك علماء التفسير في أسباب النزول ، فيكون النزول الثاني مؤكداً ، أو مبيناً لمصاديق الآية ، أو تأويلاً لها . . . ومن الواضح أن هذه الآية من النوع الذي يصح نزوله في أكثر من مناسبة لتطمين النبي ﷺ وتذكيره بنعم الله تعالى الآتية ، ليتحمل أحقاد



المشركين ومؤامراتهم ، ومتاعب الأمة وأذاياها ، ومصاعب الدنيا ومراراتها .

ويؤيد نزولها مرة ثانية ما رواه السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١ : وأخرج ابن مردويه عن عكرمة رضي الله عنه قال : لما نزلت **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى** ، قال العباس بن عبد المطلب : لا يدع الله نبيه فيكم إلا قليلاً لما هو خير له . انتهى .

ويؤيده أيضاً ما رواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٣٣ : عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما حضرت النبي الوفاة استأذن عليه رجل فخرج إليه علي عليه السلام فقال : حاجتك ؟ قال : أردت الدخول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال علي عليه السلام : لست تصل إليه فما حاجتك ؟ فقال الرجل : إنه لا بد من الدخول عليه ، فدخل علي فاستأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له فدخل وجلس عند رأس رسول الله ثم قال : يا نبي الله إني رسول الله إليك ، قال : وأي رسل الله أنت قال : أنا ملك الموت ، أرسلني إليك يخبرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فأمهلي حتى ينزل جبرئيل فأستشيره ، ونزل جبرئيل عليه السلام فقال : يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى ، **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ، لقاء الله خير لك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لقاء ربي خير لي ، فامض لما أمرت به ، فقال جبرئيل لملك الموت : لا تعجل حتى أعرج إلى ربي وأهبط . . . الخ . انتهى .

على أنا نلاحظ في بعض رواياتها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام (يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علي : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**) وهو يدل على أن النبي ذكر فاطمة بنزول الآية ، لا أنها نزلت في ذلك الوقت .

الثانية : نلاحظ في تفسير هذه الآية ملامح الإتجاه إلى توسيع الشفاعة لكل المسلمين ، مؤمنهم ومنافقهم ظالمهم ومظلومهم محسنهم ومسيئهم ! وأنها وأمثالها لم تستثن الظالمين والجبارين والطغاة ومحربي الدين والمفسدين في أمور البلاد والعباد ! ولا اشترطت شروطاً لنيل الشفاعة والنجاة فقالت مثلاً : من مات على الشهادتين وكان من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، ولم يكن في رقبته ظلم للعباد . . . ولو أنها اشتملت على ذلك لكان لعمومها وجه يمكن الدفاع عنه . . . ولكنها



وأمثالها من الروايات تريد أن تقول إن المسلمين كلهم يدخلون الجنة مهما ارتكبوا من معاص ومظالم ، ومهما انحرفوا عن في سلوكهم الخاص والعام عن الإسلام وخالفوا الله تعالى ورسوله ! بل مهما حَرَفُوا الإسلام وأعملوا معاولهم في هدم أصوله وتغيير فروعه . . ! فما داموا مسلمين بالإسم متمينين إلى أمة النبي فإن النبي ﷺ لا يرضى يوم القيامة حتى يدخلهم الجنة إلى آخر نفر ! !

وهذه نفس مقولة اليهود (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) ولا يمكن التوفيق بينها وبين آيات القرآن والأحاديث التي اتفق الجميع على صدورها عن النبي ﷺ . . مثل إخباره بأن بعض أصحابه يمنعون من ورود الحوض ، ويؤمر بهم إلى النار . . كما سيأتي في محاولات توسيع الشفاعة ، إن شاء الله تعالى ، وستعرفت أن عدداً من الآيات والأحاديث الثابتة عند الجميع تنص على أن شفاعة النبي ﷺ لا يمكن أن تشمل أنواعاً من المجرمين والظالمين ، حتى لو كانوا من أمة رسول الله ﷺ وصحابته ، وحتى لو كان عندهم بعض الأعمال الحسنة ، لأن إجراء قوانين الجزاء والعقاب من مقتضيات العدل الإلهي .

ولذلك فإن مقولة (أن النبي لا يرضى ما دام أحد من أمته محكوماً عليه بدخول النار) مقولة باطلة لا تصح نسبتها إلى النبي وآله صلى الله عليه وعليهم ، لأن الآيات والأحاديث القطعية تعارضها ، ويعارضها حكم العقل أيضاً ، لأنها تساوي بين المحسنين والفجار ، بل تبطل القانون الإلهي في العقاب !

وبسبب ذلك نستظهر أن أصل الحديث شفاعته ﷺ لأهل بيته فجعلوه لأمته ، كما حرفوا غيره من الأحاديث والمناقب الخاصة ببني هاشم أو بالعترة وجعلوه لكل قريش أو لكل الأمة ، ومن ذلك حديث (الأئمة من بعدي اثنا عشر من أهل بيتي) فجعلوه من قريش ! ولا يتسع المجال للتفصيل .

نعم يمكن القول بشمول شفاعته ﷺ لكل أمته إذا حددنا مفهوم أمته ﷺ بمن



يقبلهم ويرتضيهم بسبب صحة عقيدتهم وصحة خطبهم العام ، فتشمل شفاعته خيار الموحدين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فهؤلاء قد يصح القول فيهم إن النبي ﷺ لا يرضى أن يدخلوا النار .

وقد ورد معنى قريب مما ذكرنا في دعاء في بحار الأنوار ج ٩٤ ص ١١٩ يقول : اللهم إنك قلت لنبيك ﷺ : **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** . اللهم إن نبيك ورسولك وحبيبك وخيرتك من خلقك لا يرضى بأن تعذب أحداً من أمته دانك بموالاته وموالاته الأئمة من أهل بيته وإن كان مذنباً خاطئاً في نار جهنم ، فأجرني يا رب من جهنم وعذابها ، وهبني لمحمد وآل محمد ، يا أرحم الراحمين . انتهى .



الفصل السادس

حدود الشفاعة

من الطبيعي للباحث في مسائل الآخرة والحساب والشفاعة والجنة والنار ، أن يتذكر دائماً أن مصدر معلوماته عن ذلك العالم وكل عوالم الغيب إنما هو النصوص الشريفة من القرآن والسنة ، وأن بحثه في مسأله يعني الإهتمام بالعقل والفكر في إطار هذه النصوص لا خارجها . . . ولذلك يحتاج في كثير من التفاصيل وأحياناً في أمرٍ أساسي ، إلى التوقف عند القدر المتيقن من النصوص ، حتى لا يقول في دين الله تعالى بغير علم .

ومن الملاحظ في آيات الجنة والنار والشفاعة أن أحاديثها التي تصنف الناس بأنهم من أهل النار أو من أهل الجنة ، لا تستوعب كل أصناف الناس ، بل تبقى أصناف كثيرة خارجة عن القدر المتيقن من الطرفين . . . وكذلك الأمر في الشفاعة حيث نجد في القرآن الكريم شروطاً للشفعاء وللمشفوع لهم ، ونجد في السنة تفصيلات لها وذكرها لأصناف من الناس تشملهم الشفاعة ، أو لا تشملهم . . . وتبقى أصناف أخرى من الناس لا تذكرها النصوص ولا تشملها .



والحل في مثل هذه الحالة التوقف وعدم التورط في تصنيف عباد الله في الجنة أو النار ، أو داخل الشفاعة أو خارجها ، بالظنون والإحتمالات ، كما يفعل البعض !

المذاهب في حدود الشفاعة (من ارتضى)

هذا البحث من أهم بحوث الشفاعة من ناحية نظرية ، كما أنه بحث حساس من ناحية تطبيقية ، لأنه يصنّف المسلمين إلى مرضيين عند الله ورسوله وغير مرضيين . . ولذلك اختلفت فيه آراء المذاهب والفئات ، وكثير في تاريخ المسلمين وكتبهم البحث في الذين تشملهم شفاعة النبي ﷺ والذين لا تشملهم . .

وأهم الأقوال أو المذاهب في المسألة أربعة :

القول الأول : قول أهل البيت ﷺ الذي يشترط للشفاعة : الإسلام ، وعدم الشرك ، وعدم الظلم ، وإطاعة النبي ﷺ في مودة أهل بيته ﷺ .

القول الثاني : القول بتوسيع الشفاعة ، وهو قول أكثر المذاهب السنية التي توسعها إلى جميع المسلمين ، بل إلى غيرهم من اليهود والنصارى . . وستعرف أن فيه عدة آراء بل مذاهب .

القول الثالث : إنكار شفاعة النبي ﷺ أصلاً ، وهو قول قدماء الخوارج ، وقد رد عليهم أهل البيت ﷺ وبقية المذاهب . وقد ولد هذا الرأي ردة فعلٍ على مذهب توسعة الشفاعة الذي تبنته الدولة وأفرطت فيه .

القول الرابع : قول المعتزلة بأن الشفاعة لا تشمل المسلم الذي يرتكب المعاصي الكبائر لأنه يستحق النار ، بل تختص بالمسلم الذي يرتكب المحرمات الصغائر المعفو عنها ، وفائدتها رفع درجته في الجنة .

وسوف نستعرض هذه المذاهب في الفقرات التالية إن شاء الله تعالى .



حدود الشفاعة عند أهل البيت عليهم السلام

ما دل على استثناء المشرك والظالم من الشفاعة

. التوحيد للصدوق ص ٤٠٧

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني عليه السلام قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير قال : سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول : لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود ، وأهل الضلال والشرك . ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر ، قال الله تبارك وتعالى : **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا .**

قال فقلت له : يا بن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين ؟

قال : حدثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل .

قال ابن أبي عمير فقلت له : يا بن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول : **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ؟** ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى !

فقال : يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كفى بالندم توبة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة ، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول : **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ .**

فقلت له : يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه ؟ فقال : يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب ، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة ، ومتى لم يندم



عليها كان مصراً ، والمصر لا يغفر له ، لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب ، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم . وقد قال النبي ﷺ : لا كبيرة مع الإستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار . وأما قول الله عز وجل : **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** ، فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه ، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات ، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب ، لمعرفته بعاقبته في القيامة . انتهى . ورواه في وسائل الشيعة ج ١١ ص ٢٦٦ ، وفي تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٥١٧

. الإعتقادات للصدوق ص ٤٤

إعتقادنا في الشفاعة : أنها لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر ، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة .

قال النبي ﷺ : من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي .

وقال ﷺ : لا شفيع أبحح من التوبة .

والشفاعة للأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وفي المؤمنين من يشفع مثل ربيعة ومضر ،

وأقل المؤمنين من يشفع ثلاثين ألفاً .

والشفاعة لا تكون لأهل الشرك والشرك ، ولا لأهل الكفر والجحود ، بل تكون

للمذنبين من أهل التوحيد .

. من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٧٤

وقال رسول الله ﷺ : إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .

وقال الصادق عليه السلام : شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا ، وأما التائبون فإن الله عز وجل

يقول : ما على الحسنين من سبيل . ورواهما في وسائل الشيعة ج ١١ ص ٢٦٤

. روضة الواعظين ص ٥٠١

قيل للرضا عليه السلام : يا بن رسول الله فما معنى قول الله تعالى : **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ**

ارْتَضَى ؟ قال : لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه ، قال رسول الله ﷺ : شفاعتي لأهل

الكبائر من أمتي ما خلا الشرك والظلم .



. الإختصاص للمفيد ص ٣٣

باب فيه مسائل اليهودي التي ألقاها على النبي ﷺ

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم قال : حدثنا الحسين بن مهران قال : حدثني الحسين بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جده ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنه يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران ؟ قال : نعم ، أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، أنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين .

فقال : يا محمد إلى العرب أرسلت أم إلى العجم أم إلينا ؟ قال رسول الله ﷺ : إني رسول الله إلى الناس كافة .

فقال : إني أسألك عن عشر كلمات أعطها موسى في البقعة المباركة حيث ناجاه لا يعلمها إلا نبي مرسل أو ملك مقرب .
فقال النبي ﷺ : سل عما بدا لك .

فقال : يا محمد أخبرني عن الكلمات التي اختارها الله لإبراهيم عليه السلام حين بنى هذا البيت ؟

فقال النبي ﷺ : نعم : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

فقال : يا محمد لأي شيء بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة مربعاً ؟

قال : لأن الكلمات أربعة .

قال : فإي شيء سميت الكعبة كعبة ؟

قال : لأنها وسط الدنيا .

قال : فأخبرني عن تفسير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ؟

فقال النبي ﷺ : علم الله أن ابن آدم والجن يكذبون على الله تعالى فقال : سبحان

الله ، يعني بريء مما يقولون .



وأما قوله : الحمد لله ، علم الله أن العباد لا يؤدون شكر نعمته ، فحمد نفسه عز وجل قبل أن يحمده الخلائق ، وهي أول الكلام ، لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمة .

وأما قوله : لا إله إلا الله ، وهي وحدانيته لا يقبل الله الأعمال إلا به ، ولا يدخل الجنة أحد إلا به ، وهي كلمة التقوى سميت التقوى لما تنقل بالميزان يوم القيامة .

وأما قوله : الله أكبر ، فهي كلمة ليس أعلاها كلام وأحبها إلى الله ، يعني ليس أكبر منه ، لأنه يستفتح الصلوات به لكرامته على الله ، وهو اسم من أسماء الله الأكبر .
فقال : صدقت يا محمد ما جزاء قائلها ؟

قال : إذا قال العبد : سبحان الله سبح كل شيء معه ما دون العرش ، فيعطى قائلها عشر أمثالها . وإذا قال : الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتى يلقاه بنعيم الآخرة ، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها ، والكلام ينقطع في الدنيا ما خلا الحمد ، وذلك قولهم : تحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

وأما ثواب : لا إله إلا الله فالجنة ، وذلك قوله : **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** .

وأما قوله : الله أكبر ، فهي أكبر درجات في الجنة وأعلاها منزلة عند الله .

فقال اليهودي : صدقت يا محمد ، أديت واحدة ، تأذن لي أن أسألك الثانية ؟

فقال النبي ﷺ : سألني ما شئت . وجبرئيل عن يمين النبي ﷺ وميكائيل عن يساره يلقنانه . فقال اليهودي : لأي شيء سميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً ؟

فقال النبي ﷺ : أما محمد فإني محمود في السماء ، وأما أحمد فإني محمود في الأرض ، وأما أبو القاسم فإن الله تبارك وتعالى يقسم يوم القيامة قسمة النار بمن كفر بي أو يكذبني من الأولين والآخرين ، وأما الداعي فإني أدعو الناس إلى دين ربي إلى الإسلام ، وأما النذير فإني أنذر بالنار من عصائي ، وأما البشير فإني أبشر بالجنة من أطاعني .



قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن الثالثة لأي شيء وقت الله هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أمتك ، في ساعات الليل والنهار

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن العاشرة : تسعة خصال أعطاك الله من بين النبيين ، وأعطى أمتك من بين الأمم ؟

فقال النبي ﷺ : فاتحة الكتاب ، والأذان ، والإقامة ، والجماعة في مساجد المسلمين ، ويوم الجمعة ، والإجهار في ثلاث صلوات ، والرخصة لأمتي عند الأمراض والسفر ، والصلاة على الجنائز ، والشفاعة في أصحاب الكبائر من أمتي
وأما شفاعتي في أصحاب الكبائر من أمتي ما خلا الشرك والمظالم .

قال : صدقت يا محمد ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنت خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين .

ثم أخرج ورقاً أبيض من كفه مكتوب عليه جميع ما قال النبي ﷺ حقاً ، فقال
يا محمد فقد كنت أحصي إسمك في التوراة أربعين سنة ، فكلما محوت وجدت إسمك مكتوباً فيها ! وقد قرأت في التوراة هذه المسائل لا يخرجها غيرك ، وإن ساعة ترد جواب هذه المسائل يكون جبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك .

فقال النبي ﷺ : جبرئيل عن يميني وميكائيل عن يساري !

. الخصال للصدوق ص ٣٥٥

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه ، عن عمه محمد بن أبي القاسم ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبي الحسن علي بن الحسين البرقي ، عن عبد الله بن جبلة ، عن الحسن بن عبد الله ، عن آبائه ، عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث طويل قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن أشياء فكان فيما سأله : أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين وأعطى أمتك من بين الأمم الخ . وهو شبيه بما تقدم عن الإختصاص ، ولعل السبع تصحيف



للتسع ورواه في تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٧٧ وبعضه في مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٣٦٤

. بشارة المصطفى ص ٢٠

قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أغفل الناس قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي بن أبي طالب يوم مشربة أم إبراهيم ، كما أغفلوا قوله فيه يوم غدیر خم ! إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في مشربة أم إبراهيم وعنده أصحابه إذ جاءه علي عليه السلام فلم يفرجوا له ، فلما رأهم لم يفرجوا له قال لهم : يا معاشر الناس هذا علي من أهل بيتي ، وتستخفون بهم وأنا حيٌّ بين ظهرانيكم ! أما والله لئن غبت عنكم فإن الله لا يغيب عنكم ، إن الرُّوحَ والراحة والبشر والبشارة لمن أئتم بعلي وتولاه ، وسلم له وللأوصياء من ولده . إن حقاً عليٌّ أن أدخلهم في شفاعتي لأنهم أتباعي فمن تبعني فإنه مني ، سنة جرت في من إبراهيم لأني من إبراهيم وإبراهيم مني ، وفضلي فضله وفضله فضلي ، وأنا أفضل منه ، تصديق قول ربي : **ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** .

. التبيان في تفسير القرآن ج ١٠ ص ١٨٧

فقال الله تعالى لهم : **فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ، الذين يشفعون لهم ، لأن عذاب الكفر لا يسقطه الله بالشفاعة بالإجماع .

أصناف من الناس موعودون بالشفاعة

وردت في مصادر الفريقين أحاديث متعددة وَعَدت أصنافاً من الناس بالشفاعة جزاء لأعمالهم ، أو جعلتهم من أهل الشفاعة لغيرهم ، أو حذرهم من الحرمان منها عقاباً على أعمالهم ، ونذكر منها نماذج من مصادرنا ، ومن مصادر السنين في محلها :

١ . من قضى لأخيه المؤمن حاجة

. وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٨٨

في ثواب الأعمال ، عن أبيه ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ،



عن سيف بن عميرة ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن شرحبيل بن سعد الأنصاري ، عن أشيد بن حضيرة قال قال رسول الله ﷺ : من أغاث أخاه المسلم حتى يخرج منه من هم وكربة وورطة ، كتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات ، وأعطاه ثواب عتق عشر نسائم ، ودفع عنه عشر نقمات ، وأعد له يوم القيامة عشر شفاعات .

. مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٤٠٥

عوالي اللآلي : عن النبي ﷺ قال : من قضى حاجة لأخيه كنت واقفاً عند ميزانه ، فإن رجح وإلا شفعت له .

. مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٤٠٧

وعن إبراهيم التيمي قال : كنت في الطواف إذ أخذ أبو عبد الله ﷺ بعضدي فسلم عليّ ثم قال : ألا أخبرك بفضل الطواف حول هذا البيت ؟ قلت : بلى قال : أيما مسلم طاف حول هذا البيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين كتب الله له ألف حسنة ، ومحاه ألف سيئة ، ورفع له ألف درجة ، وأثبت له ألف شفاعة ، ثم قال : ألا أخبرك بأفضل من ذلك ؟ قلت : بلى قال : قضاء حاجة امرئ مسلم أفضل من طواف أسبوع وأسبوع ، حتى بلغ عشرة .

. مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٤٠٩

وعن أبي عبد الله ﷺ : من مشى في حاجة أخيه كتب الله له بها عشر حسنات ، وأعطاه الله عشر شفاعات .

٢ . من سعى في حوائج ذرية النبي ﷺ

. الكافي ج ٤ ص ٦٠

وعنه ، عن أبيه ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا : رجل نصر



ذريتي ، ورجل بذل ماله لذريتي عند المضيق ، ورجل أحب ذريتي باللسان وبالقلب ، ورجل يسعى في حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا . ورواه في من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٦٥ وفي تهذيب الأحكام ج ٤ ص ١١١ وفي تأويل الآيات ج ٢ ص ١٠٩ وفي وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٥٦ وفي مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٣٨٢

٣ . من زار قبر النبي ﷺ

. الكافي ج ٤ ص ٥٤٨

علي بن محمد بن بنادر ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمد بن سليمان الديلمي ، عن أبي حجر الأسلمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة ، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي ، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة ، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب ، ومن مات مهاجراً إلى الله عز وجل ، حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر .

٤ . من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى

. الكافي ج ٢ ص ١٧٨

محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن صالح بن عقبة ، عن عبد الله بن محمد الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره فيوكل الله عز وجل به ملكاً فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظله ، فإذا دخل إلى منزله نادى الجبار تبارك وتعالى : أيها العبد المعظم لحقي المتبع لآثار نبيي ، حقّ علي إعظامك ، سألني أعطك ، أدعني أجبك ، أسكت أبتدئك ، فإذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله ، ثم يناديه تبارك وتعالى : أيها العبد المعظم لحقي حق علي إكرامك ، قد أوجبت لك جنتي ، وشفعتك في عبادي .



. الكافي ج ٢ ص ١٧٦

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حدثني جبرئيل عليه السلام أن الله عز وجل أهبط إلى الأرض ملكاً فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار ، فقال له الملك ما حاجتك إلى رب هذه الدار ؟ قال : أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى ، قال له الملك : ما جاء بك إلا ذاك ؟ فقال : ما جاء بي إلا ذاك ، فقال : إني رسول الله إليك وهو يقرؤك السلام ويقول : وجبت لك الجنة . وقال الملك : إن الله عز وجل يقول : أيما مسلم زار مسلماً ، فليس إياه زار ، إياي زار وثوابه عليّ الجنة .

٥ . من يدعو للمؤمنين

. الكافي ج ٢ ص ٥٠٧

علي بن محمد ، عن محمد بن سليمان ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن جعفر بن محمد التميمي ، عن حسين بن علوان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلا رد الله عز وجل عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من أول الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة . إن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات : يا رب هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا فيه ، فيشفعهم الله عز وجل فيه ، فينجو من النار برحمة الله عز وجل . ورواه في وسائل الشيعة ج ٤ ص ٥٤١ وفي مستدرک الوسائل ج ٥ ص ٢٤٢ عن أمالي الشيخ الطوسي .

٦ . شفاعة الملائكة لأهل مجلس الدعاء

. الكافي ج ٢ ص ١٨٧

الحسين بن محمد ومحمد بن يحيى جميعاً ، عن علي بن محمد بن سعد ، عن



محمد بن مسلم ، عن أحمد بن زكريا ، عن محمد بن خالد بن ميمون ، عن عبد الله بن سنان ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلا حضر من الملائكة مثلهم فإن دعوا بخير آمنوا وإن استعاذوا من شر دعوا الله ليصرفه عنهم ، وإن سألوا حاجة تشفعوا إلى الله وسألوه قضاها . وما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين . ورواه في وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٦٨

٧ . من شيع جنازة مسلم

. الكافي ج ٣ ص ١٧٣

أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن ميسر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من تبع جنازة مسلم أعطي يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا وقال الملك : ولك مثل ذلك . ورواه في من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٦١ وفي تهذيب الأحكام ج ١ ص ٤٥٥

٨ . من حفظ على أمتي أربعين حديثاً

. وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٦٧

وعن طاهر بن محمد ، عن حياة الفقيه ، عن محمد بن عثمان المهروي ، عن جعفر بن محمد بن سوار ، عن علي بن حجر السعدي ، عن سعيد بن نجيح ، عن ابن جريح ، عن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شافعاً يوم القيامة .

. وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٧٠

محمد بن علي الفارسي في روضة الواعظين قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من حفظ من أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شافعاً يوم القيامة . ورواه في العمدة ص ١٧ بلفظ (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي) .



٩ . من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة

. مستدرک الوسائل ج ٦ ص ٢٧٨

قال في ضمن أعمال هذا اليوم المبارك (يوم الغدير) : وينبغي عقد الأخوة في هذا اليوم مع الإخوان بأن يضع يده اليمنى على يمنى أخيه المؤمن ويقول : واخيتك في الله وصافيتك في الله وصافحتك في الله ، وعاهدت الله وملائكته وكتبه ورسوله وأنبياءه والأئمة المعصومين عليهم السلام على أني إن كنت من أهل الجنة والشفاعة وأذن لي بأن أدخل الجنة ، لا أدخلها إلا وأنت معي . فيقول الأخ المؤمن : قبلت ، فيقول : أسقطت عنك جميع حقوق الأخوة ما خلا الشفاعة ، والدعاء ، والزيارة .

١٠ . مجموعة أعمال وصفات توجب الشفاعة

. من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٧

ألا ومن مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة ، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك ، فإن مات وهو على ذلك وكل الله عز وجل به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره ويبشرونه ويؤنسونه في وحدته ويستغفرون له حتى يبعث .

ألا ومن أذن محتسباً يريد بذلك وجه الله عز وجل أعطاه الله ثواب أربعين ألف شهيد وأربعين ألف صديق ، ويدخل في شفاعته أربعون ألف مسيء من أمتي إلى الجنة .

ألا وإن المؤمن إذا قال (أشهد أن لا إله إلا الله) صلى عليه سبعون ألف ملك ويستغفرون له وكان يوم القيامة في ظل العرش حتى يفرغ الله من حساب الخلائق ويكتب له ثواب قوله (أشهد أن محمداً رسول الله) أربعون ألف ملك .



هذا ، وتوجد أحاديث كثيرة ضمنت الجنة لبعض أصناف الناس على أعمالهم الحسنة ، وهي تصلح بنحو الاستدلال على شمول الشفاعة لهم ، لأن الوعد من النبي صلى الله عليه وآله قد يكون بسبب شمولهم لشفاعته ، ونذكر منهم :



١ . من شفع لأخيه المؤمن في حاجة

. وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٦٢

عن النبي ﷺ قال : ومن شفع لأخيه شفاعته طلبها ، نظر الله إليه فكان حقاً على الله أن لا يعذبه أبداً ، فإن هو شفع لأخيه شفاعته من غير أن يطلبها ، كان له أجر سبعين شهيداً .

٢ . من قام بخدمة لمجتمع المسلمين

. الكافي ج ٢ ص ١٦٤

عنه عن علي بن الحكم ، عن مثنى بن الوليد الخياط ، عن فطر بن خليفة ، عن عمر بن علي بن الحسين ، عن أبيه صلوات الله عليهما قال : قال رسول الله ﷺ من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار ، وجبت له الجنة .

٣ . من ربى بنتاً أو أكثر

. الكافي ج ٦ ص ٦

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم ، عن عمر بن يزيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ : من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، وجبت له الجنة فليل : يا رسول الله واثنين ؟ فقال : واثنين ، فليل : يا رسول الله وواحدة ؟ فقال : وواحدة .

٤ . من احترم نعمة الله تعالى

. من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٧

ودخل أبو جعفر الباقر عليه السلام الخلاء فوجد لقمة خبز في القذر فأخذها وغسلها ودفعها إلى مملوك كان معه فقال : تكون معك لآكلها إذا خرجت ، فلما خرج عليه السلام قال للمملوك : أين اللقمة ؟ قال أكلتها يا ابن رسول الله ، فقال : إنما ما استقرت في



جوف أحد إلا وجبت له الجنة فاذهب فأنت حر ، فإني أكره أن استخدم رجلاً من أهل الجنة .

٥ . أصناف أخرى موعودون بالجنة

. من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٤٠

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ضمنت لستة الجنة : رجل خرج بصدقة فمات فله الجنة ، ورجل خرج يعود مريضاً فمات فله الجنة ، ورجل خرج مجاهداً في سبيل الله فمات فله الجنة ، ورجل خرج حاجاً فمات فله الجنة ، ورجل خرج إلى الجمعة فمات فله الجنة ، ورجل خرج في جنازة رجل مسلم فمات فله الجنة .

. من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٧

ألا ومن تصدق بصدقة ، فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من نعيم الجنة ، ومن مشى بصدقه إلى محتاج ، كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شيء ، ومن صلى على ميت صلى عليه سبعون ألف ملك وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فإن أقام حتى يدفن ويحشى عليه التراب ، كان له بكل قدم نقلها قيراط من الأجر ، والقيراط مثل جبل أحد .

ألا ومن ذرفت عيناه من خشية الله عز وجل كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة مكلالاً بالدر والجوهر ، فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .



أصناف لا تنالهم الشفاعة

١ . السلطان الظالم الغشوم

. قرب الأسناد ص ٦٤

وعنه ، عن مسعدة بن صدقة قال : حدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال



رسول الله ﷺ : صنّفان لا تنالهما شفاعتي : سلطان غشوم عسوف ، وغال في الدين مارق منه ، غير تائب ولا نازع .

. الخصال ص ٦٣

حدثنا محمد بن الحسن رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عبد الجبار بإسناده يرفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال : رجلان لا تنالهما شفاعتي : صاحب سلطان عسوف غشوم ، وغال في الدين مارق . ورواه في مناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٣٣٠ ونحوه في مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٩٩

. تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٩٦

أربع من فعلهن فقد خرج من الإسلام : من رفع لواء ضلالة ، ومن أعان ظالمًا أو سار معه أو مشى معه وهو يعلم أنه ظالم ، ومن احترم بذمة .
ورجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة : أمير ظلوم ، ورجل غال في الدين مارق منه .
والأمير العادل لا ترد دعوته .

٢ . المنان والبخيل والنام

. من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٧

ثم قال عليه السلام : يقول الله عز وجل : حرّمت الجنة على المنان والبخيل والقتات ، وهو النمام . انتهى .

ولا نطيل في تعداد هذه الأصناف ، وهي في مصادرنا مشابهة لما يأتي في مصادر إخواننا السنين ، مع تأكدها على عدم شمول الشفاعة لمن عصى النبي ﷺ في مودة أهل بيته وولايتهم وإطاعتهم .

الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنى درجة

تفردت مصادر أهل البيت عليهم السلام ببيان أن الموحددين الذين يخرجون من النار دخلون جنة أخرى أدنى درجة ، وهي غير الجنة التي يسكنها أولياء الله تعالى .



. ففي بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦١

ين : فضالة ، عن عمر بن أبان ، عن آدم أحيي أيوب ، عن حمران قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنهم يقولون ألا تعجبون من قوم يزعمون أن الله يخرج قوماً من النار فيجعلهم من أصحاب الجنة مع أوليائه ؟ فقال : أما يقرؤون قول الله تبارك وتعالى : ومن دونهما جنتان ، إحداهما جنة دون جنة ، ونار دون نار ، إنهم لا يساكنون أولياء الله ! وقال : بينهما والله منزلة ، ولكن لا أستطيع أن أتكلم ، إن أمرهم لأضيق من الحلقة ، إن القائم لو قام لبدأ بمؤلاء .



رأي السنيين القريب من رأي أهل البيت عليهم السلام

وهو الرأي القائل بأن الشفاعة تشمل بعض العاصين من المسلمين وليس كلهم .
ويدل عليه من مصادرهم :

أولاً : أحاديث كثيرة صحيحة السند عندهم ، لكن دلالتها ضاعت ، لأنها مخلوطة بأحاديث توسيع الشفاعة وشمولها لكل العاصين والمنافقين !
ونكتفي منها بالأحاديث التي نصت على أن عدداً من صحابة النبي صلى الله عليه وآله سيغيرون ويدلون بعده ، فلا يشفع لهم يوم القيامة ، فيؤمر بهم إلى النار . فقد روى البخاري في صحيحه ج ٧ ص ٢٠٨ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم ، فقلت أين ؟ قال إلى النار والله ! قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم ، قلت أين ؟ قال إلى النار والله ! قلت ما شأنهم ؟ ! قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري !! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم . انتهى .



وروى شبيهاً به في ج ٧ ص ١٩٥ وص ٢٠٧ . ٢١٠ وفي نفس المجلد أيضاً ص ٨٤ و ٨٧ وج ٨ ص ٨٦ و ٨٧ وروى نحوه مسلم في ج ١ ص ١٥٠ وج ٧ ص ٦٦ وابن ماجه ج ٢ ص ١٤٤٠ وأحمد في ج ٢ ص ٢٥ وص ٤٠٨ وج ٣ ص ٢٨ وج ٥ ص ٢١ وص ٢٤ وص ٥٠ وج ٦ ص ١٦ ورواه البيهقي في سننه ج ٤ ص ١٤ ونقل رواياته المتعددة في كنز العمال في ج ١٣ ص ١٥٧ وج ١٤ ص ٤٨ وج ١٥ ص ٦٤٧ وقال رواه (مالك والشافعي حم م ن . عن أبي هريرة) انتهى .

فلو كانت الشفاعة تشمل كل الخلق أو كل الموحدين أو كل المسلمين ، لشملت هؤلاء الصحابة المعروفين ! فلا بد من القول بأن شفاعته ﷺ مشروطة بشروط من أولها الإسلام وعدم الإنحراف الكبير الذي ارتكبه هؤلاء الصحابة المطرودون !

ثانياً : أحاديث اشترطت شروطاً أخرى فوق الشهادتين للشفاعة ، كالذي رواه البخاري ج ٨ ص ١٣٩ : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي ! قالوا يا رسول الله ومن يأبي ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبا . انتهى . وفيه تصريح أن المستثنى هم الذين عصوا الرسول ﷺ من أمته وأنهم لا يدخلون الجنة ! ورواه الحاكم أيضاً بلفظ قريب منه في ج ١ ص ٥٥ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

والذي رواه النسائي في سننه ج ٧ من ص ٨٨ عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ويقوم الصلاة ويؤتي الزكاة ويجتنب الكبائر ، كان له الجنة . فسألوه عن الكبائر فقال : الإشراف بالله ، وقتل النفس المسلمة ، والفرار يوم الزحف .

والذي رواه أحمد في ج ٢ ص ١٧٦ عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما عمل الجنة ؟ قال : الصدق ، وإذا صدق العبد برّ ، وإذا بر آمن ، وإذا آمن دخل الجنة .

قال يا رسول الله ما عمل النار؟

قال : الكذب ، إذا كذب فجر ، وإذا فجر كفر ، وإذا كفر دخل . . يعني النار . انتهى .

فهذه الأحاديث تشترط لدخول الجنة شروطاً أخرى غير التوحيد ، فلو كان

التوحيد وحده كافياً لما كان لهذه الشروط معنى .

ثالثاً : أحاديث نصت على أن الشفاعة تشمل أصنافاً معينين من الناس ، نذكر

منها :

١ . من قضى لآخيه حاجة

. الدر المنثور ج ٣ ص ٧١

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قضى

لآخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه ، فإن رجح ، وإلا شفعت له .

. الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٦

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا

كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم أمر منادياً ينادي : ألا ليقيم أهل

المعروف في الدنيا فيقومون حتى يقفوا بين يدي الله فيقول الله أنتم أهل المعروف

في الدنيا ، فيقولون نعم فيقول : وأنتم أهل المعروف في الآخرة فقوموا مع الأنبياء

والرسل فاشفَعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة ، حتى تدخلوا عليهم المعروف في

الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف في الدنيا .

٢ . من صلى على النبي ﷺ

. في مسند أحمد ج ٤ ص ١٠٨

من صلى على محمد وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ،

وجبت له شفاعتي . ورواه في فردوس الأخبار ج ٤ ص ٢١ ح ٥٥٥٥



. وفي مسند أحمد في ج ٤ ص ٦١ ح ٥٦٨٠

أبو الدرداء : من صلى (عليّ) حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً ، أدركته شفاعتي يوم القيامة . ورواه في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٢٠ و ١٦٣

٣ . من زار قبر النبي ﷺ

. وفي الدر المنثور ج ١ ص ٢٣٧

وأخرج الحكيم الترمذي والبخاري وابن خزيمة وابن عدي والدارقطني والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من زار قبري وجبت له شفاعتي . (ورواه في سنن الدارقطني ج ٢ ص ٢٧٨ ح ١٩٤ والذهبي في تاريخ الإسلام ج ١١ ص ٢١٢ ورواه بنص آخر : من زارني بعد موتي وجبت شفاعتي) .

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على أن أكون له شافعاً يوم القيامة .

وأخرج الطيالسي والبيهقي في الشعب عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من زار قبري كنت له شافعاً أو شهيداً ، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة .

. مختصر تاريخ دمشق ج ١ جزء ٢ ص ٤٠٦

وعن علي بن أبي طالب قال : من سأل لرسول الله (ص) الدرجة الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة ومن زار قبر رسول الله (ص) كان في جوار رسول الله (ص) .

. هامش طبقات المحدثين بإصباحان ج ٢ ص ٤٢٠ ، ١٦٧

عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) : من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شافعاً يوم القيامة . وشيبهه في ج ١ ص ٥٥ .

وراجع أيضاً مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢ وكنز العمال ج ١٥ ص ٣٨٣ و ص ٦٥١



وقد اقتصرنا من أحاديث زيارة قبره ﷺ على ما ورد فيه ذكر الشفاعة وسنورد بقية أحاديثها في محلها إن شاء الله تعالى مع جواب شبهة الوهابيين في تحريمهم زيارة القبور وخيرها وأشرفها قبر سيد المرسلين ﷺ !

٤ . من دعا للنبي ﷺ بالوسيلة

. روى البخاري ج ٥ ص ٢٢٨

من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة .

ورواه أيضاً في ج ١ جزء ١ ص ١٥٢ ورواه البيهقي في سننه ج ١ ص ٤٠٩ ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣٣ والنويري في نهاية الإرب ج ٣ جزء ٥ ص ٣٠٨ .

٥ . من حفظ من أحاديث النبي ﷺ أربعين حديثاً

. روى الديلمي في فردوس الأخبار ج ٤ ص ٩١ ح ٥٧٧٨

عن ابن عباس : من حفظ على أمي أربعين حديثاً من أمر دينها ، فهو من العلماء وكنيت له شفيحاً يوم القيامة . ونحوه في كنز العمال ج ١٠ ص ١٥٨

. وفي كتاب المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ١٣٣

عن أبي الدرداء قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ما حد العلم الذي إذا بلغه الرجل كان فقيهاً ؟ فقال : من حفظ على أمي أربعين حديثاً في أمر دينها بعثه الله فقيهاً ، وكنيت له شافعاً وشهيداً .

٦ . من حفظ أسماء الله الحسنى

. صحيح البخاري ج ٨ ص ١٦٩

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة .



ونحوه في ج ٧ ص ١٦٩ ونحوه في مستدرك الحاكم ج ١ ص ١٦

٧ . من قرأ بعض سور القرآن

. روى في فردوس الأخبار ج ٤ ص ٣٠ ح ٥٥٨٧

أبو الدرداء : من قرأ مائتي آية في كل يوم شفيع في سبع قبور حول قبره وخفف الله عز وجل عن والديه وإن كانا مشركين . وفي ص ٣٤ ح ٥٥٩٨ : ابن عباس : من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة . انتهى .

فهذه المجموعة من الأحاديث تدل على أن بعض المسلمين من أصحاب الأعمال الحسنة يستحقون الدخول في شفاعته النبي ﷺ . ولو كانت الشفاعة تشمل كل المسلمين لما صح جعلها مييزة لأصناف معينة من أصحاب الأعمال الحسنة ، كما نصت هذه المجموعة .

ولا يضر بالإستدلال بها أن يكون بعضها ضعيفاً أو مكذوباً ، لأن الاستدلال بمجموعها ، بل حتى لو كانت كلها موضوعة فهي تدل على أن المرتكز في أذهان المسلمين أن الشفاعة مخصوصة بأصناف من المسلمين وليست عامة .

رابعاً : أحاديث نصت على أن الشفاعة لا تشمل أصنافاً من الناس ، أو دلت على أنهم لا يدخلون الجنة ، بسبب سوء أعمالهم ، نذكر منها :

١ . السلطان الظلوم الغشوم

. روى الديلمي في فردوس الأخبار ج ٢ ص ٥٥٨ ح ٣٥٩٨

أبو أمامة : صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي ولن أشفع لهما ولن يدخلوا شفاعتي : سلطان ظلوم غشوم عسوف ، وغال مارق عن الدين . انتهى . ورواه السيوطي في الدر المشور ج ١ صفحة ٣٥٢ عن الطبراني وفي كنز العمال ج ٦ ص ٢١ وص ٣٠ وفي مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٥ وص ٢٣٦



وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً ، أو قتله نبي ، أو إمام جائر . قلت : في الصحيح بعضه ، رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات . ورواه البزار إلا أنه قال : وإمام ضلالة ، ورجاله ثقات ، وكذلك رواه أحمد .

٢ . الذي يكذب على النبي ﷺ

. روى البخاري في ج ١ ص ٣٥

عن سلمة بن الأكوع قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من يقل عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار .
وروى نحوه أيضاً في ج ١ من ص ٣٦ وج ٢ ص ٨١ وج ٤ ص ١٤٥ وص ١٥٦ وج ٦ ص ٨٤ وص ١١٨ ورواه مسلم في ج ١ ص ٧ و ٨ وص ٥٧ وج ٧ ورواه غيرهما من مصادر السنة والشيعه .

٣ . الذي يبغض ذرية النبي ﷺ أو يظلمهم

. لسان الميزان ج ٣ ص ٢٧٦

عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : من أحبني فليحب علياً ، ومن أبغض أحداً من أهل بيتي حرم شفاعتي . . الحديث .

. كنز العمال ج ١٢ ص ١٠٣

عن الطبراني والرافعي عن ابن عباس : من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربي فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي ، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذابين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنا لهم الله شفاعتي . انتهى .
والأحاديث في ذلك كثيرة ، سنورها في مسائل الإمامة إن شاء الله .

٤ . أصحاب البدع المخالفين للسنة

. قال الشاطبي في الإعتصام ج ١ ص ١٢٠

البدعة مانعة من شفاعته محمد ، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : حلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة .

. قال السبكي في طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢٩١

حديث : إن الله ملكاً ينادي كل يوم : من خالف السنة لم تنله الشفاعة (ورد في إحياء الغزالي) .

٥ . من طلب العلم للدنيا أو طلب الدنيا بعمل الآخرة

. في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨٤

عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء في المجالس ، لم يرح رائحة الجنة . ورواه في كنز العمال ج ١٠ ص ٢٠١ . ٢٠٣ — وفي كنز العمال ج ٣ ص ٤٧٤ عن الديلمي عن ابن عباس : ريح الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام ، ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة .

٦ . من يؤذي جيرانه

. صحيح مسلم ج ١ ص ٤٩

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه .

. وفي مستدرک الحاكم ج ١ ص ١١

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : المؤمن من أمنه الناس ، والمسلم من



سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر السوء ، والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه .

. وفي مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤٠

عن أبي هريرة قال قال رجل : يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقته ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ! قال : هي في النار . قال يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقته وصلاتها ، وأنها تصدق بالأتوار من الأقط ، ولا تؤذي جيرانها بلسانها ، قال : هي في الجنة .

٧ . الذي يسيء إدارة من تحت يده

— روى البخاري في ج ٨ ص ١٠٧ بروايتين : عن معقل : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد استرعه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة . ونحوه في كنز العمال ج ٤ ص ٥٦٧ عن ابن سعد وابن عساكر ، وفي ج ٦ ص ٢٠ وص ٣٥ (ع ق ش م حم طب وابن عساكر عن معقل بن يسار) .

. وفي سنن الترمذي ج ٣ ص ٢٢٥

عن أبي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة سيء الملكة . انتهى . ورواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٧ وص ١٢ وج ٥ ص ٢٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١١

. وفي كنز العمال ج ٦ ص ٣٩

من ولى ذا قرابة محاباةً وهو يجد خيراً منه ، لم يجد رائحة الجنة .

٨ . المتكبر ولو مثقال حبة خردل

. روى مسلم في صحيحه ج ١ ص ٦٥

عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه



مثقال ذرة من كبر . انتهى . ورواه ابن ماجة في ج ٢ ص ١٣٩٧ وأحمد ج ١ ص ٤١٢ وص ٤١٦ وص ٤٥١ وج ٢ ص ١٦٤ وص ٢٤٨ والحاكم في ج ٣ ص ٤١٦

. وفي مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٥٥

وعن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة مسكين مستكبر ، ولا شيخ زان ، ولا منان على الله تعالى بعمله . رواه الطبراني وتابعه الصباح بن خالد بن أبي أمية لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ١١٦

وأخرج البيهقي عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل رجل ، فلما رآه القوم أثنوا عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني لأرى على وجهه سفعة من النار ، فلما جاء وجلس قال : أنشدك بالله أجمت وأنت ترى أنك أفضل القوم ؟ قال نعم . انتهى .

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن التكبر المانع من دخول الجنة هو التكبر عن قبول الحق وليس التكبر العادي وإن كان معصية كبيرة .

ويؤيده ما رواه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ٢٦ : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر ، فقال رجل : يا رسول الله إنه ليعجبني أن يكون ثوبي جديداً ورأسي دهيناً وشراكي نعلي جديداً ، قال وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه ، فقال : ذاك جمال ، والله جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر من بطر الحق وازدري الناس . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتجا جميعاً برواته .

٩ . من قتل نفسه

. مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣٥

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : الذي يطعن نفسه إنما يطعنهما في



النار ، والذي يتفحم فيها يتفحم فيها في النار ، والذي يخنق نفسه يخنقها في النار .

١٠ . من نبت لحمه من سحت

. روى أحمد في ج ٣ ص ٣٢١

قول النبي ﷺ لكعب بن عجرة : يا كعب بن عجرة ، الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة ، والصلاة قرآن أو قال برهان . يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به .

ورواه في ج ٣ ص ٣٩٩ وفي مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٣٠ وص ٢٩٣

١١ . من زنى بذات محرم

. في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٦٩

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة من أتى ذات محرم . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، غير يحيى بن حسان الكوفي وهو ثقة .

١٢ . من نسب نفسه إلى غير أبيه

. روى ابن ماجه في ج ٢ ص ٨٧٠

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله (ص) : من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام . انتهى . ورواه أحمد في ج ٢ ص ٧١ وفيه (وإن ريحها ليوجد من قدر سبعين عاماً) ورواه في ج ٢ ص ١٧١ وص ١٩٤ وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ٩٨ وص ١٤٨ وكنز العمال ج ٦ ص ١٩٥ وج ١٦ ص ٣٢

١٣ . مدمن الخمر وقاطع الرحم والنمام وقاسي القلب . . . الخ .

. مسند أحمد ج ٤ ص ٣٩٩

من حديث أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصديق بالسحر .



وفي ج ٢ ص ٦٩ : ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث .

ونحوه في ج ٢ ص ١٦٤ و ٢٠١ و ٢٠٣ وفي سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٨٨

وفي ج ٨ ص ١٦٦ : عن إبراهيم عن همام قال : كنت جالساً عند حذيفة فمر رجل فقالوا : هذا يرفع الحديث إلى السلطان ، فقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة قتات . قال الأعمش : والقتات النمام . أخرجه مسلم في الصحيح .

. مسند أحمد ج ٢ ص ١٣٤

قال عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق والديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث . وثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : العاق بوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنان بما أعطى . وروى نحوه في ج ٢ ص ٦٩ و ١٣٤ والحاكم ج ١ ص ٧٢

. وفي مسند أحمد ج ١ ص ١٩٠

عن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أربى الربا الإستطالة في عرض مسلم بغير حق ، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن فمن قطعها حرم الله عليه الجنة .

. وفي مسند أحمد ج ٣ ص ١٤

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة صاحب خمس : مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم ، ولا كاهن ، ولا منان . ونحوه مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨

. وفي مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٤٩ ونحوه في ج ٥ ص ١٢٥

فإن ربح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجده عاق ، ولا قاطع رحم ،



والباغي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زان ، ولا جارٌ إزاره خيلاء .

. وفي مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٥٧ ونحوه في ج ٨ ص ١٤٨

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ، ولا منان ، ولا ولد زنية . قلت : رواه النسائي غير قوله ولا ولد زنية . رواه أحمد والطبراني وفيه جابان وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح .

. سنن الترمذي ج ٣ ص ٢٣٢

عن أبي بكر الصديق ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا يدخل الجنة خب ، ولا بخيل ، ولا منان . هذا حديث حسن غريب . ونحوه في كنز العمال ج ٣ ص ٥٤٦

. وفي مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٤٣

وعن نافع قال سمع ابن عمر رجلاً يقول : الشحيح أعذر من الظالم ، فقال ابن عمر : كذبت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الشحيح لا يدخل الجنة .

. وفي مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٥٥

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن لكل شجرة ثمرة وثمره القلب الولد ، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده . والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم . قلنا يا رسول الله : كلنا يرحم ، قال : ليس رحمة أن يرحم أحدكم صاحبه ، إنما الرحمة أن يرحم الناس .

. وفي كنز العمال ج ١٦ ص ٥٣

لا يدخل الجنة ولد زنى ، ولا مدمن خمر ، ولا عاق ، ولا منان (ابن جرير ع . عن

أبي سعيد) .

١٤ . الذي يقتل أحداً من أهل الذمة

. في صحيح البخاري ج ٤ ص ٦٥

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً . ونحوه في ج ٨ ص ٤٧ وابن ماجه ج ٢ ص ٨٩٦ والترمذي ج ٢ ص ٤٢٩ والحاكم في ج ٢ ص ١٢٦ والبيهقي في سننه ج ٨ ص ١٣٣ وج ٩ ص ٢٠٥ والنسائي ج ٨ ص ٢٤ وفيه (وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً) ورواه في مسند أحمد ج ٢ ص ١٨٦ وج ٤ ص ٦١ وص ٢٣٧ وج ٥ ص ٤٦ و ٥٠ و ٥١ و ٣٦٩ و ٣٧٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٩٣ ونعم ما علق به الفخر الرازي على هذا الموضوع حيث قال في تفسيره ج ٢ جزء ٣ ص ١٥١ : عن الحسن ، عن أبي بكرة ، قال ﷺ : من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة . وإذا كان في قتل الكفار هكذا ، فما ظنك بقتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !

١٥ . الذي يغش العرب

. في مسند أحمد ج ١ ص ٧٢

عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي . انتهى . ورواه البغوي في مصابيح السنه ج ٤ ص ١٤٢ والديلمي في فردوس الأخبار ج ٤ ص ١٨٠ ح ٦٠٧٥ وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٦٤٠

١٦ . اللعان الفحاش

. صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٤

حدثني سويد بن سعيد ، حدثني حفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم أن عبد الملك بن مروان بعث إلى أم الدرداء بأنجاد من عنده ، فلما أن كان ذات ليلة قام عبد الملك من الليل فدعا خادمه فكأنه أبطأ عليه فلغنه ، فلما صبح قالت له أم الدرداء :



سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته ! فقالت سمعت أبا الدرداء يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة . انتهى . ورواه أبو داود في ج ٢ ص ٤٥٨ والحاكم ج ١ ص ٤٨ والديلمي في فردوس الأخبار ج ٥ ص ٣١١ ح ٨٠٠٩ وفي كنز العمال ج ٣ ص ٦١٥ والسيوطي في الدر المنثور ج ١ ص ١٤٦ وقال : وأخرج مسلم وأبو داود والحكيم الترمذي عن أبي الدرداء . .

. وقال البخاري في تاريخه ج ٦ ص ٢٢

عن عبد الرحمن بن الحارث أن أم الدرداء رضي الله عنها قالت لعبد الملك بن مروان : سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يكون الحليم لعاناً ، ولا يؤذن في الشفاعة للعان .

. وفي كنز العمال ج ٣ ص ٣٥٣

عن الديلمي عن عائشة : رحم الله امرأ كلف لسانه عن أعراض المسلمين ، لا تحل شفاعةي لطعان ولا لعان . انتهى .

ولا بد أن يكون المراد باللعان في هذه الأحاديث بذيء اللسان الفحاش الذي يسب المسلمين ويلعنهم ، وإلا فإن لعن الذين لعنهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عملٌ جائز أو واجب شرعاً وفيه ثوابٌ ، لأنه براءة ممن تبرأ منهم الله ورسوله ودعاءً عليهم باستمرار طردهم من رحمة الله تعالى .

١٧ . ورووا أن أكثر النساء في النار

. صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٠

عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء . . .

عن أسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجدد محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم

إلى النار . وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء ! . انتهى .

ورواه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٩٧

. وفي مجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٧٣

قال كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة فلما كنا بمر الظهران إذ امرأة في هودجها واضعة يدها على هودجها ، فلما نزل دخل الشعب ودخلنا معه ، قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان فإذا نحن بغربان كثير وإذا بغراب أعصم المنقار والرجل فقال : لا يدخل الجنة من النساء إلا كقدر الغراب في هذه الغربان ، قال أبو عمر : الأعصم الأحمر . رواه الطبراني واللفظ له ، وأحمد ورجال أحمد ثقات . انتهى .

١٨ . ورووا في من أطل إزاره أو ثوبه

. سنن النسائي ج ٨ ص ٢٠٧

عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار . وفي رواية : ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار . انتهى .



فهذه الأحاديث تدل على أن بعض المسلمين لا يدخلون الجنة . . ولو كانت الشفاعة تشمل كل المسلمين لم يكن لهذه الاستثناءات معنى ، بل للزم من إحدى المجموعتين كذب المجموعة الأخرى !

ولا يضر بالإستدلال بمجموع أحاديث الإستثناء من الجنة ، أو الحكم باستحقاقها أن بعضها ضعيف أو مكذوب كما ذكرنا ، لأن المكذوب أيضاً يدل على أن المرتكز في أذهان المسلمين اختصاص الشفاعة بأصناف من المسلمين ، لا بجمعهم .



شرط الشفاعة في المظالم الشخصية

روت مصادر الفريقين أحاديث تدل على إمكانية أن تشمل الشفاعة أهل المظالم الشخصية ، بشرط أن يعفو صاحب المظلمة عن ظالمه .

. ففي تفسير الإمام العسكري ٧ ص ٢٠٤

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : يا معشر شيعتنا اتقوا الله واحذروا أن تكونوا لتلك النار حطباً ، وإن لم تكونوا بالله كافرين ، فتوقوها بتوقى ظلم إخوانكم المؤمنين ، فإنه ليس من مؤمن ظلم أخاه المؤمن المشارك له في مولاتنا ، إلا ثقل الله في تلك النار سلاسله وأغلاله ولم يفكه منها إلا شفاعتنا ، ولن نشفع إلى الله تعالى إلا بعد أن نشفع له إلى أخيه المؤمن ، فإن عفا عنه شفعتنا له ، وإلا طال في النار مكثه . انتهى .

ورواه في مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ١٠١

. وفي الإعتقادات للصدوق ص ٢٩

قيل لأمر المؤمنين عليهم السلام : صف لنا الموت فقال : على الخبر سقطتم ، هو أحد أمور ثلاثة يرد عليه : إما بشاراً بنعيم الأبد ، وإما بشاراً بعذاب الأبد ، وإما تخويلاً وتحويلاً وأمرٌ مبهمٌ لا يدري من أي الفرق هو ؟ فأما ولينا والمطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد ، وأما عدونا والمخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد ، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً ، ثم لن يسويه الله تعالى بأعدائنا ، ولكن يخرجهم من النار بشفاعتنا فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله ، فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب الله بثلاث مائة ألف سنة .

. وفي مسند أحمد ج ٣ ص ١٣

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخلص المؤمنون يوم القيامة من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم



من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة . فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى لمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا .
ورواه في ج ٣ ص ٦٣ و ص ٧٤

نتيجة

النتيجة الواضحة من هذا الفصل أن قانون الشفاعة متفقٌ عليه بين السنة والشيعة ، على أصوله وخطوطه العامة أيضاً ، وهي أنه يشمل من مات على الشهادتين ، ولم يكن ظالماً ، ولم يكن عاصياً للنبي في أهل بيته ﷺ .
ومنه نعرف أن كل ما خالف هذه الأصول فهو نشاز عن ثقافة الإسلام ، جاء إلى أصحابه من خلل الرأي ، أو من التلقي والتأثر بثقافة اليهود ، والنصارى ، والمجوس وغيرهم !



الفصل السابع

توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر وأتباعه

في مصادر السنين اتجاه يقول بتوسيع الشفاعة أكثر من القدر المتفق عليه بين الجميع ، وهو اتجاه خطير ، لأنه يلغي قانون العقوبة الإلهية جزئياً أو كلياً ! وهو أربعة آراء أو مذاهب نذكرها حسب توسيعها لدائرة الشفاعة :

الرأي الأول : أن الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين !

الرأي الثاني : أن الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى ، حتى لو كفر

برسول الله ﷺ !

الرأي الثالث : أن الشفاعة تشمل كل الخلق !

الرأي الرابع : أن العقاب في الآخرة ينتهي كلياً ، وأن جهنم تفتى أو تبقى ، ولكن

ينقل أهلها كلهم إلى الجنة !



ونذكر هنا ملاحظات كلية على هذه المذاهب أو الأقوال :

الملاحظة الأولى : أن هذه التوسيعات في الشفاعة أو في دخول الجنة زادت على توسيع اليهود لها ، لأن اليهود حصروا الشفاعة والجنة بقوميتهم اليهودية ، وهذه التوسعات عممتها إلى العقائد المختلفة والقوميات المختلفة ، وإن كانت احتفظت بميزة لكل قبائل قريش .

كما زادت على عقيدة الفداء النصرانية ، لأن بولس اشترط لشمول فداء المسيح وشفاعته الدخول في النصرانية . . بينما أكثر هذه التوسيعات لا تشترط الدخول في الإسلام !

الثانية : أن لكعب الأبحار وتلاميذه دوراً أساسياً في توسيع الشفاعة ، بل كان كعب مرجعاً في الشفاعة بحيث أن الخليفة عمر يستفتيه فيها ويؤيد آراءه ، ويعمل على نشرها ، كما سترى .

الثالثة : أن هذه التوسيعات لا تشمل أحداً ممن اعترض على الخلفاء أو خالفهم في الرأي ، أو امتنع عن بيعتهم ، كما لا تشمل بني هاشم وبني عبد المطلب أسرة النبي وآباءه عليه السلام وخاصة أبا طالب والدة علي عليه السلام ! وسترى هذه الغرائب وغيرها في نصوص الشفاعة في مصادر إخواننا السنيين !

الرابعة : أن هذه الأفكار صارت أصلاً ومنبعاً لمذاهب فاسدة ، جرّت على الأمة مصائب ثقافية وسياسية ، مثل مذهب المرجئة والقدرية وغيرها .



الرأي الأول : أن الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين

حتى الطلقاء والمنافقين !

. روى البخاري في صحيحه ج ١ ص ٤١

قال حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال : يا معاذ بن جبل ، قال لبيك يا رسول الله وسعديك . قال يا معاذ ، قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً ! قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه ، إلا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : إذا يتكلموا ، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً ! انتهى .

. وروى البخاري في تاريخه ج ٨ ص ٤١

عن عوف بن مالك قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فقال : إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمي الجنة والشفاعة ، فاخترت الشفاعة . ورواه الديلمي في فردوس الأخبار ج ٢ ص ٣٠٤ ح ٢٧٧٤

. وروى البخاري في تاريخه ج ١ ص ١٨٤

عن عوف ابن مالك سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الشفاعة لمن مات من أمي لا يشرك بالله شيئاً .

. وروى مسلم في ج ١ ص ١٢٢

أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود ، فقال : . . . فتدعي الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : من تنظرون ؟ فيقولون ننظر ربنا ! فيقول أنا ربكم ، فيقولون حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك ! قال فينطلق بهم ويتبعونه ! ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم يتبعونه ، وعلى جسر جهنم كالليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ، ثم يطفأ نور



المنافقين ثم ينجوا المؤمنون ، فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ، ثم كذلك .

ثم تحمل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ويذهب حرقه . ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها !!

. وروى أبو داود في ج ١ ص ٦٣٢

عن عامر بن سعد عن أبيه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة نريد المدينة ، فلما كنا قريباً من عزوراء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمكث طويلاً ، ثم قام فرفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمكث طويلاً ، ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خر ساجداً ذكره أحمد ثلاثاً ، قال : إني سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلث أمتي ، فخبرت ساجداً لربي شكراً ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني ثلث أمتي ، فخبرت ساجداً لربي شكراً ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني الثلث الآخر ، فخبرت ساجداً لربي . ورواه البيهقي في سننه ج ٢ ص ٣٧٠

. وروى أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٤٩

عن أبي ذر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ، فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها : إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ، فلما أصبح قلت : يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها ؟ قال : إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله عز وجل شيئاً . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٧ ص ٤٣٢ ح ١٠٤ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام . وفي الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٤ عن أحمد .



. وروى أحمد في ج ٥ ص ٣٢٦

عن عبادة بن الصامت قال : فقد النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أصحابه ، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم ، ففزعوا وظنوا أن الله تبارك وتعالى اختار له أصحاباً غيرهم ! فإذا هم بخيال النبي صلى الله عليه وسلم فكبروا حين رأوه وقالوا : يا رسول أشفقنا أن يكون الله تبارك وتعالى اختار لك أصحاباً غيرنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة ، إن الله تعالى أيقظني فقال يا محمد إني لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد سألتني مسألة أعطيته إياها فاسأل يا محمد تعط ، فقلت : مسألتني الشفاعة لأمتي يوم القيامة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله وما الشفاعة ؟ قال أقول : يا رب شفاعة التي اختبأت عندك ، فيقول الرب تبارك وتعالى : نعم ، فيخرج ربي تبارك وتعالى بقية أمتي من النار ، فينذهم في الجنة .

. وقال في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٦٩

عن عوف بن مالك الأشجعي قال : سافرننا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سافراً حتى إذا كان الليل أرقت عيناى فلم يأتني النوم ، فقممت فإذا ليس في العسكر دابة إلا واضعة خدها إلى الأرض ، وأرى وقع كل شيء في نفسي ، فقلت لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أكأ به الليلة حتى أصبح ، فخرجت أتخلل الرحال حتى دفعت إلى رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو ليس في رحله ، فخرجت أتخلل الرحال حتى خرجت من العسكر فإذا أنا بسواد ، فتيمنت ذلك السواد فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل فقالا لي : ما الذي أخرجك ؟ فقلت : الذي أخرجكما ، فإذا نحن بغيمة منا غير بعيد فمشينا إلى الغيمة فإذا نحن نسمع فيها كدوي النحل وتخفيق الرياح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاهنا أبو عبيدة بن الجراح ؟ قلنا نعم ، قال ومعاذ بن جبل ؟ قلنا نعم ، قال وعوف بن مالك ؟ قلنا نعم ، فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نسأله عن شيء ولا يسألنا عن شيء حتى رجع إلى رحله فقال : ألا أخبركم بما خيرني ربي آنفاً ؟ قلنا بلى يا رسول الله ،



قال : خيرني بين أن يدخل ثلثي أمتي الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وبين الشفاعة . قلنا : يا رسول الله ما الذي اخترت ؟ قال : اخترت الشفاعة . قلنا جميعاً : يا رسول الله اجعلنا من أهل شفاعتك قال : إن شفاعتي لكل مسلم .

وفي رواية عن عوف أيضاً قال : نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فاستيقظت من الليل فإذا أنا لا أرى في العسكر شيئاً أطول من مؤخرة رحل ! قد لصق كل إنسان وبعيره بالأرض ، فقممت أتخلل حتى جفلت إلى مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو ليس فيه ! فوضعت يدي على الفراش فإذا هو بارد ، فقممت أتخلل الناس وأقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فذكر نحوه إلا أنه قال : خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة . وفي رواية جعل مكان أبي عبيدة أبا موسى . قلت : روى الترمذي وابن ماجه طرفاً منه ، رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات .

وعن أبي كعب صاحب الحرير قال سألت النضر بن أنس فقلت : حدثني بحديث ينفعني الله عز وجل به ، فقال نعم أحدثك بحديث كتب إلينا به من المدينة فقال أنس : إحتفظوا هذا فإنه من كنز الحديث ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار ذلك اليوم إلى الليل ، فلما كان الليل نزل وعسكر الناس حوله ونام هو وأبو طلحة زوج أم سليم وفلان وفلان أربعة ، فتوسد النبي صلى الله عليه وسلم يد راحلته ثم نام ونام الأربعة إلى جنبه ، فلما ذهب عتمة من الليل رفعوا رؤوسهم فلم يجدوا النبي صلى الله عليه وسلم عند راحلته ، فذهبوا يلتمسون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه مقبلاً فقالوا : جعلنا الله فداك أين كنت فإننا قد فزعنا لك إذ لم نرك ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : كنت نائماً حيث رأيتم فسمعت في نومي دويماً كدوي الرحا أو هزيز الرحى ففزعت في منامي فوثبت فمضيت ! فاستقبلني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله بعثني إليك الساعة لأخبرك إما أن يدخل نصف أمتك الجنة وإما الشفاعة يوم القيامة ، فاخترت الشفاعة لأمتي . فقال نفر الأربعة : يا رسول الله اجعلنا ممن تشفع لهم ، فقال : وجبت لكم . ثم أقبل النبي صلى الله عليه وسلم والنفر

الأربعة حتى استقبله عشرة فقالوا : أين نبينا نبي الرحمة ؟ قال نحدثهم بالذي حدث القوم فقالوا : جعلنا الله فداءك إجعلنا ممن تشفع لهم يوم القيامة ، فقال : وجبت لكم . فجاؤا جميعاً إلى عظم الناس فنادوا في الناس : هذا نبينا نبي الرحمة ، فحدثهم بالذي حدث القوم ، فنادوا بأجمعهم جعلنا الله فداءك جعلنا الله ممن تشفع لهم ، فنادى ثلاثاً : إني أشهد الله وأشهد من سمع أن شفاعتي لمن يموت لا يشرك بالله عز وجل شيئاً . رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن قرة بن حبيب ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات . انتهى . ورواه في المعجم الكبير أيضاً ج ١٨ ص ١٠٧

. وفي مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧٧

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم الرجل أنا لشرار أمتي ، فقال له رجل من جلسائه : كيف أنت يا رسول الله لخيارهم ؟ قال : أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي ، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم . ورواه الديلمي في فردوس الأخبار ج ٥ ص ٩ ح ٧٠٠٤

. وقال في الدر المنثور ج ٢ ص ١١٦

وأخرج البيهقي عن ابن عابد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب : لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس وقال : هل آراه أحد منكم على الإسلام ؟ فقال رجل : نعم يا رسول الله حرس ليلة في سبيل الله ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثى عليه التراب وقال : أصحابك يظنون أنك من أهل النار ، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة ! وقال : يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة !!

. وفي اسد الغابة ج ١ ص ١٣٢

عن أنيس الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على ظهر الأرض من حجر ومدر .



. وفي تفسير الرازي ج ١٠ جزء ١٩ ص ١٩٢

فثبت أن (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**) يتناول جميع القائلين بلا إله إلا الله محمد رسول الله قولاً واعتقاداً ، سواء كانوا من أهل الطاعة أو من أهل المعصية ! انتهى .

وهذا غريب من الرازي الذي هو حريص على العقلانية ، ولكن كثرة أحاديث أصحابه غلبته وجعلته من المرجئة الذين ينتقدهم ! فقد حكم بأن المسلم يدخل الجنة بالعقيدة فقط بدون عمل ، بل حتى لو كانت حياته سلسلة من المعاصي والطغيان والإجرام !

ولم يزد عليه في ذلك إلا الديلمي حيث روى أن شفاعة النبي ﷺ إنما جعلت من أجل جبايرة هذه الأمة وفراعتها ! قال في فردوس الأخبار ج ٢ ص ٤٩٨ ح ٣٣٩٧ :
أنس بن مالك : شفاعتي للجبايرة من أمتي ! !



وقد نقل السيوطي مجموعة كبيرة من الروايات مفادها أن الله تعالى يحاسب المسلمين على أعمالهم ويدخل قسماً منهم إلى الجنة وقسماً آخر إلى النار ، ولكن الكفار يعيرون المسلمين في جهنم بأنهم لم ينفعهم إسلامهم ، فيأنف الله تعالى ويغضب وتأخذ الغيرة للمسلمين لتوحيدهم ، فينقلهم جميعاً حتى جبابرتهم ومجرميهم وشياطينهم إلى الجنة ، فعندئذ يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين ، واستدل هو وغيره بذلك على أن جميع المسلمين يدخلون الجنة !

وقد ورد شبيه هذا المعنى في أحاديثنا من طريق أهل البيت عليهم السلام ولكنه بالنسبة إلى بعض أصناف الموحدين وليس لكل المسلمين كما تذكر هذه الروايات !

— قال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٩٢ . ٩٤ في تفسير قوله تعالى : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** :

وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في



البعث عن ابن عباس وأنس رضي الله عنهما أنهما تذاكرا هذه الآية : ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، فقالا : هذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل رحمته .

وأخرج سعيد بن منصور وهناد والبيهقي عن مجاهد رضي الله عنه في قوله : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ، قال : إذا خرج من النار من قال لا إله إلا الله .

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون : ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم ، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى من النار . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** .

وأخرج ابن أبي عاصم في السنة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار للمسلمين : ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار ! قالوا : كانت لنا ذنوب فأخذنا بها ، فسمع الله ما قالوا فأمر بكل من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا ، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا : يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : أ . ل . ر . **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ . رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** .

وأخرج إسحق ابن راهويه وابن حبان والطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنه سئل هل عندك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية شيء : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ؟ قال نعم سمعته يقول : يخرج الله أناساً من

المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نغمته منهم ، لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون : ألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار ! فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله ، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا : يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم ، فذلك قول الله : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ، قال فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم ، فيقولون : يا ربنا أذهب عنا هذا الإسم ، فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الإسم عنهم .

وأخرج هناد بن السري والطبراني في الأوسط وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى : ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار ! فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقبهم في نهر الحياة فيبرؤون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه ، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين .

وأخرج الحاكم في الكنى عن حماد رضي الله عنه قال سألت إبراهيم عن هذه الآية : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ، قال : حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام : ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين : إشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون ، حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم ، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين .

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ، قال : هذا في الجهنميين ، إذا رأوهم يخرجون من النار . انتهى .

وفي نفس الوقت روى السيوطي روايات تدل على أن تمني الكفار هذا ليس بعد دخول النار بل في يوم القيامة قبل دخول الجنة والنار . . قال : وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا** قال : ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال : موحدين .

وأخرج سعيد بن منصور وهناد بن السرى في الزهد ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ما زال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم ، حتى يقول من كان مسلماً فليدخل الجنة فذلك قوله : **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** . انتهى .



والإشكالات على هذا الرأي كثيرة يكفي منها ما تقدم من أدلة الرأي الأول .
ويكفي منها أن القول بإسقاط اشتراط العمل هو مذهب المرجئة الذين أسقطوا قوانين العقوبة الإلهية ، كما فعل اليهود من قبلهم !

وينبغي التذكير هنا بأن القرآن الكريم والأحاديث الثابتة المتفق عليها هي الميزان في قبول الأحاديث الأخرى أو ردها . . . وهذا الميزان نجد أنفسنا ملزمين بـرد الأحاديث التي تكتفي بشرط إعلان الشهادتين فقط لدخول الجنة ، وتسقط كل الشروط العملية ! لأنها تناقض عشرات الآيات والأحاديث القطعية المتفق عليها عند الجميع !

على أنه يمكن لمن ثبتت عنده هذه الأحاديث أن يؤولها بأنها تقصد التأكيد على أهمية الشهادتين ، ولا تقصد إسقاط بقية الشروط التي نصت عليها الآيات والأحاديث الأخرى ، لأنها شرط ضمني فيها ، فتكون النتيجة إخضاع هذه الأحاديث لمفاد أحاديث القول الأول ، وهو المطلوب .



الرأي الثاني : أن الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى

حتى لو كفر بنبوة النبي ﷺ !

والمستفيد الأول من هذه التوسعة هم المنافقون من قريش والأنصار ، الذين كانت تظهر منهم ظواهر النفاق وعدم الإيمان بالنبي في حياته ﷺ ، وقد جعل الله تعالى لهم علامات يعرفهم المسلمون بها ، ومن أوضحها بغض علي بن أبي طالب عليه السلام باعتباره يمثل تحدي الإسلام للكفر والنفاق ، وباعتباره أول عترة النبي ووصيه ﷺ . . . فكان حب علي وبغضه في حياة رسول الله وبنصه ﷺ ميزاناً للإيمان والنفاق ! وقد روى الجميع أحاديثه وصححوها ، منها ما رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٩٥ وص ١٢٨ وص ٢٩٢ عن زر بن حبيش عن علي عليه السلام قال عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق . ورواه الترمذي في سننه ج ٥ ص ٣٠٦

. وقال الترمذي في سننه ج ٥ ص ٢٩٨

عن أبي سعيد الخدري قال : إن كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار يبغضهم علي بن أبي طالب . هذا حديث غريب . وقد تكلم شعبة في أبي هارون العبدى ، وقد روى هذا عن الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي سعيد .

. وروى الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٢٨

عن ابن عباس عليه السلام قال نظر النبي ﷺ إلى علي فقال : يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة ، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي !! صحيح على شرط الشيخين ، وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة ، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح .

— وروى الحاكم في ج ٣ ص ١٣٥ سمعت عمار بن ياسر عليه السلام يقول سمعت رسول

الله ﷺ يقول لعلي : يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .



وروى الحاكم في ج ٣ ص ١٤٢ أن النبي ﷺ أخبر علياً بأن الأمة ستغدر به من بعده ، قال : عن حيان الأسدي سمعت علياً يقول قال لي رسول الله ﷺ : إن الأمة ستغدر بك بعدي ، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي ، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني ، وإن هذه ستخضب من هذا ، يعني لحيته من رأسه . صحيح . انتهى .

أما بعد وفاة النبي ﷺ فصار بغض علي عليه السلام جهاراً نهاراً ، ولم يعد علامةً على النفاق بل صار علامةً على (الإيمان) والتقوى والإخلاص للإسلام وتأييد السلطة الجديدة التي يعارضها علي وشيعته ! وجهر المنافقون بنفاقهم مطمئنين ! فقد روى البخاري ج ٨ ص ١٠٠ عن حذيفة بن اليمان قوله (إن المنافقين اليوم شرُّ منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ! كانوا يومئذ يسرون ، واليوم يجهرون) ! هذه الحقيقة الثابتة تنفعنا في فهم أحاديث هذا الرأي التي تريد شمول المنافقين بالشفاعة والجنة ! وهي كثيرة نورد عدداً منها ثم نذكر الملاحظات عليها :

. روى مسلم في صحيحه ج ١ ص ٤٤

عن أبي هريرة قال : كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر في نفر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا ، فقمنا فكننا أول من فزع ، فخرجت أبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطاً للأَنْصار لبني النجار ، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة . والربيع الجدول . فاحتفرت فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أبو هريرة ؟ فقلت نعم يا رسول الله ، قال : ما شأنك ؟ قلت كنت بين أظهرنا فقمنا فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا وفزعنا فكننا أول من فزع ، فأتيت هذا الحائط فاحتفرت كما يحتفر الثعلب ، وهؤلاء الناس ورائي !



فقال : يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال : إذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بما قلبه فبشره بالجنة ! فكان أول من لقيت عمر فقال : ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بما قلبه بشرته بالجنة ، فضرب عمر بيده بين ثديي فحررت لإستي ! فقال : إرجع يا أبا هريرة ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهشت بكاءً ، وركبني عمر فإذا هو على أثري ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك يا أبا هريرة ؟ ! قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثني به فضرب بين ثديي ضربةً حررت لإستي قال إرجع !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمر ما حملك على ما فعلت ؟ قال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بما قلبه بشره بالجنة ؟ قال : نعم . قال فلا تفعل ! فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فخلهم !!

. وروى البخاري في ج ١ ص ٤١

عن أنس : قال ذكر لي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ : من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة . قال ألا أبشر الناس ؟ قال : لا ، أخاف أن يتكلوا .

. وروى البخاري في ج ١ ص ١٠٩

قال أخبرني محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرًا من الأنصار ، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي ، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم ، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأأخذ مصلي .

قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : سأفعل إن شاء الله ، قال عتبان : فغدا



رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حين ارتفع النهار ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حين دخل البيت ، ثم قال : أين تحب أن أصلي من بيتك ؟ قال : فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر فقمنا فصفنا فصلى ركعتين ثم سلم ، قال وحسنه على خزيمة صنعناها له قال فتاب في البيت رجال من أهل الدار ذووا عدد ، فاجتمعوا فقال قائل منهم : أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن ؟ فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجهه الله ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : فإننا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ! ! ورواه في كنز العمال ج ١ ص ٣٠٢

. وروى البخاري ج ٢ ص ٥٥ وج ٦ ص ٢٠٢

فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله .

. وروى شبيهه في ج ١ ص ٣٣ ، ورواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ٤٤ .

. وروى البخاري في ج ٧ ص ١٧٢

عن أحد بني سالم قال غدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لن يواني عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي به وجه الله إلا حرم الله عليه النار .

. وروى البخاري في ج ٢ ص ٦٩

عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أممي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ! قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال وإن زنى وإن سرق . . . عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار . وقلت أنا : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ! !



. وروى البخاري في ج ٧ ص ٤٣

أن أبا ذر حدثه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ! قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال وإن زنى وإن سرق ! قلت وإن زنى وإن سرق ؟ ! قال وإن زنى وإن سرق ، على رغم أنف أبي ذر ! ! وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال : وإن رغم أنف أبي ذر ! ! قال أبو عبد الله : هذا عند الموت أو قبله . انتهى .

وأبو عبد الله هو البخاري نفسه ، وهو يريد بقوله هذا تخفيف إطلاق الحديث ووضع شرط للتوحيد المذكور فيه ، بأنه المسلم الجرم يدخل الجنة بشرط أن يقول (لا إله إلا الله) قبل موته أو عند موته . ولكن الحديث مطلق وليس فيه هذا الشرط !

. وروى النسائي في ج ٨ ص ١١٢

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما مجادلة أحدكم في لاحق ييكون له في الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار ، قال يقولون : ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار ! قال فيقول : إذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم ، قال فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم ، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من أخذته إلى كعبيه ، فيخرجونهم فيقولون : ربنا قد أخرجنا من أمرتنا ، قال : ويقول أخرجوا من كان في قلبه وزن نصف دينار ، حتى يقول من كان في قلبه وزن ذرة ! قال أبو سعيد : فمن لم يصدق فليقرأ هذه الآية : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء إلى عظيماً .

. وروى أحمد مسنده ج ٤ ص ٤٣

ذكروا المنافقين وما يلقون من أذاهم وشهرهم حتى صيروا أمرهم إلى رجل منهم



يقال له مالك بن الدخشم ، وقالوا : من حاله ، ومن حاله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت ، فلما أكثروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ ! فلما كان في الثالثة قالوا : إنه ليقوله . قال : والذي بعثني بالحق لعن قائلها صادقاً من قلبه لا تأكله النار أبداً ! قالوا فما فرحوا بشيء قط كفرحهم بما قال ! ! . انتهى .

وابن الدخشن هذا ، أو الدخشم ، أو الدخيشن ، هو الذي ذكره البخاري وهو رئيس المنافقين الرسمي بعد ابن سلول ! ! ويمكنك أن تفكر فيما يزعمه هذا الحديث من أن أكبر فرحة للمسلمين كانت في ذلك اليوم ، أي يوم ساوى النبي ﷺ بين المسلمين والمنافقين الذين قال الله تعالى فيهم ما قال ! !

ولعمري إنها فرحة السلطة وأتباعها الذين أرادوا حل مشكلة المنافقين لتأييدهم لهم ، فألصقوا ذلك بالنبي ﷺ ! !

. وروى أحمد في ج ٤ ص ٤١١ .

عن أبي بكر بن أبي موسى (الأشعري) عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبشروا وبشروا الناس من قال لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة ، فخرجوا يبشرون الناس ، فلقيهم عمر رضي الله عنه فبشروه فردهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ردكم ؟ قالوا عمر ، قال : لم رددهم يا عمر ؟ قال إذا يتكل الناس يا رسول الله ! . انتهى . وقال عنه في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ رجاله ثقات .

. وروى أحمد ج ١ ص ٤٦٤ .

عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة وأنا أقول أخرى ! من مات وهو يجعل لله ندا أدخله الله النار . قال وقال عبد الله : وأنا أقول : من مات وهو لا يجعل لله ندا أدخله الله الجنة ! ! . انتهى .

— ولكن أحمد روى في ج ٢ ص ١٧٠ أن عبد الله بن عمرو بن العاص نسب الكلمتين إلى النبي ﷺ ! قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من لقي الله وهو لا

يشرك به شيئاً دخل الجنة ولم تضره معه خطيئة ، كما لو لقيه وهو مشرك به دخل النار ولم ينفعه معه حسنة . انتهى .

. ولكن أحمد روى هذا الحديث أيضاً عن عبد الله بن مسعود وليس عبد الله بن عمرو !

قال في ج ١ ص ٣٧٤ : قال ابن مسعود : خصلتان يعني إحداهما سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخرى من نفسي : من مات وهو يجعل لله ندا دخل النار . وأنا أقول من مات . . . الخ .

. وروى الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٣

عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال جئت في اثني عشر ركباً حتى حللنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابي : من يرعى إبلنا وننطلق فنقتبس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا راح اقتبسناه ما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : أنا ، ثم قلت في نفسي : لعل مغبون ، يسمع أصحابي ما لا أسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فحضرت يوماً فسمعت رجلاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من توضع وضوءه كاملاً ثم قام إلى صلاة كان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فتعجبت من ذلك ، فقال عمر بن الخطاب : فكيف لو سمعت الكلام الآخر كنت أشد عجباً ! فقلت : أردد عليّ جعلني الله فداءك ، فقال عمر بن الخطاب : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : من مات لا يشرك بالله شيئاً فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء ، ولها ثمانية أبواب ! فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست مستقبلة فصرف وجهه عني ، فقممت فاستقبلته ففعل ذلك ثلاث مرات فلما كانت الرابعة ، قلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي لم تصرف وجهك عني ؟ ! فأقبل عليّ فقال : أواحد أحب إليك أم اثنا عشر ؟ مرتين أو ثلاثاً ! فلما رأيت ذلك رجعت إلى أصحابي !

. وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٢

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من مات



يؤمن بالله واليوم الآخر ، قيل له أدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت . رواه أحمد وفي إسناده شهر بن حوشب وقد وثق . وأورده أيضاً في ص ٤٩

. وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٢

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : جئت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في أناس من أصحابه فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأدركت آخر الحديث ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى أربع ركعات قبل العصر لم تمسه النار ! فقلت بيدي هكذا يحرك بيده إن هذا حديث جيد ، فقال عمر بن الخطاب : لما فاتك من صدر الحديث أجود وأجود ! قلت يا ابن الخطاب فهات ، فقال عمر بن الخطاب : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ! !

. وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة . قال قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ! قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق ! قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء ! قال فخرجت لأنادي بها في الناس فلقيني عمر فقال إرجع فإن الناس إن علموا بهذه اتكلوا عليها ! قال : فرجعت فأخبرته صلى الله عليه وسلم فقال : صدق عمر .

رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وإسناده أحمد أصح ، وفيه ابن لهيعة وقد احتج به غير واحد . ورواه في الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٠

. وروى أحمد ج ٥ ص ١٧٠

حدثني جسة بنت دجاجة أنها انطلقت معتمرة فانتهدت إلى الربرة فسمعت أباذر يقول : قام النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي في صلاة العشاء فصلى بالقوم ثم تخلف أصحاب له يصلون ، فلما رأى قيامهم وتخلفهم انصرف إلى رحله ،

فلما رأى القوم قد أخلوا المكان رجع إلى مكانه فصلى ، فجئت فقممت خلفه فأومأ إليّ بيمينه فقممت عن يمينه ، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه ، فأومأ إليه بشماله فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا ، يصلي كل رجل منا بنفسه ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو ، فقام بآية من القرآن يرددها حتى صلى الغداة ، فبعد أن أصبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسعود أن سله ما أراد إلى ما صنع البارحة ؟ فقال ابن مسعود بيده لا أسأله عن شيء حتى يحدث إلي ، فقلت : بأبي أنت وأمي قمت بآية من القرآن ومعك القرآن ؟ ! لو فعل هذا بعضنا وجدنا عليه ، قال : دعوت لأمتي ، قال : فماذا أجبته أو ماذا عليك ؟ قال : أجبته بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طلعةً تركوا الصلاة ! قال : أفلا أبشر الناس ؟ قال بلى ، فانطلقت معنقاً قريباً من قذفة بجحر ، فقال عمر : يا رسول الله إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نكلوا عن العبادة ، فنادى أن ارجع ، فرجع .

. وروى أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٠٧ وفي ص ٥١٨

عن أبي هريرة أنه سمعه يقول : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا رد إليك ربك في الشفاعة ؟ فقال : والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم ! والذي نفس محمد بيده ما يهمني من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي ، وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه . ورواه الديلمي في فردوس الأخبار ج ٢ ص ١٩٧ ح ٣٣٩٥

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٤

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد قال : لما نزلت : فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، فاستقبل عمر الرسول فرده ، فقال : يا رسول الله



خشيت أن يتكل الناس فلا يعملون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو يعلم الناس قدر رحمة الله لا تكلوا ولو يعلمون قدر سخط الله وعقابه لاستصغروا أعمالهم !

. الدر المنثور ج ٤ ص ٩٣

وأخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين ، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم ، ولا يقربون بالشياطين ولا يغلبون بالسلاسل ، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران ، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد ، وصورهم على النار من أجل السجود ، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه ، ومنهم من تأخذه النار إلى عقبه ، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذه ، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه ، على قدر ذنوبهم وأعمالهم . ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها ، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفتى .

فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد : آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء ، فغضب الله غضباً لم يغضبه لشيء فيما مضى ، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط فينبئون فيها نبات الطرائيث في حميل السيل ، ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن ، فيمكثون في الجنة ما شاء الله أن يمكثوا ، ثم يسألون الله تعالى أن يمحو ذلك الإسم عنهم ، فيبعث الله ملكاً فيمحوه ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقى فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهاهم الله على عرشه ، ويشغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم ، وذلك قوله : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ .**



. وقال ابن باز في فتاويه ج ١ ص ١٧٩

روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك قال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه . انتهى .



ملاحظات على روايات هذا الرأي

أولاً : نلاحظ في أحاديث هذا الرأي بل هذا المذهب ، اضطرابها وتعارضها إلى حد التناقض ! ولعل أصلها رواية مسلم التي ضرب فيها عمر أبا هريرة حتى خر لإسته ! والمقصود منها ومن أمثالها إثبات أن النبي ﷺ قد (اعترف وشهد) بأن توحيد الله تعالى فقط كاف لدخول الجنة ، وأنه لا يحتاج الأمر إلى الإيمان بنبوته ولا شفاعته ﷺ !

ويلاحظ أنها تؤكد على أن الذي قال ذلك هو النبي نفسه ﷺ وليس عمر ! بل إن عمر كان مخالفاً لذلك ، وقد ردّ أبا هريرة من الطريق وضربه ، واعترض على النبي مرات ومرات ، وقد أطاعه النبي ﷺ في بعض المرات ، ثم أصرّ النبي على هذا القول فهو الذي يتحمل مسؤوليته ، وليس عمر ، ولا أبو موسى ، ولا أبو هريرة ، ولا كعب الأحماس !!

ثانياً : أن هذا المذهب يلغي حاجة المسلمين إلى الشفاعة أصلاً !! فأحاديثه تبشر بالجنة كل من قال (لا إله إلا الله) وتشمل رواياته اليهود والنصارى وغيرهم ، فلا يبقى معنى للشفاعة !!

ثالثاً : أنه يلغي الحاجة إلى أصل الإسلام ونبوة نبينا ﷺ ! لأن رواياته تقول إن الله تعالى يقبل إيمان الموحد ويدخله الجنة لتوحيده ، حتى لو كفر بنبوة محمد ﷺ ! فلا يبقى مبرر لجهاد النبي ﷺ وحروبه وشدته على الكافرين بنبوته ! ولا يبقى معنى لقوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)



وكيف يجراً مسلم على قبول رأي من رواة أو خليفة ، يستلزم إبطال دينه من أصله ؟ ! !

رابعاً : تزعم روايات هذا المذهب عدم عصمة النبي ﷺ وأنه أخطأ في تبليغ الرسالة وصحح له عمر وأقنعه بخطئه ! على أنه توجد رواية أخرى في تهذيب الكمال ج ٤ ص ٣١ وفي مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ تقول إن النبي لم يقتنع وأصرَّ على رأيه ، وقال لعمر : دعهم يتكلموا ! وتوجد رواية أخرى في مجمع الزوائد وفي مسند أحمد ج ٤ ص ٤٠٢ تقول إن النبي سكت ! . الخ .

ومن جهة أخرى تدل هذه الروايات على عدم إيمان عمر بعصمة النبي ﷺ وتعطي لعمر دور الناظر على أعمال النبي ﷺ والولاية عليه لتصحيح أخطائه ! بينما يؤكد الله تعالى عصمة رسوله ﷺ في كل كلمة يتفوه بها ، فيقول (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**) !

خامساً : تقدمت رواية أن عمر هو الذي بشر الناس ، ولعله اقترح على النبي أن يبشر الناس بذلك فنهاه النبي ﷺ !! ! وقد روى الهيثمي رواية فيها تصريح بأن الذي أراد تبشير الناس هو عمر وإن كانت متناقضة ، قال (وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ناد يا عمر في الناس إنه من مات يعبد الله مخلصاً من قلبه أدخله الله الجنة وحرم على النار ! قال فقال عمر : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا ، لا ، يتكلموا . انتهى .

فأول الرواية يقول : إن النبي أمر عمر بالنداء ، وآخرها يقول إن عمر اقترح النداء فلم يقبل به النبي ﷺ ونهاه عنه !

وهذا يؤيد أن يكون أصل القضية كلها محاولة من عمر لتبشير الناس بعدم اشتراط العمل للجنة ، فنهاه النبي ﷺ .

سادساً : إن روايات (ضياع النبي !) في غزوة من غزواته أو في المدينة ، قد حملت من التناقض واللامعقول ما يوجب على الباحث بل على القارئ الشك فيها

من أصلها !

فحديث مسلم يقول : إنهم (أضاعوا) النبي ﷺ في المدينة حتى وحده أبو هريرة في بستان في المدينة لبني النجار ! وروايتا الطبراني المتقدمتان عن عوف بن مالك والنضر بن أنس تقولان إنهم أضاعوا النبي في إحدى الغزوات ! أو خرج مبهوتاً في وسط الليل ! وبعض رواياتهما تقول إن النبي ﷺ لم يضع بل كان في بيته أو في مسجده وأمر أبو موسى ونفراً من قومه أن يبشروا الناس فلما خرجوا من عنده لقيهم عمر . . . الخ . وقد رواها أحمد ج ٤ ص ٤٠٢ وص ٤١١ وقال عنها مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ (رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات) .

ثم إن رواية مسلم تقول : إن بطل القصة المأمور بالنداء هو أبو هريرة وأن عمر ضربه ! بينما تقول روايات أخرى إن المأمور بالنداء أبو موسى الأشعري ونفر من الأشعريين وأن عمر رده ولم يضربه ! وأخرى تقول : إن المأمور هو أبو الدرداء ، وأخرى تقول : إنه أبو ذر ، وأخرى تقول : إنه عمر . . . الخ . ورواية أبي سعيد تذكر مأموراً بدون تسمية !

أما روايات الطبراني فتذكر بطلين آخرين للحادثة هما عوف والنضر ، وفي رواية أخرى في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٣ إنه عقبة بن عامر !

وتوجد رواية في مجمع الزوائد تقول إن البطل الوحيد هو عمر ، ولا يوجد غيره قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ وعن عمر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يؤذن في الناس أنه : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً دخل الجنة ، فقال عمر : يا رسول الله إذا يتكلموا فقال : دعهم . رواه أبو يعلى والبزار إلا أن عمر قال يا رسول الله إذا يتكلموا ! قال دعهم يتكلموا . انتهى .

أما رواية البخاري فتذكر أن بطل الرواية معاذ فقط ، وأنه اقترح تبشير الناس بذلك فنهاه النبي ﷺ ، ورواية أحمد تذكر أن بطلها عبادة بن الصامت . . . وقد تقدمت

الروايتان في الرأي الثاني لأنهما اشترطتا الشهادة بالنبوة ! !



ولو أردنا مواصلة بحث ملف ضياع النبي المزعوم ، والنداء المزعوم ، لوجدنا فيها تناقضات أخرى توجب سقوط أصل القصة عن الصلاحية لإثبات حكم شرعي عادي ، فكيف تصلح لإثبات عقيدة خطيرة ، أخطر من مذهب المرجئة ؟ ! لأن المرجئة يشترطون لدخول الجنة الشهادتين ، وهذه القصة تلغي الشهادة الثانية ! !

سابعاً : توجد روايات تناقض هذا الرأي عن الخليفة عمر نفسه وتقول إن الذي يسرق عباءة من الغنائم يحرم من دخول الجنة ، حتى لو كان السارق مسلماً واستشهد في سبيل الله تعالى ! وتقول إن النبي ﷺ قد أمر عمر أن ينادي بنداء مضاد لما ذكرته قصة ضياع النبي ﷺ ونداء النعلين ! !

فقد روى أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٠ و ص ٤٧ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد فلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة ! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن الخطاب إذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون قال : فخرجت فناديت : ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . انتهى .

فإذا كانت سرقة عباءة تمنع صاحبها (الشهيد) من دخول الجنة ، فكيف تكون شهادة (لا إله إلا الله) وحدها بدون عمل كافية لدخول الجنة ؟ !
وإذا كان النبي ﷺ قد أمر عمر بهذا النداء ، فكيف أمر عمر نفسه أو غيره بنداء مناقض له ؟ ! وكيف لم يعترض عليه عمر وهو المعروف بكثرة اعتراضاته ؟ !

ثم إن قصة سارق العباءة والنداء بشرط الإيمان والعمل الصالح ، كانتا في خيبر ، وهذه ظاهرة تحديد في الرواية توجب نوعاً من الثقة ، ولكنك لا تجد في قصة ضياع النبي ﷺ والنداء المضاد المزعومين شيئاً من التحديد ، لا اسم الغزوة ، ولا اسم البستان ، بل لا تجد إلا مجملاً في مجمل ، وتناقضاً بعد تناقض !

وبما أن أغلب روايات هذه القصة تشترك في ذكر دور عمر ومناقشته للنبي ﷺ ونصحه إياه بضرر إعلان ذلك للناس ، يترجح في الذهن احتمال أن يكون أصل القصة أن الخليفة عمر هو الذي بشر الناس كما نصت الروايات المتقدمة ، وقد يكون اقترح على النبي ﷺ أن يأمره بذلك فلم يقبل ، وأن النبي ﷺ ما ضاع لا في غزوتين ولا في غزوة ، ولا خرج مذعوراً في الليل من كلام جبرئيل ، ولا ضاع في المدينة ، ولا اختبأ في بستان ، ولا أعطى نعليه لأبي هريرة علامة للناس بأنه مبعوث من النبي ﷺ ، ولا ضرب عمر أبا هريرة حتى خر لإسته ! فعندما تتناقض الروايات ولا يمكن الجمع بينها ، أو تكون مخالفة للقرآن وللسنة القطعية المتفق عليها . . فلا مجال أمام الباحث إلا ترجيح هذا الاحتمال الأخير .

ثامناً ثبت عند الجميع أن النبي ﷺ قد أرسل علياً عليه السلام الى مكة بأمر من الله تعالى لإبلاغ سورة براءة ، وأمره أن ينادي في الناس بعدة أمور ، منها (لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة) !

وقد روى ذلك أحمد ج ١ ص ٤٧ وص ٧٩ والنسائي ج ٥ ص ٢٣٤ والدارمي ج ٢ ص ٢٣٠ وغيرهم ، وفي أحمد ج ٥ ص ٤٣٨ : نفس مسلمة) .

وروايات هذا النداء ثابتة عند الطرفين ، وليست مهزوزة مثل نداء النعلين المزعوم !

ثم إن هذا النداء كان بعد فتح مكة ، فلا بد للقائل بصحة روايات نداء النعلين أن يقول إنه ناسخ لهذا النداء ، وأن يثبت صحة قصته وأنها كانت بعد نداء مكة . . ولكن دون إثبات ذلك خرط القتاد !

أما الأحاديث الأخرى التي استدلوا بها على هذا المذهب ، فليست أحسن حالاً من حديث (ضياع النبي ﷺ واختفائه واختبائه ونداء النعلين) في تضاريفها وتعارضها مع غيرها . . ويكفي لردها الروايات التي تقدمت في الرأي الأول .

وأخيراً ، فقد آن لإخواننا فقهاء السنة أن ينظروا بجديّة إلى تناقضات روايات الصحاح ومخالفاتها الصريحة للقرآن وضرورات الإسلام ، ويعيدوا النظر في مفهومهم للصحيح والحجة الشرعية !

ذلك أن صريح العقل هو الأصل الذي وصلنا به إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ثم وصلنا به إلى قطيعات الشرع الشريف . وحبُّنا للصحاح وأصحابها وأسانيدها لا يجوز أن يوصلنا إلى التنازل عن قطيعات الشرع والعقل ، لأن إبطال الأصل يستلزم إبطال الفرع الذي نخبه ، وبالنتيجة خسارة كل شيء !!



أحاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه !

بمقتضى أحاديثهم في استحقاق الموحد لدخول الجنة ، فلا يحتاج الأمر إلى شفاعة ، بل تصير الشفاعة من نصيب المشركين !

ولكن أصحاب هذا الرأي احتاطوا في أمر أصحابهم فشملوهم بالشفاعة ! واختلفت رواياتهم في من يشفع فيهم ! فقال بعضها إن النبي ﷺ هو الذي يشفع في الموحدين ، وقال بعضها إن إسحاق هو شفيع الموحدين ، وقد صحح الحاكم روايته على شرط الشيخين ، كما سيأتي في مسألة الذبيح ! وقال بعضها إن النبي ﷺ يطلب من الله تعالى أن يعطيه الشفاعة فيهم فلا يعطيه إياها بل يستأثر بها لنفسه ، فكأنه تعالى يريد أن يجازيهم هو شخصياً ، لأنهم شهدوا بتوحيده !!

. قال في كنز العمال ج ١ ص ٥٦

ما زلت أشفع إلى ربي فيشفعني حتى أقول : شفّعني فيمن قال لا إله إلا الله ، فيقول : ليست هذه لك يا محمد ! إنما هي لي ! أنا وعزتي وحلمي ورحمتي لا أدع في النار أحداً قال لا إله إلا الله . ع عن أنس . انتهى . وأورده الرازي في تفسيره ج ١١ جزء ٢٢ ص ١٠ . وفي كنز العمال ج ١ ص ٦٤ فيقال : ليست هذه لك ولا لأحد ، هذا إليّ ،



فلا يبقى أحد قال لا إله إلا الله إلا أخرج منها . الديلمي عن أنس .

. طبقات الحنابلة لأبي يعلى ج ١ ص ٣١٢

قال أحمد بن حنبل : إذا لم يبق لأحد شفاعة قال الله تعالى : أنا أرحم الراحمين ،
فيدخل كفه في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره .

. وروى البيهقي في سننه ج ١٠ ص ٤٢

عن معبد بن هلال العنزي قال : أتيت أنس بن مالك رضي الله عنه في رهط من أهل البصرة
وسماهم لنا ، نسأله عن حديث الشفاعة ، فذكر الحديث بطوله في سؤاله وجوابه
وخرجهم من عنده ودخلهم عن الحسن بن أبي الحسن البصري ، قال الحسن
حدثني كما حدثكم ، قال ثم قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم : فأجئ في الرابعة
فأحمد بتلك المحامد ثم أحر له ساجداً فيقال لي يا محمد إرفع رأسك قل يسمع
لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول يا رب إئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول
ليس ذلك إليك ولكني وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله .
رواه البخاري في الصحيح عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد زاد فيه (وجمالي) ورواه
مسلم عن سعيد بن منصور وغيره .

. ولكن الديلمي روى في فردوس الأخبار ج ٣ ص ٢٧٦ ح ٤٦٩٥

أن الله تعالى يتنازل ويعطي الشفاعة فيهم لرسوله صلى الله عليه وسلم ! قال عمرو بن العاص :
قلت يا رب شفعني فيمن قال لا إله إلا الله ، قال : لك ذلك ! انتهى .

— وقال الثعالبي في الجواهر الحسان ج ١ ص ٣٥١ في تفسير الآية ٤٠ من سورة النساء
: فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا
أرحم الراحمين فيقطب قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط !

. وقال في ج ٢ ص ٣٦٠ :

وأحاديث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر من أعظمها شفاعة أرحم



الراحمين ففي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال : فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون . . . الخ .

ورواه البغوي في مصابيح السنة ج ٣ ص ٥٤٢

وقد أوردنا روايات هذه (الشفاعة) من مصادر السنيين في المجلد الثاني في ادعائهم رؤية الله تعالى بالعين في الآخرة ! ومعناها أن الله تعالى يتوسط عند نفسه ، وهو معنى عامي للشفاعة ! والظاهر أن أصلها الحديث المروي في مصادرنا عن الإمام محمد الباقر عليه السلام الذي رواه في بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦١ عن حمزان قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الكفار والمشركين يرون أهل التوحيد في النار فيقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً ، وما أنتم ونحن إلا سواء ! قال : فيأنف لهم الرب عز وجل فيقول للملائكة : إشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ، ويقول للمؤمنين مثل ذلك ، حتى إذا لم يبق أحدٌ تبلغه الشفاعة ، قال تبارك وتعالى : أنا أرحم الراحمين ، أخرجوا برحمتي ، فيخرجون كما يخرج الفراش ، قال : ثم قال أبو جعفر عليه السلام : ثم مدت العُمد وأعمدت عليهم ، وكان والله الخلود . انتهى .

ورواه في تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٢٣ عن مجمع البيان عن العياشي .

والمقصود بأهل التوحيد الذين تشملهم الشفاعة في هذه الرواية ، المسلمون الذين ارتضى الله دينهم وأماهم على التوحيد . . . فقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن بعض أصحاب المعاصي والانحرافات الكبيرة ، يسلب منهم التوحيد قبل موتهم ، والعياذ بالله !!



الرأي الثالث : أن الشفاعة تشمل جميع الخلق !

. مجموعة الرسائل لابن تيمية ج ١ ص ١٠

أجمع المسلمون على أن النبي (ص) يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك ، وبعد أن يأذن الله في الشفاعة . ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة . . . أنه يشفع لأهل الكبائر ويشفع أيضاً لعموم الخلق . . . أما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعته إنما هي للمؤمنين خاصة . . . ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً . . . ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار .

. ولكن ابن باز لم يأخذ بفتوى إمامه ابن تيمية فقال في فتاويه ج ٤ ص ٣٦٨

إن المشرك إذا مات على شركه فهو مخلد في النار أبداً بإجماع أهل العلم ، وذلك مثل الذي يعبد الأصنام أو الأحجار أو الأشجار أو الكواكب . . . أو يعبد الأموات ومن يسموئهم بالأولياء ، أو يستغيث بهم ويطلب منهم المدد أو العون عند قبورهم ، مثل قول بعضهم : يا سيدي فلان المدد المدد ، يا سيدي البدوي المدد المدد . . . أو يا سيدي رسول الله المدد المدد الغوث الغوث ، أو يا سيدي الحسين أو يا فاطمة أو يا ست زينب ، أو غير ذلك ممن يدعوه المشركون . . . وهذا كله من الشرك الأكبر ، فإذا مات عليه صاحبه صار من أهل النار . انتهى .

فإن عجت فاعجب لابن تيمية إمام الوهابيين حيث يحكم بدخول إبليس وقاييل وفرعون وغمرد الجنة لأنهم من عموم الخلق ! ولإمامهم المعاصر ابن باز حيث يحكم بأن ملايين المسلمين الذين يدعون الله تعالى ويطلبون من أوليائه مدداً مما أعطاهم الله تعالى كلهم (مشركون) مخلدون في النار أبداً الآباد ! !

. مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧٩

وعن أنيس الأنصاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني



لأشفع يوم القيامة في كل شيء مما على وجه الأرض من حجر ومدر . رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه أحمد بن عمرو صاحب علي بن المديني ويعرف بالقلوري ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم . انتهى . ورواه ابن عبد البر في الإستيعاب ج ١ ص ١١٤ والديلمي في فردوس الأخبار ج ١ ص ٩٣ ح ١٧٤ عن بريدة الأسلمي وفيه (لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر) .

. الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٦

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر : حدثني إلى ما تنتهي شفاعة محمد يوم القيامة ؟ ! فقال كعب : قد أخبرك الله في القرآن أن الله يقول (**مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ إِلَى قَوْلِهِ الْيَقِينُ**) قال كعب : فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط ويطعم مسكيناً قط ومن لم يؤمن بعث قط ، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير !) انتهى .

وإذا أراد كعب بقوله (حتى يبلغ ، فإذا بلغت هؤلاء) أن النبي يشفع حتى يبلغ هؤلاء فيشفع لهم أيضاً ، فلم يبق أحد في النار ! وإن أراد أنه يبلغهم ويقف عندهم ، فمعناه أن كعباً لا يشترط لشمول الشفاعة إلا الإيمان بيوم الدين ، وعملاً واحداً من الأعمال المذكورة !

. كنز العمال ج ١٤ ص ٥١١ عن ابن عساكر :

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده ! إني لسيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، وإن بيدي لواء الحمد وإن تحته آدم ومن دونه ولا فخر ، ينادي الله يومئذ آدم فيقول : يا آدم ، فيقول لبيك رب وسعديك ، فيقول : أخرج من ذريتك بعث النار ، فيقول : يا رب وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فيخرج ما لا يعلم عدده إلا الله ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أكرمك الله وخلقك بيده ، ونفخ فيك وروحه وأسكنك جنته ، وأمر الملائكة



فسجدوا لك ، فاشفع لذريتك أن لا تحرق اليوم بالنار ، فيقول آدم : ليس ذلك إليّ اليوم ، ولكن سأرشدكم ، عليكم بنوح فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح إشفع لذرية آدم فيقول : ليس ذلك إليّ اليوم ولكن عليكم بعبد اصطفاه الله بكلامه ورسالته وصنع على عينه وألقى عليه محبة منه موسى وأنا معكم ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت عبد اصطفاك الله برسالته وبكلامه وصنعت على عينه وألقى عليك محبة منه إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار ، فيقول : ليس ذلك إليّ اليوم عليكم بروح الله وكلمته عيسى فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت روح الله وكلمته إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار ، فيقول : ليس ذلك إليّ اليوم ولكن سأرشدكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين أحمد وأنا معكم ، فيأتون أحمد فيقولون : يا أحمد جعلك الله رحمة للعالمين إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار ، فأقول : نعم أنا صاحبها فأتي حتى آخذ بملقمة باب الجنة فيقال : من هذا أحمد ؟ فيفتح لي فإذا نظرت إلى الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً ، ثم يفتح لي من التحييد والثناء على الرب شيئاً لا يفتح لأحد من الخلق ثم يقال : إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار فيقول الرب جل جلاله : إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال قدر قيراط من إيمان فأخرجوه !

ثم يعودون إليّ فيقولون : ذرية آدم لا يحرقون اليوم بالنار فأتي حتى آخذ بملقمة الجنة فيقال : من هذا ؟ فأقول أحمد ، فيفتح لي فإذا نظرت الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً مثل سجودي أول مرة ومثله معه فيفتح لي من الثناء على الرب والتحييد مثل ما فتح لي أول مرة ، فيقال : إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار ! فيقول الرب : إذهبوا من وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه !

ثم آتي حتى أصنع مثل ما صنعت أول مرة فإذا نظرت إلى الجبار عز جلاله



خررت ساجداً فأسجد كسجودي أول مرة ومثله معه فيفتح لي من الشاء والتحميد مثل ذلك ثم يقال : إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار ! فيقول الرب : إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون ما لا يعلم عدده إلا الله ويبقى أكثر . ثم يؤذن لآدم في الشفاعة فيشفع لعشرة آلاف ألف ثم يؤذن للملائكة والنبیین فيشفعون ثم يؤذن للمؤمنين فيشفعون وإن المؤمن يشفع يومئذ لأكثر من ربيعة ومضر . انتهى .

ومن الواضح أن هذه الرواية تطرح ذرية آدم كلهم موضوعاً للشفاعة ، ولكنها (تحتاط) من التصريح بشمول الشفاعة لهم ، على عكس الروايات والآراء المتقدمة التي صرحت بشمول الشفاعة لجميع الخلق !

وإذا كان هذا الرأي يحتاج إلى رد ، فإن ما تقدم في أدلة الرأي الموافق لمذهبنا ، وما تقدم في نقد الآراء التوسيعية السابقة كافٍ لرده .



الرأي الرابع أن العقاب في الآخرة ينتهي كلياً

وأن جهنم تبنى وينقل أهلها إلى الجنة !

وهذه المسألة من مسائل المعاد لا الشفاعة ، ولكن بحثناها هنا لذكر الشفاعة في كثير من رواياتها .

وأول من قال من المسلمين بفناء النار هو الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد تأثر به عدد من المذاهب الكلامية . ولكن أكثر المتعصبين لعمر لم يأخذوا بقوله هذا ، ما عدا ابن تيمية وبعض تلاميذه ، كما ستري !

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥١

وأخرج ابن المنذر عن الحسن بن عمر رضي الله عنه قال : لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عاج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه . انتهى . ورواه الشوكاني في فتح القدير ج ٢ ص ٦٥٨ وغيره ، وعالج : منطقة رملية في بين صحراء نجد والبحرين .

آراء المسلمين في آيات الخلود وأحاديثه

من عادة الكلاميين والمفسرين عندما يجدون قولاً لصحابي يجونونه مخالفاً لآيات محكمة وأحاديث صريحة ، كمسألتنا هذه أنهم يحشدون للقارئ أقوالاً وآراء عديدة متضاربة متناقضة ، ويؤيدونها بروايات كثيرة متضاربة أيضاً ، وكأن واحد منهم متحيزٌ يكتب للناس تحيره ويستغيث بهم ! أو كأن هدفه بدل التفسير والتوضيح ترويض ذهن القارئ وتدويجه لكي يقبل التناقض الذي يريد إقناعه به !

وموضوعنا هذا واحدٌ من هذه الموضوعات التي اتبع فيها المفسرون السنيون هذه السياسة .

وتفادياً لذلك نقدم رأي أهل البيت عليهم السلام وعلماء مذهبهم في المسألة وما وافقهم وما خالفهم من الآراء الأخرى ، ليعرف الباحث من أين جاء الخلل إلى الرواة السنيين ومصادهم في تفسير آيات الله تعالى ، وتفسير أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الميزان



الشرعي لكل الآراء والأحاديث عند الجميع هو القرآن والمتفق عليه من السنة . .
ويضاف اليه عندنا ما ثبت عن المفسرين الشرعيين للقرآن بعد النبي ﷺ الذين هم
عترته بصريح قوله ﷺ (إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي وإنما لن يفترقا
حتى يردا علي الحوض) وحديث الثقلين صحيح عند الجميع .

أجمع المسلمون على خلود الكفار في جهنم

. الإعتقادات للصدوق ص ٥٣

باب الإعتقاد في الجنة والنار : قال الشيخ أبو جعفر عليه السلام : اعتقدنا في الجنة : أنها
دار البقاء ودار السلامة ، لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا
زوال ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر . وأنها دار الغنى ودار السعادة ، ودار المقامة
ودار الكرامة ، لا يمسه أهلها نصب ولا يمسه فيها لغوب ، لهم فيها ما تشتهي
الأنفوس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون . وأنها دار أهلها جيران الله تعالى وأوليائه
وأحباؤه وأهل كرامته .

وهم أنواع على مراتب : منهم المتعممون بتقديس الله وتسيبجه وتكبيره في
جملة ملائكته ، ومنهم المتعممون بأنواع المأكول والمشارب والفواكه والأرائك وحوار
العين واستخدام الولدان المخلدين والجلوس على النمارة والزراي ولباس
السندس ، كل منهم إنما يتلذذ بما يشتهي ويريد ، على حسب ما تعلقته همته ،
ويعطى ما عبد الله من أجله .

وقال الصادق عليه السلام : إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف : فصنف منهم
يعبدون شوقاً إلى جنته ورجاء ثوابه ، فتلك عبادة الخدام ، وصنف منهم يعبدونه
خوفاً من ناره ، فتلك عبادة العبيد ، وصنف منهم يعبدونه حباً له ، فتلك عبادة
الكرام ، وهم الأمناء ، وذلك قوله عز وجل : **وَهُمْ مِّنْ فِرْعَ يَوْمِنِ آمِنُونَ** .

واعتقدنا في النار : أنها دار الهوان ودار الإنتقام من أهل الكفر والعصيان ، ولا
يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك .



. الإعتقادات ص ٨١

واعتقدنا في قتل الأنبياء ﷺ وقتل الأئمة المعصومين ﷺ أنهم كفار مشركون مخلدون في أسفل درك من النار . ومن اعتقد بهم غير ما ذكرناه ، فليس عندنا من دين الله في شيء .

. تفسير الإمام العسكري ﷺ ص ٥٧٨

قال الله تعالى : **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ، كان عذابهم سرمداً دائماً ، وكانت ذنوبهم كفراً ، لا تلحقهم شفاعة نبي ولا وصي ، ولا خيرٍ من خيار شيعتهم .

. التبيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٥٢٤

الخلود في اللغة هو طول المكث ، ولذلك يقال : خلده في السجن وخلد الكتاب في الديوان . وقيل للأثافي : خوالد ما دامت في موضعها ، فإذا زالت لا تسمى خوالد .

والفرق بين الخلود واللدوم : أن الخلود يقتضي (في) كقولك خلد في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ، ولذلك جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود .

إلا أن خلود الكفار المراد به التأييد بلا خلاف بين الأمة . . . ومعنى خلودهم فيها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجبه من أليم العقاب ، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة فلا يتوجه إليه الوعيد بالخلود ، لأنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به ، مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم ، لأنه لو كان كذلك لأدى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم لشخص واحد . والإجماع بخلافه .

. الطهارة للشيخ الأنصاري ص ٣٨٨

ومن ذلك يعلم الجواب عما دل من الأخبار على عدم قبول توبته ، مثل قوله ﷺ : من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل على محمد ﷺ فلا توبة له وقد وجبت عليه وبانت منه امرأته ، ويقسم ما ترك على ولده . هذا مع أن عدم قبول التوبة لا ينافي الإسلام ، ودعوى المنافاة من جهة أن عدم القبول مستلزم للخلود في النار وهو ينافي الإسلام ،



مدفوع بأنه لا إجماع على خلود الكافر في النار مطلقاً حتى مثل هذا بعد التوبة .

هذا مضافاً إلى معارضتها مع عمومات قبول التوبة ، حيث أن ظاهرها القبول فيما يتعلق بأمر الآخرة من العقاب ، فتدل بظاهرها على أن المرتد تقبل توبته ولا يخلد في النار بعد التوبة ، بل يدخل الجنة فيكون مسلماً ، للإجماع على خلود الكافر في النار .

فكما يمكن تقييد هذه بغير المرتد الفطري كذلك يمكن تقييد مثل الرواية والأخبار المستفيضة بعدم قبول التوبة في دفع ما يحكمم عليه بحد الكفر من مفارقة المال والزوجة والحياة . وبعد التعارض يجب الرجوع إلى الأصل .

هذا مضافاً إلى قول الباقر عليه السلام المروي في باب إعادة الحج : من كان مؤمناً فحج وعمل في إيمانه خيراً ثم أصابته فتنة فكفر ثم تاب وآمن ؟ قال : يحسب له كل عمل صالح عمله في إيمانه ولا يبطل منه شيء .

هذا كله مع أن لنا أن نكتفي بالأصل ، ونستدل على طهارته بما دل على طهارة المسلمين .

الروايات التي توافق هذا الرأي عند إخواننا السنيين

. صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٣

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يرجنا من مكاننا ؟ فيأتون آدم فيقولون أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا ، فيقول : لست هناك ويذكر خطيئته ويقول : إئتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول : لست هناك ، ويذكر خطيئته ، إئتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً ، فيأتونه فيقول : لست هناك ، ويذكر خطيئته ، إئتوا موسى الذي كلمه الله فيأتونه فيقول : لست هناك ، فيذكر خطيئته ، إئتوا عيسى فيأتونه فيقول : لست هناك ، إئتوا



محمدًا فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله ثم يقال : إرفع رأسك ، سل تعطه ، قل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ثم أشفع فيحد لي حدًا ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن . وكان قتادة يقول عند هذا : أي وجب عليه الخلود . انتهى .

وقد روت مصادر السنين عبارة (إلا من حبسه القرآن) وفسرتها رواياتهم ومفسروهم بالتأييد . .

وممن رواها البخاري في ج ٨ ص ١٨٣ كما تقدم

ورواها أيضاً في ج ٥ ص ١٤٧ وفيه (إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود . ثم

قال البخاري : إلا من حبسه القرآن يعنى قول الله تعالى : **خَالِدِينَ فِيهَا**)

وقال في ج ٧ ص ٢٠٣ (إلا من حبسه القرآن ، وكان قتادة يقول عند هذا : أي وجب

عليه الخلود)

ورواها في ج ٨ من ص ١٧٣ (إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود)

وفي ج ٨ ص ١٨٤ : إلا من حبسه القرآن ، أي وجب عليه الخلود . انتهى .

ورواها مسلم في ج ١ ص ١٢٤ وص ١٢٥ وأحمد ج ٣ ص ١١٦ وص ٢٤٤ مثل رواية

البخاري الأخيرة .

ورواها ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٤٣ ، وكنز العمال ج ١٤ ص ٣٩٧ عن أحمد والبيهقي

والترمذي وغيرهم .

. سنن الترمذي ج ٤ ص ٩٥

باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال : يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب

العالمين فيقول ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون



فإذا أدخل الله تعالى أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : يا أهل الجنة فيطلعون حائفين ثم يقال : يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة ولأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه هو الموت الذي وكل بنا ، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت . هذا حديث حسن صحيح . ورواه أحمد في ج ٢ ص ٣٦٨

. مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٩٦

فإذا أراد الله عز وجل أن لا يخرج منها أحد غير وجوههم وألوانهم ، قال فيجيء الرجل فينظر ولا يعرف أحداً فيناديه الرجل فيقول : يا فلان أنا فلان ، فيقول : ما أعرفك ، فعند ذلك يقول : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، فيقول عند ذلك : إحصوا فيها ولا تكلمون ، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بشر . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

. الدر المنثور ج ١ ص ١٦٦

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله : **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** قال : أولئك أهلها الذين هم أهلها .
وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الأوزاعي قال سمعت ثابت بن معبد قال : ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت : **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** .

. الدر المنثور ج ٢ ص ١٦٣

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله : **وَأَنَّ تَكُ حَسَنَةً** ، وزن ذرة زادت على سيئاته يضاعفها ، فأما المشرك فيخفف به عنه العذاب ولا يخرج من النار أبداً .

. الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٧

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه



والبيهقي في البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال : يفترق ثلاث فرق فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض آباءها منابت الشيخ ، وفرقة تأخذ شط الفرات فيقاتلهم ويقاتلونهم حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام . . . وما يترك فيها أحداً فيه خير ، فإذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير وجوههم وألوانهم ، فيجزيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقال له من عرف أحداً فيخرجه فيجزيء الرجل فينظر فلا يعرف أحداً فيقول الرجل للرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك فيقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإننا ظالمون ، فيقول إخسؤوا فيها ولا تكلمون ، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم بشر .

. مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٩٥

باب الخلود لأهل النار في النار وأهل اليمان في الجنة . عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا ، قال فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ربنا هذا الموت ، فيذبح كما يذبح الكبش ، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء . رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط بنحوه والبزار ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فلما قدم عليه قال : يا أيها الناس إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يخبركم أن المرء إلى الله ، وإلى جنة أو نار ، خلود بلا موت ، وإقامة بلا ظعن .

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥٠

وأخرج البيهقي في البعث والنشور عن ابن عباس في قوله : **إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** ، قال فقد شاء ربك أن يخلد هؤلاء في النار ، وأن يخلد هؤلاء في الجنة .

وأخرج أبو الشيخ عن السدي في قوله : **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا** . . . الآية ، قال : فجاء بعد



ذلك من مشيئة الله فنسخها فأنزل الله بالمدينة : **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا** . . إلى آخر الآية ، فذهب الرجاء لأهل النار أن يخرجوا منها وأوجب لهم خلود الأبد . وقوله **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا** . . الآية قال : فجاء بعد ذلك من مشيئة الله ما نسخها فأنزل بالمدينة : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ** . . إلى قوله ظلاً ظليلاً ، فأوجب لهم خلود الأبد .

. الأحكام في الحلال والحرام ج ١ ص ٣٥

وأن من دخل الجنة أو النار من الأبرار والفجار فإنه غير خارج من أيهما ، صار إليها وحل بفعله فيها أبدأ الأبد ، لا ما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين ، وفي ذلك ما يقول رب العالمين : **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ، ويقول عز وجل : **يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** . ففي كل ذلك يخبر أن كل من دخل النار فهو مقيم فيها ، غير خارج منها من بعد مصيره إليها ، فنعود بالله من الجهل والعمى .

سبب خلود أهل النار فيها

. الكافي ج ٢ ص ٨٥

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمد ، عن المنقري ، عن أحمد بن يونس ، عن أبي هاشم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنما خلد أهل النار في النار ، لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبدأ ، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبدأ ، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ، ثم تلا قوله تعالى : **فُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ** ، قال على نيته . ورواه الصدوق في الهداية ص ١٢ وفي علل الشرائع ج ٢ ص ٥٢٣ والعياشي في تفسيره ج ٢ ص ٣١٦ والبرقي في المحاسن ج ٢ ص ٣٦



آيات الخلود في الجنة والنار

. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . البقرة . ٣٩

— بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . البقرة . ٨١ . ٨٢

. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ . البقرة . ١٦٢

— وَمَنْ يَزِدْكَ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ ، وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . البقرة . ٢١٧

— وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ، أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . البقرة . ٢٥٧

— الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ

فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

البقرة . ٢٧٥

— أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا

يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ . آل عمران ٨٧ . ٨٩

— إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . آل عمران . ١١٦

— وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ .

النساء . ١٤



— وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ
عَذَابًا عَظِيمًا . النساء . ٩٣

. قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . الأنعام . ١٢٨

— وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .
الأعراف . ٣٦

. أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ . التوبة . ١٧

— أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ، ذَلِكَ الْخِزْيُ
الْعَظِيمُ . التوبة . ٦٣

— وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ . التوبة . ٦٨

— وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ،
كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .
يونس . ٢٧

— ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ .
وَيَسْتَبِشُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ يونس ٥٢ . ٥٣

— فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ، عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ .
هود ١٠٦ . ١٠٨

— أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ . الرعد . ٥



. فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ . النحل . ٢٩

— مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ، خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا . طه . ١٠٠ . ١٠١

— إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . الأنبياء . ٩٨ . ٩٩

— وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، تَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَتَايَ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . المؤمنون . ١٠٣ . ١٠٥

. وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . السجدة . ١٤

. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيًا وَلَا نَصِيرًا . الأحزاب . ٦٥

. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ . الزمر . ٧٢

. ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ . غافر . ٧٦

— ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . فصلت . ٢٨

— إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ، وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ، وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ . الزخرف . ٧٤ . ٧٧

— وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ . محمد . ١٥



— لَنْ تُعْبِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . المجادلة . ١٧

. فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . الحشر . ١٧

. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئسَ المصيرُ . التغابن . ١٠

. وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا . الجن . ٢٣

— إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . البينة . ٦

— فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ، وَمَا نُوحِزُّهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ، يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ففِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ .

هود ١٠٣ . ١٠٨

— وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ، كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ . البقرة . ١٦٥ . ١٦٧

— إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ . المائدة . ٣٦ . ٣٧



عدم خلود الموحدين في النار في مصادرها

تقدم رأي أهل البيت عليهم السلام في ثبوت الشفاعة للمسلمين بشروط ، وأوردنا فيه حديث ابن أبي عمير عن الإمام الكاظم عليه السلام من توحيد الصدوق ص ٤٠٧ وفيه (لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود والضلال والشرك . . .) انتهى . ورواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٥١ ووصف الشيخ الأنصاري في مكاسبه ص ٣٣٥ روايته بأنها حسنة .

. بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦١

عيون أخبار الرضا : فيما كتب الرضا عليه السلام للمؤمن من محض الإسلام : إن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة ، ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها ، ومذنبو أهل التوحيد يدخلون النار ويخرجون منها ، والشفاعة جائزة لهم .

. بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٦

قال العلامة عليه السلام في شرحه على التجريد : أجمع المسلمون كافة على أن عذاب الكافر مؤبد لا ينقطع ، واختلفوا في أصحاب الكبائر من المسلمين ، فالوعيدية على أنه كذلك ، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أن عذابه منقطع ، والحق أن عقابهم منقطع لوجهين :

الأول : أنه يستحق الثواب بإيمانه لقوله تعالى : **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** ، والإيمان أعظم أفعال الخير ، فإذا استحق العقاب بالمعصية فإما يقدم الثواب على العقاب وهو باطل بالإجماع ، لأن الثواب المستحق بالإيمان دائم على ما تقدم ، أو بالعكس وهو المراد ، والجمع محال .

الثاني : يلزم أن يكون من عبد الله تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه ، ثم عصى في آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه ، مخلداً في النار ، كمن أشرك بالله مدة عمره ! وذلك محال لقبحه عند العقلاء .



. الكافي للحلي ص ٤٨١

إن قيل : فإذا كان الوعيد ثابتاً بكل معصية ومن جملته صريح الخلود والتأييد ، كيف يتم لكم ما تذهبون اليه من انقطاع عقاب بعض العصاة ؟
قيل : ثبوت الوعيد على كل معصية لا ينافي قولنا في عصاة أهل القبلة ، لأننا نقول بموجبه ، وإنما نمنع من دوامه لغير الكفار ، وثبوتها منقطعاً يجوز سقوطه بأحد ما ذكرناه ، ولا يمنع منه إجماع ولا ظاهر قرآن ، من حيث كان الإجماع حاصلًا باستحقاق العقاب دون دوامه . . . وإنما يعلم به دوام عقاب الكفر .

. الكافي للحلي ص ٤٩٢

وأهل النار من الأولين والآخرين ضربان : كفار مخلدون وإن زاد عقاب بعض على بعض بحسب كفره ، وفساق مقطوع على خروجهم من النار بعفو مبتدأ ، أو عند شفاعه ، أو انتهاء عقابهم إلى غاية مستحقه ، وحالهم في مراتب التعذيب بحسب عصيانهم . ولا يجوز أن يبلغ عقابهم في العظم عقاب الكفار ، لا قتران ما استحقوا به العقاب من المعصية بالمعرفة بالمعصي تعالى والخوف منه والرجاء لفضله ، وتسوية التوبة ، وانتفاء ذلك أجمع عن عصيان الكفار . ولا سبيل إلى العلم بمقدار إقامتهم فيها .

عدم خلود الموحدين في النار في مصادر السنين

. صحيح البخاري ج ١ ص ١٩٥

عن أبي هريرة : أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا ، يا رسول الله . قال : فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا ، قال : فإنكم ترونه كذلك . يحشر الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبّع ، فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت . وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله



عز وجل فيقول أنا ربكم ! فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ! فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا نعم ، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينحو ، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار ، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار ، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل . . . ورواه البخاري أيضاً في ج ٧ ص ٢٠٥

. صحيح البخاري ج ١ ص ١٦

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير ، قال : أبو عبد الله قال : أبان ، حدثنا قتادة ، حدثنا أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : من إيمان ، مكان خير .

. صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٢

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعاريب ! قلت : ما الثعاريب ؟ قال الضعافيس ! وكان قد سقط فمه فقلت لعمرو بن دينار : أبا محمد سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج بالشفاعة من النار ؟ قال : نعم .

حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا همام ، عن قتادة ، حدثنا أنس بن مالك عن النبي



صلى الله عليه وسلم قال : يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين . . .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله : من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً ، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، أو قال حمية السيل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية .

. وفي ص ٢٠٣

عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة ، يسمون الجهنميين .

. سنن النسائي ج ٢ ص ٢٢٩

عن الزهري ، عن عطاء بن يزيد قال : كنت جالساً إلى أبي هريرة وأبي سعيد فحدث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منصت ، قال : فتأتي الملائكة فتشفع وتشفع الرسل ، وذكر الصراط ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأكون أول من يجيز ، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه ، وأخرج من النار من يريد أن يخرج أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع ، فيعرفون بعلاماتهم أن النار تأكل كل شيء من ابن آدم إلا موضع السجود ، فيصب عليهم من ماء الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل .

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٤٩

أما قوله فمنهم شقي وسعيد ، فهم قوم من أهل الكبائر من أهل هذه القبلة يعذبهم الله بالنار ما شاء بذنوبهم ، ثم يأذن في الشفاعة لهم ، فيشفع لهم المؤمنون فيخرجهم من النار فيدخلهم الجنة ، فسماهم أشقياء حين عذبهم في النار . فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، حين أذن في الشفاعة لهم وأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، وهم هم . وأما



الذين سعدوا يعني بعد الشقاء الذي كانوا فيه ، ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، يعني الذين كانوا في النار .

. الدر المنثور ج ٢ ص ٢٨٠

قوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ**) الآيتين : أخرج مسلم وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة ، قال يزيد بن الفقير : فقلت لجابر بن عبد الله : يقول الله **يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا** ؟ قال : أتلى أول الآية : **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ، ألا إنهم الذين كفروا .

وأخرج البخاري في الأدب المفرد وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن طلق بن حبيب قال : كنت من أشد الناس تكذيباً للشفاة ، حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار ، قال : يا طلق أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ؟ ! إن الذين قرأتهم أهلها هم المشركون ، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً ثم خرجوا منها ، ثم أهوى بيده إلى أذنيه فقال : صممتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرجون من النار بعد ما دخلوا ، ونحن نقرأ كما قرأت .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس : **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا** ؟ فقال ابن عباس : ويحك اقرأ ما فوقها ، هذه للكفار .

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال : إن الله إذا فرغ من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت عرشه فيه : رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين ، قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة ، أو قال مثلي أهل الجنة ، مكتوب هاهنا منهم ، وأشار إلى نحره عتقاء الله تعالى .

فقال رجل لعكرمة : يا أبا عبد الله فإن الله يقول : **يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا** ؟ قال : ويلك أولئك هم أهلها الذين هم أهلها .



. الدر المنثور ج ٢ ص ١١١

ابن جرير والحاكم عن عمرو بن دينار قال : قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت إليه أنا وعطاء فقلت : **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ؟ قال : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم الكفار ، قلت لجابر فقوله : إنك من تدخل النار فقد أخزيتة ؟ قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار ؟ ! وإن دون ذلك خزيًا .

. الدر المنثور ج ٤ ص ٩٣

وأخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين ، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم ، ولا يقربون بالشياطين ولا يغلبون بالسلاسل ، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران ، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد . . . الخ . وقد تقدم ذلك في روايات الرأي الثاني القائل بأن التوحيد وحده كافٍ لدخول الجنة ، وأن الموحيدين كلهم يخرجون من جهنم ويدخلون الجنة ، ويسمون الجهنميين ، ويلاحظ كثرة روايات الجهنميين في مصادر السنين .

. الإمام الصادق للشيخ محمد أبي زهرة ص ٢٢٧

اتفقت الإمامية على أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة لم يخلد في العذاب . . . وإن هذا الرأي . . . يتفق مع رأي الجمهور . . . وقد نسبه إليه (الإمام جعفر الصادق عليه السلام) أبو جعفر القمي . . .

. شرح مسلم للنووي ج ١ ص ٦٩

لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ، وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة .



روايات في الصحاح تقول بخلود الموحدين في النار

ولكن توجد في مصادر السنين أحاديث تعارض الإجماع المذكور والأحاديث المتقدمة ، وتنص على خلود بعض الأصناف من أهل القبلة في جهنم !

. كالذي رواه النسائي في ج ٤ ص ٦٦

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن تحسّى سمّاً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة . . كانت حديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ورواه

أحمد في ج ٢ ص ٢٥٤ وبعضه أبو داود في ج ٢ ص ٢٢٢

. وكالذي رواه الدارمي في ج ٢ ص ٢٦٦

عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من اقتطع حق امرئ مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة . فقال له رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ! قال : وإن قضيا من أراك ! !

. والذي رواه ابن ماجه في ج ٢ ص ١٥٧

عن أبي شريح الخزازي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصيب بدم أو خبل (والخبل الجرح) فهو بالخيار بين إحدى ثلاث ، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه : أن يقتل ، أو يعفو ، أو يأخذ الدية . فمن فعل شيئاً من ذلك فعاد ، فإن له نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . انتهى .

. والذي رواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١٢ ص ٨

عن ابن عباس : **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا** قال : ليس لقاتل توبة ما نسختها آية !

— وقال النيسابوري في الوسيط ج ٢ ص ٩٦ : وقوله : **فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** . . إلى آخر الآية ، وعيدٌ شديدٌ لمن قتل مؤمناً متعمداً حرم الله قتله وحظر سفك دمه ، وقد



وردت في قتل المؤمن أخبار شداد ، فإن ابن عباس سأله رجل فقال : رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال ابن عباس : جزاؤه جهنم خالداً فيها ، قال : فإن تاب وآمن وعمل صالحاً؟ فقال ابن عباس : وأنى له التوبة ، وقد سمعت نبيكم يقول : ويحُّ له قاتل المؤمن . . .

عن القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيداً : هل لمن قتل مؤمناً توبة؟ فقال لا . . . وعن حميد عن أنس عن النبي قال : إن الله أبقى أن يجعل لقاتل المؤمن توبة . . . وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله : والذي نفسي بيده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا . . .

ومذهب أهل السنة : أن قاتل المؤمن عمداً له توبة ، عن عطاء عن ابن عباس أن رجلاً سأله : ألقاتل المؤمن توبة؟ فقلت لك توبة ، لكي لا يلقي بيده إلى التهلكة . انتهى .

ولكن هذه الرواية التي استندوا عليها عن ابن عباس تؤكد عدم قبول توبته ، ولا تدل عليها ! فلا بد لهم من طرح روايات خلود قاتل المسلم في النار وأكثالها ، والقول بأن رواياته تشديدٌ من الرواة لتخويف القاتل في مجتمع كان يستسهل القتل !

. وقد حاول النووي تأويلها فقال في شرح مسلم ج ٩ جزء ١٧ ص ٨٣

وأما قوله تعالى : **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ** ، فالصواب في معناها أن جزاؤه جهنم ، وقد يجازى به وقد يجازى بغيره ، وقد لا يجازى بل يعفى عنه ، فإن قتل عمداً مستحلاً له بغير حق ولا تأويل فهو كافر مرتد ، يخلد به في جهنم بالإجماع . . . ثم أخبر أنه لا يخلد من مات موحداً فيها ، فلا يخلد هذا ولكن قد يعفى عنه فلا يدخل النار أصلاً . . . انتهى .

وقد تضمنت محاولة النووي عدة وجوه ضعيفة ، أقواها : القول بأن القاتل عمداً يخرج بقتله عن التوحيد فيجري عليه حكم المشرك في الآخرة .

ونحن نعتقد بصحة الأحاديث التي تقول إن بعض الأعمال توجب سلب التوحيد

من صاحبها قبل الموت ، فلا يموت على التوحيد كما سيأتي ، ولكنه ذلك يحتاج في موردنا إلى دليل .

ما دل من مصادرها على أن الدار الآخرة لا موت فيها

. بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٤٩

الكافي : علي ، عن أبيه ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم وساق الحديث في مراتب خلق الأشياء يغلب كل واحد منها الآخر حيث بغى وفخر ، إلى أن قال : ثم إن الإنسان طغى وقال : من أشد مني قوة ؟ فخلق الله له الموت وقهره وذل الإنسان ، ثم إن الموت فخر في نفسه ، فقال الله عز وجل لا تفخر فإني ذابحك بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ، ثم لا أحبيك أبداً فترجى أو تخاف . . الحديث .

تذنيب : أعلم أن خلود أهل الجنة في الجنة مما أجمع عليه المسلمون ، وكذا خلود الكفار في النار ودوام تعذيبهم ، قال شارح المقاصد : أجمع المسلمون على خلود أهل الجنة في الجنة وخلود الكفار في النار .

فإن قيل : القوى الجسمانية متناهية ، فلا يعقل خلود الحياة ، وأيضاً الرطوبة التي هي مادة الحياة تفسى بالحرارة سيما حرارة نار جهنم ، فيفضي إلى الفناء ضرورة ، وأيضاً دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضية العقل !

قلنا : هذه قواعد فلسفة غير مسلمة عند المليين ، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار ، على تقدير تناهي القوى وزوال الحياة ، لجواز أن يخلق الله البدل فيدوم الثواب والعقاب ، قال الله تعالى : **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ** **بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** .

. تفسير القمي ج ٢ ص ٥٠

وقال علي بن إبراهيم في قوله : **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**



وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فإنه حدثني أبي ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي ولاد الحنيط ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سئل عن قوله : **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ** ؟ قال : ينادي مناد من عند الله ، وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار : يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور ؟ فيقولون لا ، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادون جميعاً : أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون ، ثم يأمر الله به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلودوا فلا موت أبداً ، ويا أهل النار خلودوا فلا موت أبداً . وهو قوله : **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ** . أي قضى على أهل الجنة بالخلود ، وعلى أهل النار بالخلود فيها .

ما دل من مصادر السنيين على أن الدار الآخرة لا موت فيها

. صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٠

عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم . ورواه أحمد في ج ٢ ص ١١٨ وص ١٢٠ وص ١٢١

. وفي مسند أحمد ج ٢ ص ١٣٠

عن : عبد الله بن عمر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، قال أبي وحدثناه سعد قال : يدخل الله أهل الجنة الجنة ، وأهل النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار ، لا موت ، كل خالد فيما هو فيه . ورواه الترمذي في ج ٤ ص ٩٥

. وفي الدر المنثور ج ٤ ص ٢٧٢

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله : **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ** ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأتي الموت



في صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادي منادي أهل الجنة : هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا ، ولا يبقى أحد في عليين ولا في أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه ، ثم ينادي يا أهل النار هذا الموت الذي كان يميت الذي في الدنيا ، فلا يبقى أحد في ضحاح من النار ولا في أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه ، ثم يذبح بين الجنة والنار ، ثم ينادي يا أهل الجنة هو الخلود أبد الأبد ، ويا أهل النار هو الخلود أبد الأبد ، فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتاً من فرحة ماتوا ، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً من شهقة ماتوا ، فذلك قوله : **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ** ، يقول إذا ذبح الموت .

. وقال الرازي في تفسيره ج ١٣ جزء ٢٦ ص ١٣٩

إن أهل الجنة لا يعلمون في أول دخولهم في الجنة أنهم لا يموتون ، فإذا جيء بالموت على صورة كبش أملح وذبح ، فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون .

. وقال في الأحاديث القدسية ج ١ ص ١٦٠

شرح حديث ذبح الموت وأنه يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط . الخ . وإنه لا مانع عقلاً من أن يخلق الله تعالى الموت على صورة حيوان ويوقف ويذبح . . . ونحن نؤمن بما ثبت عن رسول الله ، ولا نبحت عن كيفية تحقيقه . انتهى .



عودة إلى رأي عمر بفناء النار

في هذا الجو من آيات الخلود في النار وإجماع المسلمين على خلود الجنة والنار . . نرى الخليفة عمر من دون الصحابة يخالف المتفق عليه بين الجميع ويقول بفناء النار وانتهائها ، ونقل أهلها الى الجنة ! !

وقد أخذ الخليفة ذلك من بعض أئمة اليهود الذين كان يثق بعلمهم ، لأن من مقولاتهم أن الله تعالى وعد يعقوب بأن لا يدخل أبناءه الى النار إلا تحلة القسم ، وأن



النار أساساً عمرها قصير ثم تنتهي وتهلك !!

وقد تقدم عنهم ذلك في تفسير قوله تعالى (**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً**)

في فصل الشفاعة عند اليهود !!

ونظراً لغرابة هذا الرأي حاول البعض التشكيك في نسبته إلى الخليفة عمر ، ولكنه ثابت عنه عند المحدثين والمؤرخين والمتكلمين كما تقدم ويأتي ! وأكثر أتباع الخليفة لا يعرفون رأيه هذا ، فبعضهم ينكره . . . وبعضهم (يستحي) به . . . ولكن بعضهم تجرأ وكتب رداً عليه !

. قال في مقدمة فتح القدير ج ١ ص ٩ :

للسوكاني مؤلفات ، منها كتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار . . . وكشف الأستار في إبطال القول بفناء النار . انتهى .

وأكثر المتحمسين لتأييد رأي عمر ابن قيم الجوزية في رسالته حادي الأرواح تبعاً لأستاذه ابن تيمية . ومن المتأخرين الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار ج ٨ ص ٦٨ حيث أورد في كتابه رسالة ابن قيم كاملة ، وهي تبلغ نحو خمسين صفحة ، ولم يأت صاحب المنار بجديد سوى المدح والغلو في ابن قيم . . . لأنه مفكر إسلامي نابغة استطاع أن يحل المشكلة ويثبت رأي الخليفة بخمس وعشرين دليلاً !

وتدور رسالة ابن قيم على محور واحد هو أن النار تفتنى كما يخرب السجن ، فلا يبقى محل لأهلها إلا أن ينقلوا الى الجنة ، وهو كلام لم يقله عمر !!

قال ابن قيم وهو يعدد الأقوال في الخلود في جهنم :

السابع : قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى ، فإنه جعل لها أمداً

تنتهي إليه ، ثم تفتنى ويزول عذابها .

قال شيخ الإسلام (ابن تيمية) : وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي

هريرة وأبي سعيد وغيرهم ، وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في



تفسيره المشهور : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن ، قال قال عمر : لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عاج ، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه .

وقال : حدثنا حجاج بن منهال ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال : لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عاج ، لكان لهم يوم يخرجون فيه . ذكر ذلك في تفسير ثابت عند قوله تعالى (**لَا يَبْنِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ ، وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال ، وكلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به ، وحماد يروي عن ثابت وحميد وكلاهما يروي عن الحسن وحسبك بهذا الإسناد جلاله ، والحسن وإن لم يسمع من عمر وإنما رواه عن بعض التابعين ، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب ، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد ، مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا ، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة ، لكانوا أول منكر له .

قال : ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها ، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها ، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عاج ولا قريباً منه ، ولفظ أهل النار لا يختص (يقصد لا يطلق) بالموحدين بل يختص بمن عداهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (أما أهل النار الذين هم أهلها فهم لا يموتون فيها ولا يحيون) ولا يناقض هذا قوله تعالى (**خَالِدِينَ فِيهَا**) وقوله (**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه . لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا ، لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب) . انتهى .

وقد استدل ابن قسيم على رأي الخليفة عمر بخمس وعشرين وجهاً ! لا نطيل

الكلام بسردها وردها ، لأنها ما عدا واحد منها وجوه خطابية استحسانية ، وليست علمية ، ويكفي في جوابها جميعاً أنها لا تنهض بمعارضة الآيات والأحاديث المتقدمة الدالة على خلود بعض الفجار في النار ، ولا على معارضة الإجماع الذي تقدم من الفريقين !

أما الوجه الذي يحسن التعرض له فهو قول ابن القيم :

فصل . والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق :

أحدها : اعتقاد الإجماع ، فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين ، لا يختلفون فيه ، وأن الإختلاف فيه حادث ، وهو من أقوال أهل البدع .

الطريق الثاني : أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية ، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم ، وأنه لا يفترون عنهم ، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً ، وأنهم خالدون فيها أبداً ، وما هم بخارجين من النار ، وما هم منها بمخرجين ، وأن الله حرم الجنة على الكافرين ، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، وأن عذابها كان غراماً أي مقيماً لازماً . . قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره .

الطريق الثالث : أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار ، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار ، وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان .

الطريق الرابع : أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين ، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها .

الطريق الخامس : أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تفنيان بل هما دائمتان ، وإنما يذكران فناءهما عن أهل البدع .

الطريق السادس : أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار . وهذا مبني على قاعدة وهي أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسمع فيه طريقتان لنظار المسلمين ، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن في غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوي بين الأبرار والفجار في الحيا والممات ، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً وأنهم إليه لا يرجعون وأنه يتركهم سدى أي لا يثيبهم ولا يعاقبهم ، وذلك يقدر في حكيمته وكماله وأنه نسبة إلى ما لا يليق به . وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربحها لها ، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى (**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**) فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم ينزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا ، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع . انتهى .

ثم قال ابن قيم :

قال أصحاب الفناء على هذه الطرق يبين الصواب في هذه المسألة :

فأما الطريق الاول فالإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الإجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع بما قديماً وحديثاً ، بل لو كلف مدعي الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال إن النار لا تفنى أبداً لم يجد إلى ذلك سبيلاً ، ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك ، فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك ، بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا قالوا ، والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه ، ولم يوجد واحد



منها في هذه المسألة :

النوع الأول ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم

المحرمات الظاهرة .

الثاني ما ينقل عن أهل الإجماع التصريح بحكمه .

الثالث أن يقول بعضهم القول وينشر في الأمة ولا ينكره أحد . فأين معكم واحد من

هذه الأنواع ، ولو أن قائلًا ادعى الإجماع من هذه الطريق واحتج بأن الصحابة صح

عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه ، لكان أسعد بالإجماع منكم !

قالوا : وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها ، فأين في

القرآن دليل واحد يدل على ذلك ، نعم الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في

النار أبداً ، وأنهم غير خارجين منها ، وأنه لا يفتر عنهم من عذابها ، وأنهم لا يموتون

فيها ، وأن عذابهم فيها مقيم ، وأنه غرام أي لازم لهم . وهذا كله مما لا نزاع فيه بين

الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، وليس هذا مورد النزاع ، وإنما النزاع في أمر آخر

(!!) وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء ؟ وأما كون الكفار لا يخرجون

منها ، ولا يفتر عنهم من عذابها ، ولا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يدخلون الجنة حتى

يلج الحمل في سم الخياط ، فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل

السنة . وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود (!!) والإتحادية وبعض

أهل البدع ، وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية

ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها ، فالفرق

كالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله ، وبين من يطل حبسه

بخراب الحبس وانتقاضه .

قالوا : وأما الطريق الثالث وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبراء من

النار دون أهل الشرك ، فهي حق لا شك فيه ، وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج



الموحدين منها وهي دار عذاب لم تفن ، ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية .
والنصوص دلت على هذا وعلى هذا .

قالوا : وأما الطريق الرابع وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفنا على ذلك ضرورة ، فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية ، هذا معلوم من دينه بالضرورة ، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك !! انتهى .

وقد ذكر في ٧٩ : قول أهل السنة (ان الجنة والنار مخلوقتان لا تفتيان أبداً فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية) وأجاب عليه بقوله (فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم . . .) انتهى .

ونلاحظ أن ابن قيم اعترف بأن الذين نفوا خلود النار هم اليهود والإتحادية من الوثنيين والماديين ، ثم قام بتغيير موضوع النزاع في المسألة ، لكي يوفق بين إجماع المسلمين على الخلود في النار وبين قول عمر بفنائها ، وعمدة ما قاله : إنه لا مانع أن نقول خالدين فيها إذا لم تخرب ، كما نقول مؤبداً في السجن ما دام السجن موجوداً ولم يخرب . يريد بذلك أن أهل النار إنما ينقلون الى الجنة بسبب خرابها !

ولو سلمنا هذا المنطق في المسألة ، فأين دليله على خراب السجن أو جهنم ؟ !

يكفي لرد ذلك أنه لو كان له أصل في الإسلام لكثرت فيه الآيات والأحاديث !

ولو كان له أصل لاحتج به الخليفة ، وذكر ولو كلمة عن فناء النار ، وما اقتصر على

رمل عاج !!

إن فذلكات ابن قيم وأمثاله لا يمكنها أن تقاوم ما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع ، ولا أن تقلب معاني ألفاظ اللغة فتلغي معنى الدوام والتأيد والخلود وتجعلها كلها لزمين محدود ينتهي .

وقد اغتر بهذه الفذلكة بعضهم وقال : ليس في اللغة العربية كلمة للوقت الممتد



بلا انقطاع ! وخير جواب لهؤلاء أن نسألهم : إذا أردتم التعبير بالعربية عن هذا المعنى فماذا تعيرون ؟ فلا بد أنهم سيسعملون ألفاظاً من مادة الدوام والتأييد والخلود . . وهي المواد التي استعملها القرآن والحديث ! !

الجهمية أخذت من الخليفة عمر

. قال الأشعري في مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٤٨

واختلفت المرجئة في تحليد الله الكفار . . . فقالت الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب جهنم بن صفوان : الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلها . . . وأنه لا يجوز أن يخلد الله أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ! !

وفي ج ١ ص ٢٧٩

والذي تفرد به جهنم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان !

. تأويلات أهل السنة ج ١ ص ٧٥ . ٧٦

الرد على الجهمية في قولهم بفساد الجنة وما فيها ، وقوله **وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** أي مقيمون أبداً ، فالآية ترد على الجهمية قولهم لأنهم يقولون بفساد الجنة . . . لكن ذلك وهم عندنا ، لأن الله تعالى هو الأول بذاته . . . والباقي بذاته ، والجنة وما فيها باقية بغيرها . إن الله تعالى جعل الجنة داراً مطهرة عن المعاييب كلها . . . ولو كان آخرها للفساد لكان فيها أعظم المعاييب إذ المرء لا يهنأ بعيش إذا نقص عليه بزواله . فلو كان آخره للزوال كانت نعمته منغصه على أهلها . . .

. تأويلات أهل السنة ج ١ ص ١٢١

الرد على الجهمية في قولهم بفساد الجنة والنار وانقطاع ما فيهما : **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ، تنقض على الجهمية قولهم . . . فلو كانت الجنة تفنى وينقطع ما فيها لكان فيها خوف وحرز لأن من خاف في الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه . . فأخبر عز وجل أن لا خوف عليهم فيها ، خوف



التبعة ولا حزن فوات النعمة ، ولا هم يحزنون ، دل على أنها باقية وأن نعيمها دائم لا يزول ، وكذلك أخبر عز وجل أن الكفار في النار خالدون .

والمرجئة أخذوا من عمر

. تاريخ الإسلام للذهبي ج ١٣ ص ١٦٠

وكان أبو المطيع فيما نقل الخطيب من رؤوس المرجئة . . وذكروا عنه أنه كان يقول : الجنة والنار خلقتا وستفنيان ، وهذا كلام جهم .

وابن العاص أخذ من عمر

. فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٦٥٨

عن ابن عمرو قال : ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد . ثم قال صاحب الكشاف : ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علياً ما يشغله عن تسيير هذا الحديث ! انتهى .

ويقصد الزمخشري أن عبد الله بن عمرو بن العاص راوي هذا الحديث لا يوثق به ، لأنه كان مبغضاً لعلي عليه السلام وقد قاتله في صفين بسيفين ، وكان الأولى به أن يكتفي بفعلته تلك ولا ينقل مثل هذه الأحاديث الخارجة عن إجماع المسلمين !

قال في هامش اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ١٥٧ : وقال في الكشاف : وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عبد الله بن عمرو بن العاص : ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون أحقاباً . وبلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار ، وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبهوا على أن نغفل عنه . ولئن صح هذا عن ابن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير ، فذلك خلق جهنم وصفق أبوابها ، وأقول : أما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب عليه السلام ما يشغله عن تسيير هذا الحديث . انتهى قول الكشاف .



وروا عن ابن مسعود أنه وافق عمر

. الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥١

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال : ما في القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية : **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** قال وقال ابن مسعود : ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها .

— وفي تفسير التبيان ج ٦ ص ٦٨ وروي عن ابن مسعود أنه قال : ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد ، وذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقاباً .

والشعبي أخذ من عمر

. تفسير التبيان ج ٦ ص ٦٨

وقال الشعبي : جهنم أسرع الدارين عمراناً ، وأسرعهما خراباً .

ويلاحظ على رواياتهم عن ابن العاص وابن مسعود والشعبي أن جهنم تبقى ولكن تفرغ وينقل أهلها الى الجنة ! وهذا هو موضوع كلام عمر ، لا ما ادعاه ابن قيم !

والمعتزلة أخذت من عمر

. الملل والنحل للشهرستاني . هامش الفصل ج ١ ص ٦٤

الخامسة : قوله (أبو الهذيل) إن حركات أهل الخلدن تنقطع ، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً ، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة ، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار .

والجاحظ أخذ من عمر

. الملل والنحل . هامش الفصل ج ١ جزء ١ ص ٩٥

أقوال الجاحظ التي انفرد بها عن أصحابه . . منها : قوله في أهل النار إنهم لا يخلدون فيها عذاباً ، بل يصيرون إلى طبيعة النار .



وابن عربي والجيلي أخذاً من عمر

قال في تفسير المنار ج ٨ ص ٧٠

ويدخل فيه أنها تفنى كما تقول الجهمية ، أو تتحول إلى نعيم كما قال الشيخ محيي الدين بن العربي وعبد الكريم الجيلي من الصوفية .

أما عمر فقد أخذ من كعب الأخبار واليهود

. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨٠

وقالوا : **لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .**

قال ابن إسحاق : وحدثني مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة ، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب !! فأنزل الله في ذلك من قولهم : **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ، قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .** بلى كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ، أي من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة ، **فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ،** أي خلدوا أبداً . **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .** أي من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ، ولا انقطاع له .

. الدر المنثور ج ١ ص ٨٤

قوله تعالى : **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً** . أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر



وابن أبي حاتم والطبراني والواحدي عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة . . . الخ . ورواه في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣١٤

. تفسير التبيان ج ١ ص ٣٢٣

قالوا لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أياماً معدودة ، وإنما لم يبين عددها في التنزيل ، لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الأيام التي يوقتونها في النار ، فلذلك نزل تسمية عدد الأيام وسماها معدودة لما وصفنا .

وقال أبو العالقة وعكرمة والسدي وقتادة : هي أربعون يوماً . ورواه الضحاك عن ابن عباس . ومنهم قال : إنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل .

وقال ابن عباس : إن اليهود تزعم أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة ، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم واحد ، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب ، وهلك النار ! !

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٦

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر : حدثني إلى ما تنتهي شفاعة محمد يوم القيامة ؟ فقال كعب قد أخبرك الله في القرآن إن الله يقول : **مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ** . . . إلى قوله اليقين قال كعب : فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط ، ويطعم مسكيناً قط ، ومن لم يؤمن ببعث قط ، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير ! انتهى .

وقد ذكرنا أن كلام كعب هذا يحتل وجهين لأن قوله : حتى يبلغ ، وقوله فإذا بلغت ، قد يقصد بهما أن الشفاعة تبلغ هؤلاء المكذبين بيوم الدين الذين لم يفعلوا خيراً قط ! فلا يبقى أحد في النار وتنتهي . وقد يقصد بهما أن الشفاعة تقف عند هؤلاء فيكون كلامه توسيعاً لها لكل المؤمنين بالبعث من غير المسلمين !

ولا يبعد أن يكون هدف كعب القول بدخول الجميع الجنة وفناء النار ، لأن ذلك من

مقولات اليهود كما رأيت ! ويكون قصده أن سؤال أهل اليمن للمجرمين : **مَا سَأَلَكُمُ فِي سَقَرٍ ؟** إنما هو مقدمة لإخراجهم من النار . . وبشفاعة نبينا ﷺ ! !



وقد يتصور البعض أن من المبالغة أو التهمة للخليفة عمر بأنه أخذ هذه العقيدة من كعب الأبحار ، ولكن الذي يقرأ احترام عمر لأبحار اليهود والنصارى ولكعب الأبحار خاصة حتى قبل إسلام كعب . . لا يستبعد ذلك بل يطمئن اليه ، ويحسن مراجعة ما كتبناه في ذلك موثقاً في كتاب تدوين القرآن ، وأن الخليفة عمر كان يدرس عند اليهود في المدينة في حياة النبي ﷺ وأن النبي نجاه عن ذلك ولم يمتثل ! ونذكر هنا بعض النصوص التي تكشف ثقته العالية بكعب ، والمقام العظيم الذي يحتله كعب في ذهنه وعواطفه !

عمر ينظر إلى كعب كأنه نبي ويتلقى منه

يلاحظ الباحث تعاملاً فريداً للخليفة عمر مع كعب الأبحار ، وأنه كان يحترمه أكثر من كل صحابة رسول الله ﷺ ويفضله عليهم علمياً وسياسياً ، ويسأله عن عوالم الغيب والشهادة والأنبياء والجنّة والنار وتفسير القرآن ، وعن مستقبل الأمة ومستقبله الشخصي ويثق به ثقة مطلقّة ويقبل منه . . شبيهاً بتعامل الصحابي المؤمن مع نبيه الذي ينزل عليه الوحي !

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٣ ص ٦

وأخرج ابن جرير عن أبي المخارق زهير بن سالم قال قال عمر لكعب : ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه ؟ فقال كعب : كتب الله كتاباً لم يكتبه قلم ولا مداد ، ولكن كتب بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت : أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي ! !



. وقال أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٢

قال عمر يعني لكعب : إني أسألك عن أمر فلا تكتمني ، قال : والله لا أكتملك شيئاً أعلمه قال : ما أخوف شيء تخوفه على أمة محمد ؟ قال أئمة مضلين . قال عمر : صدقت قد أسرّ ذلك إليّ وأعلمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٩ وقال : رجاله ثقات .

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٥٧

عن الحسن البصري أن عمر قال لكعب : ما عدن ؟ قال : هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل .

. وقال في ج ٥ ص ٣٤٧

عن قتادة قال : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا كعب ما عدن ؟ قال : قصر من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل .

. وقال في كنز العمال ج ١٢ ص ٥٦٠

عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : حدثني يا كعب عن جنات عدن . قال : نعم يا أمير المؤمنين قصور في الجنة لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل ، فقال عمر : أما النبوة فقد مضت لأهلها ، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله ، وأما الحكم العدل فإني أرجو الله أن لا أحكم بشيء إلا لم آل فيه عدلاً ، وأما الشهادة فأنتي لعمر بالشهادة ؟ ! . ابن المبارك وأبو ذر الهروي في الجامع .

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٥٧

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن رضي الله عنه أن عمر قال لكعب : ما عدن ؟ قال : هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه قال :



قرأ عمر رضي الله عنه على المنبر جنات عدن ، فقال : أيها الناس هل تدرون ما جنات عدن ؟ قصر في الجنة له عشرة آلاف باب ، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين ، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد !! .

. وقال في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٧

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه . . . في قوله : **وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ** قال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا كعب ما عدن ؟ قال : قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل .

. معجم ما استعجم ج ٢ ص ٧٤

الحثمة : بفتح أوله وإسكان ثانية : صخرات بأسفل مكة بما رجع عمر بن الخطاب . روى عنه مجاهد أنه قرأ على المنبر : **جَنَّاتٍ عَدْنٍ** فقال : أيها الناس أتدرون ما جنات عدن ؟ قصر في الجنة له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين لا يدخله إلا نبي ، وهنيئاً لصاحب القبر وأشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أو صديق وهنيئاً لأبي بكر وأشار إلى قبره ، أو شهيد وأنى لعمر بالشهادة وإن الذي أخرجني من منزلي بالحثمة قادر أن يسوقها إلي !! انتهى .

وفي هذه الرواية دلالة على أن كعباً استطاع أن يقنع عمر أن مقصوده بالنبي والصديق والشهيد الذين يسكنون عدن : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأن كعباً كان من المخططين لقتله !

. وقال في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٦

قوله تعالى : **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ** الآية . أخرج الثعلبي من طريق العموم بن حوشب قال حدثني رجل من قومي شهد عمر رضي الله عنه أنه سأل طلحة والزبير وكعباً وسلمان : ما الخليفة من الملك ؟ قال طلحة والزبير : ما ندري ، فقال سلمان رضي الله عنه : الخليفة الذي يعدل في الرعيمة ، ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم



شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت أحسب أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري !

. وفي كنز العمال ج ١٢ ص ٥٦٩

عن طبقات ابن سعد : عن سفيان بن أبي العوجاء قال : قال عمر بن الخطاب : والله ما أدري أحليفة أنا أم ملك ؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم ، قال قائل يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً ، قال ما هو ؟ قال : الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا في حق ، فأنت بحمد الله كذلك ، والمملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا ، فسكت عمر بن سعد .

. وقال في كنز العمال ج ١٢ ص ٥٧٣

عن كعب أن عمر بن الخطاب قال : أنشدك بالله يا كعب أتجدني خليفة أم ملكاً ؟ قال بل خليفة ، فاستحلفه فقال كعب : خليفة والله من خير الخلفاء ، وزمانك خير زمان . نعيم بن حماد في الفتن .

. الدر المنثور ج ٤ ص ٢٩٣

سأل عمر كعباً عن آيات أول سورة الحديد فقال : معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر ، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن ! انتهى .



. كنز العمال ج ٢ ص ٤٨٨

عن عمر قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم : يوم القيامة فعظم شأنه وشدته ، قال : ويقول الرحمن لداود عليه السلام : مرّ بين يدي ، فيقول داود : يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي ، فيقول : مرّ خلفي ، فيقول : يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي فيقول : خذ بقدمي ! فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر ! ! قال فتلك الزلفى التي قال الله

تعالى : **وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ** ! ورواه السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٥ عن ابن مردويه .

. الدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٧

وأخرج الديلمي عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لأحد أن يقول إني أعبد من داود !! .

. الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٥

وأخرج عبد بن حميد ، عن السدي بن يحيى ، قال حدثني أبو حفص رجل قد أدرك عمر بن الخطاب : إن الناس يصيهم يوم القيامة عطش وحر شديد فينادي المنادي داود فيسقى على رؤس العالمين ، فهو الذي ذكر الله : **وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ** ! انتهى .

ومن الواضح أن هذه الروايات عن داود رضي الله عنه من مقولات اليهود وكعب الأبحار ولكن الخليفة عمر يقبلها منه ، والرواة ينسبونها إلى نبينا صلى الله عليه وسلم !!

. كنز العمال ج ١٤ ص ١٤٦

عن سعيد بن المسيب قال : استأذن رجل عمر بن الخطاب في إتيان بيت المقدس فقال له : إذهب فتجهز فإذا تجهزت فأعلمني فلما تجهز جاءه فقال له عمر : إجعلها عمرة !



. مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٧

عن عمر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب أرسل إلى كعب الأبحار فقال : يا كعب كيف تجد نعتي ؟ قال : أجد نعتك قرن من حديد . قال : وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم . قال : ثم مه ؟ قال : ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة .



. تاريخ الطبري ج ١ ص ٣٢٣

عن أشعث عن سالم النصرى قال : بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه ، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوى ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال فلما انفتل عمر قال : رأيت قول أحدكما لصاحبه أهو هو ؟ فقالا : إنا نجد في كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطي حزقيل الذي أحيا الموتى بإذن الله ! !

فقال عمر : ما نجد في كتابنا حزقيل ، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى بن مريم ! فقالا : أما تجد في كتاب الله : ورسلاً لم نقصصهم عليك ؟ فقال عمر : بلى ، قالوا : وأما إحياء الموتى فسنحدثك إن بني اسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله فبنوا عليهم حائطاً حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم فقال : ما شاء الله ، فبعثهم الله له فأنزل الله في ذلك : **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ** . انتهى .

والأخوى : الذي لا يستطيع أن يركع أو يسجد بشكل طبيعي إلا بفتح قدميه ونحوه . . والرواية تدل على اهتمام اليهود بإيمان عمر بثقافتهم ، ومحاولتهم التزلف إليه بادعاء أن شخصيته مذكورة في كتبهم ، وأنه نبي يحيي الموتى مثل حزقيل !

. تاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ١١٠

لما قدم عمر رضي الله عنه من مكة في آخر حجة حجها أتاه كعب فقال : يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت في عامك ! قال عمر رضي الله عنه وما يدريك يا كعب ؟ قال : وجدته في كتاب الله ! فقال : أنشدك الله يا كعب هل وجدتني باسمي ونسبي عمر بن الخطاب ؟ قال : اللهم لا ، ولكني وجدت صفتك وسيرتك وعملك وزمانك !

— ورواه في ج ٣ ص ٨٨ وزاد فيه : فلما أصبح الغد غدا عليه كعب فقال عمر رضي الله عنه : يا كعب ، فقال كعب : بقيت ليلتان ، فلما أصبح الغد غدا عليه كعب . قال عبد العزيز : فأخبرني عاصم بن عمر بن عبيد الله بن عمر قال : قال عمر رضي الله عنه :



يواعديني كعب ثلاثاً يعادُها ولا شك أن القول ما قاله كعبُ
وما بي لقاء الموت إني لميئتُ ولكنما في الذنب يتبعه الذنبُ

فلما طعن عمر رضي الله عنه دخل عليه كعب فقال : ألم أنك ؟ !

قال : بلى ، ولكن كان أمر الله قادراً مقدوراً ! ! انتهى .

ولا يتسع المجال للرد على أفكار كعب التي تضمنتها رواياته ، وقد أوردنا عدداً

منها في سبب نشأة التحسيم في المجلد الثاني .

والواقع أن كعب الأبحار من أكبر المصائب في مصادر إخواننا السنين ، حيث تجده

مقيماً فيها ، كامناً في المواقع الحساسة من أصول العقيدة والشريعة ! وهذا أمر

يحتاج الى معالجات جريئة من علمائهم !

ولكن لا بد من الإلفات هنا الى أن النصوص المتقدمة تدل بما لا يقبل الريب ،

على أن كعباً كان شريكاً في مؤامرة قتل عمر !

ولكن إخواننا السنين ما زالوا يبرئون كعباً ويثقون به ، كما برأ المسيحيون اليهود من

دم المسيح !

كما نشير الى أن كعباً أخطأ في تفسير أول سورة الحديد ، لأنه فسر (هو) بعلمه ! !

ولكن الخليفة عمر يقبل منه كل ما يقوله ، بل يحدث به المسلمين على المنبر !



الفصل الثامن

شفاعات وحرمانات غير معقولة روتها مصادر السنيين

النوع الأول : شفاعة اثنين لصاحب الجنازة

ليس من السهل أن نعترض على الأحاديث التي تحكم على نوع من الناس باستحقاق الجنة أو النار . . لأن الخير والشر في داخل الإنسان عالم معقد ، وما يظهر للعيان لا يجب أن يكون دائماً هو الحقيقة ! فرب عمل صغير نقوم به يكون في حساب الثواب والعقاب الإلهي كبيراً ، وبالعكس . . ورب ظرف يجعل العمل السيء حسناً وبالعكس !

وبسبب هذه السعة والتعقيد في أعمال الناس وظروفها ، لا بد أن تكون أنظمة الجزاء عميقة واسعة حتى تستوعبها .

ولكننا مع ذلك نملك يقينيات من العقل والشرع تسمح لنا أحياناً بالحكم بإمكان هذا الجزاء الإلهي أو عدم إمكانه . . ومن هذه اليقينيات : لو أن شخصاً قاتلاً ظالماً جامعاً للصفات الشريرة ، توفي وحملوا جنازته ، فمر بها شخصان مسلمان فقالا :



رحمه الله كان مؤمناً تقياً ، لأنهما جاهلان بحاله أو متعمدان ، فإن شهادتهما لا تغير شيئاً من قوانين المجازاة الإلهية !

لكن توجد (أحاديث) في مصادر السنيين تقول : إن مجرد شهادة اثنين بالخير لصاحب الجنازة تجعله من أهل الجنة ! كما أن شهادتهما له بالسوء تجعله من أهل النار !!
فكان الشهادة على الجنازة في منطلق هذه الأحاديث وثيقة شرعية نهائية لا يقرأ الملائكة غيرها ، أو ختم نهائي لا يقبل الله تعالى غيره !!

لقد جاءنا هذا المنطق من الثقافة اليهودية ، ولكنه مهما كان مصدره ، ليس منطقاً إسلامياً ! لأن معناه السماح للمجرمين بأن يفعلوا ما شاؤوا ويهلكوا الحث والنسل ، ثم يوصي أحدهم بأن يشهد على جنازته عشرة شهود كذباً وزوراً فيدخل الجنة !
والأخطر من ذلك أن الإنسان المؤمن الطيب الأمين المستقيم مهما عمل من خير في حياته فإن عمله يتبخر بمجرد أن يرسل خصومه اثنين يشهدان على جنازته بأنه كان سيئاً ، فيدخله النار !

ولو كانت هذه المقولة توجد في مصادرهم من الدرجة الثانية لكان الأمر أسهل ، ولكنها توجد في مصادر الدرجة الأولى مع الأسف ، وعن لسان أقدس الشخصيات عندهم بعد النبي ﷺ الأمر الذي يتطلب من فقهاءهم جرأة في معالجتها :

. روى البخاري في صحيحه ج ٢ ص ١٠٠

عن أنس بن مالك قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال : وجبت ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجبت ؟ قال : هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض .

ورواه في ج ٣ ص ١٤٨ وفيه (قال شهادة القوم المؤمنين شهداء الله في الأرض) .

ورواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ٥٣ وقد كرر فيه كلمة : وجبت وأنتم شهداء الله



ثلاث مرات .

ورواه النسائي ج ٤ ص ٥٠ ورواه الترمذي ج ٢ ص ٢٦١ وقال (وفي الباب عن عمر
وكعب بن عجرة وأبي هريرة . قال أبو عيسى : حديث أنس حديث حسن صحيح) .

ورواه ابن ماجه في ج ١ ص ٤٧٨ وفيه (فقال : شهادة القوم والمؤمنون شهود الله
في الأرض) . وفي هامشه (ويوافقه حديث عمر رواه الترمذي والنسائي وإسناد ابن
ماجه صحيح ورجاله رجال الصحيحين) .

ورواه أبو داود في ج ٢ ص ٨٦ وفيه (إن بعضكم على بعض شهداء) .

ورواه أحمد في ج ٣ ص ١٧٩ وج ٢ ص ٢٦١ وص ٤٩٨ وص ٥٢٨ وج ٢ ص ٤٦٦ وص ٤٧٠
وفيه (بعضكم شهداء على بعض) وج ٣ ص ١٨٦ وكرر فيه وجبت ثلاث مرات مثل مسلم .

وفي رواية أخرى (قال شهادة القوم والمؤمنون شهداء الله في الأرض) وفي ج ٣ ص ١٩٧
وص ٢١١ وص ٢٤٥ وص ٢٨١

ورواه البيهقي في سننه ج ٤ ص ٧٥ وج ١٠ ص ١٢٣ وص ٢٠٩



. وقال البخاري في صحيحه ج ٢ ص ١٠٠

عن أبي الأسود قال : قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلست إلى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فمرت بهم جنازة فأثنى على صاحبها خيراً فقال عمر رضي الله عنه : وجبت . ثم
مر بأخرى فأثنى على صاحبها خيراً ، فقال عمر رضي الله عنه : وجبت . ثم مر بالثالثة فأثنى
على صاحبها شراً ، فقال : وجبت . فقال أبو الأسود فقلت : وما وجبت يا أمير
المؤمنين ؟ قال : قلت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : أيما مسلم شهد له أربعة
بجور أدخله الله الجنة ، فقلنا وثلاثة قال : وثلاثة . فقلنا واثنان قال : واثنان . ثم لم
نسأله عن الواحد !

. ورواه البخاري أيضاً في ج ٣ ص ١٤٩ والنسائي في ج ٤ ص ٥١ وفيه :



(فقلت وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال : قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما مسلم شهد له أربعة قالوا خيراً أدخله الله الجنة . قلنا : أو ثلاثة؟ قال : أو ثلاثة . قلنا : أو اثنان؟ قال : أو اثنان .

ورواه الترمذي في ج ٢ ص ٢٦١ وقال (قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وأبو الأسود الدؤلي اسمه ظالم بن عمر بن سفيان) .

ورواه أحمد في ج ١ ص ٢١ وص ٢٢ وص ٢٧ وص ٣٠ وص ٤٥ وص ٤٦ ، والبيهقي في

سننه ج ١٠ ص ١٢٤



إلى هنا تجد أن هذه المقولة بمقاييس إخواننا السنين تامة السند والدلالة . .
ولكن توجد مؤشرات تفتح باب البحث حولها :

المؤشر الأول : أن الإمام أحمد روى أن بعض الذين سمعوا الحديث من الخليفة عمر شككوا فيه لغرابته عن منطق النبي ﷺ وظنوا أنه رأي من عمر لا من قول النبي ﷺ فأكد له عمر أنه النبي هو الذي قال ذلك !

. قال أحمد في ج ١ ص ٥٤

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا وكيع ثنا عمر بن الوليد الشني عن عبد الله بن بريدة قال : جلس عمر رضي الله عنه مجلساً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه ، فمر عليه الجنائز ، قال فمروا بجنائز فأتنوا خيراً فقال : وجبت . ثم مروا بجنائز فأتنوا خيراً فقال : وجبت . ثم مروا بجنائز فقالوا خيراً فقال : وجبت . ثم مروا بجنائز فقالوا هذا كان أكذب الناس ، فقال : إن أكذب الناس أكذبهم على الله ، ثم الذين يلونهم من كذب على روحه في جسده ، قال قالوا : أرايت إذا شهد أربعة؟ قال : وجبت . قالوا : أو ثلاثة؟ قال : وثلاثة ، قال وجبت . قالوا : واثنين؟ قال : وجبت ، ولأن أكون قلت واحد أحب إلي من حمر النعم . قال فليل لعمر : هذا شيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : لا ، بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه



وسلم . انتهى .

والرواية تدل على أن الخليفة تفرد بهذه الرواية من دون الصحابة الحاضرين في ذلك المجلس الرسمي الذي كان يجلسه رسول الله ﷺ وأنهم تعجبوا لأنهم لم يسمعوا ذلك ، وتجرؤوا أن يسألوا عمر رغم سطوته ، فأكد لهم أنه سمع ذلك !

المؤشر الثاني : يشير إلى أن الحادثة قضية شخصية في جنازة أشخاص معينين في زمن النبي ﷺ وليست قاعدة كلية لكل جنازة . .

فقد روى الحاكم في ج ١ ص ٣٧٧ : عن أنس قال كنت قاعداً مع النبي ﷺ فمر بجنازة فقال : ما هذه الجنازة ؟ قالوا جنازة فلان الفلاني كان يحب الله ورسوله ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها ، فقال رسول الله ﷺ : وجبت وجبت وجبت . ومرر بجنازة أخرى قالوا جنازة فلان الفلاني كان يبغض الله ورسوله ويعمل بمعصية الله ويسعى فيها ، فقال : وجبت وجبت وجبت . فقالوا يا رسول الله قولك في الجنازة والثناء عليها ؟ أثني على الأول خير وعلى الآخر شر فقلت فيها وجبت وجبت وجبت ؟ فقال : نعم يا أبا بكر إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ . انتهى .

فلو صح الحديث لكان معناه أن النبي ﷺ شهد ، بما عرفه الله تعالى ، بأن الملائكة نطقت على ألسنة أولئك المادحين والذاميين . . وليس معناه أن الملائكة تنطق دائماً على ألسنة المسلمين .

المؤشر الثالث : يدل على أن الخصوصية للشاهد أو الشافع في الجنازة . . ففي مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٢٦٨ : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنت مع رسول الله ﷺ في جنازة فينا في بني سلمة وأنا أمشي إلى جنب رسول الله ﷺ فقال رجل : نعم المرء ما علمنا إن كان لعفيفاً مسلماً إن كان . . فقال رسول الله ﷺ : أنت الذي تقول ؟ قال يا رسول الله ذاك بدا لنا والله أعلم بالسرائر . فقال رسول الله ﷺ : وجبت . قال وكنا معه في جنازة رجل من بني حارثة أو من بني عبد الأشهل ، فقال



رجل : بئس المرء ما علمنا إن كان لفظاً غليظاً إن كان . . فقال رسول الله ﷺ : أنت الذي تقول ؟ قال يا رسول الله أعلم بالسرائر فأما الذي بدا لنا منه فذاك . فقال رسول الله ﷺ : وجبت . ثم تلا رسول الله ﷺ : وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، إنما اتفقا على وجبت فقط . انتهى .

فقد أكد النبي ﷺ على شخص القائل الذي لم تسمه الرواية فقال له : أنت الذي تقول ذلك وتشهد بهذه الشهادة لهذا الميت ؟ فقال نعم إني أشهد حسب ظاهر طحاله . فقال النبي إن الجنة قد وجبت له بشهادة ذلك الرجل ، أو إن شهادته طابقت الواقع كما أوحى الله إلى رسوله ﷺ ، فيحتمل أن تكون القضية شخصية كما في الرواية السابقة ، وإذا وجد الإحتمال بطل الاستدلال ، ولم يبق يقين بأنها قاعدة عامة .

المؤشر الرابع : أنه توجد أحاديث معارضة تجعل دعاء مئة مسلم موحد أو أربعين بالشفاعة للميت موجباً للأمل بأن الله تعالى يشفعهم فيه ويدخله الجنة . . وقد روت الصحاح رواية المئة ، ورواية الأربعين ، وفي بعض رواياتها ثلاثة صفوف ، وأمة من الناس ، ونحوها . . الأمر الذي يدل على أن وجود كثرة من المسلمين المؤمنين يصلون على جنازة الميت أو يدعون له ، أمر مفيد له ، وأن الله تعالى قد يستجيب دعاءهم . . ولكن ليس في هذه الاحاديث تلك الحتمية و (الأتوماتيكية) التي في أحاديث (وجبت وجبت) المتقدمة !

— ففي صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٢ عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له ، إلا شفعوا فيه . انتهى وفي رواية أخرى : أربعون . ورواه في سنن البيهقي ج ٣ ص ١٨٠ . ١٨١

. وفي سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٧٧

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى عليه مائة من



المسلمين غفر له . في الزوائد : قد جاء عن عائشة في الترمذي والنسائي مثله . وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين . انتهى . وما ذكره موجود في سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٤٧ وفي سنن النسائي ج ٤ ص ٧٥ بصيغة مائة وأمة من الناس) .

. وفي فردوس الأخبار ج ٤ ص ٣٢٩ ح ٦٤٩٦

أنس وعائشة : ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغوا أن يكونوا مائة يشفعون له إلا شفّعوا فيه .

— وفي ص ٣٧١ ح ٦٦٠٩ : أبو هريرة : ما صف قوم صفوفاً ثلاث على ميت فيستغفرون له إلا شفّعوا .

. وروى ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٤٧٧

عن كريب مولى عبد الله بن عباس قال : هلك ابن لعبد الله بن عباس فقال لي : يا كريب قم فانظر هل اجتمع لابني أحد ؟ فقلت نعم . فقال ويحك كم تراهم أربعين ؟ قلت : لا ، بل هم أكثر . قال : فاخرجوا بابني فأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من أربعين من مؤمن يشفعون لمؤمن ، إلا شفّعهم الله .

. وروى ذلك أحمد بشروط أشد قال في ج ١ ص ٢٧٧

عن كريب مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال : يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس ؟ قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته ، قال يقول هم أربعون ؟ قال نعم ، قال أخرجوه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً ، إلا شفّعهم الله فيه . ورواها الديلمي في فردوس الأخبار ج ٤ ص ٣١٨ ح ٦٤٦٩

المؤشر الخامس : يشير إلى احتمال اختلاط الحديث بغيره . .

— ففي مسند أحمد ج ٣ ص ٣٠٣ عن جابر قال : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن ، وجبت له الجنة البتة . قال قيل يا

رسول الله فإن كانت اثنتين؟ قال: وإن كانت اثنتين. قال فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة لقال واحدة. انتهى.

. وفي مسند أحمد ج ٤ ص ٢١٢

عن الحرث بن أفيش قال: كنا عند أبي برزة ليلة فحدث ليلتئذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من مسلمين يموت لهما أربعة أفراس، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته. قالوا يا رسول الله وثلاثة؟ قال: وثلاثة. قالوا: واثنان؟ قال: واثنان. انتهى.

فيحتمل أن يكون الأمر اشتبته على الخليفة فجعل أجر (وجبت الجنة) لمن ربي ثلاث بنات أو اثنتين. جعله لمن شهد ثلاثة أو اثنان على جنازته، لتشابه العدد فيهما ووحدته التعبير به (وجبت)

ولا يرد الإشكال على رواية تربية البنات تربية إسلامية كيف جعلت سبباً قطعياً لدخول الجنة، لأنها تجعل الجزاء للأب أو الأم على عمل يقوم به، بينما رواية الشهادة للجنازة تجعل لصاحبها الجنة مجاناً مهما كان فاجراً بمجرد قول غيره! كما تجعل له النار مجاناً بمجرد قول غيره، مهما كان صالحاً!!

على أنه يمكن القول إن الله تعالى جعل ثواب تربية ثلاث بنات أو اثنتين الجنة ليعالج مشكلة في مجتمع كانوا يئدون بناتهم، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. . وأن هذا الثواب قد يشمل في عصرنا الأزواج الذين يئدون أطفالهم بطرق أخرى، خوفاً من الفقر أو طلباً للراحة من الأطفال.

وفي أحاديث أهل البيت عن الإمام الصادق عليه السلام أن المسلمين قد سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن تربية البنت الواحدة كما تقدم، فقد روى في الكافي ج ٦ ص ٦ عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات

وجبت له الجنة . ف قيل : يا رسول الله واثنين ؟ فقال : واثنين . ف قيل : يا رسول الله وواحدة ؟ فقال : وواحدة . انتهى .

. وفي مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٣

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعني الذكر ، أدخله الله بها الجنة . انتهى .

والنتيجة : أن هذه المؤشرات تفتح باب البحث للشك في أحاديث (وجبت وجبت) للجنة ، وتضغط عليها لتكون منسجمة مع اليقينيّات العقلية والشريعة غير ناقضة لها .

وما دام الباب مفتوحاً للتخلص من منطقتها اليهودي ، فلا معنى للتشبهت بها بحجة الدفاع عن البخاري وعن الخليفة عمر !!

رأي أهل البيت عليهم السلام في الشهادة للجنة

لا أثر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام لروايات (وجبت) ولا لمنطقها ! بل نجد الترغيب في الدعاء للميت والشفاعة به إلى الله تعالى ، والأمل بأن يستجيب الله تعالى ويشمل هذا الميت برحمته . . كل ذلك على حسب قوانين الجزاء والشفاعة التي يعلمها عز وجل بأصولها وتفصيلها وتطبيقاتها ، ولا نعرف نحن منها إلا القليل .

. روى الكليني في الكافي ج ٣ ص ١٨٨

عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الله بن غالب ، عن ثابت أبي المقدم قال : كنت مع أبي جعفر (الباقر) عليه السلام فإذا بجنّاة لقوم من حيرته فحضرها وكنت قريباً منه ، فسمعته يقول : اللهم إنك خلقت هذه النفوس وأنت تميتهما وأنت تحييها ، وأنت أعلم بسرّاتها وعلايتها منا ومستقرها ومستودعها . اللهم وهذا عبدك ولا أعلم منه شراً وأنت أعلم به ، وقد جئناك شافعين لبعده موتة فإن كان مستوجباً فشفعنا فيه واحشره مع من كان يتولاه . انتهى .



ونحوه في الكافي ج ٣ ص ١٨٥ ، ورواه الشيخ في تهذيب الأحكام ج ٣ ص ١٩٦ ورواه
الحر العاملي في وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٣٧

وينبغي الالتفات إلى عبارة (فإن كان مستوجباً فشفعنا فيه) فهي تدل على وجود
قانون استحقاق الشفاعة وعدم استحقاقها . وعبارة (واحشره مع من كان يتولاه)
التي تدل على قانون (**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ**) وهما قانونان مترابطان .

أما منطق (وجبت) فيقول لو كان الميت فاجراً مثل فرعون ومدح كنازته
شخصان ، لوجب أن يصير من أهل الجنة ويحشر يوم القيامة إلى جنب الأنبياء **عليهم السلام** !

— هذا ، وقد روى في الكافي رواية صحيحة طريفة تتضمن أضواء مهمة على قانون

الشفاعة قال في ج ٣ ص ١٨٧

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد بن عثمان ، عن الحلبي ،
عن أبي عبد الله **عليه السلام** قال : إن كان مستضعفاً فقل : اللهم اغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، وإذا كنت لا تدري ما حاله فقل : اللهم إن كان يجب
الخير وأهله فاغفر له وارحمه وتجاوز عنه ، وإن كان المستضعف منك بسبيل
فاستغفر له على وجه الشفاعة لا على وجه الولاية . انتهى .

وروى في نفس الصفحة عن الإمام الصادق **عليه السلام** أيضاً قال : الترحم على جهتين :

جهة الولاية وجهة الشفاعة . ورواه في وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٣٧

ففي هذا الرواية منطق دقيق في التعامل مع الميت والشهادة له . . إن كنت لا
تدري ما حاله ، أو كان مستضعفاً فكريباً لا يعرف الحق من الباطل ، أو كان معانداً
يعرف الحق وينكره . . أو كان ممن يبغض أهل البيت **عليهم السلام** وينصب العداوة لهم . .
وادع له على نحو الولاية ووحدة الإمام الذي ستدعي أنت وإياه به يوم القيامة ، أو
على جهة الشفاعة لأرحامك إن لم يكن عارفاً بحق أهل بيت نبيه . . إلى آخر النقاط
المنسجمة مع اليقينيات العقلية والشرعية .

قد يقال : يوجد في روايات أهل البيت عليهم السلام شبيهة لرواية (وجبت)

— فقد روى الكليني في الكافي ج ٣ ص ١٧٣ عن أبي علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن ميسر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من تبع جنازة مسلم أعطي يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا وقال الملك : ولك مثل ذلك . انتهى .

ورواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٦١ والشيخ في تهذيب الأحكام ج ١ ص ٤٥٥ والحر في وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٨٨ وقال : ورواه في المجالس عن محمد بن الحسن عن الصفار عن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن فضال . ورواه الشيخ بإسناده عن أبي علي الأشعري مثله . انتهى .

ولكن الفرق كبير بين رواية تعطي حق الشفاعة لشخص على عمل يقوم به ، وبين رواية تعطي الجنة أو النار مجاناً بكلمة يقولها شخص أو اثنان بعد موته !!

وقد وجدنا في مصادر إخواننا السنين رواية شبيهة بما صادرننا في الدعاء للميت في الصلاة على جنازته رواها أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٥٦ قال : سمعت أبا هريرة ومر عليه مروان فقال : بعض حديثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حديثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم رجع ، فقلنا الآن يقع به قال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على الجنائز ؟ قال سمعته يقول : أنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها تعلم وعلايتها ، جئنا شفعاء فاغفر لها . انتهى .



النوع الثاني : شفاعة النبي للظالمين من الأمة

قال الله تعالى : **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ**



وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ . فاطر . ٣١ . ٣٥

اتفق الجميع على أن موضوع الآية : الذين اصطفاهم الله تعالى وأورثهم الكتاب بعد النبي ﷺ بقرينة أن السياق قبلها عن الكتاب الموحى إلى نبينا ﷺ .

واتفقوا على أن الأقسام الثلاثة للذين اصطفاهم هم من أهل الجنة بدليل السياق حيث انتقل الكلام بعد المصطفين إلى الكافرين .

والذي يتصل بموضوعنا من ذلك تعيين هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب الإلهي . . فقد ذهب السنونيون إلى أنهم جميع المسلمين ، وأنهم جميعاً في الجنة إما بالإستحقاق أو بالشفاعة .

ومذهبنا أن هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب هم ذرية النبي ﷺ من ابنته فاطمة ؑ وأن السابقين بالخيرات منهم هم الأئمة المعصومون ؑ والمقتصدون أتباعهم ، والظالمين لأنفسهم مخالفوهم . . وفيما يلي تفصيل هذه الآراء :

قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين وهم في الجنة

الظاهر أن أقدم القائلين بهذا الرأي كعب الأحبار وأنه اعتمد على استنتاجه الشخصي وليس على رواية عن النبي ﷺ فقد قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢ : وأخرج عبد بن حميد عن صالح أبي الخليل قال قال كعب : يلومني أحبار بني اسرائيل أني دخلت في أمة فرقهم الله ثم جمعهم ثم أدخلهم الجنة ! ثم تلا هذه الآية : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ، حتى بلغ جنات عدن يدخلونها قال قال : فأدخلهم الله الجنة جميعاً .

وأخرج ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عبد الله بن



الحارث أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** . . الآية ، قال : نجوا كلهم . ثم قال : تحاكت مناكبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم .

. وفي تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٨٨ ، عن كعب :

إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله قال : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا** . . الخ . وروى أيضاً بعض ما تقدم في الدر المنثور .

وقال الخولاني إنه قرأ ذلك في كتب اليهود

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢

وأخرج عبد بن حميد عن أبي مسلم الخولاني قال : قرأت في كتاب الله أن هذه الأمة تصنف يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف منهم يدخلون الجنة بغير حساب ، وصنف يحاسبهم الله حساباً يسيراً ويدخلون الجنة ، وصنف يوقفون ويؤخذ منهم ما شاء الله ، ثم يدركهم عفو الله وتجاوزه .

عائشة وعثمان يوافقان كعباً على تفسيره

. روى الحاكم أن عائشة وافقت كعباً على تفسيره قال في المستدرک ج ٢ ص ٤٢٦

عقبة بن صهبان الحراني قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أم المؤمنين أرايت قول الله عز وجل : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ؟ فقالت عائشة رضي الله عنها : أما السابق فمن مضى في حياة رسول الله ﷺ فشهد له بالحياة والرزق . وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بأعمالهم حتى يلحق بهم . وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا ، وكل في الجنة !! صحيح الإسناد ولم يخرجاه . انتهى . ورواه في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٦ . وقال عنه السيوطي في الدر المنثور ج ٥

ص ٢٥١ : وأخرج الطيالسي وعبد ابن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وابن مردويه عن عقبة بن صهبان قلت لعائشة . . . الخ .

— وروى السيوطي في الدر المنثور أن الخليفة عثمان أيضاً وافق كعباً على تفسيره قال في ج ٥ ص ٢٥٢ :

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان أنه نزع بهذه الآية قال : إن سابقنا أهل جهاد ، ألا وإن مقتصدنا ناج أهل حضرنا ، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا . انتهى . ورواه في كنز العمال ج ٢ ص ٤٨٥ ووضح من الروايتين أن عائشة وعثمان اعتمدا على كعب الأخبار ، أو على فهمهما للآيات ، ولم يذكر رواية عن النبي ﷺ .

الحسن البصري يرد تفسير كعب الأخبار

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي عن كعب الأخبار أنه تلا هذه الآية : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ، إلى قوله لغوب ، قال : دخلوها ورب الكعبة . وفي لفظ قال : كلهم في الجنة ، ألا ترى على أثره والذين كفروا لهم نار جهنم ، فهؤلاء أهل النار . فذكر ذلك للحسن فقال : أبت ذلك عليهم الواقعة ! . وأخرج عبد بن حميد عن كعب في قوله : **جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا** قال : دخلوها ورب الكعبة ، فأخبر الحسن بذلك فقال : أبت والله ذلك عليهم الواقعة . انتهى .

ويقصد الحسن البصري بذلك أن التقسيم الثلاثي للناس الذي ورد في سورة الواقعة يردُّ تفسير كعب وهو قوله تعالى : **وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ .** **أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ .** الواقعة ١١ . ٧

وكلام البصري قوي لأن الخطاب عنده في الآية للمسلمين ، ولو كان المقصود



بالمصطفين الذين أورثهم الله الكتاب كل المسلمين لكانوا جميعاً من أهل الجنة ،
ولما بقي معنى لتقسيمات القرآن لهم في سورة الواقعة إلى أصحاب يمين وشمال
وسابقين . فهذا التقسيم يدل على أن من المسلمين من يدخل النار .

وإن ناقشنا في استدلال الحسن البصري ، فتدل على رأيه الأحاديث والأدلة
المتقدمة في الرد على مذاهب توسيع الشفاعة !

الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب

— روى السيوطي في الدر المنثور عن الخليفة عمر أنه خالف تفسير كعب الأبحار ، وأن
رأيه كان كما قال الحسن البصري . . قال في ج ٥ ص ٢٥٢ :

وأخرج ابن مردويه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فمنهم ظالم
لنفسه قال : الكافر . انتهى .

ويحتمل أن تكون هذه الرواية تفسيراً للآية ٣٢ من سورة لقمان وهي قوله تعالى :
**وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ .** ولكنها على أي حال تنطبق على
موضوعنا لأنها تفسر معنى (الظالم لنفسه) .

ولكن من البعيد أن تصح هذه الرواية ، لأنه ورد عن عمر أنه كان يردد تفسير
كعب ، إلا أن نقول إنه كان يفسرها بذلك قبل أن يسمع تفسيرها من كعب !

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث عن عمر
بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية قال : ألا إن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا
مغفور له . انتهى . (والشوكاني في فتح القدير ج ٤ ص ٤٤١ ، ورواه في كنز العمال ج ٢ ص

٤٨٥

وقال في هامشه : نزع بهذه الآية . . . ومنه الحديث : لقد نزعت بمثل ما في التوراة ،



أي : جئت بما يشبهها اهـ . قلت : فكأن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يأتي برأيه بما يشبه ظاهر الآية ، ولا عجب فقد نزلت آيات توافق رأيه . انتهى .

غير أن معنى نزع بالآية : شرع فيها فقرأها أو فسرها ، لا أنه أتى بشبيها ، كما زعم مهمش كنز العمال ، وأين الشبيه الذي أتى به عمر !

وغرضنا هنا تفسير عمر للآية بأن الظالم مغفور له ، وهو مؤشّر على أنه قبل تفسير كعب بأن المقصود بالآية كل المسلمين .

وتوجد رواية نقلها السيوطي قد يفهم منها أن عمر روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

. قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢ :

وأخرج العقيلي وابن هلال وابن مردويه والبيهقي من وجه آخر عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له ، وقرأ عمر : **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ** الآية . انتهى .

وروى السيوطي نحوها عن أنس ، ورواها في كنز العمال ج ٢ ص ١٠ وفي ص ٤٨٥ عن عمر وأضاف إلى رواها : الديلمي في الفردوس والبيهقي في البعث والنشور . انتهى .

ولكن عمر لم يصرح فيها بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصد كل الأمة ، فقد يكون صلى الله عليه وسلم قصد بقوله : سابقنا ومقتصدنا وظالمنا ، ذريته وأهل بيته الذين أورثهم الله الكتاب كما أورثه آل إبراهيم وآل عمران ، من نوع قوله صلى الله عليه وسلم : المهدي منا ، بنا فتح الله وبننا يختم ، وشهيدنا خير الشهداء . الخ . وهو في كلامه كثير صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا الإحتمال يطل الاستدلال بأن المقصود بورثة الكتاب كل الأمة ، لأنه يمتثل أن يكونوا بعضها . . خاصة بعد أن نصت أن بعض الأحاديث على أنهم بعض الأمة وليس كلها :

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥١ :

وأخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن أسامة بن زيد رضي الله عنه : **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ**

وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كلهم من هذه الأمة ، وكلهم في الجنة . انتهى . ونقله في كنز العمال ج ٢ ص ٤٨٦

ويؤيد ذلك ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٦ عن أسامة بن زيد قال :
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، الآية ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : كلهم من
هذه الأمة . رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ .
انتهى .

وتعبير كلهم من الأمة يدل على أنهم ليسوا كل الأمة ، ويكون هذا الحديث من ابن
أبي ليلى السيء الحفظ على حد تعبير الهيثمي معقولاً أكثر من كلام غيره !



إلى هنا يبدو أنه لا مشكلة في تفسير ورثة الكتاب ببعض الأمة وهم ذرية النبي
ﷺ . وأن هؤلاء الذرية كلهم مقبولون بشرط أن لا يدعوا الناس إلى أنفسهم كما
سيأتي ، وأن الذين يمثلون خط جدهم هم السابقون منهم صلى الله عليه وعليهم .

لكن تبقى مجموعة روايات في مصادر السنين تؤكد على تفسير كعب وتنسبه
إلى النبي ﷺ ! لكنها تصطدم بسورة الواقعة على حد قول الحسن البصري ، كما
تصطدم بحكم العقل والأدلة المتقدمة التي لا تسمح بالقول إن كل مسلم في الجنة ! !

وأول سؤال عن هذه الروايات : أين كانت عندما فسر كعب وعائشة وعثمان وعمر
آيات ورثة الكتاب الإلهي ، وكانت موضوعاً مهماً يطرحه كعب الأخبار مع اليهود ،
ويطرحه الخليفة عمر في مجلسه أو على منبر الجمعة ؟ !

إن عدم احتجاج أحد بها ، يوجب الشك في سندها ، أو القول بأن النبي ﷺ كان
يتحدث عن اصطفاء الله تعالى لذريته من أولاد فاطمة وورثة خطه في الأمة ﷺ
وقال كلهم من هذه الأمة ، فرواها الراوي (كل هذه الأمة) ويوجد لذلك نظائر ! فكم
من ميزة للعترة الطاهرة جعلت بسبب بساطة الرواة ، لكل الأمة !



ومما يؤيد ذلك وجود روايات مترددة في جعل هؤلاء المصطفين مجموع الأمة . .

— كالذي رواه أحمد ج ٣ ص ٧٨ : عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ، قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة ، وكلهم في الجنة ! ورواه الترمذي في ج ٥ ص ٤١ وقال (هذا حديث غريب حسن) ورواه في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥١ عن الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري . . . انتهى .

— وقريب منه ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٧٨ والطبراني كما في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥٢ عن ابن عباس ، وكذا شهادة البراء بن عازب التي نقلها الهيثمي عن سعيد بن منصور ، والبيهقي في البعث وجاء فيها (أشهد على الله أنه يدخلهم الجنة جميعاً) .

فكل هذه الروايات تنص على أنهم من أهل الجنة ، وأنهم من هذه الأمة لا كلها . . الأمر الذي يوجب الشك في تعبير أنهم : كل الأمة !

هذا ، وقد ارتكب الحاكم خطأً في ميله إلى تصحيح حديث نسبوه إلى أبي الدرداء في تفسير الآية يقول إن الظالمين من المسلمين يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة بالشفاعة !

. قال في المستدرک ج ٢ ص ٤٢٦ :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل : **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ، قال : السابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب ، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة . ثم قال الحاكم : وقد اختلفت الروايات عن الأعمش في إسناد هذا الحديث فروي عن الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي ثابت ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، وقيل عن شعبة ، عن

الأعمش ، عن رجل من ثقيف ، عن أبي الدرداء . وقيل ، عن الثوري أيضاً ، عن الأعمش قال : ذكر أبو ثابت ، عن أبي الدرداء . وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلاً . انتهى .

وحسب ما ذكره السيوطي فقد ارتكب البيهقي نفس الخطأ أيضاً قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥١ : وأخرج الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي الدرداء . . . ثم قال السيوطي : قال البيهقي : إن كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً .

والخطأ هو تطبيق قاعدة أن (كثرة الروايات في إسناد حديث تدل على أن له أصلاً) على هذا الحديث الذي نسب بثلاث نسب إلى أبي الدرداء كلها بلفظ قيل ، وإحداها عن رجل من ثقيف عن أبي الدرداء ، أو رجل لم يسم ! فهذا ليست كثرة إسناد ، بل كثرة تردد في الإسناد وعدم قطع به ، وكثرة الإحتمالات من هذا النوع ككثرة أسماء السنور لا تزيد في قيمته !

وقد كان الهيثمي أدق من الحاكم عندما علق صحة الحديث على احتمال أن يكون الرجل المجهول ابن عمير فقال في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٦ : رواه الطبراني عن الأعمش عن رجل سماه ، فإن كان هو ثابت بن عمير الأنصاري كما تقدم عند أحمد فرجال الطبراني رجال الصحيح . انتهى .

وقصده بما تقدم ما ذكره في نفس المجلد ص ٩٥ حيث قال (رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح ، وهي هذه إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي) انتهى .

فأين كثرة الأسانيد إلى أبي الدرداء ! بل أين السند الواحد القطعي !

وأخيراً ، نلاحظ في بعض روايات تفسير الآية بكل الأمة ضعفاً لا يتفق مع بلاغة الحديث النبوي وقوة منطقه ، كحديث عوف بن مالك الذي سيأتي في نظرية الفداء المزعومة من النار .

قال أهل البيت عليهم السلام لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة

. الإعتقادات للصدوق ص ٨٧

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ** ، قال : الظالم لنفسه هنا من لم يعرف حق الإمام ، والمقتصد من عرف حقه ، والسابق بالخيرات بإذن الله هو الإمام .

وسأل إسماعيل أباه الصادق عليه السلام قال : ما حال المذنبين منا ؟ فقال عليه السلام : ليس بأمانيتكم ولا أمانيتهم ، من يعمل سوءً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً .

. الإحتجاج ج ٢ ص ١٣٨

وعن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ؟ قال : أي شيء تقول ؟ قلت : إني أقول إنها خاصة لولد فاطمة . فقال عليه السلام : أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل في الآية ، قلت : من يدخل فيها ؟ قال : الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى ، والمقتصد منا أهل البيت هو العارف حق الإمام ، والسابق بالخيرات هو الإمام .

. بصائر الدرجات ص ٤٤

حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن ميسر ، عن سورة بن كليب ، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في هذه الآية : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** . . الآية ، قال : السابق بالخيرات الإمام فهي في ولد علي وفاطمة عليهم السلام .

. شرح الأخبار ج ٢ ص ٥٠٥

حماد بن عيسى بإسناده ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل عن قول



الله عز وجل : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** . قال : فينا أنزلت أورث الله عز وجل الكتاب الأئمة منا ، وقوله : فمنهم ظالم لنفسه يعني منهم من لا يعرف إمام زمانه ولا يأتّم به فهو ظالم لنفسه بذلك ، وقوله : ومنهم مقتصد ، يعني من هو منهم في النسب ممن عرف إمام زمانه وائتم به واتبعه فاقصد سبيل ربه بذلك ، والسابق بالخيرات هو الإمام منا .

. شرح الأخبار ج ٣ ص ٤٧٢

الرازي قال : قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام : ما يقول من قبلكم في هذه الآية : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا . . . ؟** قال قلت يقولون : نزلت في أهل القبلة . قال : كلهم ؟ ! قلت كلهم . قال فينبغي أن يكونوا قد غفر لهم كلهم ؟ ! قلت : يا بن رسول الله فيمن نزلت ؟ قال : فينا . قلت : فما لشيعتكم ؟ قال : لمن اتقى وأصلح منهم الجنة ، بنا يغفر الله ذنوبهم ، وبنا يقضي ديونهم ، ونحن باب حطتهم كحطة بني إسرائيل .

. الثاقب في المناقب ص ٥٦٦

وعنه قال : كنت عند أبي محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ؟** فقال عليه السلام : كلهم من آل محمد عليه السلام الظالم لنفسه الذي لا يقر بالإمام ، والمقتصد العارف بالإمام والسابق بالخيرات بإذن الله : الإمام .

. البحار ج ٢٣ ص ٢١٨

روى السيد ابن طاووس في كتاب سعد السعود من تفسير محمد بن العباس بن مروان قال : حدثنا علي بن عبد الله بن أسد ، عن إبراهيم بن محمد ، عن عثمان بن سعيد ، عن إسحاق بن يزيد الفراء ، عن غالب الهمداني ، عن أبي إسحاق السبيعي قال : خرجت حاجاً فلقيت محمد بن علي فسألته عن هذه الآية : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ . . .**



الآية؟ فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق؟ يعني أهل الكوفة، قال: قلت يقولون إنها لهم، قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة؟! قلت: فما تقول أنت جعلت فداك؟ فقال: هي لنا خاصة يا أبا إسحاق، أما السابق بالخيرات فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين والشهيد منا أهل البيت، وأما المقتصد فصائم بالنيهار وقائم بالليل، وأما الظالم لنفسه ففيه ما جاء في التائبين وهو مغفور له.

يا أبا إسحاق بنا يفك الله عيوبكم، وبنا يحل الله رباق الذل من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح الله وبنا يختم لا بكم، ونحن كهفكم كأصحاب الكهف، ونحن سفينتكم كسفينة نوح، ونحن باب حطتكم كباب حطة بني إسرائيل.

. وقال ابن شعبة الحراني في تحف العقول ص ٤٢٥ .

لما حضر علي بن موسى عليه السلام مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان . فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الآية : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . . .** الآية ؟

فقلت العلماء : أراد الله الأمة كلها .

فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال الرضا عليه السلام : لا أقول كما قالوا ولكن أقول : أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة

الطاهرة عليهم السلام .

فقال المأمون : وكيف عنى العترة دون الأمة ؟

فقال الرضا لنفسه : **وَمِنْهُمْ مُمْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ**

الْكَبِيرُ . ثم جعلهم كلهم في الجنة فقال عز وجل : **جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ،** فصارت

الورثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم . ثم قال الرضا عليه السلام : هم الذين وصفهم الله في كتابه

فقال : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ،** وهم الذين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إني مخلص فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا

حتى يردها علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، يا أيها الناس لا تعلموهم

فإنهم أعلم منكم .

قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أو غير الآل ؟

فقال الرضا عليه السلام : هم الآل .

فقالت العلماء : فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال : أمي آلي ، وهؤلاء أصحابه

يقولون بالخبر المستفيض (! !) الذي لا يمكن دفعه : آل محمد أمته !

فقال الرضا عليه السلام : أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد ؟

قالوا : نعم .

قال عليه السلام : فتحرم على الأمة ؟

قالوا : لا .

قال عليه السلام : هذا فرق بين الآل وبين الأمة ، ويحكم أين يذهب بكم أصرفتم عن

الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ، أما علمتم أنما وقعت الرواية في الظاهر على

المصطفين المهتدين دون سائرهم !

قالوا : من أين قلت يا أبا الحسن ؟

قال عليه السلام : من قول الله : لقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة

والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ، فصارت وراثثة النبوة والكتاب في

المهتدين دون الفاسقين . أما علمتم أن نوحاً سأل ربه فقال : رب إن ابني من أهلي

وإن وعدك الحق ، وذلك أن الله وعده أن ينجيّه وأهله ، فقال له ربه تبارك وتعالى : **إِنَّهُ**

لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ

مِنَ الْجَاهِلِينَ .

فقال المأمون : فهل فضل الله العترة على سائر الناس ؟

فقال الرضا عليه السلام : إن الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه .

قال المأمون : أين ذلك من كتاب الله ؟

قال الرضا عليه السلام : في قوله تعالى **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ**



عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وقال الله في موضع آخر : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ، ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ يعني الذين أورثهم الكتاب والحكمة وحسدوا عليهما بقوله : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ، يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين ، والملك هاهنا الطاعة لهم .

قالت العلماء : هل فسر الله تعالى الإصطفاء في الكتاب ؟

فقال الرضا عليه السلام : فسر الإصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعاً . فأول ذلك قول الله : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فهذه واحدة .

والآية الثانية في الإصطفاء قول الله : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ، وهذا الفضل الذي لا يجحده معاند ، لأنه فضل بين .

والآية الثالثة ، حين ميز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيه في آية الإبتهال فقال : قل يا محمد **تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ، فأبرز النبي صلى الله عليه وآله علياً والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام فقرن أنفسهم بنفسه . فهل تدرون ما معنى قوله : وأنفسنا وأنفسكم ؟

قالت العلماء : عنى به نفسه .

قال أبو الحسن عليه السلام : غلطتم ، إنما عنى به علياً عليه السلام ، ومما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله حين قال : لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجالاً كنفسي ، يعني علياً عليه السلام . فهذه خصوصية لا يتقدمها أحد ، وفضل لا يختلف فيه بشر ، وشرف لا يسبقه إليه خلق ، إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه ، فهذه الثالثة .

وأما الرابعة : فأخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة ، حين تكلم الناس في



ذلك وتكلم العباس فقال : يا رسول الله تركت علياً وأخرجتنا ! فقال رسول الله ﷺ : ما أنا تركته وأخرجتكم ، ولكن الله تركه وأخرجكم . وفي هذا بيان قوله لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى .

قالت العلماء : فأين هذا من القرآن ؟

قال أبو الحسن عليه السلام : أوجدكم في ذلك قرآناً أقرؤه عليكم .

قالوا : هات .

قال عليه السلام : قول الله عز وجل : **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّأْ لِقَوْمِكَ مِمَّا مِصْرَ**

بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ، ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى ، وفيها أيضاً منزلة

علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ . ومع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله ﷺ حين قال :

إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد ﷺ .

فقالت العلماء : هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل بيت

رسول الله !

قال أبو الحسن عليه السلام : ومن ينكر لنا ذلك ؟ ! ورسول الله ﷺ يقول : أنا مدينة العلم

وعلي بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها ، ف فيما أوضحنا وشرحنا من الفضل

والشرف والتقدمة والإصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند ، والله عز وجل الحمد

على ذلك . فهذه الرابعة .

وأما الخامسة ، فقول الله عز وجل : **وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ** ، خصوصية خصهم الله

العزیز الجبار بها ، واصطفاهم على الأمة ، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ

قال : أدعوا لي فاطمة فدعوا له فقال : يا فاطمة ، قالت : لبيك يا رسول الله ، فقال :

إن فدكاً لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وهي لي خاصة دون المسلمين . وقد

جعلتها لك لما أمرني الله به فخذها لك ولولدك ، فهذه الخامسة .

وأما السادسة : فقول الله عز وجل : **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**

فهذه خصوصية للنبي ﷺ دون الأنبياء ، وخصوصية لآل دون غيرهم . وذلك أن الله



حكى عن الأنبياء في ذكر نوح عليه السلام : **يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُوا رُبَّهُمْ وَلِكِنِّي أَرْأَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ** ، وحكى عن هود عليه السلام قال : **لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ، وقال لنبيه عليه السلام : **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** .

ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً . . . إلى آخر الحديث .

ورواه في بشارة المصطفى ص ٢٢٨ وفي بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٢٠



النوع الثالث : نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى !

. روى مسلم في ج ٨ ص ١٠٤

عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار !! ورواه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٤ عن أنس وزاد في أوله (إن هذه الأمة مرحومة عذابها بأيديها) وقال في هامشه : في الزوائد : له شاهد في صحيح مسلم من حديث أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه . وقد أعله البخاري .

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٥١

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمتي ثلاثة أثلاث ، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة ، وثلث يحصون ويكسفون ، ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده فيقول الله : أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب ، وهي التي قال الله :



وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَتَصَدِيقًا فِي الَّتِي ذَكَرَ الْمَلَائِكَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، فهذا الذي يكسف ويمحس ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وهو الذي يحاسب حساباً يسيراً ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بِإِذْنِ اللَّهِ ، يدخلونها جميعاً لم يفرق بينهم ، يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ إِلَى قَوْلِهِ لُغُوبٌ . انتهى .
ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٥ وقال : رواه الطبراني وفيه سلامة بن رونج وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقيه رجاله ثقات .

. وقال النبهاني في جامع الشاء على الله ص ٤١

روى الإمام أحمد ، عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجمع الله الأمم في صعيد واحد يوم القيامة ، فإذا بدأ الله يصعد بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونه حتى يقحموهم النار ، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول : من أنتم ؟ فنقول : نحن المسلمون ، فيقول : ما تنتظرون ؟ فنقول : ننتظر ربنا ! فيقول : وهل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فنقول : نعم ، فيقول كيف تعرفونه ولم تعرفوه ؟ فنقول : نعم ، إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكاً !! فيقول : أبشروا يا معشر الاسلام فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهودياً أو نصرانياً مكانه !! انتهى

وما ذكره النبهاني رواه أحمد في ج ٤ ص ٤٠٧ و ٤٠٨ ورواه أيضاً في ج ٤ ص ٣٩١
وص ٣٩٨ وص ٤٠٢ وص ٤١٠ بروايات متعددة ، وفي كنز العمال ج ١ ص ٧٣ وص ٨٦
وج ١٢ ص ١٥٩ وص ١٧٠ . ١٧٢ وج ٤ ص ١٤٩ عن مصادر متعددة .

وما تدعيه هذه الروايات من رفع جرائم أحد ووضعها على ظهر أحد لا علاقة له
بجرمه . . أمرٌ لا يقبله دينٌ ولا عقل ، ويرده قوله تعالى (لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

أما الذين قال الله تعالى إنهم يحملون أثقالاً مع أثقالهم ، فإنهم المصلون الذين
يحملون من أثقال الذين أضلوهم ، لأنهم شركاء في كفرهم ومعاصيهم ، ثم لا ينقص

من أنقال الضالين شيء ، لا أن جرائمهم تسقط كما تدعي هذه الرواية ! !
والظاهر أن هذه المقولات ردة فعل من بعض المسلمين على زعم اليهود بأنهم لا
تمسهم النار إلا أياماً معدودة ثم يخلفهم فيها المسلمون ، كما تقدم في فصل الشفاعة
عند اليهود ! فاخترع لهم أبو موسى الأشعري أو غيره نظرية فداء المسلم من النار
بيهودي أو نصراني ! كما يفعل المجرم الشاطر فيفدي نفسه من مشكلة تحصل له في
الدنيا بأن يجعلها في رقبة غيره زوراً وبهتاناً ! !

النوع الرابع : إسقاط المحرمات عن أهل بدر

. قال البخاري في صحيحه ج ٥ ص ١٠

عن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد والزيبر وكلنا
فارس قال : إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من
حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين ، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : الكتاب ! فقالت : ما معنا كتاب ! فأخناها فالتمسنا
فلم نر كتاباً ، فقلنا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتخرجن الكتاب أو
لنجردنك ، فلما رأته الجرد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته ،
فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : يا رسول الله قد خان الله
ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
ما حملك على ما صنعت ؟ قال حاطب : والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله
صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ،
وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله .
فقال : صدق ، ولا تقولوا له إلا خيراً ، فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين
فدعني فلاضرب عنقه ، فقال : أليس من أهل بدر ؟ فقال : لعل الله اطلع على أهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم . فدمعت عينا



عمر وقال : الله ورسوله أعلم . انتهى .

ورواه مسلم في صحيحه ج ٧ ص ١٦٨ وقال (وليس في حديث أبي بكر وزهير ذكر الآية وجعلها إسحاق في روايته من تلاوة سفيان)

ورواه أبو داود في سننه ج ١ ص ٥٩٧ وج ٢ ص ٤٠٣ والترمذي ج ٥ ص ٨٣ والحاكم ج ٣ ص ١٣٤ وص ٣٠١ وج ٤ ص ٧٧ والبيهقي في سننه ج ٩ ص ١٤٦ والدارمي في ج ٢ ص ٣١٣ ورواه أحمد في ج ١ ص ٨٠ وص ١٠٥ وص ٣٣١ وج ٢ ص ١٠٩ وص ٢٩٥ . . . الخ .

— ورواه البخاري أيضاً في مواضع عديدة أخرى وجدنا منها سبعة : في ج ٤ ص ١٩ وقال بعده (قال سفيان وأي إسناد هذا !) وفي ج ٤ ص ٣٩ وفي ج ٥ ص ٨٩ وفي ج ٦ ص ٦٠ وفيه (قال عمرو ونزلت فيه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي عدوكم . قال لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو) وفي ج ٧ ص ١٣٤ وفي ج ٨ ص ٥٥ .

والموضعان الآخريان روى البخاري فيهما طعناً على علي عليه السلام قال في ج ٤ ص ٣٨ :

عن أبي عبد الرحمن وكان عثمانياً فقال لابن عطية وكان علويّاً : إني لأعلم ما الذي جرّاً صاحبك على الدماء ! سمعته يقول : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم والزيبر فقال إئتوا روضة كذا وتجدون بها امرأة أعطها حاطب كتاباً . . . فقال : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم ! فهذا الذي جرّاً . انتهى . وروى نحوه في ج ٨ ص ٥٤

ومن الواضح أن البخاري أعجبه قول أبي عبد الرحمن العثماني حتى رواه مرتين بدون تعليق !

وجوابه : أن عليّاً عليه السلام لم يكن يعتقد بهذه المقولة التي نسبوها الى النبي صلى الله عليه وآله عن أهل بدر . . . وأن حروبه الداخلية الثلاثة على تأويل القرآن كانت بعهدٍ معهودٍ إليه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه البخاري نفسه وغيره !



بل ثبت عندنا أن كل موافقه وأعماله كانت بعهد ووصية من النبي ﷺ .

وعلى فرض تسليمنا ما يراه البخاري ، فالسؤال موجهٌ إليه : ما دام الذي جرَّأ علياً عليه السلام على سفك دماء المسلمين بزعمك ، أنه رفع القلم عن أهل بدر ، وأن علياً عليه السلام معذورٌ لذلك !

فما هو عذر عدوه معاوية في خروجه على الخليفة الشرعي وقتاله إياه وسفكه لدماء المسلمين ؟

وما عذرک في الدفاع عن معاوية وتوثيقه والرواية عنه ؟

إلا أن يكون البخاري قد عدَّ معاوية بديراً لأنه شهدها مع أبيه أبي سفيان في صف المشركين !!

ومن أشرف المواقف السننية في هذا الموضوع موقف الحافظ ابن الجوزي ، حيث رد مقولة المغفرة المطلقة لأهل بدر ، وفسرها بأنها مغفرة ما مضى من ذنوبهم لا ما سيأتي ، ثم رد على رواية البخاري بقوله :

ثم دعنا من معنى الحديث ، كيف يحل لمسلم أن يظن في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فعل ما لا يجوز اعتماداً منه على أنه سيغفر له ؟ ! حوشي من هذا ، وإنما قاتل بالدليل المضطر له الى القتال ، فكان على الحق ، ولا يختلف العلماء أن علياً لم يقاتل أحداً إلا والحق مع علي ، كيف وقد قال رسول الله (ص) : اللهم أدر الحق معه كيفما دار ! فقد غلط أبو عبد الرحمن غلطاً قبيحاً ، حمله عليه أنه كان عثمانياً ! انتهى . (الصحيح في السيرة ج ٥ ص ١٤١ عن صيد الخاطر ص ٣٨٥)



وينبغي أن نشير أولاً إلى أن ما رووه من قول النبي ﷺ (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) معناه القطع بذلك وليس الإحتمال والرجاء . . فعلى هذا تعامل العلماء السنيون مع الحديث ، وقد صرح بالقطع واليقين حديث آخر رواه الحاكم وصححه قال في المستدرک ج ٤



ص ٧٧ : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ على اليقين (إن الله اطلع عليهم فغفر لهم) إنما أخرجاه على الظن وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر . انتهى .

وروى مفاده في دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ١٥٣ قال : عن جابر بن عبد الله : أن عبداً لحاطب بن بلتعنة جاء إلى رسول الله يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار ! فقال رسول الله (ص) : جُذِبْتُ ، لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية ! . انتهى .

ولكن هذه الأحاديث الصحيحة عندهم بمقاييس الجرح والتعديل وأحكامه ، يواجهها حكم العقل وآيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم القطعية المتفق عليها عند الجميع ! إذ لا يمكن لعاقل أن يقبل أن الصحابة من أهل بدر أو كل الصحابة كما تقول روايات أخرى . . مبشرون بالجنة ، وأعمالهم مغفورة مهما كانت ، وولايتهم فريضة من الله تعالى على المسلمين بعد ولايته الله تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وسلم ! وأن من لا يتولاهم أو ينتقصهم فهو في النار محروم من الشفاعة والجنة ورائحة الجنة ، وخارج عن رتبة الإسلام . . . إلى آخر الأحكام التي ذكروها للصحابة ، وجعلوها جزء من شريعة الإسلام المقدسة ، بل جزء من عقائده الأساسية ! !

تقول لهم : يا إخواننا إن الصحابة أنفسهم قد سبَّ بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم من بعضهم ، وكفَّر بعضهم بعضاً ، وقتل بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً ! فمن المحق ومن المبطل ؟ ومن المظلوم ومن الظالم ؟ ومن يستحق الشفاعة منهم ومن يستحق الحرمان ؟

فيقولون : لا تخوضوا في موضوع الصحابة ، فكلهم عدول وكلهم في الجنة !

تقول لهم : لقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نخوض في أمرهم ، فقد ثبت في الصحاح أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بأن بعضهم يدخل النار وأنهم لا يرونه ولا يراهم في الآخرة ، وأن

بعضهم يردون عليه الحوض ، فيذودهم عنه ويطردهم كما تطرد الأباغر الغريبة !!

فيقولون : لا تخوضوا في موضوع الصحابة ، فكلهم عدول وكلهم في الجنة !

وترجمة كلامهم : أنك يجب عليك في موضوع الصحابة أن تعطل عقلك ، وتعطل آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ حتى تحافظ على إيمانك بالصحابة وتمسك بهم !

ولكن التناقض لا فرق فيه بين صغير وكبير ، فإذا قبلنا به لحل مشكلة الصحابة ، فلنقبل به لحل مشكلة الأديان ، ولنقبل بصحة التثليث والتوحيد ، والإيمان والكفر ، والوثنية والإسلام . . . ولنحلّ به مشكلة إبليس ونقول إنه عدو الله وولي الله معاً !!

العقل يقول : إذا تناقض أمران أو شخصان في القول ولم يمكن الجمع بين قوليهما ، فلا يمكن أن يكون كلا القولين حقاً ، لأنه تناقض مستحيل .

وإذا تناقضا في الفعل واقتتلا فلا يمكن أن يكون كل منهما على الحق ، لأنه تناقض مستحيل . . . ولا معنى للقبول بالتناقض إلا تعطيل العقل والتنازل عن قوانين العلية والبدهيّات ! وإذا عطلنا العقل ، فلا يبقى إيمان بالله ورسوله وكتبه ، ولا صحابة ولا مصحوبون !

إن ما ننعاه على اليهود والنصارى بأن عندهم عقائد لا يقبلها العقل ، وأنهم يقبلون ما يناقض عقولهم من أجلها . . . يجب أن ننعاه على أنفسنا ، لأننا نزعم أن الله تعالى أمرنا بإطاعة صحابة نبينا المتناقضين في أقوالهم وأفعالهم ، إلى حد كسر العظم وقطع الرقاب !

ولأننا نقرأ قول الله تعالى (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا**

لِرَجُلٍ . . .) ثم ندعي أن الله تعالى قد سلّم أمة نبيه ﷺ من بعده إلى صحابة

متشاكسين في الفقه والعقائد والسياسة إلى حد التناقض والتكفير والحرب !!

. قال المفيد في الإفصاح ص ٤٩

فإن قال : أليس قد روى أصحاب الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : خير القرون



القرن الذي أنا فيه ، ثم الذين يلونه (١) .

وقال ﷺ : إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (٢) .

وقال ﷺ : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (٣) .

فكيف يصح مع هذه الأحاديث أن يقترف أصحابه السيئات أو يقيموا على

الذنوب والكبائر الموبقات ؟ !

قيل له : هذه أحاديث آحاد ، وهي مضطربة الطرق والإسناد ، والخلل ظاهر في

معانيها والفساد ، وما كان بهذه الصورة لم يعارض الإجماع ، ولا يقابل حجج الله

تعالى وبيناته الواضحات ، مع أنه قد عارضها من الأخبار التي جاءت بالصحيح من

الإسناد ، ورواها الثقات عند أصحاب الآثار ، وأطبق على نقلها الفريقان من الشيعة

والناصرة على الإتفاق ، ما ضمن خلاف ما انطوت عليه فأبطلها على البيان :

فمنها : ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر

وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتهم . فقالوا يا رسول الله اليهود

والنصارى ؟ قال : فمن إذن ؟ ! (٤) .

وقال ﷺ في مرضه الذي توفي فيه : أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها

أولها ، الآخرة شر من الأولى (٥) .

وقال ﷺ في حجة الوداع لأصحابه : ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم

حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا ليلغ الشاهد منكم

الغائب ، ألا لأعرفنكم ترتدون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا إني قد

شهدت وغبتم (٦) .

وقال ﷺ لأصحابه أيضاً : إنكم محشورون إلى الله تعالى يوم القيامة حفاة عراة ،

وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب أصحابي ؟ فيقال :

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (٧) .

وقال ﷺ : أيها الناس بينا أنا على الحوض إذ مُرَّ بكم زمراً ، فتفرق بكم الطرق

فأناديكم : ألا هلموا إلى الطريق ، فيناديني مناد من ورائي : إنهم بدلوا بعدك ،



فأقول : ألا سحفاً ألا سحفاً^(٨) .

وقال عليه السلام : ما بال أقوام يقولون : إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع يوم القيامة ؟ بلى والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة ، وإني أيها الناس فرطكم على الحوض ، فإذا جئتم قال الرجل منكم : يا رسول الله أنا فلان بن فلان ، وقال الآخر : أنا فلان بن فلان ، فأقول : أما النسب فقد عرفته ، ولكنكم أحدثتم بعدي فارتدتم القهقري^(٩) .

وقال عليه السلام وقد ذكر عنده الدجال : أنا لفتنة بعضكم أخوف مني لفتنة الدجال^(١٠) .

وقال عليه السلام : إن من أصحابي من لا يراني بعد أن يفارقني^(١١) .

في أحاديث من هذا الجنس يطول شرحها ، وأمرها في الكتب عند أصحاب الحديث أشهر من أن يحتاج فيه إلى برهان ، على أن كتاب الله عز وجل شاهد بما ذكرناه ، ولو لم يأت حديث فيه لكفى في بيان ما وصفناه : قال الله سبحانه وتعالى : **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ، فأخبر تعالى عن ردهم بعد نبيه صلى الله عليه وسلم على القطع والثبات ، وقال جل اسمه : **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ، فأنذرهم الله سبحانه من الفتنة في الدين ، وأعلمهم أنها تشملهم على العموم إلا من خرج بعصمة الله من الذنوب .

وقال سبحانه وتعالى : **الْم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** . وهذا صريح في الخبر عن فتنتهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالاختبار ، وتمييزهم بالأعمال .

وقوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** . . إلى آخر الآية ، دليل على ما ذكرناه .

وقوله تعالى : **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ** ، يزيد

ما شرحناه .



ولو ذهبنا إلى استقصاء ما في هذا الباب من آيات القرآن والأخبار عن رسول الله ﷺ لانتشر القول فيه ، وطال به الكتاب .

وفي قول أنس بن مالك : دخل رسول الله ﷺ المدينة فأضاء منها كل شيء ، فلما مات ﷺ أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي ونحن في دفنه حتى أنكرنا قلوبنا . (١٢) شاهد عدل على القوم بما بيناه .

مع أننا نقول لهذا السائل المتعلق بالأخبار الشواذ المتناقضة ما قدمنا حكايته وأثبتنا أن أصحاب رسول الله ﷺ الذين توهمت أنهم لا يقارفون الذنوب ولا يكتسبون السيئات ، هم الذين حصروا عثمان بن عفان وشهدوا عليه بالردة عن الإسلام وخلعوه عن إمامة الأنام . . . إلى آخر كلامه المفيد ﷺ .

وقال في هامشه :

(١) مسند أحمد ٢ : ٢٢٨ سنن أبي داود ٤ : ٢١٤ / ٤٦٥٧ صحيح مسلم ٤ : ١٩٦٢ / ٢١٠ وفيها : خير أمتي القرن . . .

(٢) مسند أحمد ١ : ٨٠ و ٢ : ٢٩٥ صحيح مسلم ٤ : ١٩٤١ / ١٦١ صحيح البخاري ٦ : ٣٦٣ / ٣٨٣ سنن الدرامي ٢ : ٣١٣

(٣) لسان الميزان ٢ : ١٣٧ تفسير البحر المحيط ٥ : ٥٢٨ أعلام الموقعين ٢ : ٢٢٣ كنز العمال ١ : ١٩٩ / ١٠٠٢ كشف الخفاء ومزيل الألباس ١ / ١٣٢ . وانظر تلخيص الشافي ٢ : ٢٤٦

(٤) مسند أحمد ٢ : ٥١١ سنن ابن ماجه ٢ : ١٣٢٢ / ٣٩٩٤ صحيح البخاري ٤ : ٣٢٦ /

٢٤٩

(٥) مسند أحمد ٣ : ٤٨٩ مجمع الزوائد ٩ : ٢٤ سنن ابن ماجه ٢ : ١٣١٠ / ٣٩٦١ .

(٦) الجامع الصحيح للترمذي ٤ : ٤٦١ / ٢١٥٩ و ٤٨٦ / ٢١٩٣ صحيح البخاري ٧ :

١٨٢ و ٨ : ٢٨٥ / ١٤ و ٩ : ٩٠ / ٢٧ صحيح مسلم ٣ : ١٣٠٥ / ٢٩ . ٣١ سنن أبي داود ٤ :

٢٢١ / ٤٦٨٦ قطعة منه مسند أحمد ١ : ٢٣٠ سنن النسائي ٧ : ١٢٧ قطعة منه سنن الدرامي

٢ : ٦٩ قطعة منه .

(٧) صحيح البخاري ٦ : ١٠٨ صحيح مسلم ٤ : ٢١٩٤ / ٥٨ الجامع الصحيح للترمذي ٤ :



٦١٥ / ٢٤٢٣ سنن النسائي ٤ : ١١٧

(٨) مسند أحمد ٦ : ٢٩٧ .

(٩) مسند أحمد ٣ : ١٨ و ٦٢ قطعة منه .

(١٠) كنز العمال ١٤ : ٣٢٢ / ٢٨٨١٢

(١١) مسند أحمد ٦ : ٣٠٧ .

(١٢) الجامع الصحيح للترمذي ٥ : ٥٨٨ / ٣٦١٨ مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٢٢١ / ٢٦٨

سنن ابن ماجه ١ : ٥٢٢ / ١٦٣١ . انتهى .



النوع الخامس : حرمان من سب الصحابة من الشفاعة

. روى الديلمي في فردوس الأخبار ج ٢ ص ٤٩٨ ح ٣٣٩٨

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : شفاعتي مباحة إلا لمن سب

أصحابي .

. وفي ج ١ ص ٩٨ ح ١٩٦

عن عبد الرحمن بن عوف أيضاً وفيه : فشفاعتي محرمة على من شتم أصحابي .

ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء كما ذكر في كنز العمال ج ١٤ ص ٣٩٨

. وروى الشيرازي في الألقاب وابن النجار كما ذكر كنز العمال ج ١٤ ص ٦٣٥ :

عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل أنا لشرار

أمتي ! فقال له رجل من مزينة : يا رسول الله أنت لشرارهم فكيف لخيارهم ؟ قال :

خيار أمتي يدخلون الجنة بأعمالهم ، وشرار أمتي ينتظرون شفاعتي . ألا إنها مباحة

يوم القيامة لجميع أمتي إلا رجلاً ينتقص أصحابي ! ونقله كاندهلوي في حياة الصحابة ج

٣ ص ٤٥

ولا نقصد بنقد هذه الروايات الدفاع عن الذين يسبون بعض الصحابة ، فالسب

والشتم وكل أنواع البذاءة في المنطق لا يمكن لعاقل أن يدافع عنها ، بل لا يرتكبها



عاقِل في حالة سيطرة عقله على منطقته ، فضلاً عن الأتقياء الأبرار .

وإنما غرضنا بيان تهافت منطق هذه الأحاديث في منح الشفاعة والحرمان منها !
فهذا المنطق يقول : يجوز للصحابي أن يحكم بفسق الصحابي الآخر أو كفره ، وأن يسبه ويهينه ويضربه ويحبسه ويشهر عليه سيفه ويقتله ، أو يكيده ويقتله بالسم أو بالإغتيال ، ويجوز له أن يستعمل كل أساليب السياسة والمناورة والمخادعة ضده ، وأن يجمع حوله الناس بالرشوة والتهديد . . . وأن يخرج على إمام زمانه ويسبب انشقاقاً في الأمة وحروباً يقتل فيها عشرات ألوف المسلمين ، وأن يرتكب كل الحرمات . . . ولا بأس بذلك كله ، لأنه مغفورٌ له مشمولٌ بشفاعة رسول الله ﷺ أو مستحق للجنة بدون شفاعة ! !

أما غير الصحابة من المسلمين فلو انتقد صحابياً ولو انتقاداً صغيراً . . . فقد شمله مرسوم الحرمان النبوي من الشفاعة وصار مخلداً في النار ! !
إنه منطق يستشكل في الحبة ويأكل القبة ! ولا يمكن أن يكون مما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ !

بل إن صيغة الحديث (لا تسبوا أصحابي) وأمثاله يصعب تعقل صدورها عن النبي ﷺ لأن مخاطبيته هم أصحابه ، فكيف يقول لهم : لا تسبوا أصحابي أو اقتدوا بأصحابي !



وأخيراً ، فإن أحاديث فضل الصحابة ووجوب مودتهم وموالاتهم وحرمة بغضهم وانتقاصهم وانتفادهم . . . يصعب فهمها بل لا يمكن فهمها إلا بالمقارنة مع الآيات والأحاديث المشابهة الواردة في حق أهل بيت النبي ﷺ مثل قوله تعالى : **قُلْ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ، وقوله : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** . . . وأحاديث : **إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي**



أهل بيتي ، وأهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، ولا يؤمن أحدكم حتى يحبهم لحيي ، وعشرات غيرها متفق على صدورها عن النبي ﷺ وقد ركز فيها الإسلام مكانة عترة النبي من بعده حتى أنه حرم عليهم الصرف من المصارف العامة وجعل لهم مالية خاصة هي الخمس !

والباحث المتتبع يجد أن كل حديث قاله النبي ﷺ في أهل بيته . . نبت مقابله حديث في أصحابه ! حتى أن حديث الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة ، نبت مقابله : أبو بكر وعمر سيذا كهول أهل الجنة ، وحديث إفظوني في أهل بيتي نبت مقابله : إفظوني في أصحابي . .

وقانون الحرمان من الشفاعة لمن ينتقص الصحابة ، ما هو إلا نبتة قريشية مقابل قانون حرمان النواصب من الشفاعة الذي ثبت عند الجميع ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .



النوع السادس : الدخول الى جهنم

لتحليل القسم الإلهي بأن يملأها

. روى البخاري في صحيحه ج ٢ ص ٧٢

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يموت لمسلم ثلاثة من

الولد فيلج النار ، إلا تحلة القسم . ورواه أيضاً في ج ٧ ص ٢٢٤

ورواه مسلم ج ٨ ص ٣٩ وفيه (فتمسه النار)

ورواه ابن ماجة ج ١ ص ٥١٢ والنسائي ج ٤ ص ٢٢ و ٢٥ بعدة روايات وفي بعضها : فتمسه

النار . . والترمذي ج ٢ ص ٢٦٢ وأحمد ج ٢ ص ٢٤٠ وص ٢٧٦ وص ٤٧٣ وص ٤٧٩

والبيهقي في سننه ج ٤ ص ٦٧ وج ٧ ص ٧٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦٣ وج ٥



ص ٢٨٧ والهندي في كنز العمال ج ٣ ص ٢٨٤ وص ٢٩٣ وج ٤ ص ٣٢٣ وج ١٠ ص ٢١٦ والسيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٢٨٠ وفي عدد من رواياته : تمسه النار . وفي عدد آخر : يلج النار وفي أكثرها (تحلة القسم) .

ورغم التفاوت في صيغ هذه الروايات إلا أنها تتفق على أن هذا الوالد الذي تحمل ألم خسارة أولاده الثلاثة يستحق الجنة حتى لو كان مذنباً ، لكن يجب على هذا المسكين أن يدفع ضريبة يمين الله تعالى ، ويدخل النار مدة قليلة تحلةً لقسم الله تعالى حتى لا يكون الله حائثاً بقسمه ، ثم له من الله تعالى وَعَدُّ شَرَفٍ أَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى الْجَنَّةِ !!

فما هي قصة هذا القسم ؟ وما ذنب هذا الوالد وغيره من المساكين الذين أدخلتهم صحاح السنين في جهنم لا لشيء إلا لتحليل يمين الله تعالى !

حاولت بعض الروايات أن تجعل القسم قوله تعالى (**وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا**) مريم ٧٠ . ٧١ وقالوا إن هذا القضاء الإلهي الحتمي هو القسم وهو عام للجميع .

ولكنه تفسير من الرواة لأن الصحاح لم ترو حديثاً يفسر القسم بذلك !

. قال البيهقي في سننه ج ١٠ ص ٦٤ :

قال أبو عبيد : نرى قوله تحلة القسم يعني قول الله تبارك وتعالى : **وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا** ، يقول فلا يردها إلا بقدر ما يبر الله قسمه فيه . وفيه : أنه أحل للرجل يحلف ليفعلن كذا وكذا ثم يفعل منه شيئاً دون شيء ، يبري في يمينه . انتهى .

ولكن تفسيرهم هذا لا يصح :

أولاً ، لما ذكره البيهقي من أنه يفتح الباب للناس للتلاعب بأيمانهم ، ولا تبقى قيمة ليمين ! فإذا كان الله تعالى يستعمل الحيلة الشرعية للتحلل من يمينه ويسميتها (

تحلة القسم) فلا حرج على عباده أن يلعبوا بأيمانهم ! !

وثانياً ، لا يوجد في آية الورود قسم ، بينما ورد في كل روايات الصحاح أن سبب دخول هذا الأب (تحلّة القسم) .

وثالثاً ، إن المؤمنين الذين يردون جهنم ويشرفون عليها في طريق عبورهم الى الجنة لا تمسهم نارها ، بينما ورد في عدد من صيغ الحديث التعبير بتمسه النار تحلة القسم .

ورابعاً ، أن الورود المذكور في الآية أمرٌ عامٌ شاملٌ ، وليس من البلاغة استثناء هذا الوالد من استحقاق الجنة ، مع أن حال في الورود حال غيره ! !

وخامساً ، ورد في صيغة البخاري وغيره تعبير بالولوج وهو الدخول المحقق في النار ، بينما الورود أعم من الدخول في النار والإشراف عليها عند المرور على الصراط .

. قال في تفسير البيان ج ٧ ص ١٤٣

واختلفوا في كيفية ورودهم إليها فقال قوم وهو الصحيح : إن ورودهم هو وصولهم إليها وإشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها ، لأن الورود في اللغة هو الوصول إلى المكان ، وأصله ورود الماء وهو خلاف الصدور عنه . ويقال : ورد الخبر بكذا تشبيهاً بذلك .

ويدل على أن الورود هو الوصول إلى الشيء من غير دخول فيه قوله تعالى : **وَلَمَّا** **وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ** ، وأراد وصل اليه . وقال زهير :

فلما وردن الماء زرقاً جمامه
وضعن عصي الحاضر المتخيم

وقال قتادة وعبد الله بن مسعود : ورودهم إليها هو ممرهم عليها .

وقال عكرمة : يردها الكافر دون المؤمن ، فخص الآية بالكافرين .

وقال قوم شذاذ : ورودهم إليها دخولهم فيها ولو تحلة القسم . روي ذلك عن ابن

عباس وكان من دعائه : اللهم أزحني من النار سالماً وأدخلني الجنة غانماً . وهذا



الوجه بعيد ، لأن الله قال : **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ، فبين تعالى أن من سبق له الحسنى من الله يكون بعيداً من النار ، فيكف يكون مبعداً منها مع أنه يدخلها وذلك متناقض . فإذا المعنى بورودهم : إشرافهم عليها ووصولهم إليها . انتهى .

وعلى هذا يتعين أن يكون المقصود بتحلية القسم في هذه الأحاديث المزعومة : قسمه تعالى بأن يملأ جهنم من الجنة والناس في قوله تعالى : **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَٰذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . هود ١١٨ . ١١٩** ويكون معنى الحديث : أن هذا الوالد يستحق الجنة ، ولكن بما أن الله تعالى أقسم أن يملأ النار ، وليس عنده ما يكفي لملئها ، فإن على هذا الوالد المسكين أن يدفع الضريبة من جلده !!

إن منطلق هذا الحديث يصور الله تعالى كأنه حاكم دنيوي بنى سجناً وأقسم أن يملأه من المجرمين ، وعندما وجد أن السجن كبيرٌ لم يمتليء بالمجرمين الموجهودين ، أمر شرطته أن يقبضوا على الناس من الشارع ويضعوهم في السجن حتى يملأوه وفي حضرة الحاكم بيمينه ، ولا يكون كاذباً !

وهو تصورٌ نجده عن الله تعالى في التوراة ولا نجده في القرآن . الأمر الذي يجعلنا نطمئن بأن فكرة إدخال الناس إلى النار لتحلية القسم فكرة توراتية أخذها المسلمون من اليهود ففي تفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٤٧ ، جاء في رد مقولات اليهود التي منها (أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم) !!

ولكن أين هذا المنطق من قوانين الحق والعدل الإلهي التي أقام الله تعالى عليها الكون والحياة ، وأنزلها في كتابه وأوحى بها إلى رسوله ﷺ فخضع لها العلماء والفلاسفة والمفكرون !



النوع السابع : حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر

يمكن للباحث أن يتفهم أحاديث الحرمان من الشفاعة لمن ينتقد الصحابة ، ويفسرها بأنها محاولة لتسكيت المسلمين عن الصحابي الحاكم وجماعته . ولكن بعض الحرمانات الواردة في الصحاح لا يستطيع أن يفهم لها علة ولا معنى ، إلا بعد جهد جهيد ، مثل حرمانهم الذي يصبغ شعره ولحيته بالسواد من الشفاعة والجنة ! فقد روت ذلك الصحاح كما في النسائي ج ٨ ص ١٣٨ قال : عن ابن عباس رفعه أنه قال قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يرجون رائحة الجنة . انتهى .

ورواه أبو داود في ج ٢ ص ٢٩١

وأحمد في ج ١ ص ٢٧٣

والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٣١١

— وروى الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٦٣ رواية شديدة على المجرم الذي يصبغ شعره ولحيته بالسواد ، وقال إنها موثقة عند ابن حنبل وابن معين وابن حبان قال : عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خضب بالسواد سوّد الله وجهه يوم القيامة . رواه الطبراني وفيه الوضين بن عطاء وثقه أحمد وابن معين وابن حبان ، وضعفه من هو دونهم في المنزلة وبقية رجاله ثقات . انتهى .

وقد تحير في ذلك بعض أصحاب الصحاح . . ومن حقهم أن يتحيروا . . فمع أنهم عاشوا في القرن الثالث ولم يشهدوا القرن الأول ولا الثاني ، ولكن عهدهم كان قريباً نسبياً ، والمسألة واضحة وضوح اللحي ! ومع ذلك وصلت اليهم أحاديث متناقضة فيها ! فمنها أحاديث تقول إن النبي ﷺ أمر بتغيير الشيب ومخالفة اليهود الذين يرمون صبغ الشيب ، وأحاديث تقول إنه أمر بصبغه بالحناء ، أي باللون الأحمر الذي تصبغ به العرب ونهى عن السواد لأنه خضاب الكفار ! وأخرى تقول إنه أمر

بالسواد ، وأخرى تقول بالكتم والوسم الأصفر . . . !

واختلفت رواياتهم في أن النبي ﷺ هل صبع شبيهه أم لا ، فرواية تقول إنه صبغه

بالحناء ، ولكنهم رجحوا أخرى تقول لم يدركه الشيب إلا شعرات قليلة ولم يصبغها ،

— قال مسلم في صحيحه ج ٧ ص ٨٤ و ٨٥ : قال سئل أنس بن مالك عن خضاب النبي

صلى الله عليه وسلم فقال : لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت وقال : لم

يختضب وقد اختضب أبو بكر وعمر بالحناء والكتم واختضب عمر بالحناء بحتا . انتهى .

— وقد روى الجميع خضاب أبي بكر وعمر بالحناء والكتم كما في مسند أحمد ج ٣ ص ١٠٠

وج ٣ ص ١٠٨ و ص ١٦٠ و ص ١٧٨

ولكن تحير أصحاب الصحاح كان على مستوى الرواية فقط ، أما الرأي

السائد المتبع عندهم فهو النهي المشدد عن الخضاب بالسواد ، لأنه رأي الدولة من

زمن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية . . إلى آخر الخلافة الأموية !

ولذا جعل النسائي عنوان المسألة : النهي عن الخضاب بالسواد وقال في ج ٨ ص ٣٨

عن ابن عباس رفعه أنه قال : قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام

لا يريحون رائحة الجنة .

عن أبي الزبير عن جابر قال أتى بأبي قحافة يوم فتح مكة ، ورأسه ولحيته كالثغام

بياضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد . . . ثم

قال النسائي : والناس في ذلك مختلفون ، والله تعالى أعلم ، لعل المراد الخالص ،

وفيه أن الخضاب بالسواد حرامٌ أو مكروهٌ ، وللعلماء فيه كلام ، وقد مال بعض إلى

جوازه للغزاة ، ليكون أهيب في عين العدو ، والله تعالى أعلم .

أما الفقهاء فقد قننوا المسألة وأعطوها صيغتها الشرعية ، وأجمعوا على ذم

الخضاب بالسواد ، ذمٌ تحريمٌ ، وربما وجد فيهم نادرٌ يقول بأنه ذم تنزيه !

. قال النووي في المجموع ج ١ ص ٢٩٤

(فرع) اتفقوا على ذم خضاب الرأس أو اللحية بالسواد ، ثم قال الغزالي في الإحياء والبغوي في التهذيب وآخرون من الأصحاب هو مكروه ، وظاهر عباراتهم أنه كراهة تنزيهه ، والصحيح بل الصواب أنه حرام . وممن صرح بتحريمه صاحب الحاوي في باب الصلاة بالنجاسة ، قال إلا أن يكون في الجهاد ، وقال في آخر كتابه الأحكام السلطانية : يمنع المحتسب الناس من خضاب الشيب بالسواد إلا المجاهد .

ودليل تحريمه حديث جابر رضي الله عنه قال : أتى بأبي قحافة والدة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا واجتنبوا السواد . رواه مسلم في صحيحه ، والثغامة بفتح الثاء المثناة وتخفيف الغين المعجمة نبات له ثمرة أبيض . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يرجون رائحة الجنة . رواه أبو داود والنسائي وغيرهما ، ولا فرق في المنع من الخضاب بالسواد بين الرجل والمرأة ، هذا مذهبنا . انتهى .

. وقال ابن قدامة في المغني ج ١ ص ٧٦

وعن الحكم بن عمر الغفاري قال : دخلت أنا وأخي رافع على أمير المؤمنين عمر وأنا مخضوب بالحناء وأخي مخضوب بالصفرة ، فقال عمر بن الخطاب : هذا خضاب الإسلام ، وقال لأخي رافع : هذا خضاب الإيمان . ويكره (وكره) الخضاب بالسواد . قيل لأبي عبد الله تكره الخضاب بالسواد قال إي والله . . . ! انتهى .

— وروى الحاكم قصة أخرى مشابهة وجعل رأي الخليفة عمر حديثاً مسنداً قال في المستدرک ج ٣ ص ٥٢٦ قال :

دخل عبد الله بن عمر على عبد الله بن عمرو وقد سوّدَ لحيته ، فقال عبد الله بن عمر : السلام عليك أيها الشويب ! فقال له ابن عمرو : أما تعرفني يا أبا عبد الرحمن ؟



قال بلى أعرفك شيخاً فأنت اليوم شاب ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الصفرة خضاب المؤمن ، والحمرة خضاب المسلم ، والسواد خضاب الكافر . انتهى .

وقال عنه في مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٦٣ : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه . انتهى .

. وقد سئل الشيخ ابن باز في فتاويه ج ٤ ص ٥٨ طبعة مكتبة المعارف بالرياض :

— ما مدى صحة الأحاديث التي وردت في صبغ اللحية بالسواد ، فقد انتشر صبغ اللحية بالسواد عند كثير ممن ينتسبون الى العلم ؟

فقال في جوابه : في هذا الباب أحاديث صحيحة كثيرة ، وذكر حديث حواصل الحمام ، وقال بعده : وهذا وعيدٌ شديد ، وفي ذلك أحاديث أخرى ، كلها تدل على تحريم الخضاب بالسواد ، وعلى شرعية الخضاب بغيره . انتهى .



والمتتبع لنصوص المسألة يصل إلى قناعة بأن مرسوم الحرمان من الجنة مرسوم قرشي . . وسببه أن العرب ومنهم قريش كانوا يصبغون شبيهم بالحناء الذي يأتهم من الهند ، وبعضهم يصبغونه بالورس والزعفران الذي يأتهم من اليمن وإيران (لاحظ مغني ابن قدامة ج ١ ص ٧٦)

وأول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب كما نص السهيلي في الروض الأنف ج ١ ص ٧ ونقله عنه النووي في المجموع ج ١٨ ص ٢٥٤
ولا يبعد أنه صار بعد عبد المطلب رمزاً لبني هاشم . وسيأتي أن الإسلام أقر عدة تشريعات سنّها عبد المطلب بإلهام من الله تعالى مثل : الطواف سبعاً ، والديعة ، ومنها سنّة الخضاب بالوسم .

ماذا يصنع رواية الخلافة القرشية بهذه الأحاديث

تدل الأحاديث من مصادر الجميع على أن الإسلام أقر سنّة عبد المطلب في صبغ الشيب بالسواد فقد روى ابن ماجة في سننه ج ٢ ص ١١٩٧ عن صهيب قال : قال



رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أحسن ما اختضبتكم به هَذَا السواد ، أرغب لنسائكم فيكم ، وأهيب لكم في صدور عدوكم . انتهى .

وقالوا بعده : هذا الحديث معارض لحديث النهي عن السواد ، وهو أقوى إسناداً وأيضاً النهي يقدم عند المعارضة ، وفي الزوائد : إسناده حسن . انتهى .

وإذا صح ما ذكره رواة قريش من أن النهي دائماً أقوى من الرخصة ، وأن الخضاب بالسواد حرام وصاحبه لا يشتم رائحة الجنة ! فهل يلتزمون بأن الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة لا يشتم رائحتها !

. فقد روى البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٢١٦

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجعل في طست فجعل ينكته وقال في حسنه شيئاً فقال أنس : كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوباً بالوسمة ! انتهى . والوسمة هي السواد .

. وفي مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٦٢

عن محمد بن علي أنه رأى الحسن بن علي رضي الله عنه مخضوباً بالسواد على فرس ذنوب . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، خلا محمد بن إسماعيل بن رجاء وهو ثقة . وعن سليم قال : رأيت جرير بن عبد الله يخضب رأسه ولحيته بالسواد . رواه الطبراني وسليم والراوي عنه لم أعرفهما .

وعن محمد بن علي أن الحسين بن علي رضي الله عنه كان يخضب بالسواد . رواه الطبراني ورجاله رجال الذي قبله ، وقد روى عنهما من طرق وهذه أصحها ورجاله رجال الصحيح .

وعن عبد الرحمن بن بزرج قال : رأيت الحسن والحسين ابني فاطمة يخضبان بالسواد ، وكان الحسين يدع العنقفة . رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف ، وبقيّة رجاله ثقات .



وعن عبد الله بن أبي زهير قال : رأيت الحسين بن علي يخضب بالوسمة . رواه الطبراني وعبد الله بن أبي زهير لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . انتهى .
وجريير بن عبد الله المذكور هو البجلي من كبار أصحاب علي عليه السلام ومن قادة جيشه وقد حمل عدداً من رسائله إلى معاوية .

فيتضح من ذلك أن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم كانوا يخضبون شبيهم بالسواد . وأن النهي عن السواد نهي قرشي لا نبوي ، وغرضه إبعاد الناس عن التشبه ببني هاشم المعارضين للدولة !

بل ماذا يصنع الشيخ ابن باز بإمامه الزهري الذي روى عنه البخاري نحو ١٢٠٠ رواية في صحيحه ، فقد كان . بعد أن حُققت حدة المسألة في القرن الثاني . يصبغ شبيهه بالسواد ، ويقول إن النبي أمر بتغيير الشيب ولم يحدد لون الصبغ !
. قال أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٠٩ :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم . قال عبد الرزاق في حديثه : قال الزهري : والأمر بالإصباغ ، فأحلكها أحب إلينا . قال معمر : وكان الزهري يخضب بالسواد . انتهى .

رأي أهل البيت عليهم السلام

. روى الكليني في الكافي ج ٦ ص ٤٨١

عن : أحمد بن محمد ، عن سعيد بن جناح ، عن أبي خالد الزبيدي ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : دخل قوم على الحسين بن علي صلوات الله عليهما فرأوه مختضباً بالسواد فسألوه عن ذلك ، فمد يده إلى لحيته ثم قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة غزاهما أن يختضبوا بالسواد ، ليقووا به على المشركين .

. وفي الكافي ج ٦ ص ٤٨٣

عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن عدة من أصحابه ، عن علي بن



أسباط ، عن عمه يعقوب بن سالم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قتل الحسين صلوات الله عليه وهو مختضب بالوسمة .

. وفي الكافي ج ٦ ص ٤٨٠

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن مسكين بن أبي الحكم ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فنظر إلى الشيب في لحيته فقال النبي صلى الله عليه وآله : نورٌ ، ثم قال : من شاب شيبه في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة . قال فحضب الرجل بالحناء ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رأى الحضاب قال : نورٌ وإسلامٌ ، فحضب الرجل بالسواد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : نورٌ وإسلامٌ وإيمانٌ ، ومحبةٌ إلى نساءكم ، ورهبةٌ في قلوب عدوكم .

. وفي الكافي ج ٦ ص ٤٨٠

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن الجهم قال : دخلت على أبي الحسن (الرضا) عليه السلام وقد اختضب بالسواد فقلت : أراك قد اختضبت بالسواد؟ فقال : إن في الحضاب أجراً ، والحضاب والتهيئة مما يزيد الله عز وجل في عفة النساء ، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن لهن التهيئة !

. وفي من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٢٢

قال الصادق عليه السلام : الحضاب بالسواد أنسٌ للنساء ، ومهابةٌ للعدو .

. وفي وسائل الشيعة ج ١ ص ٤٠٣

محمد بن الحسين الرضوي الموسوي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله : غيروا الشيب ، ولا تشبهوا باليهود فقال : إنما قال ذلك والدين قلٌّ ، وأما الآن وقد اتسع نطاقه ، وضرب بجرانه فامرؤٌ وما اختار . انتهى .
ويفهم من هذا الحديث أن الأمر بتغيير الشيب ليس للوجوب ، بل هو لإثبات الرخصة في مورد توهم الحظر والتحريم ، كما يعتقد اليهود .



خلاصة المسألة

والخلاصة : أن الخضاب بالسواد سنة لعبد المطلب رضوان الله عليه ، خالف فيها اليهود ، وخالف فيها الخضاب بالأحمر والأصفر المستعمل عند العرب ، وقد أقر الإسلام هذه السنة وجعلها مستحبة ، ولم يحرم الخضاب بغيرها . بل لم يوجب في الأصل تغيير لون الشيب ، وإنما جعله مستحباً في بعض الحالات .

ولكن دخلت قريش على الخط لتمسكها من جهة الخضاب الأحمر والأصفر ، وحساسيتها من جهة أخرى من عبد المطلب وأولاده الذين لم يعترفوا بخلافتها . . فتج عن ذلك تحريم الخضاب بالسواد ، وحرمان صاحبه من الجنة والشفاعة ، وتسويد وجهه يوم القيامة ! !

ولكن العباسيين أولاد عبد المطلب ثأروا لخضاب جدهم ، فجعلوا راياتهم سوداء حتى سماهم الناس (المَسْوَدَّة) وبعد انتصارهم فرضوا لبس السواد على جميع المسلمين ، خاصة أتباع الدولة ، وجعلوه شعاراً لهم ! فكان ذلك إفراطاً في الإنتصار لخضاب عبد المطلب !

لذلك رأينا أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام نهوا عن لبس السواد إلا في الحرب ، والحزن ، خاصة لمصاب الإمام الحسين عليه السلام ، وفضلوا في الحالات العادية اللون الأخضر الذي كان يفضلُه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وعندما أراد المأمون أن يتقرب إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ويغيب العباسيين الذين خلعه ، نقل ولاية العهد من العباسيين وأوصى بها للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وأمر بتغيير اللباس الأسود في الدولة إلى اللباس الأخضر . . وبذلك استقر اللون الأخضر شعاراً لبني هاشم ، ثم شعاراً للعرب ، والحمد لله .



وأخيراً لا يفوتنا أن نشير إلى حديث الرايات السود الثابت عن النبي ﷺ في علامات ولده المهدي الموعود ﷺ وأن العباسيين حرصوا على مصادرتة وتطبيقه على راياتهم وثورتهم ، وسموا أحد خلفائهم بالمهدي ، وأشهدوا كبار قضاتهم وفقهائهم على أنه المهدي الموعود المبشر به من رسول الله ﷺ .

ولكن المهدي العباسي لم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، ولم يعط المال للناس حثياً بدون عدّ كما ورد في صفات المهدي ﷺ .

فقد ورد في سيرة هذا المهدي العباسي أن قصره كان خالياً من التقوى والعدل ، وأنه كان يصادر أموال الناس أحياناً حثياً أو حثواً من غير عد ! !



النوع الثامن : مرسوم بحرمان الزوجة التي تطلب الطلاق

ومن مراسيم الصحاح في الحرمان من الشفاعة مرسوم مفيد للرجال في حق الزوجة التي تطلب الطلاق من زوجها بدون سب . .

. ففي سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٦٢ :

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تسأل المرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ربح الجنة . وإن ربحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً .

ورواه الترمذي في ج ٢ ص ٣٢٩

وأبو داود ج ١ ص ٤٩٦

وأحمد ج ٥ ص ٢٧٧ وص ٢٨٣

والدارمي ج ٢ ص ١٦٢

والحاكم في ج ٢ ص ٢٠٠

والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٣١٦



والهندي في كنز العمال ج ١٦ ص ٣٨٢ عن أحمد وأبي داود والترمذي وابن حبان وابن عساكر .

وفي بعض روايات الحديث : بدون عذر ، والمقصود منه العذر القوي الذي يقبله المجتمع .

ولكنه تشديداً مبالغ فيه ، فلا نعرف أحداً من الفقهاء يفتي بأن قولها لزوجها طلقني يعتبر جريمة تستحق عليها العقوبة الدنيوية أو الأخروية ، فإن أصل الطلاق مكروهاً أو منافياً للأخلاق ، أو يجعله حراماً ، أو واجباً .

وإذا حدث أن صار حراماً شرعاً ، فلا يصير من المعاصي الكبائر التي يستحق صاحبها عقاب الدخول في جهنم ، والحرمان من الجنة ومن شفاعته نبيه ﷺ !

وقد حاول بعض الفقهاء أن يتخلصوا من الحديث بتضعيفه ، وساعدهم على ذلك أن الشيخين البخاري ومسلماً لم يروياه ، فقد ذكروا بعد روايته في ابن ماجه أن الهيثمي في جميع الزوائد ضَعَّفَ إسناده . . ولكن ذلك لا يحل المشكلة لأن الحاكم قال عنه في المستدرک : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وحاولوا محاولةً أخرى أن يجعلوا الحديث في طلب الزوجة الطلاق الخلعي من زوجها بسبب كرهها له ، فقد وضع ابن ماجه الحديث تحت عنوان (باب كراهية الخلع للمرأة) ولكن واجههم قوله تعالى (**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ**) حيث نصت الآية على جواز اقتداء المرأة نفسها من زوجها ببذل مهرها وطلب الطلاق الخلعي . . فاضطروا أن يحملوا الحديث على كلبها الخلع بدون سبب ويجعلوه مكروهاً لا حراماً !

. وهكذا فعل ابن قدامة في المغني ج ٨ ص ١٧٦

قال شارحاً قول الماتن (ولو خالعتة لغير ما ذكرنا كره لها ذلك ووقع الخلع) :

والظاهر أنه أراد إذا خالغته لغير بغض وخشية من أن لا تقويم حدود الله ، لأنه لو أراد الأول لقال كره له ، فلما قال كره لها دل على أنه أراد مخالغتها له والحال عامرة والأخلاق ملتزمة ، فإنه يكره لها ذلك ، فإن فعلت صح الخلع في قول أكثر أهل العلم منهم أبو حنيفة والثوري ومالك والأوزاعي والشافعي ، ويحتمل كلام أحمد تحريمه فإنه قال : الخلع مثل حديث سهلة تكره الرجل فتعطيه المهر فهذا الخلع ، وهذا يدل على أنه لا يكون الخلع صحيحاً إلا في هذه الحال ، وهذا قول ابن المنذر وداود . وقال ابن المنذر : وروي معنى ذلك عن ابن عباس وكثير من أهل العلم ، وذلك لأن الله تعالى قال (**وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ**) فدل بمفهومه على أن الجناح لا حق بهما إذا افتدت من غير خوف ، ثم غلظ بالوعيد فقال (**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) وروى ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة) رواه أبو داود . وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (المختلعات والمنتزعات هن المناققات) رواه أبو حفص ورواه أحمد في المسند وذكره محتجاً ، به وهذا يدل على تحريم المخالعة لغير حاجة ، ولأنه إضرار بها وبزوجها وإزالة لمصالح النكاح من غير حاجة ، فحرم لقوله ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) . واحتج من أجازة بقول الله سبحانه (**فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**) انتهى .

ولكن كل ذكاء هؤلاء الفقهاء لا يحل مشكلة الحديث أيضاً :

أولاً ، لأن الحديث في مجرد طلب الطلاق ، وليس في بذل المهر وطلب الخلع ، وقد اعترف بذلك ابن حزم قال في المحلى ج ١٠ ص ٢٣٦ حيث قال : قال أبو محمد (يعني نفسه) : واحتج من ذهب إلى هذا (حرمة الخلع) بما حدثناه عبد الله بن ربيع نا محمد بن اسحاق بن السليم نا ابن الأعرابي نا محمد بن إسماعيل الصائغ نا عفان بن

مسلم نا حماد نا أيوب السخيتاني عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة .

وبما روينا من طريق أحمد بن شعيب نا إسحاق بن ابراهيم . هو ابن راهويه . أنا المخزومي هو المغيرة بن سلمة . نا وهيب عن أيوب السخيتاني عن الحسن البصري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : المنتزعات والمختلعات هن المنافقات . قال الحسن : لم أسمع من أبي هريرة .

قال أبو محمد : فسقط بقول الحسن أن تحتج بذلك الخبر . وأما الخبر الأول فلا حجة فيه في المنع من الخلع لأنه إنما فيه الوعيد على السائلة الطلاق من غير بأس وهكذا نقول . انتهى .

وثانياً ، لو سلمنا أن الحديث في طلب الخلع ، فلا بد لهم من القول بجرمته على الزوجة مطلقاً بسبب صيغة التشديد المؤكدة فيه ، وذلك مخالف لقوله تعالى (**فَأَلَّا** **جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**) .

ولذلك اضطروا الى التنازل كما رأيت إلى القول بالكراهة فقط !

ومعناه أنهم اضطروا أن يبطلوا مرسوم الحديث بجرمان هذه الزوجة من رائحة الجنة ورائحة الشفاعة ! ولكنه إبطالٌ له بصيغة الاستدلال به ، والاحترام له !!

ولم يتسع لنا الوقت لبحث فتوى اليهود في هذه المسألة ، ومن المحتمل أن أصل

حديثها من الإسرائيليات التي تسربت إلى فقهاء !!





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork

الفصل التاسع

محاولة القرشيين حرمان بني هاشم من شفاعة النبي ﷺ

توجد عدة مسائل تتعلق بأسرة النبي ﷺ بني عبد المطلب وبني هاشم .

المسألة الأولى ، في إيمان آباء النبي وأمّهاته ﷺ : ومذهبنا أن كل آباء النبي وأمّهاته مؤمنون طاهرون مطهرون ، من آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة ، صلوات الله عليه وعليهم . وقد روينا في ذلك أحاديث صحيحة ودلت عليه آيات كريمة ، ووافقنا على هذا الرأي عدد من علماء إخواننا السنة مثل الفخر الرازي والسيوطي وغيرهما ، وألفوا في ذلك رسائل مستقلة .

بينما قال أكثر السنة إن آباء النبي وأمّهاته ﷺ كفار مشركون ، وأنهم في النار ، ورووا في ذلك روايات هي عندهم صحيحة ! منها رواية خشنة رواها مسلم في ج ١ ص ١٣٣ : أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار ، فلما قفى دعاه فقال : إن أبي وأباك في النار !!



المسألة الثانية ، في شفاعة النبي ﷺ لبني هاشم وبني عبد المطلب ، وهم ثلاثة أصناف : صنف مات قبل البعثة . وصنف أسلموا وهاجروا وجاهدوا مع النبي ﷺ .
وصنف لم يذكر التاريخ أنهم أسلموا ولكنهم ناصروا النبي ﷺ في مواجهة قريش وتحملوا معه حصار الشعب ثلاث سنين ، وهم كل من بقي من بني هاشم وبني عبد المطلب ما عدا أبي لهب .

ومذهبنا أن شفاعة النبي ﷺ تشمل أول ما تشمل بني هاشم وبني عبد المطلب ، من ارتضى الله منهم ، وكلهم عندنا مرضي إلا من ثبت فيه عدم الإرتضاء وأنه من أهل النار مثل أبي لهب . وقد ثبت عندنا إسلام أبي طالب وإيمانه ، وأنه كان يكرم إيمانه مثل مؤمن آل فرعون .

ومذهب إخواننا السنة في هذه المسألة متفاوت ، ففي رواياتهم ما يوافقنا تقريباً ، وفيها روايات تحاول حرمان كل بني هاشم من شفاعة النبي ﷺ !

المسألة الثالثة : في موقع علي عليه السلام وعترة النبي ﷺ يوم القيامة من الشفاعة العظمى التي يعطاها ﷺ . . ومذهبنا أن عترة النبي ﷺ الذين نصَّ عليهم بأسمائهم هم أوصياؤه وخلفاؤه الشرعيون وأئمة المسلمين وهداتهم بأمر الله تعالى ، وأنهم خيرة البشر بعد النبي صلى الله عليه وآله وعليهم ، وهم معه يوم القيامة ، وبأيديهم ينفذ الشفاعة المعطاة له من الله تعالى ، ويفوضهم في كثير من الأمور .
وقد ثبت عندنا وروي السنيون أن لواء الحمد الذي هو رئاسة المحشر يجعله النبي ﷺ بيد علي عليه السلام كما كان صاحب لوائه في الدنيا .

وأن مقام الصديقة الزهراء عليها السلام في الشفاعة يوم القيامة مقام مميّز حتى من بين العترة .
أما السنيون فليس لهم مذهبٌ واحدٌ في مقام عترة النبي ﷺ يوم القيامة ، بل حتى في مقام صحابته ، لأن رواياتهم في ذلك متناقضة . . فهم يريدون إعطاء الصحابة المرتبة الأولى بعد النبي ﷺ ، ولكن النصوص الصحيحة عندهم في دخول

بعض الصحابة النار ، وفي المقام المميز للعترة الطاهرة ، تأبى عليهم ذلك ، فيقعون في حيص بيص !

حساسية قريش من أسرة النبي ﷺ

من الواضح للمطلع على السيرة أن الدافع الأساسي لتكذيب قبائل قريش بنبوة النبي ﷺ ورفضهم لها ، كان دافعاً سياسياً ، لأنهم إذا آمنوا بنبوة ابن عبد المطلب بن هاشم ، فقد اعترفوا بالقيادة لبني هاشم وصاروا أتباعاً لهم ، وانتهى الأمر !
ولذلك كانوا شديدين في تكذيبهم ، متحدين في موقفهم ، شرسين في مواجهتهم ، صريحين في إظهار تخوفهم . .

وكان بعض قريش وغير قريش يفاوضون النبي ﷺ على الإيمان بنبوته ، بشرط أن يكون لهم (الأمر) من بعده . . ولكن النبي ﷺ كان نبياً مبلغاً عن ربه تعالى ، ولم يكن مساوماً على الأمر من بعده .

لقد ظهرت هذه الحقيقة القرشية العميقة منذ إعلان النبي بعثته الشريفة ثم واجهته طوال نبوته ، ولم تنته حتى بعد وفاته !

وهي حقيقة ضخمة لم تعط حقها من الدراسة ، بسبب أن القرشيين بعد انتصار النبي ﷺ عليهم ودخولهم تحت حكمه كرهاً وطوعاً ، جعلوا مواجهتهم معه من نوع الحرب الباردة ، ثم ما أن توفي النبي ﷺ حتى أخذوا السلطة وأبعدوا أهل بيته وحاصروهم ! وألقوا بثقلهم لصياغة السنة والسيرة والتاريخ لمصلحة قبائل قريش ، وضد العترة الطاهرة !

وغرضنا هنا أن نعرض نماذج من حساسية قريش من أسرة النبي ﷺ ، لكي نفهم تأثيرها على رواياتهم في كفر آباء النبي ﷺ ورواياتهم في عدم انتفاع بني هاشم بقرابتهم من النبي ﷺ وشفاعته !

وهو باب خطيرٌ والدراسات فيه ممنوعةٌ ، ولكن القليل منه يجعل الباحث يتوقف



ملياً في قبول أي حديثٍ سلمي عن أسرة النبي ﷺ جاءت روايته عن طريق القرشيين من غير أهل بيته !

حادثة خطيرة ، عتَمَتَهَا الصَّحاح

. روى البخاري في ج ١ ص ٣٢ : تحت عنوان : باب الغضب في الموعظة والتعليم :

عن أبي بردة عن أبي موسى قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب ثم قال للناس سلوني عما شئتم ! قال رجل : من أبي ؟ قال أبوك حذافة ! فقام آخر فقال : من أبي يا رسول الله ؟ فقال أبوك سالم مولى شيبه ! فلما رأى عمر ما في وجهه قال : يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عز وجل !

باب من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث :

عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فقام عبد الله بن حذافة فقال من أبي ؟ فقال أبوك حذافة ، ثم أكثر أن يقول سلوني ! فبرك عمر على ركبته فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، فسكت ! انتهى .

عندما تقرأ هذا النص تحس أنه ليس طبعياً ! فهو يقول : أكثروا عليه السؤال فغضب . . ثم قال : سلوني عما شئتم . . ثم أكثر أن يقول سلوني . . فسألوه هل هم أولاد شرعيون أو أولاد زنا ! ! فبرأ صحابياً وفضح آخر على رؤوس الأشهاد ، وشهد بأنه ابن زنا ! ! ثم أصر عليهم : سلوني سلوني سلوني . . ! ! فقام عمر وأعلن التوبة فهذا الموقف وسكت النبي ﷺ ! !

فما هي القصة ، وما سبب هذا الغضب والتحدي والفضح النبوي ! والتوبة العمرية ؟ !

الذي يساعد الباحث هنا أن القصة وإن قطعت عنها الصحاح ، لكنها روتها هي وغيرها



بأكثر من عشرين نصاً . . . فيمكن للباحث أن يجمع منها خيوطاً كثيرة .

يقول مسلم في صحيحه لم يكن غضب النبي ﷺ لسؤال كما قال البخاري ! بل بلغه عن أصحابه شيء كريه ! فصعد المنبر وخطب وطلب منهم أن يسألوه (عن أنسابهم) وتحداهم فخافوا وبكوا ، فقام عمر وتاب !!

. قال مسلم في صحيحه ج ٧ ص ٩٢ .

عن أنس بن مالك قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب فقال : عرضت علي الجنة والنار فلم أركب اليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً . قال فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه !! قال غطوا رؤوسهم ولهم خنين ! قال فقام عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ! قال فقام ذاك الرجل فقال : من أبي ؟ قال أبوك فلان ، فنزلت : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ !** انتهى .

وروى مسلم جزء منها أيضاً في ج ٣ ص ١٦٧

فالمسألة إذن غضب نبوي لما بلغه عن (أصحابه) وخطبة نارية . . . وتحذ نبوي لهم في أنسابهم . . . وأشد يوم مر عليهم مع نبيهم . . . وبكاء الصحابة المعنيين خوفاً من إطاعة الرسول وسؤاله عن نسبهم . . . والفضيحة . . . وإعلان عمر توبته وتوبتهم . . . !!
وهكذا تبدأ خيوط الحادثة بالتجمع . . . ويمكنك بعد ذلك أن تجمع من خيوطها من نفس البخاري !

. قال البخاري في ج ١ ص ١٣٦ .

عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر ، فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً عظيماً ، ثم قال : من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي هذا !! فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول سلوني !



فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال : من أبي ؟ قال أبوك حذافة !

ثم أكثر أن يقول سلوني !! فبرك عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ! فسكت ، ثم قال : عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط فلم أر كالحير والشر !

. وقال البخاري في ج ٧ ص ١٥٧

عن أنس رضي الله عنه سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر فقال : لا تسألوني اليوم عن شيء بينته لكم ، فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه بيكي ! فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه ، فقال : يا رسول الله من أبي ؟ قال : حذافة ثم أنشأ عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً نعوذ بالله من الفتن . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رأيت في الخير والشر كالיום قط ! إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط . وروى نحوه أيضاً في ج ٨ ص ٩٤

. وقال البخاري في ج ٨ ص ١٤٣

عن الزهري أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة ، وذكر أن بين يديها أموراً عظيماً ثم قال : من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا ! قال أنس فأكثر الناس البكاء ! وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول سلوني !! فقال أنس فقام إليه رجل فقال : أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال النار !! فقال عبد الله بن حذافة فقال : من أبي يا رسول الله ؟ قال أبوك حذافة . قال ثم أكثر أن يقول سلوني سلوني !! فبرك عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً . قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال عمر ذلك ! ثم قال رسول الله : أولى ،

والذي نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط وأنا أصلي ، فلم أر كاليوم في الخير والشر !

. وقال البخاري في ج ٤ ص ٧٣

عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول :

قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم . . . ! حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه .

. وقال أبو داود ج ١ ص ٥٤٢

عن أبي قتادة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، فما رأى ذلك عمر قال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله ، فلم يزل عمر يردد لها . . حتى سكن غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى .

. وقال في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦١

عن أبي فراس رجل من أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم : سلوني عما شئتم ؟ فقال رجل : يا رسول الله من أي ؟ قال : أبوك فلان الذي تدعي إليه ، وسأله رجل : في الجنة أنا ؟ قال : في الجنة . وسأله رجل : في الجنة أنا ؟ قال : في النار !!! فقال عمر : رضينا بالله رباً . رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

. وقال في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٨٨ وص ٣٩٠

وعن أنس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان ! فخطب الناس فقال : لا تسألوني عن شيء اليوم إلا أخبرتكم به ، ونحن نرى أن جبريل معه ! قلت

فذكر الحديث إلى أن قال فقال عمر : يا رسول الله إنا كنا حديثي عهد بجاهلية فلا تبد علينا سواتنا فاعف عفا الله عنك ! رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح .

. وفي مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٠

وأناه العباس فقال : يا رسول الله إني انتهيت إلى قوم يتحدثون فلما رأوني سكتوا وما ذاك إلا لأنهم يبغضونا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو قد فعلوها ؟ ! والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم ، أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتي ، ولا يرجوها بنو عبد المطلب !

. وفي مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٨

وجلس على المنبر ساعة وقال : أيها الناس مالي أودى في أهلي ؟ ! فوالله إن شفاعتي لتنال حي حا ، وحكم ، وصدا ، وسلهب ، يوم القيامة !

. وفي مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢١٤

عقد الهيثمي باباً في عدة صفحات بعنوان : باب في كرامة أصله صلى الله عليه وسلم . وأورد فيه أحاديث عن طهارة آباء النبي وأمهاته صلى الله عليه وعليهم ، ونقل حوادث خطيرة أهان فيها القرشيون أسرة النبي ﷺ في حياته ، وهم تحت قيادته في المدينة ، وهم مسلمون مهاجرون ، أو طلقاء من عليهم بالعفو بالأمس في فتح مكة ! فغضب النبي ﷺ وأجابهم بشدة !

الحادثة الأولى :

عن عبد الله بن عمر قال إنا لنعوذُ بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم : هذه ابنة محمد ، فقال رجل من القوم : إن مثل محمد في بني هاشم مثل الریحانة في وسط النتن ! فانطلقت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب ، ثم قام على القوم فقال : ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ! إن الله عز وجل خلق السموات سبعاً



فاختار العليا منها فسكنها وأسكن سمواته من شاء من خلقه ، وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم ، فأنا من خيار إلى خيار ، فمن أحب العرب فبحي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم .

والثانية :

عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال : أتى ناس من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا نسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد نخله نبتت في الكبا (قال حسين الكبا الكناسة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله ، قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . قال فما سمعناه ينتمي قبلها . ألا أن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتين ، فجعلني في خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً . . . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

والثالثة :

عن ابن عباس قال توفي ابنٌ لصفية عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت عليه وصاحت ، فأتاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : يا عممة ما يبكيك ؟ قالت توفي ابني ، قال : يا عممة من توفي له ولدٌ في الإسلام فصير ، بنى الله له بيتاً في الجنة . فسكتت ثم خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلها عمر بن الخطاب فقال : يا صفية قد سمعت صراخك ، إن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن تغني عنك من الله شيئاً ! فبكت فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها ، فقال : يا عممة أتبكين وقد قلت لك ما قلت ؟ ! قالت : ليس ذاك أبكاني يا رسول الله ، استقبلني عمر بن الخطاب فقال إن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن تغني عنك من الله شيئاً ! قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم

وقال : يا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة ، فصعد المنبر صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع ! ! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي ، فإنها موصولة في الدنيا والآخرة !

فقال عمر : فتزوجت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أحببت أن يكون لي منه سبب ونسب .

ثم خرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على نفر من قريش فإذا هم يتفاخرون ويذكرون أمر الجاهلية فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقالوا : إن الشجرة لتنبت في الكبا (المزبلة) قال فمررت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ! فقال يا بلال هجر بالصلاة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله ، قال أنسبوني ، قالوا أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، قال أجل أنا محمد بن عبد الله ، وأنا رسول الله ، فما بال أقوام يتذلون أصلي ! ! فوالله لأنا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً !

قال فلما سمعت الأنصار بذلك قالت قوموا فخذوا السلاح ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغضب ، قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم لا ترى منهم إلا الحدق ، حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم في مثل الحرة ، حتى تضايقت بهم أبواب المسجد والسكك ! ! ثم قاموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله لا تأمرنا بأحد إلا أبرنا عترته . فلما رأى نفر من قريش ذلك قاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا وتنصلوا ! ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الناس دثارٌ والأنصار شعار ، فأثنى عليهم وقال خيراً . انتهى .

. وقال في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٣٥

وأخرج الفريابي وابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه ، حتى جلس على المنبر فقام إليه

رجل فقال : أين آبائي ؟ قال في النار ! فقام آخر فقال من أبي ؟ فقال أبوك حذافة ، فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً ، إنا يا رسول الله حديث عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من آباؤنا ! ! فسكن غضبه ، ونزلت هذه الآية : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ .**

. وقال في الدر المنثور ج ٤ ص ٣٠٩

وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قول الله : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ؟** قال : كان رجال من المهاجرين في أنسابهم شيء فقالوا يوماً والله لوددنا أن الله أنزل قرآناً في نسبنا ، فأنزل الله ما قرأت .

ثم قال لي : إن صاحبكم هذا يعني علي بن أبي طالب إن ولي زهد ، ولكنني أخشى عجب نفسه أن يذهب به . قلت : يا أمير المؤمنين إن صاحبنا من قد علمت ، والله ما نقول إنه غير ولا بدل ولا أسخط رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام صحبته ! فقال : يا ابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزاً ! انتهى .

وراجع أيضاً : سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٤٦ ، ومسند أحمد ج ٣ ص ١٦٢ وص ١٧٧ وج ٥ ص ٢٩٦ و ٣٠٣ ، وسنن البيهقي ج ٤ ص ٢٨٦ ، ومصنف عبد الرزاق ج ١١ ص ٣٧٩ ، وكنز العمال ج ٤ ص ٤٤٣ وج ١٣ ص ٤٥٣



من مجموع هذه النصوص يصل الباحث إلى نتائج قطعية متعددة ، نذكر منها :

أولاً . أن القرشيين لم يتركوا حساسيتهم من بني هاشم حتى بعد فتح مكة وإعلان إسلامهم ! غاية الأمر أنهم استثنوا منهم شخص النبي ﷺ !

بل من حق الباحث أن يشك في هذا أيضاً ، فاللقاء أسلموا مهزومين تحت



السيف ! ولم يكونوا يستطيعون أن يتفوهوا بحرف على شخص النبي ﷺ ، وإلا كفروا وعرضوا أنفسهم لسيوف الأنصار !

ثانياً . أن القرشيين كانوا في حياة النبي ﷺ وفي عاصمته ، وتحت لواء نبوته ، وتحت سيوف الأنصار . . شرسين على أسرته وعشيرته ﷺ ، وكانت ألسنتهم بذيئة على أصل النبي ﷺ وعشيرته ، حتى ضجَّ من ذلك الأنصار ، وجاؤوا يشكون إلى النبي ﷺ بذاعة قريش بحقه ، طالبين منه معالجة هذه الألسنة المنافقة ، أو إصدار أمر بتقتيلهم . وقد قال الهيثمي عن حديث شكوى الأنصار : رجاله رجال الصحيح !!

ثالثاً . أن الحوادث التي تكلم فيها القرشيون على أسرة النبي ﷺ متعددة ، فقد نقلت كتب الحديث منها أكثر من عشرة حوادث ، ولا بد أن ما لم تنقله أكثر وأعظم !!

رابعاً . أن النبي ﷺ كانت حساسيته من هذا الموضوع عالية جداً ، وكان رده دائماً شديداً ، فهو يتعامل معه على أنه موضوع ديني وليس موضوعاً شخصياً ، لأن عدم الإيمان بأسرته الظاهرة ، يساوق عدم الإيمان به ﷺ .

خامساً . أن إحدى الحوادث كانت كبيرة بذاتها ، أو بالتراكم ، فغضب الله تعالى لغضب نبيه ﷺ ، وأمره بالرد على القرشيين (المسلمين الصحابة) وإتمام الحجة عليهم ، وأنزل عليه جبرئيل ليكون إلى جانبه يوجهه ويحييه عن أنساب القرشيين ، وعن مستقبلهم في الجنة أو في النار !!! .

سادساً . أن النبي ﷺ أحضرهم في المسجد وأمر الأنصار بمحاصرتهم بالسلاح ، وخطب خطبةً نبويةً ناريةً بليغة عاصفة ، صبَّ فيها الغضب الإلهي والنبوي على القرشيين ، وتحداهم في أنسابهم وأعمالهم ونواياهم ! فلَّفُوا رؤوسهم ! واستغشوا ثيابهم ! وعلا خنينهم وبكاؤهم ! وكان ذلك أشد يوم عليهم !!!

فتدارك الموقف زعيمهم وتقدم وبرك على قدمي النبي ﷺ ! وقبلها ! وبكى له ! ليعفو عنهم ! ولا يفضح أنسابهم ! وعشائرتهم ! ولا يصدر عليهم حكمه بالقتل ، أو

بالحرمان من الحقوق المدنية حتى أداء الشهادة !! فسكت النبي ﷺ ولم يقل لهم كلمة قبول أو عفو ! وهدأت عاصفة الإنتقام النبوي في الدنيا !!

سابعاً . إنها قضية ضخمة في الحساب العقائدي والفقهي والسياسي ، تستحق الدراسة ووضع النقاط على الحروف . . ولكن الخلافة القرشية تعرف كيف تتخلص منها ، فتعتم عليها إن استطاعت ، أو تحولها إلى مجرد لقريش ، ولا تسمح لبني هاشم أن يستفيدوا منها !

ومن أجل هذا كانت براعة الخليفة عمر في طريقة روايتها ، ثم كانت براعة الرواة ومصنفي الصحاح في تجزئتها وتقطيع أوصالها وتغيب حقيقتها !
وهذه هي مهمة جيل ما بعد الأنبياء !!

أما عبد الله بن الزبير الزهري ، فقد كان عنده عقدة من بني هاشم مع أنهم أحوال أبيه ! وقد اشتهر عنه أنه لم يكن يطيق ذكرهم ، وأنه ترك حتى ذكر النبي ﷺ والصلاة عليه في خطبة الجمعة حتى لا تشمخ أنوف بني هاشم بزعمه !

والظاهر أن القرشيين رَّووه على كره بني هاشم منذ كان غلاماً ، وأن له مشاركة في قصة الغضب النبوي !

— فقد روى عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢١٥ افتراء عجيباً على النبي في ذم أهل بيته ﷺ حيث حول كلام قريش الذي غضب منه النبي ﷺ وغضب منه الله تعالى من فوق عرشه كما رأيت . . الى حديث مسند عن النبي ﷺ !!

— قال الهيثمي : وعن عبد الله ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثلي ومثل أهل بيتي كمثلي نخلت في مزبلة . رواه الطبراني وهو منكر ، والظاهر أنه من قول الزبير إن صح عنه ، فإن فيه ابن لهيعة ومن لم أعرفه .

وعن ابن الزبير أن قريشاً قالت : إن مثل محمد مثل نخلت في كبوة . رواه البزار بإسناد حسن ، وهذا الظن به .

براعة البخاري في تضييع القضية

المحدث العادي . فضلاً عن البخاري . يعرف أن هذا الحديث قصة واحدة كما ذكر صاحب فتح الباري ، أو اثنتان في الأكثر . . وهنا تظهر براعة البخاري في اختراع العناوين لجعل قطعة الحديث تحتها ، أو عقد باب مناسب لتغطية حقيقة الحديث !

وفي ج ١ ص ٣١

عقد له باباً باسم : باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره . فجعله من نوع غضب المدرس والواعظ !

وفي ص ٣٢

جعله من نوع تأدب التلميذ بين يدي معلمه فسمى الباب : باب من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث !

وفي ص ١٣٦

وضع جزءاً منه تحت عنوان : باب وقت الظهر عند الزوال ! بحجة أن خطبة النبي ﷺ النارية القاصعة كانت عند الزوال !

وفي ج ٤ ص ٧٣

جعل جزءاً منه تحت عنوان : ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه . . بحجة أن الراوي قال : قام فينا النبي (ص) مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم !

وفي ج ٧ ص ١٥٧

عقد له باباً باسم : باب التعوذ من الفتن ! وكأن الموضوع كان حديثاً هادئاً عاماً لكل الأمة عن الفتن الآتية ، وأن عمر قال : رضينا بالله رباً وبمحمد رسولاً نعوذ بالله من الفتن !

وفي ج ٨ ص ١٤٢



عقد له باباً باسم : باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى : **لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ . . !**

وكان ينبغي له أن يسمي الباب : باب وجوب امتثال أمر النبي إذا أمر بالسؤال ، وأن لا يربط الآية به ، ولا يحشرها في هذا الموضوع أصلاً كما فعلت قريش ، لأن موضوع الآية كراهة السؤال ، وموضوع الحديث أمر النبي ﷺ المكرر المشدد لقريش أن يسألوه !

اللهم إلا يقصد البخاري بكراهة السؤال : كراهة إجحاح المعلم على تلاميذه بقوله سلوني ! فيكون الخطأ حينئذٍ من النبي ﷺ لأنه ألح عليهم بالسؤال ! ويكون موقف عمر تصحيحاً لخطأ النبي ﷺ كما هي عادته المشكورة ! !

ماذا قال كبار الشراح ؟

لا خير عند شراح الصحاح بالقضية ، فلا رأوا شيئاً ولا سمعوا ولا قرؤوا ، ولا شموا رائحة شيء يستوجب التساؤل والبحث ! !

. قال ابن حجر في فتح الباري :

قوله سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء . . كان منها السؤال عن الساعة وما أشبه ذلك من المسائل ، كما سيأتي في حديث ابن عباس في تفسير المائدة !
— قوله قال رجل : هو عبد الله بن حذافة بضم أوله وبالذال المعجمة والفاء ، القرشي السهمي ، كما سماه في حديث أنس الآتي .

— قوله فقام آخر : هو سعد بن سالم مولى شيبه بن ربيعة ، سماه بن عبد البر في التمهيد في ترجمة سهيل بن أبي صالح ، وأغفله في الإستيعاب ولم يظفر به أحد من الشارحين ، ولا من صنف في المبهمات ولا في أسماء الصحابة ، وهو صحابي بلا مريية ، لقوله فقال من أبي يا رسول الله ؟ ووقع في تفسير مقاتل في نحو هذه القصة أن رجلاً من بني عبد الدار قال من أبي ؟ قال سعد : نسبه إلى غير أبيه ، بخلاف ابن

حذافة ! وسيأتي مزيد لهذا في تفسير سورة المائدة .

— قوله فلما رأى عمر . . هو بن الخطاب . . ما في وجهه ، أي من الغضب ، قال : يا رسول الله إنا نتوب إلى الله ، أي مما يوجب غضبك ، وفي حديث أنس الآتي بعد أن عمر برك على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، والجمع بينهما ظاهر ، بأنه قال جميع ذلك فنقل كل من الصحابين ما حفظ ، ودل على اتحاد المجلس اشتراكهما في نقل قصة عبد الله بن حذافة .

— تنبيهه : قصر المصنف الغضب على الموعظة والتعليم دون الحكم لأن الحاكم مأموراً أن لا يقضي وهو غضبان ، والفرق أن الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان ، لأن مقامه يقتضي تكلف الإنزعاج لأنه في صورة المنذر ! وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه ، لأنه قد يكون أدهى للقبول منه ، وليس ذلك لازماً في حق كل أحد ، بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين . وأما الحاكم فهو بخلاف ذلك كما يأتي في بابه .

فإن قيل : فقد قضى عليه الصلاة والسلام في حال غضبه حيث قال : أبوك فلان !

فالجواب : أن يقال أولاً ، ليس هذا من باب الحكم ! وعلى تقديره فيقال هذا من خصوصياته لمحل العصمة ، فاستوى غضبه ورضاه ، ومجرد غضبه من الشيء دالٌّ على تحريمه أو كراهته ، بخلاف غيره صلى الله عليه وسلم .

— قوله باب من برك : هو بفتح الموحدة والراء المخففة يقال : برك البعير إذا استناخ ، واستعمل في الآدمي مجازاً .

قوله خرج ، فقام عبد الله بن حذافة : فيه حذف يظهر من الرواية الأخرى ، والتقدير خرج فسئل فأكثروا عليه ، فغضب ! ! فقال سلوني ، فقام عبد الله .

قوله فقال رضينا بالله رباً . . قال ابن بطال : فهم عمر منه أن تلك الأسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك ، فخشى أن تنزل العقوبة بسبب ذلك ! فقال رضينا بالله

رباً الخ . فرضي النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فسكت !

— قوله وقال سلوني : في حديث أنس المذكور فصعد المنبر فقال : لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم .

وفي رواية سعيد بن بشير عند قتادة عن أبي حاتم : فخرج ذات يوم حتى صعد المنبر ، وبين في رواية الزهري المذكورة في هذا الباب وقت وقوع ذلك ، وأنه بعد أن صلى الظهر ، ولفظه : خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة ، ثم قال : من أحب (!) أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فذكر نحوه .

— قوله فقام رجل فقال يا رسول الله من أبي ؟ بين في حديث أنس من رواية الزهري اسمه ، وفي رواية قتادة سبب سؤاله ، قال فقام رجل كان إذا لاحى أي خاصم دعى إلى غير أبيه ، وذكرت اسم السائل الثاني ، وأنه سعد ، وأني نقلته من ترجمة سهيل بن أبي صالح من تمهيد بن عبد البر .

وزاد في رواية الزهري الآتية بعد حديثين فقام إليه رجل فقال : أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال : النار ! ولم أقف على اسم هذا الرجل في شيء من الطرق كأنهم أبهموه عمداً للستر عليه !

وللطبراني من حديث أبي فراس الأسلمي نحوه ، وزاد : وسأله رجل في الجنة أنا ؟ قال : في الجنة ، ولم أقف على اسم هذا الآخر .

ونقل بن عبد البر عن رواية مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته : لا يسألني أحد عن شيء إلا أخبرته ، ولو سألتني عن أبيه ، فقام عبد الله بن حذافة ، وذكر فيه عتاب أمه له وجوابه ، وذكر فيه فقام رجل فسأل عن الحج فذكره ، وفيه فقام سعد مولى شيبة فقال من : أنا يا رسول الله ؟ قال أنت سعد بن سالم مولى شيبة . وفيه فقام رجل من بني أسد فقال : أين أنا ؟ قال : في النار ! فذكر قصة عمر ، قال فنزلت : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ . . .** الآية .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قيلٍ وقيلٍ ، وكثرة السؤال (؟ !) وبهذه الزيادة يتضح أن هذه القصة سبب نزول : **لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ** ، فإن المساءة في حق هذا جاءت صريحة بخلافها في حق عبد الله بن حذافة ، فإنها بطريق الجواز أي لو قدر أنه في نفس الأمر لم يكن لأبيه ، فبين أباه الحقيقي لافتضحت أمه ، كما صرحت بذلك أمه حين عاتبته على هذا السؤال ، كما تقدم في كتاب الفتن .

قوله : فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغضب . . بين في حديث أنس أن الصحابة كلهم فهموا ذلك ، ففي رواية هشام فإذا كل رجل لافاً رأسه في ثوبه بيكي ، وزاد في رواية سعيد بن بشير : **وظنوا أن ذلك بين يدي أمر قد حضر !** وفي رواية موسى بن أنس عن أنس الماضي في تفسير المائدة : فغطوا رؤوسهم ولهم حنين . . زاد مسلم من هذا الوجه : **فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان أشد منه !**

قوله : فقال إنا نتوب إلى الله عز وجل . . زاد في رواية الزهري : فبرك عمر على ركبته فقال رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً . وفي رواية قتادة من الزيادة نعوذ بالله من شر الفتن . وفي مرسل السدي عند الطبري في نحو هذه القصة : **فقام إليه عمر فقبل رجله وقال رضينا بالله رباً فذكر مثله ، وزاد : وبالقرآن إماماً فاعف عفى الله عنك فلم يزل به . . . حتى رضي .**

وفي هذا الحديث غير ما يتعلق بالترجمة مراقبة الصحابة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وشدة إشفاقهم إذا غضب خشية أن يكون لأمر يعم فيهم ، وإدلال عمر عليه وجواز تقبيل رجل الرجل ، وجواز الغضب في الموعظة ، وبروك الطالب بين يدي من يستفيد منه ، وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجة ، ومشروعية التعوذ من الفتن عند وجود شيء قد يظهر منه قرينة وقوعها ، واستعمال المزاجية في الدعاء في قوله اعف عفى الله عنك ، وإلا فالنبي صلى الله عليه وسلم



معفو عنه قبل ذلك .

قال ابن عبد البر : سئل مالك عن معنى النهي عن كثرة السؤال ، فقال : ما أدري أنه عن النبي ﷺ ، أو عن مسألة الناس المال .

قال ابن عبد البر : الظاهر الأول ، وأما الثاني فلا معنى للتفرقة بين كثرتيه وقلته ، لا حيث يجوز ولا حيث لا يجوز .

قال : وقيل كانوا يسألون عن الشيء ويلحون فيه إلى أن يحرم . قال : وأكثر العلماء على أن المراد كثرة السؤال عن النوازل والأغلوطيات والتوليدات ، كذا .

. وقال النووي في شرح مسلم ج ٨ ص ٢٩١ في سبب غضب النبي ﷺ كما تصوره أو صورته :

قوله : رجل أتى النبي فقال كيف تصوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال العلماء : سبب غضبه أنه كره مسألته ، لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة ، وهي أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر عليه ، وكان يقتضي حاله أكثر منه !!

. وقال في ج ١٥ . ١٦ ص ١١١

قوله : غطوا رؤوسهم ولهم خنين ، هو بالخاء المعجمة هكذا هو في معظم النسخ ولعظم الرواة ولبعضهم بالخاء المهملة . وممن ذكر الوجهين القاضي وصاحب التحرير وآخرون ، قالوا : ومعناه بالمعجمة صوت البكاء وهو نوع من البكاء دون الإنتحاب . قالوا وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف كالحنين بالمهملة من الفم . وقال الخليل : هو صوت فيه غنة ، وقال الأصمعي : إذا تردد بكأؤه فصار في كونه غنة فهو خنين . وقال أبو زيد : الخنين مثل الحنين وهو شديد البكاء .

قوله : فلما أكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلوني برك عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً . فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك . قال العلماء : هذا القول منه ﷺ محمولٌ على أنه أوحى إليه وإلا فلا يعلم كل ما سئل

عنه من المغيبات إلا بإعلام الله تعالى .

قال القاضي : وظاهر الحديث أن قوله ﷺ : سلوني إنما كان غضباً كما قال في الرواية الأخرى سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب ، ثم قال للناس : سلوني . وكان اختياره صلى الله عليه وسلم ترك تلك المسائل ، لكن وافقهم في جوابها ، لأنه لا يمكن رد السؤال ، ولما رآه من حرصهم عليها !! والله أعلم .

وأما بروك عمر رضي الله عنه وقوله : فإنما فعله أدباً وإكراماً لرسول الله ﷺ وشفقةً على

المسلمين لئلا يؤذوا النبي ﷺ فيهلكوا !!

ومعنى كلامه : رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ واكتفينا به عن السؤال . ففيه أبلغ كفاية . انتهى .

وأنت ترى أن ابن حجر والنووي غائبان عن كلام النبي ﷺ ، وأن في كلامهما تحافتاً ونقاط ضعف كثيرة لا نطيل فيها . . . وليس كلام غيرهما من الشراح أفضل ، وإن كان فيه مادة مهمة لمن أراد أن يتتبع ملف القضية !

الحادثة في بعض روايات أهل البيت عليهم السلام

١٣٤ . قال النيشابوري في الفضائل ص

عن سليم بن قيس يرفعه إلى أبي ذر والمقداد وسلمان قالوا : قال لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : إني مررت بفلان يوماً فقال لي : ما مثل محمد في أهل بيته إلا كمثل نخلة نبتت في كناسة ! قال : فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فغضب غضباً شديداً ، فقام فخرج مغضباً وصعد المنبر ففرعت الأنصار ولبسوا السلاح ، لما رأوا من غضبه ، ثم قال : ما بال أقوام يعيرون أهل بيتي ؟ !! وقد سمعوني أقول في فضلهم ما أقول ، وخصصتهم بما خصهم الله تعالى به ، وفضل علياً عليهم بالكرامة وسبقه إلى الإسلام وبلائه ، وأنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي !

ثم إنهم يزعمون أن مثلي في أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في كناسة ! ألا إن الله



سبحانه وتعالى خلق خلقه وفرقهم فرقتين ، وجلعتني في خيرها شعباً وخيرها قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً ، حتى حصلت في أهل بيتي وعشيرتي وبني أبي ، أنا وأخي علي بن أبي طالب

أنا خير النبيين والمرسلين ، وعلي خير الوصيين ، وأهل بيتي خير بيوت أهل النبيين ، وفاطمة ابنتي سيدة نساء أهل الجنة أجمعين .

أيها الناس : أترجون شفاعتي لكم ، وأعجز عن أهل بيتي ؟ !

أيها الناس : ما من أحد غداً يلقي الله تعالى مؤمناً لا يشرك به شيئاً إلا أجره الجنة ، ولو أن ذنوبه كتراب الأرض .

أيها الناس : لو أخذت بحلقة باب الجنة ثم تجلّى لي الله عز وجل ، فسجدت بين يديه ثم أذن لي في الشفاعة ، لم أوتر على أهل بيتي أحداً .

أيها الناس : عظموا أهل بيتي في حياتي وبعد مماتي ، وأكرمواهم وفضلوهم ، لا يحل لأحد أن يقوم لأحد غير أهل بيتي ، فانسبوني من أنا ؟ !

قال فقام الأنصار وقد أخذوا بأيدهم السلاح ، وقالوا : نعوذ الله من غضب الله وغضب رسوله ، أخبرنا يا رسول الله من آذاك في أهل بيتك حتى تضرب عنقه ؟ ! !

قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ثم انتهى بالنسب إلى نزار ، ثم مضى إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله ، ثم مضى منه إلى نوح ، ثم قال : أنا وأهل بيتي كطينة آدم ﷺ نكاح غير سفاح !

سلوني ، والله لا يسألني رجل إلا أخبرته عن نسبه وعن أبيه !

فقام إليه رجل فقال : من أنا يا رسول الله ؟ فقال : أبوك فلان الذي تدعى إليه ! قال فارتد الرجل عن الإسلام .

ثم قال ﷺ والغضب ظاهر في وجهه : ما يمنع هذا الرجل الذي يعيب على أهل بيتي وأهلي وأخوي ووزيري وخليفتي من بعدي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي ، أن

يقوم ويسألني عن أبيه ، وأين هو في جنة أم في نار ؟ !

قال فعند ذلك خشى فلان على نفسه أن يذكره رسول الله ﷺ ويفضحه بين الناس فقام وقال : نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله ، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، أعف عنا عفى الله عنك ، أقلنا أقالك الله ، أستترنا سترك الله ، إصفح عنا جعلنا الله فداك . فاستحى النبي ﷺ وسكت ، فإنه كان من أهل الحلم وأهل الكرم وأهل العفو ثم نزل ﷺ !!

. وقال فرات الكوفي في تفسيره ص ٣٩٢

حدثنا عبد السلام بن مالك قال : حدثنا محمد بن موسى بن أحمد قال : حدثنا محمد بن الحارث الهاشمي قال : حدثنا الحكم بن سنان الباهلي ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح قال : قلت لفاطمة بنت الحسين : أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث واحتج به على الناس . قالت : نعم أخبرني أبي أن النبي ﷺ كان نازلاً بالمدينة ، وأن من أتاه من المهاجرين مرسوا أن يفرضوا لرسول الله ﷺ فريضة يستعين بها على من أتاه ، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا : قد رأينا ما ينوبك من النوائب ، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك .

قال : فأطرق النبي ﷺ طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال : إني لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً ، إنطلقوا فيني لم أؤمر بشيء ، وإن أمرت به أعلمتكم .

قال : فنزل جبرئيل ﷺ فقال : يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك ، وما عرضوا عليك ، وقد أنزل الله عليهم فريضة : **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** .

قال فخرجوا وهم يقولون : ما أراد رسول الله ﷺ إلا أن تذلل الأشياء وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبني عبد المطلب !!

قال : فبعث رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب أن أصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل : أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار ، ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار ، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار !!



قال : فقام رجل وقال : يا أبا الحسن ما لهن من تأويل ؟ فقال : الله ورسوله أعلم .
فأتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله : ويلٌ لقريشٍ من تأويلهن ! ثلاث مرات .
ثم قال : يا علي إنطلق فأخبرهم أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء ، ثم
أنا وأنت مولى المؤمنين ، وأنا وأنت أبوا المؤمنين .

ثم خرج رسول الله ﷺ فقال : يا معشر قريش والمهاجرين والأنصار . فلما
اجتمعوا قال : يا أيها الناس ، إن علياً أولكم إيماناً بالله وأقومكم بأمر الله ، وأوفاكم
بعهد الله ، وأعلمكم بالقضية ، وأقسمكم بالسوية ، وأرحمكم بالرعيعة ، وأفضلكم
عند الله مزية . ثم قال : إن الله مثَّل لي أمي في الطين ، وعلمني أسماءهم كما علم
آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم فمر بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته ،
وسألت ربي أن تستقيم أمي على علي من بعدي ، فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدي
من يشاء . انتهى .

. وقال محمد بن سليمان في المناقب ج ٢ ص ١٢٢

عن عبد المطلب بن أبي ربيعة قال : قال العباس : يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي
بعضهم بعضاً لقوا ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه نكرها ! فغضب رسول
الله ﷺ غضباً شديداً ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى
يجبكم لله ورسوله . هكذا قال خالد قال أبو خليفة ، فأما أبي فحدثناه عن يزيد بن
هارون ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن العباس بن عبد
المطلب ﷺ قال : قلت : يا رسول الله . . فذكر نحوه أو مثله .

وقال في هامشه :

وروى أبو بكر ابن أبي شيبة في الحديث الأول والثالث من فضائل العباس من كتاب
الفضائل تحت الرقم : ١٢٢٥٩ والرقم : ١٢٢٦١ من كتاب المصنف : ج ١٢ ص ١٠٨ .
١٠٩ قال : حدثنا ابن فضيل ، عن يزيد ، عن عبد الله بن الحارث قال : حدثني عبد المطلب



بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أغضبك ؟ قال : يا رسول الله ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك ؟ ! قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ، وحتى استدر عرق بين عينيه ، وكان إذا غضب استدر العرق . فلما سرى عنه قال : والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله . ثم قال : أيها الناس من آذى العباس فقد آذاني إنما عم الرجل صنو أبيه .

حدثنا ابن نمير عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى مسلم بن صبيح قال : قال العباس : يا رسول الله إنا لنرى الضغائن في وجوه قوم من وقائع أوقعتها فيهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لن يصيبوا خيراً حتى يحبوكم الله ولقرابتي ، ترجو سلهب شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب ؟ !

أقول : والحديث الأول رواه الحاكم في فضائل العباس من كتاب المستدرک ج ٣ ص ٣٣٢ قال : أخبرنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق أخبرنا إسماعيل بن قتيبة حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبو بكر بن أبي شيبة قالوا : . . .

وأيضاً الأولان رواهما أحمد بن حنبل في مسند عبد المطلب بن ربيعة من كتاب المسند ، ورواه عنه ابن كثير في تفسير آية المودة من سورة الشورى من تفسيره . وقد روى الحافظ ابن عساكر معنى الحديث بوجوه وأسانيد في ترجمة العباس من تاريخ دمشق ، كما أورده أيضاً البدران في تهذيبه : ج ٧ ص ٢٣٩ فراجعهما .

وروى عمر بن شبه في عنوان : ذكر فضل بني هاشم . . . من تاريخ المدينة المنورة : ج ٢ ص ٦٣٩ قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله إن قریشاً إذا لقي بعضها بعضاً لقوا ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ! فغضب النبي غضباً شديداً فقال : والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله

حدثنا خلف بن الوليد قال : حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة بنحوه .

حدثنا عمرو بن عون قال : أنبأنا بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه العباس وهو مغضب فقال : يا نبي الله ما بال قريش إذا تلاقوا بينها فتلاقوا بوجوه مبشره وإذا لقونا لقونا بغير ذلك ! قال : فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى احمرَّ وجهه وقال : لا يدخل قلب رجال الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله .

وحدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال : حدثني أبي عن أبيه عن جده قال : قال العباس : يا رسول الله إن قريشاً تتلاقى بينهما بوجوه لا تلقانا بها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن الإيمان لا يدخل أجوافهم حتى يحبكم لي .

حدثنا أبو حذيفة قال : حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى : عن ابن عباس قال : جاء العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يبلغوا الخير . أو قال الإيمان . حتى يحبكم الله لقرابتي ، أيرجو سؤلهم شفاعتي من مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتي . انتهى .



وسعوا شفاعة النبي لليهود والنصارى ولم يسمحوا أن تشمل أسرته !!

شفاعة النبي ﷺ تتسع لكل المسلمين . . بل لكل الموحدين . . بل لكل الخلق . . هذا ما تقوله مصادر إخواننا السنيين . . ولكن هذه المصادر عندما تصل إلى آباء النبي ﷺ وأسرتهم تختلف لهجتها ! فالشفاعة لا تشملهم ، بل هم في النار والعذاب . . وأحسنهم حالاً أبو طالب الذي (يشفع) له النبي ﷺ لأنه نصره ، فلا تؤثر شفاعته فيه بسبب شرك أبي طالب وكثرة ذنوبه ! فيضعه الله تعالى في ضحضاح ماء ناري يغمر قدميه فيغلي منه دماغه !!

وفيما يلي نستعرض ما رواه السيوطي في تفسير قوله تعالى : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، ولك أن تلاحظ التأثيرات القرشية على هذه الروايات .

وينبغي أولاً أن نشير إلى أن مرحلة (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) هي المرحلة الأولى من دعوة النبي ﷺ وهي مرحلة الدعوة الخاصة لأقاربه بني هاشم ، وقد استمرت هذه المرحلة عدة سنين ، ثم بدأت عدها المرحلة العامة ، عندما أمره الله تعالى بأن يصدع بدعوته لعامة الناس . .

ولكن المؤرخين أتباع الخلافة القرشية يعتمون على هذه المرحلة ، أو يسمونها المرحلة السرية ، أو مرحلة ما قبل دار الأرقم . . الخ . وقد أعطوا لدار الأرقم دوراً خيالياً لطمس حقيقة أن الدعوة الإلهية اختصت في مرحلتها الأولى ببني هاشم ، وأنهم وحدهم حملوا النبي ﷺ من فراغنة قريش ، وقد فعل ذلك مسلمهم إيماناً ، وكافرهم حميةً ، وتحملوا جميعاً ما عدا أبي لهب قرار المقاطعة والحصار القرشي ثلاث سنوات بل أربع سنوات . . حتى فك الله حصارهم بمعجزة !!

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٥

قوله تعالى : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** .

أخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وفي الدلائل عن أبي



هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً وعم وخص ، فقال :

يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً .

يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً .

يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً .

يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً .

يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً .

يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لك ضرراً ولا نفعاً ، إلا

أن لكم رحماً وسأبلها ببلالها .

— وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، جعل يدعوهم قبائل قبائل . انتهى .

ففي هذه الرواية (الصحيحة) في مصادرهم صار معنى (**عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) كل

قريش ! وصار تعبير (**الْأَقْرَبِينَ**) غلطاً قرآنياً يلزم على قريش أن تصححه ! لأنه لم يبق

معنى لعشيرته الأبعدين والأوسطين !

وصار أول ما قاله النبي ﷺ لهم : إن قرابتي لا تنفعكم وشفاعتي لا تنالكم ! وصار

كل القرشيين أرحام النبي الذين وعدهم بصلة الرحم والشفاعة يوم القيامة !

ولكن هذا الكلام يناسب منطق النبي ﷺ بعد انتصاره وفتح مكة مثلاً ، ولا

يناسب بداية نبوته ودعوته عشيرته الأقربين للتوحيد والإسلام ! وقد ورد شبيهة

لذلك عند فتح مكة .

غير أن القرشيين يريدون سلب أي امتياز أعطاه الله ورسوله لبني هاشم ،

فالإمتيازات لقريش كلها ، لا لبني هاشم ! وفي نفس الوقت يريدون خلط أنفسهم

بعشيرة النبي ﷺ والاستفادة من قرابته أمام العالم !

وقد استفادوا منه فعلاً في مقابل الأنصار في السقيفة ، وقامت خلافة أبي بكر

وعمر على حق (قرابتهمما) من النبي ﷺ ! بل تجرأ رواة القرشيين ووضعوا على لسان النبي ﷺ أن عشيرته الأقربين هم كل قريش !

. قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٦

وأخرج ابن مردويه عن عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قريشاً فقال : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، يعني قومي !

. وفي مسند أحمد ج ٢ ص ٣٣٣

عن أبي هريرة قال : لما نزلت : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، جعل يدعو بطون قريش بطناً بطناً يا بني فلان أنقذوا أنفسكم من النار . . . حتى انتهت إلى فاطمة فقال : يا فاطمة ابنة محمد ، أنقذي نفسك من النار ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سأبليها ببلالها .

ولكن روايات أخرى فلتت منهم واعترفت بأن عشيرته الأقربين تعني بني هاشم فقط !

— قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٨ : قوله تعالى : **وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ** . . . الآيتين ، أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال لما نزلت : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، بدأ بأهل بيته وفصيلته ، فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله : **وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ** . انتهى .

فالرواية تعترف بأن عشيرته الأقربين هم أهل بيته وفصيلته ، لكنها تجعل الآية التي بعدها لبقية المسلمين ! ولكن من هم المسلمون الذين شق عليهم ذلك ! وهل كان يوجد مسلم من غير بني هاشم عند نزول الآية ؟ !

لقد كان الأولى بالرواية أن تقول : شق ذلك على قريش قبل إسلامها ، وبعد أن اضطرت للدخول في الإسلام ، فجعلت خلافة النبي ﷺ إرثاً لها دون بني هاشم !

روايات أخرى غير منطقية أيضاً

من عادة المفسرين عندما يصلون إلى آية في حق أهل البيت ﷺ أن يحشدوا



الآراء والإحتمالات والروايات المتناقضة فيها ، ليضيعوا بذلك مناقب عترة نبيهم ﷺ ! ومما حشده المفسرون هنا :

. ما رواه السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٦ قال :

— وأخرج عبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم نادى على الصفا بأفخاذ عشيرته فخذاً فخذاً يدعوهم إلى الله فقال في ذلك المشركون : لقد بات هذا الرجل يهوت منذ الليلة .

قال وقال الحسن رضي الله عنه : جمع نبي الله صلى الله عليه وسلم أهل بيته قبل موته فقال : ألا إن لي عملي ولكم عملكم ، ألا إني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، ألا إن أوليائي منكم المتقون ، ألا لا أعرفنكم يوم القيامة تأتون بالدينيا تحملونها على رقابكم ، ويأتي الناس يحملون الآخرة . يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد إعملاً فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً . انتهى .

أما رواية قتادة فإن النداء على الصفا يناسب المرحلة العامة التي أمر النبي فيها أن يصدع بالدعوة لكل الناس . . أما إنذار عشيرته الخاصين الذين كان عدد رجالهم أربعين نفرًا فيناسبه أن يدعوهم إلى طعام ويحدثهم كما ورد في الروايات المعقولة .

وأما رواية قتادة عن الحسن البصري إن صحت فلا علاقة لها بالموضوع ، لأنها عند وفاته رضي الله عنه والآية نزلت في أول بعثته !

ومع أن الحسن البصري غلامٌ فارسي ، فهو مع قبائل قريش وحساسيتها ضد أهل بيت النبي رضي الله عنه ويريد أن يقول بهذه الرواية إن النبي رضي الله عنه كان يخاف من حرص ابنته فاطمة وعمته صفية وعترة على الدنيا ، ولذلك جمعهم وحذرهم !

. وقال في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٦

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا بني هاشم ويا صفية عمه رسول الله ، إني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، إياكم أن يأتي

الناس يحملون الآخرة وتأتون أنتم تحملون الدنيا ، وإنكم تردون على الحوض ذات الشمال وذات اليمين ، فيقول القائل منكم يا رسول الله أنا فلان ابن فلان ، فأعرف الحسب وأنكر الوصف ، فإياكم أن يأتي أحدكم يوم القيامة وهو يحمل على ظهره فرساً ذات حممة ، أو بعيراً له رغاء ، أو شاة لها ثغاء ، أو يحمل قشعاً من آدم ، فيحتلجون من دوني ، ويقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ! فطيبوا نفساً وإياكم أن ترجعوا القهقري من بعدي !

قال عكرمة رضي الله عنه : إنما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول حيث أنزل الله عليه : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** . انتهى .

ومع أن عكرمة غلام لابن عباس الهاشمي ، لكنه معروفٌ ببعضه لعثرة النبي صلى الله عليه وآله حتى أنه انضم إلى الخوارج . وهو بهذا التفسير يقول إن علياً وفاطمة وعترة النبي انحرفوا بعد النبي صلى الله عليه وآله ورجعوا بعده القهقري ! لأنهم عارضوا خلافة قریش ولم يطيبوا نفساً عن الخلافة لقریش ، ولذلك سوف يمنعون من ورود الحوض ، ولا تنالهم شفاعة النبي صلى الله عليه وآله .

لقد أخذ عكرمة عبارات النبي صلى الله عليه وآله التي روت الصحاح أنه قالها عن صحابته الذين يرتدون من بعده ويمنعون من ورود حوضه يوم القيامة ، وجعلها لعشيرة النبي صلى الله عليه وآله الأقربين ، ثم ادعى عكرمة أن النبي كان يعرف هذا الإنحراف من أول يوم أمره الله تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين !

وقد روى السيوطي نفس مضمون عكرمة عن أبي أمامة أيضاً .

. ثم قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٧ .

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر والديلمي عن عبد الواحد الدمشقي قال : رأيت أبا الدرداء يحدث الناس ويفتيهم وولده وأهل بيته جلوس في جانب الدار يتحدثون ، فقيل له : يا أبا الدرداء ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل

بيتك جلوس لاهين ؟ ! فقال : إني سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أزهـد الناس في الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون ! وذلك فيما أنزل الله : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** . . إلى آخر الآية . انتهى .

فهؤلاء الرواة الشاميون يريدون أن يقولوا على لسان أبي الدرداء : إن أولاد النبي وعترته ﷺ كانوا لاهين عن علمه كأولاد أبي الدرداء ! وإن بني هاشم كانوا أشد الناس على النبي ﷺ فقد كذبوه وأرادوا قتله ، وحاصروه في شعب بني أمية !! لكن القرشيين حموه من بني هاشم ، وتحملوا معه الحصار أربع سنوات ، فحق لهم أن يرثوه ويحكموا من بعده ، خاصة آل أبي سفيان الكرام !!



ويطول بنا الكلام إذا أردنا أن ننقد كل ما رووه في تفسير هذه الآية ، وكيف جردوا عترة النبي وعشيرته الأقربين ﷺ من كل فضيلة ، وحرموهم من كل امتياز أعطاهم إياه الله تعالى ورسوله !

ولكننا نشير هنا إلى أن الرواة خلطوا عن عمدٍ وبعضهم عن جهل بين أربع حوادث :

الأولى : نزول الآية وبداية إنذار النبي ﷺ لبني عبد المطلب بدعوتهم إلى طعام .

والثانية : مرحلة الإنذار العام عندما صعد النبي ﷺ على الصفا في المرحلة الثانية

من الدعوة ، ونادى وا صباحاه ، وبدأ يدعو قريشاً والعالم .

والثالثة : عندما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً ، وخضع له أبو سفيان وبقية أئمة الكفر

من قريش ، وأحس بعض بنو عبد المطلب بالنصر والفخر ، وامتلأت قلوب القرشيين حسداً لهم ، وتفكيراً في مرحلة ما بعد النبي ﷺ .

والرابعة : في مرض وفاته ﷺ عندما شكى له بنو هاشم ما يحسونه من خطر

قبائل قريش عليهم من بعده وتحالفهم على إبعادهم .

وإليك أهم ما بقي من روايات السيوطي المخلوطة في تفسير آية الأقربين :

. قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٦ .

وأخرج ابن مردويه عن البراء قال لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، صعد النبي صلى الله عليه وسلم ربوةً من جبل فنادى : يا صباحاه ، فاجتمعوا فحذرهم وأنذرهم ، ثم قال : لا أملك لكم من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإنني لا أملك لك من الله شيئاً . انتهى .

— وأخرج مسدد ومسلم والنسائي وابن جرير والبغوي في معجمه والباوردي والطحاوي وأبو عوانة وابن قانع والطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن قبيصة بن مخارق وزفير بن عمرو قالوا : لما نزلت : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربوة من جبل فعلا أعلامها حجراً ثم قال : يا بني عبد مناف إني نذير لكم ، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه إلى أهله ، فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه ، أتيتم أيتيم .

— وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري قال : لما نزلت : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبعيه في أذنيه ورفع صوته وقال : يا بني عبد مناف يا صباحاه .

— وأخرج ابن مردويه عن الزبير بن العوام قال : لما نزلت **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، صاح على أبي قبيس : يا آل عبد مناف إني نذير فجاءته قريش فحذرهم وأنذرهم .

— وأخرج سعيد بن منصور والبخاري وابن مردويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، ورهطك منهم المخلصين خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد على الصفا فنادى : يا صباحاه فقالوا : من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال :



أرأيتمكم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟

قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً .

قال : فيإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ ! فنزلت : تبت يدا أبي لهب

وتب . انتهى .

فهذه الروايات تناسب بداية مرحلة الدعوة العامة كما أشرنا ، وقد جعلوها

لمرحلة الدعوة الخاصة ببني هاشم ، وذكروا فيها فاطمة الزهراء عليها السلام قبل ولادتها ! !

. أما الرواية اليتيمة المعقولة التي رواها السيوطي فهي حديث الدار المعروف . .

. قال في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٧ .

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل من طرق عن علي عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أبي مهما أبادوهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصممتُ عليها حتى جاء جبريل فقال : يا محمد إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك ، فاصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واجعل لنا عساً من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغ ما أمرت به ، ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به ، فلما وضعته تناول النبي صلى الله عليه وسلم بضعة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ، ثم قال : كلوا بسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، ما ترى إلا آثار أصابعهم ! والله إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم !



ثم قال : إسق القوم يا علي ، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً ، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله !

فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال : لقد سحركم صاحبكم ! فتفرق القوم ولم يكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما كان الغد قال : يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم ، فعد لنا بمثل الذي صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، ثم اجمعهم لي ففعلت ، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربتته ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا وشربوا حتى نهلوا ، ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم أحداً في العرب جاء قومته بأفضل مما جئتمكم به ، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأأيكم يوازرنني على أمري هذا ؟ فقلت وأنا أحدثهم سناً : إنه أنا ، فقام القوم يضحكون . انتهى .

ورواها السيوطي بسند آخر عن ابن مردويه عن البراء بن عازب ، قال : لما نزلت هذه الآية : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً ، منهم العشرة يأكلون المسنة ويشربون العس . . . الخ . انتهى .

— وقد روى المحققون ومؤرخو السيرة هذا الحديث ، لكن السيوطي بتره هنا ولم يذكر بقية كلام النبي ﷺ . . وهو أسلوب ذأب رواة خلافة قريش على ارتكابه ضد عترة النبي وأسرته ﷺ ، والسبب في ذلك أن بقية الحديث تقول إن الله أمر رسوله من ذلك اليوم أن يختار وزيراً وخليفة من عشيرته الأقربين !

. قال الأميني في الغدير ج ١ ص ٢٠٧

وها نحن نذكر لفظ الطبري بنصه حتى يتبين الرشد من الغي ، قال في تاريخه ج ٢ ص ٢١٧ من الطبعة الأولى : إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى

أن أدعوكم إليه ، فأياكم يوازني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ثم قال : إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا .

قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع !!

. وقال الأميني في ج ٢ ص ٢٧٩

وبهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الإسكافي المتكلم المعتزلي البغدادي المتوفى ٢٤٠ في كتابه نقض العثمانية وقال : إنه روي في الخبر الصحيح .

ورواه الفقيه برهان الدين في (أبناء نجباء الأبناء) ص ٤٦ . ٤٨ . وابن الأثير في الكامل ٢ ص ٢٤ وأبو الفداء عماد الدين دمشقي في تاريخه ج ١ ص ١١٦ وشهاب الدين الخفاجي في شرح الشفا للقاضي عياض ج ٣ ص ٣٧ (وبترا آخره) وقال : ذكر في دلائل البيهقي وغيره بسند صحيح . والخازن علاء الدين البغدادي في تفسيره ص ٣٩٠ والحافظ السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٢ نقلاً عن الطبري وفي ص ٣٩٧ عن الحفاظ الستة : ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي . وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ ص ٢٥٤ . انتهى .

ثم شكك صاحب الغدير من تحريف الذين حرفوا الحديث لإرضاء قریش ، ومنهم الطبري الذي رواه في تفسيره بنفسه سنده المتقدم في تاريخه ، ولكن أهم كلام النبي ﷺ في حق علي ﷺ فقال : ثم قال : إن هذا أخي وكذا وكذا . وتبعه على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ٣ ص ٤٠ وفي تفسيره ٣ ص ٣٥١

. وقال في مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٠٥ وما بعدها :

وأما بيعة العشيرة ، قال النبي ﷺ : بعثت إلى أهل بيتي خاصة ، وإلى الناس عامة وهذا النص النبوي هو أصح تفسير لقوله تعالى : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** .



وقد ذكر في المناقب أن السيد الحميري نظم هذه المنقبة لبني هاشم فقال :

وهم من شباب أربعين وشيب
ولست أراني عندكم بكدوب
جزيل العطايا للجزيل وهوب
فقال ألا من ناطق فمجيبي
وما ذاك من عاداته بغريب

أنذر عشيرتك الأذنين إن بصروا
فما تخلف عنه منهم بشر
وشارب مثل عس وهو مختفر
فيها من الحب صاع فوقه الوزر
السيك فأجيبوا الله وأدكروا
إني نبي رسول فأنبري غدر
عن ديننا ثم قام القوم فانشمروا
سنأ وخيرهم في الذكر إذ سطروا
لم يعطها أحد جن ولا بشر
إن لم يجيبوا فقد خانوا وقد خسروا
فكان سباق غايات إذا ابتدروا

أعني الإمام ولينا المحسودا
قبل البرية ناشياً ووليداً
في الحرب عند لقاءها رعيداً
لا عابداً وثناً ولا جلموداً

وقيل له أنذر عشيرتك الألى
فقال لهم إني رسول اليكم
وقد جئكم من عند رب مهيم
فأياكم يقفوا مقالي فأمسكوا
ففاز بها منهم علي وسادهم
وله أيضاً :

ويوم قال له جبريل قد علموا
فقام يدعوه من دون أمته
فمنهم آكل في مجلس جذاً
فصدهم عن نواحي قصعة شبعاً
فقال يا قوم إن الله أرسلني
فأياكم يجتبي قولي ويؤمن بي
فقال تبأ أتدعوننا لتلفتنا
من الذي قال منهم وهو أحدثهم
أمنت بالله . . قد أعطيت نافلة
وإن ما قتلته حقيق وإنهم
ففاز قداماً بها والله أكرمهم

وقال دعبل :

سقياً لبيعة أحمد ووصيه
أعني النبي نصر النبي محمداً
أعني الذي كشف الكروب ولم يكن
أعني الموحّد قبل كل موحداً



. وقال في هامش بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٢٧٢

وناهيك من ذلك مؤاخاته مع رسول الله ﷺ بأمر من الله عز وجل في بدء الإسلام حين نزل قوله تعالى : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** . . .

راجع تاريخ الطبري ٢ . ٣٢١ كامل ابن الأثير ٢ . ٢٤ تاريخ أبي الفداء ١ . ١١٦ والنهج الحديدي ٣ . ٢٥٤ مسند الإمام ابن حنبل ١ . ١٥٩ جمع الجوامع ترتيبه ٦ . ٤٠٨ كنز العمال ٦ . ٤٠١ .

وهذه المؤاخاة مع أنها كانت بأمر الله عز وجل إنما تحققت بصورة البيعة والمعاهدة (الحلف) ولم يكن للنبي ﷺ أن يأخذ أحداً ووزيراً وصاحباً وخليفة غيره ولا لعلبي أن يقصر في مؤازرته ونصرتة والنصح له ولدينه كمؤازرة هارون لموسى على ما حكاه الله عز وجل في القرآن الكريم . ولذلك ترى رسول الله ﷺ حين يؤاخي بعد ذلك المجلس بين المهاجرين بمكة فيؤاخي بين كل رجل وشقيقه وشكله : يؤاخي بين عمر وأبي بكر ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص ، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ، وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الكلبي (راجع سيرة ابن هشام ١ . ٥٠٤ المجر ٧١ . ٧٠ البلاذري ١ / ٢٧٠)

يقول لعلبي عليه السلام : والذي بعثني بالحق نبياً ما أحررتك إلا لنفسي فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي وأنت معي في قصري في الجنة . ثم قال له : وإذا ذاكرك أحد فقل : أنا عبد الله وأخو رسوله ، ولا يدعيها بعدي إلا كاذب مفتر (الرياض النضرة ٢ . ١٦٨ منتخب كنز العمال ٥٠٥ و ٤٦) .

ولذلك نفسه تراه ﷺ حينما عرض نفسه على القبائل فلم يرفعوا إليه رؤسهم ثم عرض نفسه على بني عامر بن صعصعة قال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس بن



عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال لرسول الله : رأيت إن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ! قال فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ ! لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه (راجع سيرة ابن هشام ١ . ٤٢٤ الروض الأنف ١ . ٢٦٤ بهجة المحافل ١ . ١٢٨ سيرة زيني دحلان ١ . ٣٠٢ السيرة الحلبية ٢ . ٣) . فلولا أنه ﷺ كان تعاهد مع علي عليه السلام بالخلافة والوصاية بأمر من الله عز وجل ، قبل ذلك لما ردهم بهذا الكلام المؤيس ، وهو بحاجة ماسة من (. .) نصرته أمثالهم . انتهى .



وختاماً فإن ما أوردناه يكفي لإثبات أن قبائل قريش كانت قبل الإسلام تحسد قبيلة بني هاشم حسداً إلى العظم ، وأنها بعد إسلامها وخضوعها للنبي ﷺ ابن بني هاشم ! لم تشف من هذا المرض ، بل انتقل حسداً وحساسيتها إلى عشيرة النبي وعترته من أهل بيته ﷺ واتفقوا عزلهم سياسياً بعد النبي ﷺ .

وعلى هذا الأساس يجب على المؤمن والباحث أن يكون حذراً في تصديق أحاديث المصادر القرشية في هذا الموضوع ، وفي كل ما يتعلق ببني هاشم . . . ومن ذلك الأحاديث التي تنفي وعد الرسول ﷺ لأسرته بالشفاعة الخاصة في الآخرة . .

أغرب شفاعة اخترعها القرشيون لرئيس بني هاشم

— كل مطلع على سيرة النبي ﷺ يعرف أن عمه أبا طالب كان حاميه وناصره ، وأنه بحمايته ونصرته استطاع أن يصمد بدعوته ، وبحكمة أبي طالب ونفوذه المعنوي وقف الهاشميون في وجه قريش إلى جانب النبي ﷺ وصدوا في حصار الشعب أربع سنوات ، وبإخلاصه واستماتته في الدفاع عن النبي ﷺ أفشل الله أكثر خطط



قريش في إهانة النبي وقتله .

— ويعرف أن أبا طالب له ديوان شعر نقلته مصادر السيرة والتاريخ وكله في تأييد النبي والإيمان به وفي ذم قادة المشركين الذين وقفوا ضده . . وأن رواة الخلافة القرشية لو وجدوا بيتين من الشعر لشخصية قرشية يجبوئها من المعاصرين لأبي طالب لطلبوا بأحدهما وزمروا بالآخر واستخرجوا منهما عشرين دليلاً على إيمانه .

— ويتفق فقهاء المذاهب أن القاضي إذا شك في إسلام شخص متوفى ، يكفيه لإثبات إسلامه إقراره أو شهادة شاهدين عاديين بأنه كان مسلماً . . ولكن إثبات إسلام أبي طالب لا يكفي له عندهم إقراراته الصريحة ، ولا ألوف الشهود !

— ثم إن أهل البيت أدري بما فيه والأبناء أعرف بأبائهم ، وإن علياً وأبناءه الصادقين المصدقين الطاهرين المطهرين بنص القرآن ، قد شهدوا بأن أبا طالب كان مسلماً مؤمناً يكتفون بإيمانه ، وأن مثله مثل مؤمن آل فرعون . . ولكن ذلك لم يكف أيضاً في نظر قريش لإثبات إسلام أبي طالب !

— والسبب في كل هذا التشدد والتعننت أن قريشاً لا تريد إعطاء هذا الوسام لأبي طالب ، وعندها لذلك مبررات عديدة :

أولاً : أبو طالب بن عبد المطلب ، هو رئيس بني هاشم وزعيم قريش بعد أبيه عبد المطلب . وإذا أعطي هذا الوسام فإن أولاده أولى بملك ابن عمهم النبي محمد ! ﷺ . . ولا إخالك تقول هنا إن هذا منطوق قبلي غير إسلامي ، فإن نظام الخلافة الإسلامي إنما قام على أساس القبيلة ، وإنما كانت حجة عمر وأبي بكر في السقيفة قرابتهما القبيلة من محمد وأنه من قريش وقريش أولى بسلطانه !

فالمنطق الذي حكم بعد وفاة النبي ﷺ وقامت عليه خلافة قريش هو المنطق القبلي وقد كان هو المنطق العام الحاكم عند الجميع ! لا يستثنى منه إلا منطوق النص الذي قال به أهل البيت ﷺ وشيعتهم ، ولم يصغ لهم أحدٌ إلا الأفلون عدداً !

ثانياً : إن شعر أبي طالب رضوان الله عليه ما زال يرنُّ في آذان قادة قريش ! وفيه لهم من التوبيخ والتعنيف لهم ، ووصفهم بالحسد والبغي والجحود والكفر وقطيعة الرحم ، والحقارة . . وأسوأ الصفات ! ! فالإعتراف بإسلامه إعطاء شعره الصفة لشعره الذي نشر به غسيل قريش !

ثالثاً : إن أبا طالب والد علي ، وعلي يطالب بخلافة النبي بالنص ، وهو المعارض الأول لأن تكون خلافة محمد لكل قريش تدور بين قبائلها بقاعدة من غلب ! وهذه المعارضة ذنبٌ يجب أن يدفع ثمنه عليُّ وأولاده وأبوه أبو طالب ! والظاهر أن أكبر ذنب لأبي طالب عندهم أنه والد علي . . فلو كان والد معاوية لأحبه قريش وقالت عنه إنه أسلم وحسن إسلامه ، وشملته شفاعة النبي ﷺ .

فقد غفرت قريش لأبي سفيان ما لم يغفره الله ورسوله ، ونسيت أنه إمام الكفر ، ومحزب الأحزاب ، والعدو اللدود الذي لم يلق سلاحه في وجه الإسلام إلا مكرهاً ، ولم يسلم إلا مكرهاً ! بل غفرت له قولته عندما وصلت الخلافة إلى بني أمية (تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار) !

لهذه الأسباب وغيرها صدر حكم قريش بحق أبي طالب بأن حمايته للنبي ﷺ ودفاعه عنه وتحمله الشدائد من أجله واتصالاته بالقبائل ورسائله إليهم وإلى النجاشي وعمله الدائب من أجل تمكين النبي من نشر دعوته . . كل ذلك كان عصبيةً هاشميةً فقط ، وأنه مات كافراً وليس له أي حق في وراثته النبي ﷺ وليس لأولاده أي امتياز بسبب حماية أبيهم للنبي ، بل هم من قريش وقريش هي التي ترث سلطان محمد ! وقد قال عمر للأَنْصار في السقيفة : نحن قومه وعشيرته فمن ذا ينازعنا سلطان محمد ؟ !

— إنسجاماً مع هذه الثقافة تجدد في مصادر السنين أعجب الأحاديث عن أبي

طالب ، ولعل أعجبها على الإطلاق حديث شفاعة النبي ﷺ لهذا العم الذي أحبه ورباه وحماه وفداه بنفسه وأولاده . فشفع له النبي ﷺ ووضع في مكان من جهنم يغلي منه دماغه !

. قال البخاري في ج ٧ ص ٢٠٣

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه أم دماغه !!

ورواه في ج ٤ ص ٢٠٢ وروى نحوه أحمد في ج ١ ص ٢٩٠ وص ٢٩٥ وص ٢٠٦ وص ٢٠٧ وج ٣ ص ٩ وص ٥٠ وص ٥٥ والحاكم في ج ٤ ص ٥٨٢ والبيهقي في البعث والنشور ص ٥٩ والذهبي في تاريخ الإسلام ج ١ ص ٢٣٤ وغيره من مصادرهم . وقال ابن الأثير في النهاية ج ٣ ص ١٣ : ضحضاح : الضحضاح : في الأصل مارق من الماء على وجه الأرض وما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار .

. وقال البخاري في ج ٤ ص ٢٤٧

باب قصة أبي طالب . حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثنا عبد الملك ، حدثنا عبد الله بن الحرث ، قال حدثنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار !!

ورواه في ج ٧ ص ١٢١ وص ٢٠٣ ورواه مسلم ج ١ ص ١٣٥ ورواه أحمد في ج ١ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٠ وج ٣ ص ٥٠ و ٥٥ قال : عن عباس بن عبد المطلب قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه قد كان يحوطك ويغضب لك ! قال : نعم هو في ضحضاح من النار لولا ذلك لكان في الدرك الأسفل من النار . انتهى .

فهذه الرواية تريد بيان التأثير الكبير لشفاعة النبي ﷺ لعمه وأن أبا طالب



بالأساس يستحق الدرك الأسفل من النار مثل أبي لهب وأبي جهل وفراعنة قريش الذين كذبوا النبي وأرادوا قتله ، والذين نص الله تعالى على طغيانهم وعقابهم ! فحماة الأنبياء في منطق هذه الأحاديث مثل أعدائهم ، بل أسوأ حالاً منهم ! وقد روى أن أبا طالب كان في طمطام من النار فخفف الله عنه ! وطمطام النار هو وسطها الملتهب !

— قال في مجمع الزوائد ج ١ ص ١١٨ عن لسان النبي ﷺ : وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه الي فجعله في ضحضاح من النار . انتهى .

لقد تحير علماء ثقافة قريش في هذا النوع من الشفاعة المخترعة ، لأن الشفاعة إما أن يأذن بها الله تعالى لرسوله فيخلص المشفوع له من النار ويدخله الجنة ، وإما أن لا يأذن بها فيبقى الشخص في مكانه في النار . . وما ذكرته أحاديث الضحضاح ليس بشفاعة ! ولكنهم ابتكروا له اسماً خاصاً وهو شفاعة التخفيف والنقل من الدرك الأسفل من النار إلى مستنقع من النار وضحضاحها !

. قال القسطلاني في إرشاد الساري ج ٩ ص ٣٢٨

الشفاعات كما قال عياض خمسة ، وقد زاد سادسة هي التخفيف عن أبي طالب . انتهى .

ثم احتاط القسطلاني لئلا يقال كيف تسمون الضحضاح شفاعة ؟ فقال هي شفاعة مجازية وليست حقيقية !

— قال في إرشاد الساري ج ٩ ص ٣٢٤ : إن أبا طالب لما بالغ في إكرام النبي (ص) والذب عنه ، جوزي بالتخفيف ، وأطلق على ذلك شفاعة ! انتهى .

وهكذا بالغ النبي بزعم رواة قريش في إكرام عمه كما بالغ عمه في إكرامه ! ! على أن مقصود القرشيين من رواية الضحضاح قد يكون تشديد العذاب على أبي

طالب لا تخفيفه ، فيكون ما تصوره النووي من المبالغة في إكرام أبي طالب مبالغة في عذابه ! فقد روت مصادر الثقافة القرشية أن العذاب في الضحضاح أشد من بقيتها !

قال السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ١٢٧

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال : إن أهل النار إذا جزعوا من حرها استغاثوا بضحضاح في النار ، فإذا أتوه تلقَّاهم عقارب كأنهن البغال الدهم ، وأفاع كأنهن البخاتي ، فضرينهم ، فذلك الزيادة !

بماذا يفسرون قول النبي ﷺ سأبلها ببلاها

لم يقنع حديث الضحضاح المسلمين بعدم ثبوت شفاعة النبي ﷺ لعمه الحبيب أبي طالب ، خاصة أن رواية الضحضاح رووا أن أبا طالب له رحم مع النبي ﷺ وأن النبي وعد أنه سيبلها ببلاها ، فهل لهذا الوعد تفسيرٌ إلا الشفاعة ؟ وهل يسمى وضع أبي طالب في ضحضاح من نار بلائاً من النبي لرحمه ؟ !

والطريف أن البخاري نقل حديثاً عن عمرو بن العاص (وزير معاوية) تبرأ فيه النبي من آل أبي طالب وأعلن قطع الولاية والرحم بينه وبينهم ! وفي نفس الحديث وعدٌ من النبي أن يبل رحمهم ببلاها ! !

— قال البخاري في ج ٧ ص ٧٣ : الرحم شجنة فمَن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته . باب يبل الرحم ببلاها . عن قيس بن أبي حازم أن عمرو بن العاص قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جهاراً غير سر يقول : إن آل (أبي طالب) قال عمر وفي كتاب محمد بن جعفر بياض ، ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين . زاد عنبة بن عبد الواحد عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم : ولكن لهم رحمٌ أبلها ببلاها ، يعني أصلها بصلتها . قال أبو عبد الله (أي البخاري) ببلاها كذا وقع وببلاها أجود وأصح وببلاها لا أعرف له وجهاً . وروى نحوه مسلم في ج ١ ص ١٣٣ والترمذي ج ٥ ص ١٩ والنسائي ج ٦ ص ٢٤٨ .

٢٥٠ وأحمد ج ٢ ص ٣٦٠ وص ٥١٩



وفي بعض رواياتهم توجه الوعد النبوي إلى أبي طالب خاصة ، كما في كنز العمال ج ١٢ ص ١٥٢ : إن لأبي طالب عندي رحماً سأبليها ببلاها (ابن عساكر عن عمرو ابن العاص) . وراجع كنز العمال ج ١٦ ص ١٠ وج ١٢ ص ٤٢

ومعنى بلال الرحم : صلتها حتى ترضى . قال الجوهرى في الصحاح ج ٤ ص ١٦٣٩ : ويقال أيضاً : في سقائك بلال أي ماء . . . ومنه قولهم : إنضحووا الرحم ببلاها أي صلوها بصلتها وندوها . . . ويقال أيضاً : لا تبلك عندي بلال مثال قطام قالت ليلي الأخيلية :

فلا وأبيك يا ابن أبي عقيـل تبلـك بعـدها عنـدي بـلال

وقال في الصحاح ج ٥ ص ١٩٢٩ : والرحم أيضاً : القرابة والرحم بالكسر مثله .

قال الأعشى : أما لطالب نعمة يمتتها ووصل رحم قد بردت ببلاها

وقال في الدرجات الرفيعة ص ٥١٤ :

إن المكـارم أصـبحت لهفانـة حرى وأنـت ببلاها وبليها

وإذا المكـارم ذللت أو ضللت يوماً فأنت دلالها ودليلها

— وقال ابن الأثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٥١ : سأبليها ببلائها : وفي البيهقي ببلاها : معناه سأصلها . شبهت قطيعة الرحم بالحجارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة . ومنه بلوا أرحامكم : أي صلوها . انتهى .

والنبي ﷺ عندما استعمل هذا التعبير ووعده هذا الوعد كان يعرف أن معنى بلال الرحم عند العرب إكرام القريب بسخاء حتى يرضى وفوق الرضا ، فهو ﷺ أفصح من نطق بالضاد ، وأعرف الناس بمعانيها .

لهذا يبقى السؤال للبخاري وكافة علماء الخلافة القرشية : إذا وعد نبي أسرته وأهل بيته بأنه سيصل رحمهم ويرضيهم ، فكيف تتعلقون أنه يجعل عمه العزيز عليه منهم الذي له عليه فضل خاص ، في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه ؟ !



ضحضاح النور لا ضحضاح النار

لعل الراوي الأساسي لحديث ضحضاح النار هو المغيرة بن شعبة الثقفي ، ثم أخذه عنه الآخرون ، أو نسب إليهم . . . وسبب إسلام المغيرة أنه كان في سفر في تجارة مع عدد من رفقاءه الثقفيين من أهل الطائف ، فغدر بهم وقتلهم جميعاً وسرق أموالهم ، وفر إلى المدينة و . . . أسلم ! وهو معروف بدائه وفساد أخلاقه ، وبغضه لعلي ﷺ وبني هاشم ، وتاريخه مدونٌ معروف !

ولا يبعد أن يكون أخذ تعبير (الضحضاح) من حديث ضحضاح النور الذي ورد في حق أهل البيت ﷺ فجعله ضحضاح نار لأبي طالب !

— فقد روى الشيخ الطوسي في الغيبة ص ١٤٧ قال : وأخبرنا جماعة عن التلعكبري ، عن أبي علي أحمد بن علي الرازي الأيادي قال : أخبرني الحسين بن علي ، عن علي بن سنان الموصلي العدل ، عن أحمد بن محمد الخليلي ، عن محمد بن صالح الهمداني ، عن سليمان بن أحمد ، عن زياد بن مسلم ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن سلام قال : سمعت أبا سلمى راعي النبي ﷺ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سمعت ليلة أسري بي إلى السماء قال العزيز جل ثناؤه : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه . قلت : والمؤمنون . قال : صدقت يا محمد . . . إني اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشقت لك إسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلا وذكرت معي ، فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وشقت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي . يا محمد إني خلقتك وخلقته علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده أشباح نور من نوري ، وعرضت ولايتكم على السماوات وأهلها وعلى الأرضين ومن فيهن ، فمن قبل ولايتكم كان عندي من المقربين ومن جحدتها كان عندي من الكفار الضالين .

يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم .



يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب قال التفتت عن يمين العرش فالتفتت فإذا أنا بأشباح علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة كلهم حتى بلغ المهدي، في ضحضاح من نور قيام يصلون والمهدي في وسطهم كأنه كوكب دري، فقال لي: يا محمد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، فوعزتي وجلالي إنه حجة واجبة لأوليائي منتقم من أعدائي. انتهى.

ورواه فرات الكوفي في تفسيره ص ٧٤ عن الإمام الباقر عليه السلام وقال في هامشه: وأخرجه الحموي في الفرائد ٢. ٥٧١ ط ١ والخوارزمي في مقتل الطوسي في الغيبة وصاحب المقتضب كما في البرهان بأسانيدهم إلى أبي سلمى راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال سمعته يقول... (مثله تقريباً). وأخرج صدره القاضي أبو جعفر الكوفي في المناقب ح ١٣٠ وأورده بكامله مع تاليه العلامة المجلسي في البحار ٣٧. ٨٢ انتهى. ورواه ابن شاذان في المنقبة السابعة عشرة من مناقب علي عليه السلام. ورواه المجلسي في بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٤٧ وج ١٨ ص ١٨ ج ٢٩٧ وج ٢٦ ص ٣٠١

محاولتهم التخلص من الوعد النبوي لبني هاشم

وجد المفسرون للثقافة القرشية أن أحسن طريقة للتخلص من الوعد النبوي الذي انتشرت روايته في الناس، أن يبعده عن الآخرة كلياً، ويقولوا إنه ليس وعداً بالشفاعة!

— قال ابن الأثير في النهاية ج ١ ص ١٥٣: سأبلها ببالها: أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً، والبال جمع بلل. انتهى.

ولكن ذلك لا يصح:

أولاً، لأنه ورد في سياق حديث النبي صلى الله عليه وآله عن الآخرة وإنقاذ النفس من النار فالأصل أن يكون هذا استثناء متصلاً من موضوع الحديث ومصبه، لا من خارجه!

وثانياً، أن الحديث في مقام نفع نسبه وسببه صلى الله عليه وآله في الآخرة وقد صح عند



الجميع أنه النسب الوحيد الذي لا ينقطع يوم القيامة . وتقدمت روايته عن عمر أن النبي : قال : ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع ؟ ! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي ، فإنها موصولة في الدنيا والآخرة !

وثالثاً ، لم يكن النبي يملك دنياً عند نزول أمره تعالى : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، حتى يعد أقاربه بها ، بل لا معنى لوعده إياهم في ذلك الوقت حتى بالشفاعة في الآخرة ، لأنه في مرحلة عرض الإسلام عليهم . . وهذا مما يضعف الرواية بأن هذا الوعد النبوي صدر عند نزول الآية .

ورابعاً ، أنهم رووا هذا الحديث بشأن أبي طالب بعد وفاته كما تقدم في كنز العمال عن ابن عساكر وغيره ، فهل وعده النبي بأن يعطيه مالاً بعد وفاته ! أم وعد بأن يعطي ذريته ثروة فلم يعطهم وتركهم فقراء !

وخامساً ، رووا في نفس هذا الوعد أن النبي ﷺ خاطب كل قريش ووعدهم ببلال الرحم ، فإن قالوا إنه وعد بإعطائهم مالاً في الدنيا دون الآخرة ، لزم أن لا تشمل شفاعته النبي ﷺ أحداً من قريش أبداً ! ، فهل يلتزمون بذلك !

. قال النووي في المجموع ج ١٥ ص ٣٥٦

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة واللفظ لمسلم (لما نزلت هذه الآية : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا ، فعم وخص فقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سأبليها (ببالها) وفي هذا دليل على أن كل من ناداهم النبي صلى الله عليه وسلم يطلق عليهم لفظ الأقربين ، لأنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ممتثلاً لقوله تعالى : **وَأَنْذِرْ**



عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ ، وهو دليل على صحة ما ذهب إليه الشافعي رحمته الله من دخول النساء لذكره فاطمة ، ودخول الكفار . انتهى .

وسادساً ، روى أحاديث عديدة صرحت بالوعد النبوي بالشفاعة في الآخرة ، كالذي رواه الحاكم في ج ٣ ص ٥٦٨ ورواه مجمع الزوائد ج ١ ص ٨٨ وكنز العمال ج ١٢ ص ٤١ : والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي ! أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب ؟ ! انتهى .

بل روى في كنز العمال ج ١٢ ص ١٠٠ أن شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم مخصوصة بمن أحب أهل بيته ، قال : شفاعتي لأمتي ، من أحب أهل بيتي وهم شيعة ! انتهى .
وبذلك يتضح أن محاولة إبعاد وعد النبي صلى الله عليه وسلم لبني هاشم عن الشفاعة . . محاولة مردودة ، بل مشبوهة .

عمل المعروف ينجي الكفار من النار إلا أبا طالب

. روى ابن ماجة في سننه ج ٢ ص ٤٩٦

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفُوفًا ، وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَمُرُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ أَمَا تَذَكَّرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتَكَ شَرِبَةً ؟ قَالَ فَيَشْفَعُ لَهُ . وَيَمُرُّ الرَّجُلُ فَيَقُولُ : أَمَا تَذَكَّرُ يَوْمَ نَاوَلْتَكَ طَهُورًا ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ . قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ وَيَقُولُ : يَا فُلَانُ أَمَا تَذَكَّرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي فِي حَاجَةٍ كَذَا وَكَذَا فَذَهَبْتَ لَكَ ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ . انتهى .

والرجل من (أهل النار) يعني الكافر أو يشمل الكافر الذي قدم خدمة ولو صغيرة للمسلم . . فإذا كانت مكانة المسلم العادي كبيرة عند الله تعالى بحيث يشقُّه في من قدم له خدمة ولو بسيطة ، فكيف بخدمات أبي طالب لأفضل الخلق صلى الله عليه وسلم !

ويؤيد حديث ابن ماجة ما رواه السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٢٤٩ : عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : **فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ**



مَنْ فَضَّلَهُ ، قال : أجورهم يدخلهم الجنة ، ويزيدهم من فضله الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع اليهم المعروف في الدنيا .

. وما رواه في الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٦

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ، ثم أمر منادياً ينادي : ألا ليقيم أهل المعروف في الدنيا ، فيقومون حتى يقفوا بين يدي الله ، فيقول الله : أنتم أهل المعروف في الدنيا ؟ فيقولون نعم ، فيقول وأنتم أهل المعروف في الآخرة ، فقوموا مع الأنبياء والرسائل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة حتى تدخلوا عليهم المعروف في الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف في الدنيا ! .

. ويؤيده من مصادرنا ما رواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٨٨

عن ثواب الأعمال للصدوق ص ١٦٣ قال : أبي ، عن سعد ، عن النهدي ، عن ابن محبوب ، عن علي بن يقطين ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : كان في بني إسرائيل رجلاً مؤمناً وكان له جارٌ كافر فكان يرفق بالمؤمن ويؤليه المعروف في الدنيا ، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين ، فكان يقيه حرها ويأتيه الرزق من غيرها ، وقيل له : هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق ، وتوليته من المعروف في الدنيا !

وقال المجلسي : هذا الخبر الحسن الذي لا يقصر عن الصحيح ، يدل على أن بعض أهل النار من الكفار يرفع عنهم العذاب لبعض أعمالهم الحسنة ، فلا يبعد أن يخص الآيات الدالة على كونهم معذبين فيها لا يخفف عنهم العذاب ، لتأييده بأخبار آخر .

. وفي بحار الأنوار ج ٨ ص ٤١ عن ثواب الأعمال أيضاً ص ١٦٧

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن المؤمن منكم يوم القيامة يمر به الرجل له المعرفة به



في الدنيا وقد أمر به إلى النار والمملك ينطلق به ، قال فيقول له : يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا وأسعفك في الحاجة تطلبها مني فهل عندك اليوم مكافأة؟ فيقول المؤمن للملك المؤكل به : خلّ سبيله ، قال فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن ، فيخلي سبيله . انتهى .

هذه الشفافية في الرحمة الإلهية وإكرامه تعالى لأنبياؤه وعباده المؤمنين . . تتبحر عند قبائل قريش ورواتهم عندما يصلون إلى أسرة النبي ﷺ !

بل تتحول إلى قسوة وخشونة ينسبونها إلى الله ورسوله ضد هذه الأسرة التي جعل الله مودتها أجراً لتبليغ الإسلام ، لأنه الضمانة الوحيدة لسلامة الإسلام !!

أحاديث نجت من الرقابة القرشية

مع كل المحاولات المتقدمة بقيت أحاديث عديدة ، منها صحيح عندهم ، استطاعت أن تعبر نقاط التفتيش ، وتنحو من رقابة الثقافة القرشية الحاكمة ، وفيما يلي نماذج منها :

— تقدمت رواية الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢١٦ عن عمر وما قاله لصفية عمة النبي وما أجابه به النبي ﷺ فقد جاء فيها :

قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة ، فصعد المنبر صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع ؟ ! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي ! فإنها موصولة في الدنيا والآخرة ! انتهى .

وقد حاولت رواية أن تعتذر عن قول الخليفة عمر هذا باتهام أم هانئ أخت علي بن أبي طالب بأنها كانت متبرجة ، فنهاها عمر عن ذلك ، وقال لها ذلك القول ! ولكن الظاهر أن حادثة أم هانئ حادثة أخرى غير حادثة صفية ، وقد كان جواب النبي ﷺ فيها أيضاً حاسماً :



. قال في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٧

عن عبد الرحمن بن أبي رافع أن أم هانئ بنت أبي طالب خرجت متبرجة قد بدا قرطاهها ، فقال لها عمر بن الخطاب : إعملي فإن محمداً لا يغني عنك شيئاً ، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي ؟ ! وإن شفاعتي تنال حا وحكم !! وحا وحكم قبيلتان . انتهى .

. وذكرت مصادرنا كما في بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٢١٩

أن عمر قال لها : غطي قرطك فإن قرابتك من رسول الله لا تنفعك شيئاً ! فقالت له : هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخناء ؟ ! ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فقال : ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع ! لو قمت المقام المحمود لشفعت في حاء وحكم ! لا يسألني اليوم أحد من أبواه إلا أخبرته ! فقام إليه رجل فقال : من أبي يا رسول الله ؟ فقال : أبوك غير الذي تدعى له ، أبوك فلان بن فلان ! فقام آخر فقال : من أبي يا رسول الله ؟ قال : أبوك الذي تدعى له ! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه ؟ فقام إليه عمر فقال : أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله ، أعف عني عفا الله عنك . . .

. ونقل البيهقي في البعث والنشور ص ٥٩

حادثة ثالثة : عن أبي هريرة قال كانت امرأة من بني هاشم تحت رجل من قريش ، فكان بينه وبينها شيء فقال لها ستعلمين والله أنه لا ينفعك قرابتك من رسول الله (ص) شيئاً ! فخرج رسول الله مغضباً فقال : ما بال رجال يزعمون أن قرابتي لا تنفع ! وإني لترجو شفاعتي صدى أو سهلب !



. وفي الأنساب للسمعاني ج ١ ص ٣٠

عن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
أيها الناس مالي أؤذي في أهلي ؟ ! والله إن شفاعتي لتنال حاء وحكم وسلهب
وصدء ، تنالها يوم القيامة !
وسلهب في نسب اليمن من دوس . قال ابن إسحاق : هذا مما يصدق نسابة مضر
أن هذه القبائل من معد .

. وقال الديلمي في فردوس الأخبار ج ٤ ص ٣٩٩ ح ٦٦٨٣

أبو سعيد : ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا تنفع ؟ ! والله إن رحمي لموصولة في
الدنيا والآخرة .

. وقال ابن الأثير في أسد الغابة ج ١ ص ١٣٤

عن شهر بن حوشب قال أقام فلان (يقصد معاوية) خطباء يشتمون علياً رضي
الله عنه وأرضاه ويقعون فيه حتى كان آخرهم رجلاً من الأنصار أو غيرهم يقال له
أنيس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنكم قد أكثرتم اليوم في سب هذا الرجل
وشتمه ، وإني أقسم بالله أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني
لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على الأرض من مدر وشجر ، وأقسم بالله ما أحدٌ أوصل
لرحمه منه ، أفترون شفاعته تصل اليكم وتعجز عن أهل بيته ؟ ! ورواه في مجمع
الزوائد ج ٩ ص ١٧٠ : عن شهر بن حوشب وفيه (افيروجوها غيره ويقصر عن أهل بيته)

. تاريخ المدينة ج ٢ ص ٢٦٤

حدثنا أبو حذيفة ، قال حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : جاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنك
تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لن يبلغوا الخير . أو قال : الإيمان . حتى يجرؤكم الله ولقرايتي ! أيرجو سؤلهم شفاعتي



من مراد ، ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتي ! وروى نحوه في كنز العمال ج ١٣ ص ٥١٢ و ٥١٤

. الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٩

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر وأبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله عنهم قالوا : قدمت درة بنت أبي لهب مهاجرةً ، فقال لها نسوة أنت درة بنت أبي لهب الذي يقول الله **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ** ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فخطب فقال : يا أيها الناس ما لي أؤذى في أهلي ، فوالله إن شفاعتي لتنال بقرابتي حتى أن حكماً وحاء وصادا وسلهباً تناولها يوم القيامة بقرابتي ! ورواه في كنز العمال ج ١٣ ص ٦٤٤ عن فردوس الديلمي .

. مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٨٠

باب في أول من يشفع لهم : عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ، ثم الأقرب فالأقرب من قريش والأنصار . انتهى . ولو تتبعنا المصادر لوجدنا الكثير من هذه الأحاديث . وهي مليئة بالحقائق والفوائد ، ونكتفي منها بما يلي :

أولاً : أن حديث (ما لي أؤذى في أهل بيتي) أصله هنا ، ولكن صار نصه في الصحاح (ما لي أؤذى في أهلي) وصار أهله ﷺ بمعنى زوجته عائشة ، فقد ادعوا أن قصة الإفك التي اتهم فيها المنافقون المؤمنة الطاهرة الغافلة مارية القبطية ، كانت المتهممة فيها عائشة ورضوا هنا أن تكون عائشة من (المؤمنات الغافلات) اللواتي ذكرتهم الآية ، لكي تكون البراءة النازلة من السماء لها وليس لمارية ، وادعوا أن قول النبي ﷺ : ما لي أؤذى في أهلي ، صدر بتلك المناسبة ! وصار المؤذي للنبي ﷺ علياً بن أبي طالب ، الذي زعموا أنه أشار على النبي ﷺ بطلاق عائشة !

ثانياً : أن أذى القرشيين للنبي في آله ﷺ كان كثيراً متكرراً وقد نصت مصادر

السنين على عدد من حوادثه كما تقدم في حادثة (برك على قدميه) وتقدم هنا : قول فلان من قريش (كمثل نخله نبتت في كناسه) وقول عمر لصفية ، وقوله لأم هانئ وقول (صهر بني هاشم) الذي لم يصرحوا باسمه ، وقصة بنت أبي لهب ، وشكوى العباس المتكررة .

كما أن تعدد الإيذاء وتعدد جواب النبي ﷺ يفهم من تعدد أسماء القبائل الغريبة البعيدة التي ذكرها النبي ﷺ عمداً ، بما آتاه الله من جوامع الكلم لتبقى أسماؤها ترنُّ في الأذان ويبقى حديثه في الأذهان . . الأمر الذي يدل على أن روح الإيذاء للنبي في آله ﷺ كانت في القرشيين مرضاً لا عرضاً !

ثالثاً : ينبغي أن يسأل الذين يدافعون عن جميع الصحابة ويقدمونهم ، عن حكم هؤلاء الذين آذوا رسول الله ﷺ وأغضبوه مراراً في أهل بيته ، فقد ثبت عليهم الحكم الذي نزل به القرآن في حقهم ، ولم يثبت أنهم جددوا إسلامهم وخرجوا من تبعات هذا الحكم .

رابعاً : إن هذه الأحاديث وحدها تكفي للمسلم لأن يعرف أن في الأمر شيئاً كبيراً يتعلق بآل النبي ﷺ وأنه يجب إعادة النظر في الروايات التي تنفي أن النبي ﷺ لم يوص لهم ، ولم يجعل لهم حقاً على الأمة ، ولم يعدهم بشفاعة خاصة . . وتكفيه لأن يحتمل أن تكون رواياتهم في أبي طالب من هذا النوع . وهذا الاحتمال كافٍ للتوقف عن تصديقها .

بنخلهم على أبي طالب وخديجة وسخاؤهم على غيرهما

من ظلامه الخلافة القرشية أنها بنخلت على أبي طالب بكلمة شكر ، في حين بنبت مشركين في مقابلته لم يؤمنوا بالنبي ﷺ فجعلتهم من أهل الجنة ، بل جعلتهم في مرتبة الأنبياء ! ومن أبرز هؤلاء ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل . . والنص التالي يبين بعض الرتب التي أعطوها لهؤلاء في الجنة ، بالمقاييس إلى الرتبة النازلة التي أعطوها لخديجة أم المؤمنين ورتبة الضحاح لأبي طالب رضوان الله عليهما .



. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤١٦

عن جابر بن عبد الله قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عمه أبي طالب ، هل تنفعه نبوتك ؟ قال : نعم أخرجته من غمرات جهنم إلى ضحضاح منها .

وسئل عن خديجة ، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ، فقال : أبصرتها على نحر من أنهار الجنة في بيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : يبعث يوم القيامة أمه وحده ، بين وبين عيسى عليه السلام . رواه أبو يعلى وفيه مجالد ، وهذا مما مدح من حديث مجالد ، وبقيته رجاله رجال الصحيح .

وعن جابر قال سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقلنا : يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة ويقول دين إبراهيم وإلهي إله إبراهيم وكان يصلي ويسجد ؟ قال : ذاك أمة وحده ، يحشر بيني وبين يدي عيسى بن مريم .

وسئل عن ورقة بن نوفل وقيل : يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة ويقول إلهي إله زيد وديني دين زيد ، وكان يتوجه ويقول :

رشدت فأنعمت ابن عمرو فإنما عانيت بتثور من النار حاميا
بدينك ديناً ليس دين كمثلته وتركك حنّان الجبال كما هيّا

قال : رأيت يمشي في بطنان الجنة ، عليه حلة من سندس . انتهى .

وإنما جعلوا بيت القصب لخديجة ، لأنها بزعمهم توفيت قبل فرائض الصلاة والصوم والزكاة والحج ، فهي تستحق درجة سفلى في الجنة وبيتاً عادياً من قصب أو سعف النخل . . أما عائشة المحترمة عند دولة الخلافة فهي في الفردوس في قصر من ياقوت ولؤلؤ !

ويتألم المسلم عندما يرى في المصادر الإسلامية افتراءً على أم المؤمنين خديجة يصل الى حد اتهامها بأنها كانت تعبد اللات والعزى وتلح على النبي ﷺ أن يعبدتها قبل منامه ، فيمتنع عن ذلك !!



. فقد روى أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٢٢ وج ٥ ص ٣٦٢

عن عروة بن الزبير يعني ابن أخت عائشة قال : حدثني جار خديجة بنت خويلد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخديجة : أي خديجة ، والله لا أعبد اللات والعزى ، والله لا أعبد أبداً ! ! قال فتقول خديجة : خل اللات ، خل العزى ، قال كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون ! ! انتهى .

فكان مدح عائشة يستلزم ذم ضرثها ، والتي توفيت قبل أن يتزوج النبي بها ! لأن النبي ﷺ كان يذكرها دائماً بالخير ، ويباهي بها ! !

وأما ورقة المعاصر لأبي طالب أيضاً ، فهو في بطنان الجنة أي في وسطها ، يرفل بالسندس ، مع أنه مات بعد البعثة ولم يسلم ! والسبب في استحقاقه الجنة أنه كان يقول : أنا على دين زيد بن نفييل ! بينما ذكروا أن الدليل على كفر أبي طالب أنه كان يقول : أنا على دين عبد المطلب ! !

وأما زيد بن نفييل فقد عاش سنوات بعد البعثة ولم يسلم ، ورووا عنه أنه نهى المشركين ذات مرة عن تعذيب بلال ، ولكنهم جعلوه في مرتبة نبي لأنه ابن عم الخليفة عمر . . بل هو بزعمهم أتقى من النبي ﷺ ، لأن النبي كان قبل البعثة مشركاً يذبح للأصنام ويأكل مما ذبح على النصب ، بينما كان زيد على دين إبراهيم لا يذبح للأصنام ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه ، وقد نصح النبي ﷺ ذات مرة أن لا يأكل مما ذبح على النصب فاقتدى النبي به ! !

إنها الكارثة الفكرية في الأمة . . عندما تفضل حكامها وأقاربهم على نبيها سيد الأنبياء ، وأهل بيته الطاهرين ! ! ﷺ

. قال في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤١٧ : باب ما جاء في زيد بن عمرو بن نفييل . . .

قال فمر زيد بن عمرو بالنبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة ، وهما يأكلان من سفرة فدعياه فقال : يا بن أخي لا آكل ما ذبح على النصب ، قال فما روي النبي



صلى الله عليه وسلم يأكل ما ذبح على النصب من يومه ذلك ، حتى بعث .

قال : وجاء سعيد بن زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن زيدا كان كما رأيت أو كما بلغك ، فأستغفر له ؟ قال : نعم ، فاستغفروا له فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده . رواه الطبراني والبخاري باختصار عنه ، وفيه المسعودي وقد اختلط ، وبقية رجاله ثقات .

وعن سعيد بن زيد قال : سألت أنا وعمربن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو ؟ فقال : يأتي يوم القيامة أمة وحده . رواه ابو يعلى وإسناده حسن .

وعن زيد بن حارثة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حاراً من أيام مكة وهو مردني إلى نصب من الأنصاب ! وقد ذبحنا له (أي للصنم) شاة فأنضجناها ، قال فلقية زيد بن عمرو بن نفيل فحياً كل واحد منهما صاحبه بتحية الجاهلية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا زيد ما لي أرى قومك قد شنفوا لك ؟ قال : والله يا محمد ذلك لغير نائلة لي منهم ، ولكني خرجت أبتغي هذا الدين حتى أقدم على أحبار فدك ، وجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، قال قلت ما هذا الدين الذي أبتغي ، فخرجت حتى أقدم على أحبار الشام ، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، قلت ما هذا الدين الذي أبتغي ، فقال شيخ منهم إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخ بالحيرة ، قال فخرجت حتى أقدم عليه فلما رأني قال ممن أنت ؟ قلت من أهل بيت الله ، من أهل الشوك والقرظ ، فقال إن الدين الذي تطلب قد ظهر ببلاذك قد بعث نبي قد ظهر نجمه ، وجميع من رأيتهم في ضلال ، فلم أحس بشيء بعد يا محمد !!

قال : وقرب إليه السفارة فقال : ما هذا يا محمد ؟ فقال شاة ذبحناها لنصب من الأنصاب ! فقال : ما كنت لأكل مما لم يذكر اسم الله عليه !

قال زيد بن حارثة : فأتى النبي صلى الله عليه وسلم البيت فطاف به وأنا معه ، وبين

الصفاء والمروة صنمان من نحاس أحدهما يقال له يساف والآخر يقال له نائلة ، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تمسحهما فإنهما رجس ، فقلت في نفسي لأمسنهما حتى أنظر ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنه يبعث أمة وحده . رواه أبو يعلى والبزار والطبراني إلا أنه قال فيه : فأخبرته بالذي خرجت له فقال : كل من رأيت في ضلال وإنك لتسأل عن دين الله وملائكته ، وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج فارجع فصدقه وآمن به . وقال أيضاً فقال زيد إني لا أكل شيئاً ذبح لغير الله ، ورجال أبي يعلى والبزار وأحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية يقف عند الكعبة ويلزق ظهره إلى صفحتها ، ويقول : يا معشر قريش ما على الأرض على دين إبراهيم غيري ، وكان يفدي المؤودة أن تقتل ، وقال عمرو بن نفيل :

عزلت الجن والجنان عني كذلك يفعل الجلد الصبور

رواه الطبراني وإسناده حسن . انتهى .

فقد ثبت عندهم بهذه الأحاديث الصحيحة والحسنة ، أن النبي ﷺ كان يعبد الأصنام ويذبح لها ! وثبت أن زيد بن عمرو كان موحداً على دين إبراهيم ، وكان ينتظر النبوة ، وكان أولى بها من محمد ، ولكن زيدا إلى تاريخ لقائه بالنبي ﷺ وهو في طريقه إلى الصنم لم يحس بالوحي ولعله أحس به بعد ذلك ! !

— وقد روت الصحاح افتراءهم على النبي ﷺ بأنه ذبح للصنم وقصة اللحم الذي كان يأكل منه بزعمهم ويعافه ابن نفيل ! ! فقد رواها البخاري ج ٤ ص ٢٣٢ وأضاف فيها

(ثم قال زيد إني لست أكل مما تذجون على أنصابكم ، ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه ، وإن زيد بن عمر كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله

وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبجونها على غير اسم الله !!
إنكاراً لذلك وإعظاماً له !) انتهى .

وروى نحوها أيضاً في ج ٦ ص ٢٢٥ وكذلك أحمد في ج ١ ص ١٨٩ وج ٢ ص ٦٨ و ٨٩ و ١٢٧

وعلى هذه الروايات الصحاح والحسان ! يكون زيد بن عمرو بن نفيل أتقى من
محمد ﷺ وأوعى منه ، وأولى بالنبوة منه ، ولكن الحظ جعلها لمحمد ﷺ .

ولذلك لم يؤمن به زيد عندما بعث لأنه لا يحتاج إلى ذلك !

كما أن ابن عمه عمر يستحق النبوة ولكن الحظ جعلها لمحمد ، فقد نسبوا إلى
النبي ﷺ أنه قال : لو لم أبعث لبعث عمر بن الخطاب !! وهذا يعطي الشرعية لكل
مناقشات عمر للنبي ﷺ واعتراضاته عليه ، بل ومخالفاته له !!

ويلاحظ في رواياتهم عن زيد بن عمرو ، أن عدداً منها عن لسان ولده سعيد وابن
عمه عمر ، وأنها تريد التأكيد على أن زيدا العدوي وحده كان على ملة إبراهيم لا
عبد المطلب الهاشمي ولا أبو طالب ، ولا حتى النبي ﷺ ، وهو عمل يقصد منه
المساس بشخصية النبي وأجداده ﷺ من أجل تكبير شخصيات مشركة من أقارب
الحكام !!

لكن المتأمل في رواياتهم يجد فيها حقيقة مهمة ، وهي أنهم شهدوا على زيد بن
عمرو بن نفيل بأنه لم يسلم ومات كافراً رغم معرفته المزعومة ببعثة النبي ﷺ ، ولو
أنه أسلم لما سألوا النبي ﷺ عنه ، ولما أوا الكتب بفضائله ومناقبه ! كما ملأوها بدم
أبي طالب وضحضاحه !!

أهم الأدلة على إيمان أبي طالب

تكفلت كتب مستقلة بإثبات إيمان أبي طالب رضوان الله عليه . . ومن أشهرها
كتاب (أبو طالب مؤمن قريش) لمؤلفه الشيخ عبد الله الخيزي الذي صادره
الوهابيون وحبسوا مؤلفه (السعودي) بسببه ، وحكموا عليه بالإعدام ! ولكن الدولة



السعودية خشيت من العواقب فأقنعت مفتيهم بتخفيف الحكم ، فخففه إلى الحبس والتعزير !!

وقد كتب علماؤنا عن إيمان أبي طالب بوثناً مستفيضة في مصادر السيرة والعقائد ، من أهمها ما كتبه المجلسي في البحار ج ٣٥ والأميني في الغدير ج ٧ و ٨ والشيخ نجم الدين العسكري في مقام الإمام علي عليه السلام والسيد جعفر مرتضى في الصحيح من السيرة ج ٣ ص ٢٢٧ .

ونورد فيما يلي خمسة أدلة على إيمانه مستفادة من المصادر المذكورة وغيرها :

الدليل الأول : النصوص الصريحة الثابتة عندنا عن النبي والأئمة من آل عليه السلام وهم الطاهرون المطهرون الصادقون المصدقون ، غير المتهمين في شهادتهم لأبائهم وأقربائهم وأنفسهم .

منها : عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف ، صنماً قط . قيل له فما كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به . انتهى .

وقال عنه في الغدير ج ٧ ص ٣٨٤ : رواه شيخنا الصدوق بإسناده في كمال الدين ص ١٠٤ والشيخ أبو الفتوح في تفسيره ٤ : ٢١٠ والسيد في البرهان ٣ : ٧٩٥

ومنها : عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : نزل جبرئيل عليه السلام على النبي عليه السلام فقال : يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول : إني قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك . فالصلب صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب ، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب . وزاد في رواية : وفاطمة بنت أسد . انتهى .

وقال عنه في الغدير : روضة الواعظين ص ١٢١ . راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٢ ، معاني الأخبار للصدوق ، كتاب الحجة السيد فخار بن معد ص ٨ ، ورواه شيخنا للمفسر

الكبير أبو الفتوح الرازي في تفسيره ٤ . ٢١٠ ، ولفظه : إن الله عز وجل حرم على النار صلباً حملك وبتناً حملك وثدياً أرضعك وحجراً كفلك . . إلخ .

ومنها : ما رواه في مقام الإمام علي ج ٣ ص ١٤٠ : قال السيد الحجة فخار بن معد في كتابه (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) ص ١٦ بالإسناد إلى الكراجكي عن رجاله ، عن أبان ، عن محمد بن يونس ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله أنه قال : يا يونس ما تقول الناس في أبي طالب ؟ قلت جعلت فداك يقولون : هو في ضحضاح من نار ، وفي رجله نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه ! فقال : كذب أعداء الله ! إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

ومنها : في المصدر المذكور أيضاً ، عن علي بن حسان ، عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار ؟ فقال : كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل على النبي ﷺ ! قلت وبما نزل ؟ قال : أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال : يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك : إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين ، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة . ثم قال عليه السلام : كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال : يا محمد أخرج من مكة فما لك بما ناصر بعد أبي طالب !

ومنها : في المصدر المذكور أيضاً عن أبي بصير ليث المرادي قال : قلت لأبي جعفر : سيدي إن الناس يقولون : إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه ؟ فقال عليه السلام : كذبوا ، والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في كفة لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم ، ثم قال : كان والله أمير المؤمنين يأمر أن يحج عن أبي النبي وأمه ﷺ وعن أبي طالب في حياته ، ولقد أوصى في وصيته بالحج عنهم بعد مماته . انتهى .

الدليل الثاني : تصريحات أبي طالب رضي الله عليه بصدق النبي ﷺ وأنه رسول

رب العالمين .

. قال السيد جعفر مرتضى في الصحيح من السيرة ج ٣ ص ٢٣٠ :

ويكفي أن نذكر نموذجاً من أشعاره التي عبر عنها ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله : إن كل هذه الأشعار قد جاءت بجيء التواتر من حيث مجموعها (شرح النهج ج ١٤ ص ٧٨) ونحن نذكر هنا اثني عشر شاهداً من شعره ، على عدد الأئمة المعصومين من ولده عليه وآله تبركاً وتيمناً ، والشواهد هي :

- ١ . ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً
- ٢ . نبي أتاه الوحي من عند ربه
- ٣ . يا شاهد الوحي من عند ربه
- ٤ . أنت الرسول رسول الله نعلمه
- ٥ . أنت النبي محمد
- ٦ . أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب
- ٧ . وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى
- ٨ . لقد أكرم الله النبي محمداً
- ٩ . وخير بني هاشم أحمد
- ١٠ . والله لا أخذل النبي ولا

١١ . وقال ﷺ يخاطب ملك الحبشة ويدعوه إلى الإسلام :

- ١ . أتعلم ملك الحسن أن محمداً
- ٢ . أتى بالهدى مثل الذي أتيا به
- ٣ . وإنكم تتلوتنه في كتابكم
- ٤ . فلا تجعلوا لله نداً فأسلموا
- ٥ . نبياً كموسى والمسيح ابن مريم
- ٦ . فكلُّ بأمر الله يهدي ويعصم
- ٧ . بصدق حديث لا حديث الترحم
- ٨ . فإن طريق الحق ليس بمظلم



١٢ . وقال مخاطباً ولده حمزة ﷺ :

فصبراً أبا يعلي على دين أحمدٍ
وخط من أتى بالحق من عند ربه
فقد سرتني أن قلت إنك مؤمنٌ
وباد قريشاً في الذي قد أتيته
وكن مظهر للدين وفقئت صابرا
بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمز كافرا
فكن لرسول الله في الله ناصرا
جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

وأشعار أبي طالب الناطقة بإيمانه كثيرة ، وقد اقتصرنا منها على هذا القدر لنفسح المجال لذكر لمحة عن سائر ما قيل ويقال في هذا الموضوع . انتهى .

ونضيف إلى ما ذكره صاحب الصحيح ما قاله الطبرسي في الإحتجاج ج ١ ص ٣٤٥ :

وقد اشتهر عن عبد الله المأمون أنه كان يقول : أسلم أبو طالب والله بقوله :

نصرت الرسول رسول المليك
أذب وأحمي رسول الإله
ومما إن أدب لأعدائيه
ولكن أزيرو لهم سامياً
بييض تلالا كلمع البروق
حماية حام عليه شفيع
ديب البكار حذار الفنيق
كما زار ليث بغيل مضيق

وما ذكره أبو الفداء في تاريخه ج ١ ص ١٧٠ قال : ومن شعر أبي طالب مما يدل على

أنه كان مصدقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

ودعوتني وعلمت أنك صادقٌ
ولقد صدقت وكنت ثم أميناً

الدليل الثالث : تحليل مقومات شخصية أبي طالب ﷺ وعلاقته بالنبي ﷺ منذ

أن أوصاه به أبوه عبد المطلب وكفله إياه ، ونصرت له من أول بعثته ، وفي أصعب مراحلها . . إلى أن توفي في السنة العاشرة من البعثة . . فإن أي باحث ينظر في ذلك يقتنع بأن نصرته وحمایته للنبي ﷺ لا يمكن أن تصدر إلا عن مؤمن قوي الإيمان .

بل لا يحتاج الأمر إلى دراسة مقومات شخصيته وكل حياته ، فيكفي دراسة بعض

مواقفه لإثبات ذلك .



منها : الموقف الذي رواه في الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ : عن الأصبع بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول : مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفراً من قريش وقد نحروا جزوراً ، وكانوا يسمونها الفهيرة ويذبحونها على النصب ، فلم يسلم عليهم . فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا : يمر بنا يقيم أبي طالب فلا يسلم علينا ! فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه ؟ فقال عبد الله بن الزبيري السهمي : أنا أفعل ، فأخذ الفرث والدم فأنتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو ساجدٌ فمألاً به ثيابه ومظاهره ، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله حتى أتى عمه أبا طالب فقال : يا عم من أنا ؟ فقال : ولم يا ابن أخي ؟ ! فقص عليه القصة فقال : وأين تركتهم ؟ فقال : بالأبطح . فنادى في قومه : يا آل عبد المطلب ! يا آل هاشم ! يا آل عبد مناف ! فأقبلوا إليه من كل مكان ملبين ، فقال : كم أنتم ؟ قالوا : نحن أربعون ، قال : خذوا سلاحكم ، فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر ، فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا ، فقال لهم : ورب هذه البنية لا يقومون منكم أحد إلا جللته بالسيف ! ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفعال ، ثم قال : يا محمد سألتني من أنت ؟ ثم أنشأ يقول ويومي بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله :

أنت النبي محمدُ قَرْمُ أعْمُرُ مُسْوَدُ

ثم قال : يا محمد أيهم الفاعل بك ؟ فأشار النبي صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبيري السهمي الشاعر ، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها ! ثم أمر بالفرث والدم فأمر على رأس الملاء كلهم ! ثم قال : يا ابن أخ أرضيت ؟

ثم قال : سألتني من أنت ؟ أنت محمد بن عبد الله ثم نسبه إلى آدم عليه السلام ثم قال : أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً !

يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفوني !

رواه السيد ابن معد في الحجة ص ١٠٦ وذكر لدة هذه القضية الصفوري في زهة



المجالس ٢ : ١٢٢ وفي طبع ص ٩١ ، وابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ٢ : ٣ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي ١٣

ومنها : الموقف الذي رواه الطبرسي في الإحتجاج ج ١ ص ٣٤٥ قال :

لما رأى المشركون موقف أبي طالب من نصرة الرسول ، وسمعوا أقواله اجتمعوا بينهم ، وقالوا ننافي بني هاشم ونكتب صحيفة ونودعها الكعبة ، أن لا نبايعهم ، ولا نشاريهم ، ولا نحدثهم ، ولا نجتمع معهم في مجمع ، ولا نقضي لهم حاجة ، ولا نقتضيها منهم ، ولا نقتبس منهم ناراً ، حتى يسلموا إلينا محمداً ، ويخلوا بيننا وبينه أو ينتهي عن تسفيه آبائنا ، وتضليل آهتنا . وأجمع كفار مكة على ذلك .

فلما بلغ ذلك أبا طالب ، قال يخبرهم باستمراره على مناصرة الرسول ومؤازرته

له ، ويحذرهم الحرب ، وينهاهم عن متابعة السفهاء :

لؤيًّا وخصًّا من لؤيِّ بني كعبِ
 نبيًّا كموسى خُطِّ في أول الكتِّبِ
 ولا حيفَ فيمن خصَّه الله بالحِبِ
 يكون لكم يوماً كراغية السقبِ
 ويصبح من لم يجنِ ذنباً كذي الذنبِ
 أواصرنا بعد المودة والقربِ
 أمراً على ذاقه حَلْبُ الحربِ
 لعزَّة من عضَّ الزمان ولا حربِ
 وأيدٍ أبيضت بالمهندة الشهبِ
 به نواً لضباع العُرجِ تعكف كالسربِ
 وغمغمة الأبطال معركة الحربِ
 وأوصى بنييه بالطعان وبالضربِ

ألا أبلغا عني على ذاتِ بينها
 ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً
 وأن عليه في العباد محبةً
 وأن الذي لفقتم في كتابكم
 أفيقوا أفيقوا قبل أن تُحْفِر الزُّبِّي
 ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا
 وتسـتـجلبوا حرباً عواناً ورُمَّما
 فلسنا وبيتِ الله نسلم أحمداً
 ولمَّا تَبِنُ منا ومنكم سـوالفُ
 بمعتركِ ضنكٍ ترى كِسَرَ القنا
 كأن مجال الخيل في حجراته
 أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزره

ورواها في البحار ج ٣٥ ص ١٦٠ وزاد فيها :

ولسنا نملُّ الحرب حتى تملَّنا
ولكننا أهل الحفائظ والنهى
ولا نشتكى مما ينوب من النكب
إذا طار أرواح الكمأة من الرعب

ومنها : إيمانه بمعجزات النبي وكراماته ﷺ ، ونظمه إياها شعراً .

. قال الطبرسي في الإحتجاج ج ١ ص ٣٤٣ :

روي أن أبا جهل بن هشام جاء إلى رسول الله وهو ساجد ويده حجر يريد أن يرميه به ، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد ، فقال أبو طالب :

أفيقوا بني غالب وانتهوا
وإلا فإني إذن خائف
تكون لغيركم عبرة
كما نال من كان من قبلكم
غداة أتاهم بما صرصر
فحلَّ عليهم بها سخطة
غداة يعرضُ بعرقوبها
وأعجب من ذلك في أمركم
بكف الذي قام من خبثه
فأثبتته الله في كفته
أحيمق مخزومكم إذ غوى
عن الغي من بعض ذا المنطق
بوائق في داركم تلتقي
وربَّ المغارب والمشرق
ثمودٌ وعادٌ وماذا بقي
وناقة ذي العرش قد تستقي
من الله في ضربة الأزرق
حساماً من الهند ذا رونق
عجائب في الحجر المصق
إلى الصابر الصادق المتقي
على رغبة الجائر الأحمق
لغبي الغواة ولم يصدق

الدليل الرابع : استدل به سبط ابن الجوزي على إيمان أبي طالب ، ومفاده : أن خصوم علي من الأمويين والزبيريين وغيرهم ، كانوا حريصين على انتقاصه بأي عيب ممكن في نفسه وأبيه وأمه وعشيرته ، وقد سجل التاريخ مراسلات علي وعيابه ومعاوية ومناظرات أنصارهم ، وقد تضمنت ما ذمهم علي به وإزارؤه عيهم بكفر



آبائهم وأمهاتهم ، بل سجل التاريخ أن علياً عليه السلام فاخر معاوية بأبي طالب ، فكتب له في رسالة (ليس أمة كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ، ولا الصريح كالصديق) ومع ذلك لم يتكلم معاوية ولا غيره من أعداء علي عليه السلام بكلمة ذم في أبي طالب !!

فلو أنه كان مشركاً ومات على الشرك كما يدعون ، لاغتنم أعداء علي هذه النقطة وعيروه بها وشنعوا عليه بها . ولو كان حديث ضحضاح أبي طالب صادراً عن النبي ﷺ لسمعت أخباره شعراً ونثراً في صفين وبعدها . . !

وهذا يدل على أن أحاديث شرك أبي طالب وأنه في النار والضحضاح ، قد وضعت في عهد الأمويين بعد شهادة علي عليه السلام !

الدليل الخامس : ترحم النبي ﷺ على أبي طالب واستغفاره له ، وتسميته عام وفاته ووفاة خديجة رضوان الله عليهما (عام الحزن) .

. قال الأميني في الغدير ج ٧ ص ٣٧٢

أخرج ابن سعد في طبقاته ١ : ١٠٥ عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي قال : أحبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بموت أبي طالب فبكى ثم قال : إذهب فاغسله وكفنه وواره ، غفر الله له ورحمه .

وفي لفظ الواقدي : فبكى بكاء شديداً ثم قال : إذهب فاغسله . . إلخ . وأخرجه ابن عساكر كما في أسنى المطالب ص ٢١ والبيهقي في دلائل النبوة . وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٦ وابن أبي الحديد في شرحه ٣ . ٣١٤ والحلي في السيرة ١ . ٣٧٣ والسيد زيني دحلان في السيرة هامش الحلبية ١ . ٩٠ والبرزنجي في نجات أبي طالب وصححه كما في أسنى المطالب ص ٣٥ وقال : أخرجه أيضاً أبو داود وابن الجاود وابن خزيمة وقال : إنما ترك النبي صلى الله عليه وسلم المشي في جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش ، وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ .

عن الأسلمي وغيره : توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام ، فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه حزناً شديداً ، حتى سمى ذلك العام عام الحزن . انتهى .

وقد روى الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٣ ص ١٩٦ عن ابن عباس ترحم النبي ﷺ واستغفاره لأبي طالب بعد موته ، وكذا الذهبي في تاريخ الإسلام ج ١ ص ٢٣٥ ، وروت مصادرنا أحاديث كثيرة في ذلك كما في مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٠ عن آخرين وبحار الأنوار ج ١٩ ص ١٥ وص ٢٥ وج ٢٢ ص ٥٣٠



هذا وقد ثبت أن أبا طالب كان على دين عبد المطلب ، وسوف يتضح لك إيمان عبد المطلب ومقامه ، رضوان الله عليهما ، في فصل شفاعة الأنبياء ﷺ .



الفصل العاشر

ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة

عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان

كان اليهود أسبق الأمم إلى تحريف قانون العقوبة الإلهي ، فقد أسقطوا المحرمات عن أنفسهم تجاه الأمم الأخرى ، وخففوا قانون العقوبة الإلهي وشوشوه بالنسبة الى الجرائم الأخرى التي يرتكبونها !

ومن الطبيعي أن يسرى ذلك إلى عقيدتهم بالله تعالى ، فصوروه بأنه قاسٍ عصبي المزاج ، ولذا فإن عقوباته شديدة وغير منطقية ! وذلك واضح لمن قرأ صفحات قليلة من توراتهم .

وقد أخذ المسيحيون هذه الثقافة من اليهود ، وما زالوا . . وقد سمعت أن من المسائل الفكرية المطروحة أخيراً عند الكتاب الغربيين ، خاصةً في فرنسا ، موضوع : هل يجب أن يكون في الدين الإلهي محرماتٍ ، أم لا . .



ذلك أن اليهود والكتاب المتأثرين بهم يريدون من الكنيسة المسيحية أن تقدم ديناً بلا محرمات ، وتفتي بأن المهم هو الإيمان الذي هو أمرٌ في القلب ، مهما كان عمل الناس !

وهذا بالضبط هو مذهب المرجئة الذي زرعه اليهود في عقائد المسلمين ، عن طريق بعض الصحابة !

أما زارعوه الجدد فليسوا كعب الأخبار ولا وهب بن منبه ، بل هم ذراري النصاري واليهود الصرحاء ! والمزروع فيهم ليسوا صحابة ، بل هم ذراري المسلمين المتغربين !

إخبار النبي ﷺ بظهور المرجئة والقدرية وتحذيره منهم

روت مصادر السنة والشريعة تنبؤ النبي ﷺ بظهور المرجئة والقدرية في أمته وتحذيره من خطرهم ، وأنهم لا تنالهم شفاعته ، لأنهم يحرفون الإسلام ويشوشون أمر الأمة من بعده .

. فقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٠٧ :

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صنفان من أمتي لا يردها عليّ الحوض ولا يدخلان الجنة ، القدرية والمرجئة . رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة . انتهى . وروى الترمذي شبيهاً به في ج ٣ ص ٣٠٨

— ورواه في كنز العمال ج ١ ص ١١٩ عن حلية الأولياء لأبي نعيم عن أنس ، وعن مسند الطيالسي ، عن واثلة عن جابر . وروى نحوه في ج ١ ص ٣٦٢ عن السلفي في انتخاب حديث القراء عن علي . ورواه ابن حبان في كتاب المجروحين ج ٢ ص ١١٢ عن عكرمة .

. وفي مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٠٣

عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بعث الله نبياً قط إلا وفي أمته قدرية ومرجئة يشوشون عليه أمر أمته . ألا وإن الله قد لعن القدرية



والمرجئة على لسان سبعين نبياً . رواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو لين ويزيد بن حصين لم أعرفه . انتهى .

ورواه ابن حبان عن أبي هريرة في كتاب المجروحين ج ١ ص ٣٦٢ وفيه (امته من بعده . . سبعين نبياً أنا آخرهم)

. وفي كتاب الخصال للصدوق ص ٧٢

أخبرني الخليل بن أحمد قال : أخبرنا ابن منيع قال : حدثنا الحسن بن عرفة قال : حدثنا علي بن ثابت عن إسماعيل بن أبي إسحاق ، عن ابن أبي ليلي ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية . انتهى .

ورواه في ثواب الأعمال ص ٢١٢ . وقال في صحيفة الرضا ص ٢٧٨ : وبإسناده قال قال رسول الله ﷺ : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية . رواه في ثواب الأعمال : ٢٥٢ ح ٣ بالإسناد رقم ١٠ عنه البحار : ٥ . ١١٨ ح ٥٢ . ورواه الشيخ حسن بن سليمان في المختصر : ١٣٥ بالإسناد رقم ٥٧ والكراچكي في كنزه : ٥١ بالإسناد رقم ١٤ عنه البحار : ٥ . ٧ ح ٨ . ورواه الصدوق في الخصال : ١ . ٧٢ ح ١١٠ بإسناده عن ابن عمر عن النبي ﷺ عنه البحار : ٧ . ٥ ح ٧ .

. وفي دعائم الإسلام ج ٢ ص ٥١١

وعنه ﷺ أنه قال : لا تجوز شهادة أهل الأهواء على المؤمنين ، قال أبو جعفر عليه السلام : لا تجوز شهادة حروري ، ولا قدري ومرجئي ، ولا أموي ، ولا ناصب ، ولا فاسق ، يعني من باين بذلك وظهرت عداوته ونصبه ، فأما من كتم ذلك وأسرته فظهر منه الخير وكان عدلاً في مذهبه ، جازت شهادته وعلى هذا العمل .

تعريف المرجئة ومذهبهم

. قال النووي فيشرح مسلم ج ١ جزء ١ ص ٢١٨

قال القاضي عياض : اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين فقالت



المرجئة : لا تضره المعصية ، وقالت الخوارج : تضره ويكفر بها ، وقالت المعتزلة : يخلد في النار ، وقالت الأشعرية : بل هو مؤمن .

. شرح المواقف ج ٤ جزء ٨ ص ٣١٢

في أن الله تعالى يعفو عن الكبائر . الإجماع منعقد على أنه تعالى عفوّ ، وأن عفوه ليس في حق الكافر بل في حق المؤمنين ، فقالت المعتزلة : هو عفوّ عن الصغائر قبل التوبة ، وعن الكبائر بعدها . وقالت المرجئة : عفو عن الصغائر والكبائر مطلقاً !!

. تفسير الرازي ج ١٦ جزء ٣١ ص ٢٠٣

قوله تعالى (**لَا يَصْأَلُهَا إِلَّا الْأَشْقَى**) إن المرجئة يتمسكون بهذه الآية في أنه لا وعيد إلا على الكفار ! قال القاضي : ولا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها ، ويدل على ذلك ثلاثة أوجه : أحدها أنه يقتضي أن لا يدخل النار إلا الأشقى الذي كذب وتولى . . . وثانيهما أن هذا إغراء بالمعاصي . . . وثالثهما . . . معلوم من حال الفاسق أنه ليس بأتقى . . . الخ .

. وقال في هامش بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٤

الوعيدية : فرقة من الخوارج يكفّرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفرٌ يخرج به عن الملة ، ويقابلهم المرجئة وهم يقولون : إنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وليس العمل على مذهبهم ، وإن كان من الإيمان . فعليه معنى الإرجاء تأخير العمل عن النية والعقد .

. وروى في الكافي ج ١ ص ٤٠٣

محمد بن الحسن ، عن بعض أصحابنا ، عن علي بن الحكم ، عن الحكم بن مسكين ، عن رجل من قريش من أهل مكة قال : قال سفيان الثوري : إذهب بنا إلى جعفر بن محمد ، قال فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابته ، فقال له سفيان : يا أبا عبد الله حدثنا بحديث خطبة رسول الله ﷺ في مسجد الخيف ، قال : دعني حتى



أذهب في حاجتي فلإني قد ركبته فإذا جئت حدثتك ، فقال : أسألك بقرايتك من رسول الله ﷺ لما حدثني ، قال : فنزل فقال له سفيان : مر لي بدواة وقرطاس حتى أثبتته ، فدعا به ثم قال : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . خطبة رسول الله ﷺ في مسجد الخيف : نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ، وبلغها من لم تبلغه .

يا أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأئمة المسلمين ، والالتزام لجماعتهم ، فإن دعوتهم محيطةٌ من ورائهم ، المؤمنون إخوة تتكافأ دماءهم ، وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم .

فكتبه سفيان ثم عرضه عليه ، وركب أبو عبد الله ﷺ . وجئت أنا وسفيان ، فلما كنا في بعض الطريق قال لي : كما أنت حتى أنظر في هذا الحديث ، قلت له : قد والله ألزم أبو عبد الله رقتك شيئاً لا يذهب من رقتك أبداً !

فقال : وأي شيء ذلك ؟

فقلت له : ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، قد عرفناه ، والنصيحة لأئمة المسلمين ، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم ؟ معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم ؟ وكل من لا تجوز الصلاة خلفهم ؟ ! وقوله : والالتزام لجماعتهم ، فأى الجماعة ؟ مرجئ يقول : من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنابة وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل ؟ ! أو قدرى يقول : لا يكون ما شاء الله عز وجل ويكون ما شاء إبليس ؟ ! أو حروري يتبرأ من علي بن أبي طالب ويشهد عليه بالكفر ؟ ! أو جهمي يقول إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيء غيرها ؟ !

قال : ويحك وأي شيء يقولون ؟ !

فقلت يقولون : إن علي بن أبي طالب والله الإمام الذي وجب علينا نصيحتته ، ولزوم جماعتهم : أهل بيته . قال : فأخذ الكتاب فخرَّقه ، ثم قال . لا تخبر بها أحداً .

المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر

رأينا كيف وسعت دولة الخلافة القرشية شفاعة النبي ﷺ حتى شملت كل من يشهد بالتوحيد فقط ولو لم يشهد بالنبوة . .

ثم وسعتها إلى جميع الخلق ، كما تقدم من رواياتهم وكلام ابن تيمية .

ثم استغنت عن شفاعة الأنبياء جميعاً ، وأوجبت الجنة بأعمال وكلمات بسيطة .

ثم استغنت عن كل ذلك ، وقالت بفناء النار ونقل أهلها إلى الجنة !!

ولعل الخليفة عمر وكعب الأحمري رائدي هذه الأفكار ومن تابعهم عليها لم يلتفتوا إلى خطورتها الزائدة ، وأنها تمثل مشروعاً خطيراً لإسقاط كل المحرمات وتعويم الإيمان ، في أمة نفضت بالإسلام والإيمان وأخذت تفتح بلاد الإمبراطورية الفارسية والرومانية ، بلداً بعد آخر . . وهي بأمر الحاجرة إلى حفظ شخصية جنودها وجديتهم ، وعدم التساهل في مفاهيم إيمانهم .

على أي حال فالذي وقع في حياة الأمة ، أن هذه الأفكار بمساعدة فكرة الجبر وأن الله تعالى قد فرغ من الأمر وكتب كل شيء وانتهى الأمر ولا بداء . . سرعان ما أثرت مذهبين عقائديين موالين للسلطة هما : المرجئة والقدرية ، وقد تبنتهما السلطة وأيدت علماءهما وهيات لهم الظروف لنشر أفكارهم في الأمة .

ويتلخص مذهب المرجئة بمقولتهم المشهورة (الإيمان لا تضر معه معصية) فالإيمان عندهم مجرد القول بالشهادتين ، وبذلك يضمن الإنسان دخول الجنة مهما كان عمله !!

ويتلخص مذهب القدرية أو الجبرية : بأن مسؤولية الإنسان عن أعماله وجرائمه محدودة أو منتفية ، لأن الخير والشر من الله تعالى ، وكل شيء مكتوب ومقدر منه تعالى !!

ومن الواضح أن هذين المذهبين هما نفس الأفكار والأحاديث التي رأيناها في



توسيع الشفاعة وتوسيع دخول الجنة ، لكن بصيغة (مذهب) .

كما أن أحدهما مكمل للآخر في تخفيف مسؤولية الإنسان ، لأن جوهرهما واحد وهو (تعويم) قانون العقوبة الإلهي ، بل تطمين الناس بأنه قد تم شطبه !!

وقد مر معنا في بحث توسيعات الشفاعة ما رواه السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ١١٦ عن البيهقي ، وادعواؤهم أن النبي ﷺ قال لعمر : يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ، ولكن تسأل عن الفطرة ! وهذا نفس ما يقوله المرجئة !

. وفي سنن الترمذي ج ٣ ص ٨٧

أن النبي ﷺ سمع ذات يوم رجلاً يقول : الله أكبر الله أكبر ، فقال : على الفطرة . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : خرجت من النار ! انتهى . ونحوه في صحيح مسلم ج ٢ ص ٤ ومسنند أحمد ج ٣ ص ٢٤١ وكنز العمال ج ٨ ص ٣٦٦

بل وجدنا نفس تعبير (الإيمان لا تضر معه خطيئة) في عدة روايات في مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو بن عمرو بن العاص ج ٢ ص ١٧٠ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لقي الله لا يشرك به شيئاً لم تضره معه خطيئة ! انتهى .

وقال عنه في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٩ : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجالهم رجال الصحيح ما خلا التابعي فإنه لم يسم ، ورواه الطبراني فجعله من رواية مسروق عن عبد الله بن عمرو . وقال في كنز العمال ج ١ ص ٨١ إنه صحح ! انتهى .

ومصدر ابن عمرو إما أن يكون الخليفة عمر ، وإما أن يكون أخذه من أحاديث (العذلين) أي الكيسين الكبيرين اللذين أخذهما بعد معركة اليرموك من الشام من رايات اليهود وكتبهم ، وكان يحدث المسلمين منهما !!

أول من تصدى لمذهب المرجئة علي عليه السلام

. روى الصدوق في علل الشرائع ج ٢ ص ٦٠٢

حدثنا الحسين بن أحمد بن أبيه عن محمد بن أحمد قال : حدثنا أبو عبد الله



الرازي ، عن علي بن سليمان بن راشد ، بإسناده رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال :
يحشر المرجئة عمياناً ، إمامهم أعمى ، فيقول بعض من يراهم من غير أمتنا : ما تكون
أمة محمد إلا عمياناً ! فأقول لهم : ليسوا من أمة محمد ، لأنهم بدّلوا فبدل ما بهم ،
وغيّروا فغير ما بهم .

. وروى في الخصال ص ٦١١ .

حدثنا أبي عليه السلام قال : حدثنا سعد بن عبد الله قال : حدثني محمد بن عيسى بن
عبيد اليقطيني ، عن القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن بن راشد ، عن أبي بصير
ومحمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : حدثني أبي عن جدي عن آبائه عليهم السلام أن
أمير المؤمنين عليه السلام علم أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب مما يصلح للمسلم
في دينه ودنياه .

قال عليه السلام : إن الحمامة تصحح البدن وتشد العقل ، والطيب في الشارب من أخلاق
النبي صلى الله عليه وآله وكرامة الكاتبين ، والسواك من مرضات الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وآله
ومطوية للفم ، والدهن يلين البشرة ويزيد في الدماغ ويسهل مجاري الماء ويذهب
بالقشور ويسفر اللون ، وغسل الرأس يذهب بالدرن وينفي القذاء ، والمضمضة
والإستنشاق سنة وطهور للفم والأنف ، والسعوط مصححة للرأس وتنقية للبدن وسائر
أوجاع الرأس ، والنورة نشرة وطهور للجسد ، واستجادة الحذاء وقاية للبدن وعون
على الطهور والصلاة . وتقليم الأظفار يمنع الداء الأعظم . . . الخ .

وهو حديث طويل فيه تعليمات هامة دينية ودينية ، وقد جاء فيه عن المرجئة :
علموا صبيانكم ما ينفعهم الله به ، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها . . . انتهى .

وقال في هامشه : قال العلامة المجلسي رحمته الله : أعلم أن أصل هذا الخبر في غاية
الوثاقة والإعتبار على طريقة القدماء ، وإن لم يكن صحيحاً بزعم المتأخرين ،
واعتمد عليه الكليني رحمته الله وذكر أكثر أجزاءه متفرقة في أبواب الكافي ، وكذا غيره من
أكابر المحدثين .



أقول : عدم صحة السند عند المتأخرين لمقام القاسم بن يحيى ، والظاهر أن أصل الرواية في كتابه ، قال الشيخ في الفهرست : القاسم بن يحيى الراشدي له كتاب فيه آداب أمير المؤمنين عليه السلام ، والراشدي نسبة إلى جده الحسن بن راشد البغدادي مولى المنصور الدوانيقي الذي كان وزيراً للمهدي وموسى وهارون الرشيد . قال ابن الغضائري : ضعيف . وقال البهبهاني في التعليقة : لا وثوق بتضعيف ابن الغضائري إياه ، ورواية الأجلة سيما مثل أحمد بن محمد بن عيسى عنه تشير إلى الإعتقاد عليه ، بل الوثاقفة وكثرة رواياته والإفتاء بمضمونها يؤيده . ويؤيد فساد كلام ابن الغضائري في المقام ، عدم تضعيف شيخ من المشايخ العظام الماهرين بأحوال الرجال إياه ، وعدم طعن من أحد ممن ذكره في ترجمته وترجمة جده وغيرها ، والعلامة عليه السلام تبع ابن الغضائري بناء على جواز عثوره على ما لم يعثروا عليه ، وفيه ما فيه . انتهى . ورواه ابن شعبة الحراني رسالاً في تحف العقول ص ١٠٤

— هذا وقد صرح القاضي النعماني المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ بأن اسم المرجئة أول ما أطلق على المتخلفين عن بيعة علي عليه السلام ونصرتة على الفئة الباغية ، وهو يدل على أن بعض الصحابة تمسكوا بفكرة كعب وعمر التي تكتفي لدخول الجنة بالتوحيد بدون عمل ، فيكون مذهب المرجئة قد تمت ولادته بعد وفاة عمر بقليل وفي حياة كعب الأخبار !

. قال القاضي النعماني في شرح الأخبار ج ٢ ص ٨٢

فأما المتخلفون عن الجهاد مع علي صلوات الله عليه ، وقتال من نكث بيعته ومن حاربه وناصبه ، فإنه تخلف عنه في ذلك من المعروفين من الصحابة : سعد بن أبي وقاص وكان أحد الستة الذين سماهم عمر للشورى ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن سلمة ، واقتدى بهم جماعة فقعدوا بقعودهم عنه ، ولم يشهدوا شيئاً من حروبه معه ولا مع من حاربه . وهذه الفرقة هم أصل المرجئة وبهم اقتدوا ، وذهب إلى ذلك من رأيهم جماعة من الناس وصوبوهم فيه وذهبوا إلى ما ذهبوا إليه ، فقالوا

في الفريقين في علي عليه السلام ومن قاتل معه وفي الذين حاربوه وناصره ومن قتل من الفريقين : إنهم يخافون عليهم العذاب ويرجون لهم الخلاص والثواب ، ولم يقطعوا عليهم بغير ذلك وتخلفوا عنهم . والإرجاء في اللغة التأخير فسموا مرجئة لتأخيرهم القول فيهم ، وتأخرهم عنهم ولم يقطعوا عليهم بثواب ولا عقاب ، لأنهم زعموا أنهم كلهم موحدون ولا عذاب عندهم على من قال : لا إله إلا الله ، فقدموا المقال وأخروا الأعمال فكان هذا أصل الإرجاء ثم تفرق أهله فرقاً إلى اليوم يزيدون على ذلك من القول وينقصون . انتهى .

. وقال في شرح الأخبار ج ١ ص ٣٦٥ .

ثم هذه الفرق التي ذكرناها تتشعب ويحدث في أهلها الإختلاف إلى اليوم وأصلها ست فرق : شيعة وعامة وخوارج ومعتزلة ومرجئة وحشوية .
فالشيعية : هم شيعة علي صلوات الله عليه القائلون بإمامته ، وهم أقدم الفرق وأصلها الذي تفرعت عنه ، ورسول الله صلوات الله عليه وآله سماها بهذا الاسم .
وقال : شيعة علي هم الفائزون . وقال لعلي عليه السلام : أنت وشيعتك . . في آثار كثيرة رويت عنه . وسنذكر في هذا الكتاب ما يجري ذكره إن شاء الله تعالى . وغير ذلك من الفرق محدثة أحدثت بعد النبي صلوات الله عليه وآله . انتهى .



ويدل النصان التاليان على وجود المرجئة على شكل مذهب متكامل في عصر الإمام الباقر عليه السلام المتوفى سنة ٩٤ هجرية ، أي في الجيل الأول من التابعين بعد الصحابة مباشرة .

. قال الصدوق في ثواب الأعمال ص ٢١٣ .

وحدثني محمد بن موسى بن المتوكل قال : حدثني محمد بن جعفر قال :
حدثني أحمد بن محمد العاصمي قال : حدثني علي بن عاصم الهمداني ، عن



محمد بن عبد الرحمن المحرري ، عن يحيى بن سالم ، عن محمد بن سلمة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهود ، ولا من القدرة بالنصرية .

. وفي علل الشرائع ج ٢ ص ٥٢٨

وبهذا الإسناد عن محمد بن أحمد ، عن ابن عيسى ، عن عثمان بن سعيد قال : حدثنا عبد الكريم الهمداني ، عن أبي ثمامة قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام وقلت له : جعلت فداك إني رجل أريد أن ألام مكية وعليّ دينٌ للمرجئة فما تقول ؟ قال : قال إرجع (وأد) دينك وانظر أن تلقى الله تعالى وليس عليك دين ، فإن المؤمن لا يخون . انتهى .



أما في عصر الإمام الصادق عليه السلام وما بعده فقد كان للمرجئة وجودٌ واسع وصولاً ، وانتشر مذهبهم حتى شمل أكثر الرواة وعلماء الدولة . . كما اتسع تصدي أهل البيت عليهم السلام لأفكارهم ، ففي دعائم الإسلام للقاضي النعمان ج ١ ص ٣ قال : روينا عن جعفر بن محمد أنه قال : الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ، وهذا الذي لا يصح غيره ، لا كما زعمت المرجئة أن الإيمان قولٌ بلا عمل ، ولا كالذي قالت الجماعة من العامة إن الإيمان قولٌ وعملٌ فقط ، وكيف يكون ما قالت المرجئة إنه قول بلا عمل وهم الأمة مجتمعون على أن من ترك العمل بفريضة من فرائض الله عز وجل التي افترضها على عباده منكرًا لها أنه كافر حلال الدم ما كان مصرًا على ذلك ، وإن أقر بالله ووحده وصدق رسوله بلسانه ، إلا أنه يقول هذه الفريضة ليست مما جاء به ، وقد قال الله عز وجل : **وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** ، فأخرجهم من الإيمان بمنعهم الزكاة ، وبذلك استحل القوم أجمعون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله دماء بني حنيفة وسبي ذراريهم ، وسموهم أهل الردة إذ منعوهم الزكاة . انتهى .



. قال الكليني في الكافي ج ٢ ص ٤٠

محمد بن الحسن ، عن بعض أصحابنا ، عن الأشعث بن محمد ، عن محمد بن حفص بن خارجة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والإيمان ، وقال إنهم يحتجون علينا ويقولون كما أن الكافر عندنا هو الكافر عند الله ، فكذلك نجد المؤمن إذا أقر بإيمانه أنه عند الله مؤمن ! فقال : سبحان الله وكيف يستوي هذان ؟ ! والكفر إقراراً من العبد ، فلا يكلف بعد إقراره ببينة ، والإيمان دعوى لا يجوز إلا ببينة ، وبينته عمله ونيته ، فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن . والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل ، والأحكام تجري على القول والعمل ، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر ، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله .

. وقال في الإيضاح ص ٤٤

ومنهم المرجئة الذين يروى عنهم أعلامهم مثل إبراهيم النخعي وإبراهيم بن يزيد التيمي ، ومن دونهما مثل سفيان الثوري وابن المبارك ووكيع وهشام وعلي بن عاصم ، عن رجالهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : القدرية والمرجئة . ف قيل له : ما المرجئة قالوا : الذين يقولون : الإيمان قول بلا عمل . وأصل ما هم عليه أنهم يدينون بأن أحدهم لو ذبح أباه وأمه وابنه وبنته وأخاه وأخته وأحرقهم بالنار أو زنى أو سرق أو قتل النفس التي حرم الله أو أحرق المصاحف أو هدم الكعبة أو نبش القبور أو أتى أي كبيرة نهى الله عنها . . أن ذلك لا يفسد عليه إيمانه ولا يخرج منه ، وأنه إذا أقر بلسانه بالشهادتين أنه مستكمل الإيمان إيمانه كإيمان جبرئيل وميكائيل صلى الله عليه وسلم ، فعل ما فعل وارتكب ما ارتكب ما نهى الله عنه !

ويحتجون بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أمرنا أن نقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله .



وهذا قبل أن يفرض سائر الفرائض وهو منسوخ . وقد روى محمد بن الفضل ، عن أبيه ، عن المغيرة بن سعيد ، عن أبيه ، عن مقسم ، عن سعيد بن جبير قال : المرجئة يهود هذه الأمة . وقد نسخ احتجاجهم قول النبي ﷺ حين قال : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم شهر رمضان .

كان المرجئة خداماً لبني أمية ومبررين لجرائمهم

. الكافي ج ٢ ص ٤٠٩

محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن مروك بن عبيد ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لعن الله القدرية ، لعن الله الخوارج ، لعن الله المرجئة ، لعن الله المرجئة . قال قلت : لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين !

قال : إن هؤلاء يقولون : إن قتلنا مؤمنون ! فدمائنا متلطخة بشياهم إلى يوم القيامة ، إن الله حكى عن قوم في كتابه : لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقریان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات والذي قلتم فلم تقتلتموهم إن كنتم صادقين . . قال كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا . انتهى .

ومعنى كلام الإمام الصادق عليه السلام : أن المرجئة زعموا أن قتلة الإمام الحسين عليه السلام مؤمنون من أهل الجنة ولا يعاقبون على جريمتهم ! وبذلك صار المرجئة شركاء لبني أمية في الجريمة ، لأن من رضي بعمل قوم فقد شركهم فيه !

ويدل النص التالي على أن المرجئة كانوا يجادلون المعارضين لبني أمية ليأخذوا عليهم مستمسكاً للخليفة لكي يضطهدهم !

. وقال الكليني في الكافي ج ٨ ص ٢٧٠

عن عبد الحميد بن أبي العلاء قال : دخلت المسجد الحرام فرأيت مولى لأبي عبد الله عليه السلام فملت إليه لأسأله عن أبي عبد الله ، فإذا أنا بأبي عبد الله ساجداً فانتظرت طويلاً فطال سجوده عليّ ، فقممت وصليت ركعات وانصرفت وهو بعد ساجد ،



فسألت مولاه متى سجد؟ فقال: قبل أن تأتينا، فلما سمع كلامي رفع رأسه ثم قال: أبا محمد أدن مني فدنوت منه فسلمت عليه، فسمع صوتاً خلفه فقال: ما هذه الأصوات المرتفعة؟ فقلت: هؤلاء قوم من المرجئة والقدرية والمعتزلة، فقال: إن القوم يريدوني فقم بنا، فقمتم معه فلما أن رأوه نفضوا نحوه فقال لهم: كفوا أنفسكم عني ولا تؤذوني وتعرضوني للسلطان، فإني لست بمفقت لكم، ثم أخذ بيدي وتركهم ومضى، فلما خرج من المسجد قال لي يا أبا محمد والله لو أن إبليس سجد لله عز ذكره بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله عز ذكره ما لم يسجد لآدم، كما أمره الله عز وجل أن يسجد له.

وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبيها ﷺ وبعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيهم ﷺ لهم فلن يقبل الله تبارك وتعالى لهم عملاً، ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله عز وجل من حيث أمرهم، ويتولوا الإمام الذي أمروا بولايته ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله عز وجل ورسوله لهم.

يا أبا محمد إن الله افترض على أمة محمد ﷺ خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا، فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك وولايتنا، لا والله ما فيها رخصة.

تورط أصحاب المذاهب الأربعة في الإرجاء

للمرجئة في المذاهب الأربعة وفي الصحاح الستة مكانة محترمة حتى أن بعض أئمة المذاهب أنفسهم اهتموا بأنهم مرجئة. . قال في هامش كتاب المجروحين ج ٣ ص ٦٣: هناك تعليقات كثيرة على المخطوطة هاجمت ابن حبان لتحامله على أبي حنيفة، ومما هوجم من أجله والده أبي حنيفة بأنه كان خبازاً واعتبر المعلق ذلك غيبة تخرج عن حد الرأي في المحدث.

ونشير هنا إلى أن جد أبي حنيفة كان أحد أمراء بلاد الأفغان (مرزبان) واختلقت أقوال حفيده في مسألة أسر جده ثم عتقه، قال أحدهما: والله ما وقع لنا رق قط.



يراجع الإمام الأعظم : اتهم أبي حنيفة بالإرجاء وأنه داعية إلى البدع ، غير مقبول من ابن حبان ومن شاركه هذا القول على إطلاقه ، ونلخص القول في ذلك بما جاء في كتاب اللكنوي (الرفع والتكميل ١٥٤) :

جملة التفرقة بين اعتقاد أهل السنة وبين اعتقاد المرجئة : أن المرجئة يكتفون في الإيمان بمعرفة الله ونحوه ويجعلون ما سوى الإيمان من الطاعات وما سوى الكفر من المعاصي غير مضرّة ولا نافعة ويتشبهون بظاهر حديث : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة .

وأهل السنة يقولون : لا تكفي في الإيمان المعرفة ، بل لا بد من التصديق الإختياري مع الإقرار اللساني ، وأن الطاعات مفيدة والمعاصي مضرّة مع الإيمان توصل صاحبها إلى دار الخسران .

والذي يجب علمه على العالم المشتغل بكتب التواريخ وأسماء الرجال أن (يعرف أن) الإرجاء يطلق على قسمين : أحدهما الإرجاء الذي هو ضلال . وثانيهما الإرجاء الذي ليس بضلال ، ولا يكون صاحبه عن أهل السنة والجماعة خارجاً .

ولهذا ذكروا أن المرجئة فرقتان : مرجئة الضلالة ، ومرجئة أهل السنة . وأبو حنيفة وتلامذته وشيوخه وغيره من الرواة الإثبات إنما عدوا من مرجئة أهل السنة لا من مرجئة الضلالة .

ثم يقول أيضاً في ختام مناقشته لهذا الموضوع ١٦١ : وخلاصة المرام في هذا المقام أن الإرجاء : قد يطلق على أهل السنة والجماعة من مخالفيهم المعتزلة النزاعيين بالخلود الناري لصاحب الكبيرة ، وقد يطلق على الأئمة القائلين بأن الأعمال ليست بداخلة في الإيمان وبعدم الزيادة فيه والنقصان . وهو مذهب أبي حنيفة وأتباعه . من جانب المحدثين القائلين بالزيادة والنقصان وبدخول الأعمال في الإيمان . وهذا النزاع وإن كان لفظياً كما حققه المحققون من الأولين والآخرين لكنه لما طال وآل الأمر إلى بسط كلام الفريقين من المتقدمين والمتأخرين ، أدى

ذلك إلى أن أطلقوا الإرجاء على مخالفيهم وشنعوا بذلك عليهم ، وهو ليس بطعن في الحقيقة ، على ما لا يخفى على مهرة الشريعة .

أقول : إذا عرفت هذا علمت أن قول ابن حبان في إطلاقه الإرجاء على أبي حنيفة وأصحابه فيه اتهام غير محدد وتعمية تضلل الباحث ، وهو يقصد إلى ذلك قصداً ما كان يجدر به أن يقع في مثل ذلك . انتهى .

ولا كلام لنا في دفاعهم عن نسب أبي حنيفة وحسبه ، فقد كان على أتباعه أن يجعلوه من ملوك الأفاغنة وأبناء المازنية أو الأكاسرة ، حتى يواجهوا به مذهب أهل بيت النبي ﷺ ونسبهم الشامخ من علياً قريشٍ وذروة بني هاشم . .

ولكننا نسأل : من أين جاؤوا بهذا التقسيم للمرجئة إلى مرجئة من أهل السنة ومرجئة ضلالة ، وحكموا بأن أبا حنيفة من النوع الجيد لا الردي . . ! فما هو الفرق العلمي والعقائدي بين هذين النوعين حتى نقبل الجيد ونترك الردي ؟ !

وهل يكفي التخلص اللفظي من مذهب المرجئة بمثل قول اللكنوي المتقدم بأن مذهب أهل السنة (ان الطاعات مفيدة والمعاصي مضرّة مع الإيمان توصل صاحبها إلى دار الخسران) مع أن الإحاديث التي تشبث بها المرجئة على حد تعبيره ثابتة وصحيحة عندهم !



تورط أصحاب الصحاح الستة في الإرجاء

أما إذا نظرت إلى الصحاح فإأخذك العجب عندما تجد نسبة كبيرة من رواها المحترمين مرجئة ! ! وهو موضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة ولا يتسع المجال لأكثر من إشارة إلى بعضهم :

فمنهم : الفأفاء ، وهو رأس في المرجئة متعصب لبني أمية مبغض لعلي عليه السلام بل مبغض للنبي ﷺ ! وكان يقرأ خلفاء بني أمية القصائد في هجاء النبي ! وقد قتله



العباسيون في ثورتهم . . ومع ذلك فهو معتمدٌ عند ابن المديني شيخ البخاري ويقول عنه قتل مظلوماً ، ومعتمدٌ عند البخاري فقد روى عنه في الأدب المفرد وكذلك عند مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبي داود ! قال في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٨٣ : خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو سلمة ، ويقال أبو المقسم المعروف بالفأفاء الكوفي ، أصله حجازي ، روى عن عبد الله البهلي وعيسى وموسى ابني طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن المسيب وأبي بردة بن أبي موسى والشعبي وغيرهم . وعنه أولاده عكرمة ومحمد وعبد الرحمن ، والسفيانان ، وشعبة ، ومسعر ، وزائدة ، وزكرياء بن أبي زائدة وابنه يحيى بن زكرياء ، وحامد بن زيد ، وغيرهم . . وحدث عنه عمرو بن دينار ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وهما أكبر منه .

قال البخاري عن ابن المديني له نحو عشرة أحاديث .

وقال أحمد وابن معين وابن المديني ثقة ، وكذا قال ابن عمار ويعقوب بن شيبة والنسائي .

وقال أبو حاتم شيخ يكتب حديثه .

وقال ابن عدي : هو في عداد من يجمع حديثه ، ولا أرى بروايته بأساً .

وذكره ابن حبان في الثقات .

وقال ابن سعد : هرب من الكوفة إلى واسط لما ظهرت دعوة بني العباس ، فقتل مع ابن هبيرة .

وقال محمد بن حميد عن جرير : كان الفأفاء رأساً في المرجئة ، وكان يبغض علياً .

وقال يعقوب بن شيبة : يقال إن بعض الخلفاء قطع لسانه ثم قتله ، ذكره علي بن

المديني يوماً فقال : قتل مظلوماً .

وقال أبو داود عن الحسن بن علي الخلال : سمعت يزيد بن هارون يقول دخلت

المسودة واسط سنة ١٣٢ فنادى مناديهم بواسط : الناس آمنون إلا ثلاثة : العوام بن

حوشب ، وعمر بن ذر ، وخالد بن سلمة المخزومي . فأما خالد فقتل ، وأما العوام

فهرب وكان يحرض على قتالهم ، وكان عمر بن ذر يقص بهم ويحرض على قتالهم عندنا بواسطة . له عند مسلم حديث واحد .

قلت : وقع في صحيح البخاري ضمناً حيث قال في الحيز وقال عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ، فإن مسلماً أخرجته من طريق خالد بن سلمة .

هذا وذكر ابن المديني في العلل الكبرى أن الفأفاء لم يسمع من عبد الله بن عمر ، وذكر ابن عائشة : أنه كان ينشد بني مروان الأشعار التي هجى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم !! . انتهى .

وممنهم : الحماني ، الذي روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة . . قال في تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٠٩ : عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني أبو يحيى الكوفي ولقبه بشمين . أصله خوارزمي . روى عن يزيد بن أبي بردة ، والأعمش ، والسفيانين ، وأبي حنيفة وجماعة . وعنه أبو بكر ومحمد بن خلف الحدادي ، والحسن بن علي الخلال ، وأحمد بن عمر الوكيعي ، وأبو كريب ، وموسى بن عبد الرحمن المسروقي ، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة ، وسفيان بن وكيع ، والحسين بن يزيد الكوفي ، ومحمد بن عبد بن ثعلبة ، ويحيى بن موسى خت ، وعمرو بن علي الفلاس ، وأبو سعيد الأشج ، والحسن بن علي بن عفان العامري ، وغيرهم . قال ابن معين : ثقة .

وقال أبو داود : كان داعية في الإرجاء !!

وقال النسائي : ليس بقوي ، وقال في موضع آخر : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن عدي : هو وابنه ممن يكتب حديثه . قال هارون الحمالي مات سنة اثنتين ومائتين . قلت : وفيها أرخه ابن قانع وزاد في جمادى الأولى وهو ثقة .

وقال ابن سعد وأحمد : كان ضعيفاً . وقال العجلي : كوفي ضعيف الحديث مرجئ .

وقال البرقي : قال ابن معين : كان ثقة ، ولكنه ضعيف العقل ! . انتهى .



ومنهم : شعيب بن اسحاق مولى بني أمية الذي روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه . . **قال في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٠٤** : شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد الدمشقي الأموي ، مولى رملة بنت عثمان ، أصله من البصرة . روى عن أبيه وأبي حنيفة وتمذهب له ، وابن جريج والأوزاعي ، وسعيد بن أبي عروبة ، وعبيد الله بن عمرو ، وهشام بن عروة ، والثوري وغيرهم . وعنه ابن ابنه عبد الرحمن بن عبد الصمد بن شعيب ، وداود بن رشيد ، والحكم بن موسى ، وأبو النضر الفراديسي ، وعمرو بن عون ، وإبراهيم بن موسى الرازي ، وإسحاق بن راهويه ، وسويد بن سعيد ، وأبو كريب محمد بن العلاء ، وهشام بن عمار ، وغيرهم .

وحدث عنه الليث بن سعد ، وهو في عداد شيوخه .

قال أبو طالب عن أحمد : ثقة ما أصح حديثه وأوثقه .

وقال أبو داود : ثقة وهو مرجئ ، سمعت أحمد يقول : سمع من سعيد بن أبي عروبة بأخر رمق .

وقال هشام بن عمار عن شعيب : سمعت من سعيد سنة ١٤٤ .

وقال ابن معين ودحيم والنسائي : ثقة .

وقال أبو حاتم : صدوق .

وقال الوليد بن مسلم : رأيت الأوزاعي يقربه ويدنيه .

قال دحيم : ولد سنة ١٨ ومات سنة ١٨٩ وكذا أرخه ابن مصفى وزاد في رجب وفيها أرخه غير واحد . ووقع في الكمال سنة ٩٨ وهو وهم .

قلت : وفي سنة ٨٩ أرخه ابن حبان في الثقات ، ونقل أبو الوليد الباجي عن أبي

حاتم قال : شعيب ابن اسحاق ثقة مأمون . انتهى .

ومنهم : الغنوي الذي روى عنه مسلم والأربعة . . **قال في تهذيب التهذيب ج ١**

ص ٤١١ : بشير بن المهاجر الغنوي الكوفي ، رأى أنس بن مالك ، وروى عن عبد الله

بن بريدة والحسن البصري وعكرمة وغيرهم . وعنه ابن المبارك ، ووكيع ، وابن نمير ، والثوري ، وجعفر بن عون ، وأبو نعيم ، وخالد بن يحيى ، وغيرهم وقال العجلي : كوفي ثقة ، وقال العقيلي : مرجئ متهم متكلم فيه . وقال الساجي : منكر الحديث عنده . انتهى .



وقد سجل ابن شاذان هذا التناقض على أصحاب الصحاح فقال في الإيضاح ص ٥٠٢ : ومن جهة أخرى تروون عن المرجئة ويروون عنكم وتروون عن القدرية ويروون عنكم وتروون عن الجهمية ويروون عنكم فتقبلون منهم بعض أقاويلهم وتردون عليهم بعضها ، فلا الحق أنتم منه على ثقة ، ولا الباطل أنتم منه على يقين وأنتم عند أنفسكم أهل السنة والجماعة

حب المستشرقين للمرجئة وحزנם عليهم

قال الدكتور حسن إبراهيم في كتابه تاريخ الإسلام ج ١ ص ٤١٦ عن المرجئة :

وهي طائفة المرجئة التي ظهرت في دمشق حاضرة الأمويين بتأثير بعض العوامل المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري .

وقد سميت هذه الطائفة المرجئة من الإرجاء هو التأخير ، لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث . كما يتخرجون عن إدانة أي مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترفها

وهؤلاء هم في الحقيقة كتلة المسلمين التي رضيت حكم بني أمية ، مخالفين في ذلك الشيعة والخوارج . ومع هذا فإنهم يتفقون في العقيدة إلى حد ما مع طائفة المحافظين وهي أهل السنة ، وإن كانوا . كما يرى فون كرمير . قد ألانوا من شدة عقائد هؤلاء السنيين باعتقادهم (أنه لا يخلد مسلم مؤمن في النار) وعلى العموم



فهم يضعون العقيدة فوق العمل .

وكانت آراؤهم تتفق تماماً مع رجال البلاط الأموي ومن يلوذ به ، بحيث لا يستطيع أحد من الشيعيين أو الخوارج أن يعيش بينهم ، في الوقت الذي تمكن فيه المسيحيون وغيرهم من المسلمين أن ينالوا الحظوة لديهم ، أو يشغلوا المناصب العالية ! . انتهى .

ويمكنك ملاحظة التناقض بين ما ذكره الدكتور والمستشرقون عن تقوى المرجئة وتخرجهم عن إدانة أي مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترفها وحكمهم عليه بأنه من أهل الجنة بحكم عقيدتهم ، وبين تقواهم في أنهم كانوا يتعايشون مع الحكام الأمويين والنصارى واليهود ولا يتعايشون مع من خالفهم من المسلمين .

ولعل السبب في ذلك أن الحكام الأمويون أساتذتهم في عملية إسقاط المحرمات ، بينما اليهود والنصارى أساتذتهم في نظرية إسقاط المحرمات ! !

ثم قال الدكتور حسن إبراهيم :

وبزوال الدولة الأموية أقل نجم طائفة المرجئة ولم تصبح بعد حزباً مستقلاً ، ومع ذلك فقد ظهر من بينهم أبو حنيفة صاحب المذهب المشهور . انتهى .

ولكن حكمه بزوال المرجئة مع أسيادهم الأمويين غير دقيق ، لأنهم سقطوا سياسياً لا ثقافياً ، فقد بقيت أفكارهم ورواياتهم وعقائدهم في مصادر المسلمين ويكفي دليلاً على ذلك اتهام أبي حنيفة وغيره بأنهم منهم . . . فإن خط المرجئة عاد إلى النفوذ والحكم بقرار من الدولة العباسية لكي تواجه به أهل البيت عليهم السلام .

غاية الأمر أن اسمهم صار الأشعرية والحنابلة وأهل الحديث وأهل السنة ، فإن أكثرية هؤلاء من المرجئة !

ويكفي دليلاً على ذلك أن كبار علمائهم لا يستطيعون التفريق بين رأيهم في الشفاعة وبين رأي المرجئة ، وأن إطاعتهم للعباسيين كإطاعة المرجئة للأمويين !

بل يمكن القول إنه بعد زوال العباسيين وكثير من الفرق لم ينته المرجئة ، لأن أساس مذهبهم ومنبع أفكارهم الأحاديث التي دخلت الصحاح كما رأيت ، ومن أراد أن يأخذ بها ويلتزم بلوازمها فلا بد له أن يكون مرجئاً ويقول بسقوط المحرمات عملياً ، ويكتفي بالشهادتين كما مر في توسيع الشفاعة ! !



وأخيراً فقد نقل الدكتور المذكور تأسف المستشرق فون كريمر على ضياع تاريخ المرجئة بعد زوالهم قال في ج ١ ص ٤١٨ :

ويقول فون كريمر : ومما يؤسف له كثيراً أنه ليس لدينا غير القليل من الأخبار الصحيحة عن هذه الطائفة ، فقد استمروا طوال ذلك العصر وذاقوا حلوه ومره ، وقد ضاعت جميع المصادر التاريخية العربية عن الأمويين ، حتى أن أقدم المصادر التاريخية التي وصلت إلينا إنما ترجع إلى عهد العباسيين ، ومن ثمَّ كان لزوماً علينا أن نستقي معلوماتنا عن المرجئة من تلك الشذرات المبعثرة في مؤلفات كتاب العرب في ذلك العصر الثاني . انتهى .

وهو تأسف ظاهره علمي وواقعه البكاء على المرجئة لما اشتهر عنهم وعن الأمويين من تفضيلهم التعايش مع المسيحيين واليهود على التعايش مع من خالفهم من المسلمين . . وهو تأسف يجعلنا نلمس صدق قول الإمام محمد الباقر عليه السلام عن المرجئة بأنهم أشبه باليهود من الليل بالليل ، وذلك لجرأتهم على إسقاط قانون العقوبة الإلهي ، وقولهم إن المسلم مهما ارتكب من جرائم فلن تمسه النار حتى أياماً معدودة ، فليس غريباً أن يحبهم ويتأسف عليهم المستشرقون من اليهود والنصارى !



المرجئة والجبرية شقيقان لأب وأم

مع أن مذهب المرجئة مذهبٌ في الثواب والعقاب ولا علاقة له بالقضاء والقدر



والجبر والتفويض . . ومع أن النسبة بين المرجئة وبين القدرية والمفوضة عمومًا من وجه ، لأن المرجئي في الأعمال قد يكون مفوضاً أو قدرياً ، كما أن القدري والمفوض قد يكون مرجئاً أو غير مرجئ . .

ولكن ذلك كله في مقام الإثبات والنظرية ، أما في مقام الثبوت والتطبيق فالأعم الأغلب في المرجئة أنهم قدرية جبرية ، والسبب في ذلك أن الأحاديث التي استندوا إليها في القول بالإرجاء أو (تشبثوا) بها على حد تعبير اللكنوي رافقتها أحاديث الجبر التي تنسب أفعال الإنسان إلى الله تعالى وتحمله مسؤوليتها ، لكي ترفعها عن الإنسان ، كما رأيت في أحاديث توسيع الشفاعة وفناء النار !

وبما أن مسائل القضاء والقدر متعددة ، لذا نكتفي هنا بإعطاء تصور كلي عنها ليتضح ارتباطها بموضوع الشفاعة والإرجاء فنقول :

ورد تعريف القدر الإلهي في نص بديع عن الإمام الرضا عليه السلام بأنه (المهندس ووضع الحدود من البقاء والفناء) كما سيأتي . وقد وقع الخلاف بين المسلمين في مسأله العديدة ، وتكونت على أساس آرائهم مذاهبهم العقائدية .

. قال السيد الطباطبائي في هامش الكافي ج ١ ص ١٥٧

واعلم أن البحث عن القضاء والقدر كان في أول الأمر مسألة واحدة ثم تحول ثلاث مسائل أصلية الأولى : مسألة القضاء وهو تعلق الإرادة الإلهية الحتمية بكل شيء والأخبار تقضي فيها بالإثبات . . .

الثانية : مسألة القدر وهو ثبوت تأثير ماله تعالى في الأفعال والأخبار تدل فيها أيضاً على الإثبات .

الثالثة : مسألة الجبر والتفويض والأخبار تشير فيها إلى نفي كلا القولين وتثبت قولاً ثالثاً وهو الأمر بين الأمرين لا ملكاً لله فقط من غير ملك للإنسان ولا بالعكس بل ملكاً في طول ملك وسلطنة في ظرف سلطنة .

واعلم أيضاً أن تسمية هؤلاء بالقدرية مأخوذة مما صح عن النبي صلى الله عليه وآله (إن القدرية



مجوس هذه الأمة الحديث) فأخذت المجبرة تسمى المفوضة بالقدرية لأنهم ينكرون القدر ويتكلمون عليه والمفوضة تسمى المجبرة بالقدرية لأنهم يثبتون القدر .
والذي يتحصل من أخبار أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم يسمون كلتا الفرقتين بالقدرية ويطلقون الحديث النبوي عليهما .

أما المجبرة فلأنهم ينسبون الخير والشر والطاعة والمعصية جميعاً إلى غير الإنسان كما أن المجوس قائلون بكون فاعل الخير والشر جميعاً غير الإنسان وقوله عليه السلام في هذا الخبر مبني على هذا النظر .

وأما المفوضة فلأنهم قائلون بخالقين في العالم هما الإنسان بالنسبة إلى أفعاله والله سبحانه بالنسبة إلى غيرها كما أن المجوس قائلون بإله الخير وإله الشر وقوله عليه السلام في الروايات التالية (لا جبر ولا قدر) ناظر إلى هذا الإعتبار . انتهى .

ونضيف إلى ما ذكره السيد الطباطبائي عليه السلام : مسألة البداء ، وهي هل أن تقدير الله تعالى في كل الأمور حتمي عليه ، فلا يمكنه تغيير شيء منه ، لأنه فرغ من الأمر على حد تعبير بعض المسلمين ، أو لأن يده مغلولة على حد تعبير اليهود . . أم أن القدر مفتوح له تعالى ، وله الحق والقدرة على البداء والتغيير كما يشاء ، لأنه فرغ من الأمر ولم يفرغ منه على حد تعبير أهل البيت عليهم السلام .

القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)

محور الخلاف في مسألة القدر هو : سلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة والكون ، وفعله فيها .

فالذين ينفون هذه السلطة يسمون (المفوضة) لأنهم يزعمون أن الإنسان مفوض في أعماله ، ولا دخل لله تعالى ولا لسلطته فيها .

وقد يكون المفوضة مؤمنين بوجود الله تعالى ، ولكنهم يقولون إنه فوض ذلك إلى الإنسان وقوانين الطبيعة . .



وقد يكونون ملحدين دهرين أو مشككين ، ويعبر عنهم بالمفوضة أيضاً ، لأنهم ينفون سلطة الله تعالى وفاعليته في أفعال الإنسان وحركة الطبيعة .

وهم في عصرنا فئات الماديين من الملحدين والطبيعيين وأكثر العلمانيين ، وبعض المتأثرين بالثقافة الغربية من المسلمين .

والتفويض في القدر مرفوض كلياً عند أهل البيت عليهم السلام ومنه التفويض الذي يذهب إليه أكثر المعتزلة أيضاً . قال في شرح المواقف ج ٨ ص ١٤٦ : وقالت المعتزلة أي أكثرهم : هي (الأفعال الإختيارية) واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الإستقلال بلا إيجاب بل باختيار .

. وقال الكليني في الكافي ج ١ ص ١٥٧

علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبد الرحمن قال : قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام :

يا يونس ، لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ، ولا بقول أهل النار ، ولا بقول إبليس !

فإن أهل الجنة قالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وقال أهل النار : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين .

وقال إبليس : رب بما أغويتني .

فقلت : والله ما أقول بقولهم ولكني أقول : لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدر

وقضى .

فقال : يا يونس ليس هكذا ، لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى .

يا يونس تعلم ما المشيئة ؟

قلت : لا .

قال : هي الذكر الأول .

فتعلم ما الإرادة ؟



قلت : لا .

قال : هي العزيمة على ما يشاء .

فتعلم ما القدر ؟

قلت : لا .

قال : هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء .

قال ثم قال : والقضاء هو الإبرام وإقامة العين .

قال : فاستأذنته أن أقبل رأسه وقلت : فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة . انتهى .

. وفي مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٠٥ .

عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القدرية بحوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم . رواه الطبراني في الأوسط وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة . انتهى . ورواه البيهقي في سننه ج ١٠ ص ٢٠٢ وقال : أخرجه أبو داود في كتاب السنن هكذا . انتهى .

فهذان النصان يرّدان على القدرية المفوضة .

وينبغي الالتفات إلى أن اسم المرجئة لا يستعمل في الأحاديث في ضد معناه ، بينما يستعمل اسم القدرية للمؤمن بالقدر ولمنكر القدر . . ويعرف ذلك من سياق الكلام .

القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر)

أما الذين يثبتون فعل الله تعالى في حركة الكون وأفعال الإنسان فيسمون (القدرية) لأنهم يؤمنون بوجود سلطة لله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة بشكل من الأشكال ، وهؤلاء منهم من يفرط في إثبات الفعل الإلهي في أفعال الإنسان فينسبون أفعال الإنسان إلى الله تعالى نسبةً كاملة فيسمون (الجبرية) وهم أكثر المرجئة ، ولعلهم أكثر إخواننا السنة ، وإن لم يصرحوا بذلك . . والسبب في ذلك



وجود أحاديث ثبتت عندهم عن الخليفة عمر ومن تبعه من الصحابة توجب القول بذلك ، وهي نقطة النقاء شديدة بينهم وبين المرجئة وقد أشرنا إلى أن السبب في جبرية المرجئة أن أحاديث الإرجاء التي صحت عندهم رافقتها أحاديث الجبر مرافقة الأخت لأختها ، بل كانت نفسها في بعض الأحيان . . ومن هنا قلنا إن الإرجاء والجبر أخوان شقيقان لأب وأم .

. قال في شرح المواقف ج ٨ ص ١٤٦

المقصد الأول في أن أفعال العباد الإختيارية واقعة بقدرة الله سبحانه وتعالى وحدها ، وليس لقدرتهم تأثير فيها بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً ، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدر مقارناً لهما ، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً ، ومكسوباً للعبد ، والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له ! وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري . انتهى .

وأقدم الأحاديث في الجبر مروية عن الخليفة عمر وكعب الأحمار ، وقد تقدم عدد منها في توسيع الشفاعة وفناء النار ، ونذكر فيما يلي بعضها :

. روى أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٩

عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : رأيت ما نعمل فيه أقد فرغ منه أو في شيء مبتدأ أو أمر مبتدع ؟ قال : فيما قد فرغ منه . فقال عمر ألا نتكل ؟ فقال : إعمل يا ابن الخطاب فكل ميسر ، أما من كان من أهل السعادة فيعمل للسعادة ، وأما أهل الشقاء فيعمل للشقاء !

ورواه في ج ٢ ص ٧٧ ، ونحوه في الترمذي ج ٤ ص ٣٥٢ ونحوه الحاكم ج ٢ ص ٤٦٢ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ورواه في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٩٤ عن أبي بكر وعن عمر وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . ورواه في كنز العمال بعدة روايات في ج ١ ص ١٢٨ وص ٣٣٩



— ورواه البخاري بصيغة أخرى تذكر أن الله تعالى يتحمل مسؤولية خطيئة آدم ﷺ ، عيناً كما في التوراة ! . . قال في صحيحه ج ٤ ص ١٣١

عن أبي هريرة : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتج آدم وموسى فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى مرتين ! انتهى .

ورواه بصيغة أخرى أيضاً فيها تعيناً لآدم قال في ج ٧ ص ٢١٤ فيها (فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة) ، وروى نحوه أيضاً في ج ٨ ص ٢٠٣

فهذه النصوص الصحيحة عندهم تقول بالجبر في أفعال الإنسان ، وفي تكوين الكون معاً .

القدر عند أهل البيت ﷺ : لا جبر ولا تفويض

أما مذهب أهل البيت ﷺ فهو يثبت القدر ويؤمن بسلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وفعله فيها ، ولكنه يقول لا تصح نسبة المعصية إليه تعالى وإن كان الإقدار عليها منه تعالى ، أما نسبتها التي تستلزم تحمل مسؤوليتها فهي لفاعلها الذي هو الإنسان . .

فالإنسان في هذا المذهب ليس مجبوراً في أفعاله الإختيارية ولا مفوضاً إليه ، ولا مجرد مجرى لأفعاله كمجرى النهار ، بل حاله من نوع آخر يوجد فيه القدر الإلهي بشكل كامل لصغير الأمور وكبيرها ويوجد فيه حرية الإنسان ومسؤوليته . وهذا معنى (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) .

وقد أكد أهل البيت ﷺ على هذا النوع من القدر ، وقاوموا المفوضة لإنكارهم سلطان الله تعالى على صغير الأمور وكبيرها . كما قاوموا القائلين بالجبر في أفعال الإنسان لأنهم ينسبون المعاصي إلى الله تعالى ، وينسبون إليه الظلم بمجازاة الإنسان



عليها ! وكذلك القائلين بالجبس في الخلق والتكوين والتخطيط ، لأنهم يريدون تصوير الكون بأنه آلة وضع الله مخططها وأطلقها ولا يمكنه البداء والتغيير والتبديل فيها وهم اليهود الذين قالوا (**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**) والمسلمون الذين قلدهم فقالوا (فرغ من الأمر) .

. روى الصدوق في معاني الأخبار ص ١٨ .

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل : **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ، لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا : قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص ، فقال الله جل جلاله تكديماً لقولهم : **غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** . ألم تسمع الله عز وجل يقول : **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** .

. وقال الحويزي في تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٥١٤ .

في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروري قال الرضا عليه السلام بعد كلام طويل لسليمان : ومن أين قلت ذلك وما الدليل على أن إرادته علمه ؟ وقد يعلم ما لا يريد أبدأ وذلك قوله تعالى : **وَلَكِنَّ شَيْئَنَا لَنَدَّهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَهُوَ** يعلم كيف يذهب به ولا يذهب به أبداً ؟

قال سليمان : لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً .

قال الرضا عليه السلام : هذا قول اليهود ، فكيف قال : أدعوني أستجب لكم ؟

قال سليمان : إنما عنى بذلك أنه قادر عليه !

قال : أفيعد بما لا يفى به ؟ ! فكيف قال : يزيد في الخلق ما يشاء ؟ وقال عز وجل :

يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ، وقد فرغ من الأمر ؟ !

فلم يجز جواباً .

وفي هذا المجلس أيضاً قال الرضا عليه السلام :

يا سليمان إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله تعالى ، يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما

يشاء .

يا سليمان إن علياً عليه السلام كان يقول : العلم علمان ، فعلم علمه الله ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ورسله .
وعلم عنده مخزونٌ لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء . انتهى .
وبذلك يتضح أن البداء الذي يؤكد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله على أنه جزءٌ من الإسلام ، وأنه ما عبد الله بشيء كما عبد به ، إنما هو نفى الجبرية على الله تعالى ، ونفي زعم اليهود أن يده مغلولة بحجة أنه فرغ من الأمر !
ويتضح منه أن الذين يشنعون على الشيعة بعقيدة البداء . . لم يفهموها !

ردة فعل الخوارج على توسيع الدولة للشفاة

من الواضح للباحث أن بذور تفكير الخوارج ولدت في عهد الخليفة عمر ، وكانت تأخذ شكل اعتراضات على عدم تطبيق الخليفة للقرآن ، كما نلاحظ في أسئلة الوفد المصري (الدر المنثور ج ٢ ص ١٤٥)
ثم نمت في عهد الخليفة عثمان . .
ثم أخذت شكل اتجاه فكري في فهم الدين ، وشكل حزب سياسي معارض في عهد الإمام علي عليه السلام .
ثم استمرت مذهباً وحزباً مسلحاً في معارضة الأمويين والعباسيين وتكفيرهم وقتالهم . .

ومن أبرز صفات الخوارج الفكرية : جمودهم في فهم الدين ، وميلهم إلى إصدار الأحكام الكلية بدون شروط ولا تفاصيل ولا استثناءات ، وتكفيرهم من خالفهم من فرق المسلمين ، وقتواهم بحدردمائمهم ووجوب جهادهم .

وهذا المنحى الذهني يقع في الجهة المضادة لمذهب المرجئة الذي تتبناه السلطة ، المنحى المتساهل في أداء الواجبات وترك المحرمات ، المفرط في تأميل



الناس بالشفاعة والجنة مهما عصوا . . ما عدا المعارضين للدولة طبعاً .

لقد ساعد مذهب الإرجاء الدولة وأتباعها في تخفيف المسؤولية المشددة في القرآن والسنة على الحكام ، ولكنه سبب ردات فعلٍ في الأمة فظهرت فئات تنكر أصل الشفاعة التي تتذرع بها الدولة ، وتكذب كل أحاديثها وتؤول كل آياتها . . ولم يكن ذلك منحصراً بالخوارج ، وإن اشتهروا به .

بل تدل روايات السنين على أن ردود الفعل على توسيع الشفاعة بدأت من زمن الخليفة عمر ، ولكنه لم يستطع أن يؤدب أصحابها بالسوط ، إما لأنه لم يعرفهم بالضبط ، أو لسبب آخر ، فخطب محذراً منهم بشدة !

. قال في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٠٧

عن ابن عباس قال : خطب عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه فقال : ألا إنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرحم وبالرجال وبالشفاعة !

وروى نحوه في مسند أحمد ج ١ ص ٢٣ وفي الدر المنثور ج ٣ ص ٦٠ : عن سعيد بن منصور والبيهقي عن ابن عباس وفي كنز العمال ج ١ ص ٣٨٧ وج ٥ ص ٤٢٩ وص ٤٣١ وفيه (قال أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادى أن الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . . .) .

ويظهر من النص التالي أن بني أمية أفرطوا في التأكيد على الشفاعة أيضاً ، ففي فردوس الأخبار للدليمي ج ١ ص ١١٦ ح ٢٥٤ : عن معاوية : إشفعوا إليّ فتؤجروا ، فإن الرجل ليسألني الحاجة فأرده كي تشفعوا له فتؤجروا ! . انتهى .

أما الخوارج فقد ثبت أنهم كانوا يقولون : إن مرتكب المعصية الكبيرة أو الصغيرة كافر ، وإذا مات ولم يتب فهو مخلد في النار ، وأنه لا شفاعة لأحد أبداً ولا خروج من النار !

وأول من تصدى لرد مقولتهم الأئمة من أهل البيت : ثم تبعهم غيرهم .



. قال البرقي في المحاسن ج ١ ص ١٨٤

عن علي بن أبي حمزة قال : قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام : إن لنا جاراً من الخوارج يقول : إن محمداً عليه السلام يوم القيامة هم نفسه فكيف يشفع ؟ ! فقال أبو عبد الله عليه السلام : ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد عليه السلام يوم القيامة .

. وقال العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٣١٤

عن عبيد بن زرارة قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة ؟ قال : نعم ، فقال له رجل من القوم : هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد يومئذ ؟ قال : نعم إن للمؤمنين خطايا وذنوباً ، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد عليه السلام يومئذ .

قال : وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ؟ قال : نعم ، يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخبر ساجداً فيقول الله : إرفع رأسك إشفع تشفع أطلب تعط ، فيرفع رأسه ثم يخبر ساجداً فيقول الله : إرفع رأسك إشفع تشفع واطلب تعط ، ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفع ، ويطلب فيعطى .

. وفي تفسير القمي ج ٢ ص ٢٠١

قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي العباس الكبير قال : دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليه السلام على أبي جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال : يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون شفاعة محمد شفاعة محمد ؟ !

فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربّد وجهه ، ثم قال : ويحك يا أبا أيمن ! أغرّك أن عفت بطنك وفرجك ؟ ! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد عليه السلام ! وملك ! فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ؟ !

ثم قال : ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد عليه السلام يوم القيامة .

ثم قال أبو جعفر عليه السلام : إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته ، ولنا الشفاعة في شيعتنا ، ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم .



ثم قال : وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر ، فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول : يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد . ورواه في بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٨ وفي تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ١٠٢ و ٣٣٤

. وفي الأدب المفرد للبخاري ص ٢٢٤

عن طلق بن حبيب قال : كنت أشد الناس تكذيباً بالشفاعة فسألت جابراً فقال : يا طلق سمعت النبي يقول : يخرجون من النار بعد الدخول .

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٦

وأخرج ابن مردويه عن صهيب الفقير قال : كنا بمكة ومعني طلق بن حبيب ، وكنا نرى رأي الخوارج ، فبلغنا أن جابر بن عبد الله يقول في الشفاعة فأتيناه فقلنا له : بلغنا عنك في الشفاعة قول الله مخالف لك فيها في كتابه ! فنظر في وجوهنا فقال : من أهل العراق أنتم ؟ ! قلنا نعم ، فتبسم وقال : وأين تجدون في كتاب الله ؟ قلت : حيث يقول : ربنا إنك من تدخل النار فقد أجزيت ، ويريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ، وكلمنا أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدها فيها ، وأشبهاه هذا من القرآن .

فقال : أنتم أعلم بكتاب الله أم أنا ؟ قلنا بل أنت أعلم به منا . قال : فوالله لقد شهدت تنزيل هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشفاعة الشافعين ، ولقد سمعت تأويله من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الشفاعة لنبية في كتاب الله ، قال في السورة التي تذكر فيها المدثر : **مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ** الآية . ألا ترون أنها حلت لمن مات لم يشرك بالله شيئاً ؟ ! .

. وفي تفسير الطبري ج ٤ ص ١٤١

عن الأشعث الحملي قال قلت للحسن : يا أبا سعيد أرايت ما تذكر من الشفاعة حق هو ؟ قال : نعم حق .



. وفي فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٥٦٧

وأخرج بن المنذر عن طريق حرب بن شريح قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين : رأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحقُّ هي ؟ قال : إي والله .

. وفي دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٢٥

عن شبيب بن أبي فضالة المالكي : لما بنى مسجد الجامع ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل من القوم : إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في كتاب الله ، وعمران يقول أنتم أخذتم هذا الشأن منا ، وأخذنا نحن عن نبي الله .

. وفي الجواهر الحسان للثعالبي ج ١ ص ٣٥٦

قوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** . . . قالت المعتزلة : إذا كان صاحب كبيرة فهو في النار ولا بد ، وقالت الخوارج إذا كان صاحب كبيرة أو صغيره فهو في النار مخلد .

. وفي تطهير الجنان لابن حجر ص ٣٨

إن قلت : في هذا الحديث (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا رجل يموت كافراً أو يقتل مؤمناً متعمداً) دليل للمعتزلة والخوارج قبحهم الله تعالى على أن الكبيرة لا تغفر ؟

قلت : لا دليل لهم فيها أبداً ، لقوله تعالى : **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** ، لوجوب حملها على المستحل . . . بدليل قوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ، وهو مخصص أيضاً بقوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** . . . قد ضل . . . فرق من فرق الضلالة القائلون بأن مرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة يخلد ، وهؤلاء المعتزلة والخوارج ، والفرق بينهما إنما هو من حديث إن الميت فاسقاً هل هو كافر أو لا مؤمن ولا كافر ؟ فالخوارج على الأول والمعتزلة على الثاني .



. وفي مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ١٢٤

وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قول واحد ، لأنهم يقولون أن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون .

. وفي مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٦ . ٨٧

وأجمعوا (الخوارج) على أن كل كبيرة كفر إلا النجذات ، فإنها لا تقول ذلك .
وأجمعوا أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجذات .
والأزارقة (من الخوارج) تقول إن كل كبيرة كفر ، وإن الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم ، وإن كل مرتكب معصية كبيرة ففي النار خالداً مخلداً ، ويكفرون علياً عليه السلام في التحكيم .

. وقال في شرح المواقف ج ٤ جزء ٨ ص ٣٣٤

إن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة . . . مؤمن . . . ذهب الخوارج إلى أنه كافر ، والحسن البصري إلى أنه منافق ، والمعتزلة إلى أنه مؤمن ولا كافر .

. وقال الرازي في تفسيره ج ١ جزء ٣ ص ٢٣٨

إن المعصية عند المعتزلة وعندنا لا توجب الكفر ، أما عندنا فلأن صاحب الكبيرة مؤمن ، وأما عند المعتزلة فلأنه وإن خرج عن الإيمان فلم يدخل في الكفر ، وأما عند الخوارج فكل معصية كفر .

. وقال الرازي في تفسيره ج ٦ جزء ١٢ ص ٥

قالت الخوارج : كل من عصى الله فهو كافر . . . احتجوا بهذه الآية (**وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِحُكْمِ اللَّهِ**) وقالوا إنها نص في أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله ، فوجب أن يكون كافراً .

. وقال الرازي في ج ١٥ جزء ٣٠ ص ٢٣٩

إن الخوارج احتجوا بهذه الآية (**إِذَا شَآكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**) على أنه لا واسطة بين



المطيع والكافر قالوا : لأن الشاكر هو المطيع والكفور هو الكافر ، والله تعالى نفى الوسطة وذلك يقتضي أن يكون كل ذنب كفوفاً .

. وقال النووي في شرح مسلم ج ١ جزء ١ ص ٢١٨

قال القاضي عياض : اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين ، فقالت المرجئة : لا تضره المعصية ، وقالت الخوارج : تضره ويكفر بها ، وقالت المعتزلة : يخلد في النار ، وقالت الأشعرية : بل هو مؤمن . .

. وقال المجلسي في بحار الأنوار ج ٨ ص ٦٢

وقال النووي في شرح صحيح مسلم : قال القاضي عياض : مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ، ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق ، وقد جاءت الآثار التي بلغت مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنب المؤمنين ، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها . ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها ، وتعلقوا بمذاهبهم في تحليد المذنبين في النار ، واحتجوا بقوله تعالى : **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** وأمثاله وهي في الكفار .

وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل ، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار .

(راجع شرح مسلم للنووي ج ٢ جزء ٣ ص ٣٥)

. وفي شرح مسلم للنووي ج ٢ جزء ٣ ص ٥٠

رأي الخوارج . . أنهم يرون أن أصحاب الكبائر يخلدون في النار .

. وفي إرشاد الساري للقسطلاني ج ١ ص ١١٥

لا ينسب إلى الكفر باكتساب المعاصي والإتيان بها إلا بالشرك أي بارتكابه ، خلافاً للخوارج القائلين بتكفيره بالكبيرة ، والمعتزلة القائلين بأنه لا مؤمن ولا كافر .



. وفي فتاوي ابن باز ج ٢ ص ٢٧

وذهب الخوارج إلى أن صاحب المعصية مخلد في النار وهو بالمعاصي كافر أيضاً ووافقهم المعتزلة بتخليده في النار .

. وفي فتاوي ابن باز ج ٣ ص ٣٦٧

قول أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة . . . المعاصي التي دون الشرك لا تحبط الأعمال الصالحة ولا تبطل ثوابها . .



. وفي بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٤

قال العلامة رحمته الله في شرحه على التجريد : أجمع المسلمون كافة على أن عذاب الكافر مؤبد لا ينقطع ، واختلفوا في أصحاب الكبائر من المسلمين ، فالوعيدية على أنه كذلك ، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أن عذابه منقطع . والحق أن عقابهم منقطع لوجهين :

الأول ، أنه يستحق الثواب بإيمانه لقوله تعالى : *فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* .

والإيمان أعظم أفعال الخير فإذا استحق العقاب بالمعصية فإما يقدم الثواب على العقاب وهو باطل بالإجماع ، لأن الثواب المستحق بالإيمان دائم على ما تقدم ، أو بالعكس وهو المراد ، والجمع محال .

الثاني ، يلزم أن يكون من عبد الله تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه ثم عصى في آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه مخلداً في النار كمن أشرك بالله مدة عمره ، وذلك محال لقبحه عند العقلاء . انتهى .

. وفي بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٧٠

وقال شارح المقاصد : اختلف أهل الإسلام فيمن ارتكب الكبيرة من المؤمنين ومات قبل التوبة ، فالمذهب عندنا عدم القطع بالعفو ولا بالعقاب بل كلاهما في مشيئة الله تعالى ، لكن على تقدير التعذيب نقطع بأنه لا يخلد في النار بل يخرج



البتة ، لا بطريق الوجوب على الله تعالى ، بل مقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالدليل كتخليد أهل الجنة .

وعند المعتزلة القطع بالعذاب الدائم ، من غير عفو ولا إخراج من النار ، وما وقع في كلام البعض من أن صاحب الكبيرة عند المعتزلة ليس في الجنة ولا في النار فغلطاً نشأ من قولهم : إن له المنزلة بين المنزلتين ، أي حالة غير الإيمان والكفر .

وأما ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان وبعض المرجئة من أن عصاة المؤمنين لا يعذبون أصلاً وإنما النار للكفار تمسكاً بالآيات الدالة على اختصاص العذاب بالكفار مثل : **قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ، إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ .**

فجوابه : تخصيص ذلك العذاب بما يكون على سبيل الخلود .

وأما تمسكهم بمثل قوله **عَلَيْهِ** : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق ، فضعيف ، لأنه إنما ينفي الخلود لا الدخول .

لنا وجوه : الأول ، وهو العمدة : الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة البتة ، وليس ذلك قبل دخول النار وفاقاً ، فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب ، أو بدونه وهو مسألة العفو التام ، قال الله تعالى : **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ .** من عمل صالحاً منكم من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة .

تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة !

يحسن هنا أن نسجل أمراً طريفاً نلاحظه في عصرنا ، وهو تبادل المواقع بين ورثة الخوارج ، وورثة الخلافة الأمويين والمرجئة !

فورثة الخوارج (الأباضيون) تنازلوا عن العنف الفكري وسجلوا ليوتنتهم العقائدية والفقهيّة تجاه فرق المسلمين . . بينما ورثة الخلافة الأموية (التكفير



والهجرة والوهابيون) تخلوا عن أفكار الليونة والتسامح ، وتبنوا مذهب العنف والشدة ، وأفتوا بكفر كل فرق المسلمين ، ما عدا فرقهم ! ولعلمهم يتخلون أيضاً عن شمول الشفاعة لكل المسلمين ويحصرونها بفرقتهم . . كما يشم ذلك من فكرهم !
وهكذا تتغير المواقع الفكرية والسياسية مع العصور من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار . . . وسبحان من لا يتغير .

المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج

. قال ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه ج ٨ ص ٢٠٤

ولد واصل سنة ثمانين بالمدينة وكان يجلس إلى الحسن البصري ، فلما ظهر بين أهل السنة القول من الخوارج بتكفير أهل الكبائر ، ومن المرجئة بجعلهم إيمان أهل الكبائر كإيمان جبرئيل وميكائيل ، أبدع واصل (بن عطاء مولى بني ضبة) قوله في المنزلة بين المنزلتين . . . مات واصل سنة إحدى وثلاثين ومئة .

الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة

. مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ٢٧٠

واختلفت المعتزلة . . في الصغائر والكبائر . . فقال قائلون منهم : كل ما أتى فيه الوعيد فهو كبير ، وكل ما لم يأت فيه الوعيد فهو صغير . . وقال جعفر بن ميثر : كل عمد كبير وكل مرتكب لمعصية متعمداً لها فهو مرتكب لكبيرة . . .
واختلفت المعتزلة في غفران الصغائر . . فقال قائلون : إن الله سبحانه يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر تفضلاً . . وقال قائلون : لا يغفر الصغائر إلا بالتوبة .

. وقال في شرح المواقف ج ٨ ص ٣٠٣

أوجب جميع المعتزلة والخوارج عقاب صاحب الكبيرة إذا مات بلا توبة ، ولم يجوزوا أن يعفو الله عنه ، لوجهين : الأول أنه تعالى أوعد بالعقاب على الكبائر وأخبر



به أي بالعقاب عليها ، فلو لم يعاقب على الكبيرة وعفا لزم الخلف في وعيده والكذب في خبره ، وإنه محال .

الجواب : غايته وقوع العقاب فأين وجوبه الذي كلامنا فيه ، إذ لا شبهة في أن عد الوجوب مع الوقوع لا يستلزم خلفاً ولا كذباً .

قالت المعتزلة والخوارج : صاحب الكبيرة إذا لم يتب عنها مخلد في النار ولا يخرج منها أبداً . وعمدتهم في إثبات ما ادعوه دليل عقلي هو أن الفاسق يستحق العقاب بفسقه ، واستحقاق العقاب بل العقاب مضرة خالصة لا يشوبها ما يخالفها دائماً لا تنقطع أبداً . واستحقاق الثواب بل الثواب منفعة خالصة عن الشوائب دائماً . والجمع بينهما أي بين استحقاقهما محال ، كما أن الجمع بينهما محال .

. وقال في شرح المواقف ج ٨ ص ٣٣٤

مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة أي من أهل القبلة مؤمن ، وقد تقدم بيانه في مسألة حقيقة الإيمان وغرضنا هاهنا ذكر مذهب المخالفين والجواب عن شبهتهم : ذهب الخوارج إلى أنه كافر ، والحسن البصري إلى أنه منافق ، والمعتزلة إلى أنه لا مؤمن ولا كافر .

حجة الخوارج وجوه : الأول قوله تعالى : **وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ، فإن كلمة (من) عامة في كل من لم يحكم بما أنزل ، فيدخل فيه الفاسق المصدق . وأيضاً فقد علل كفرهم بعدم الحكم ، فكل من لم يحكم بما أنزل الله كان كافراً ، والفاسق لم يحكم بما أنزل الله .

قلنا : الموصولات لم توضع للعموم ، بل هي للجنس تحتمل العموم والخصوص .

. وفي ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ص ١٣

المعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الإنسان وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وإن الله تعالى غير مرئي يوم القيامة ، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة بين منزلتين .



. تأويلات أهل السنة للحنفي ج ١ ص ٦٣٠

وقوله تعالى : **وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** ، فيه دليل على أن من السيئات ما يكفرها الصدقة . . . وهو نقض على المعتزلة لأنهم لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة عنها ، ولا التعذيب على الصغائر . فأما إن كانت الآية في الكبائر فبطل قولهم (لا يكفر بغير التوبة) أو في الصغائر يبطل قولهم إنها مغفورة ، إذ وعدت بالصدقة لأنهم يخلدون صاحب الكبيرة في النار ، والله تعالى أطمع له تكفير السيئات بالصدقة .

وصاحب الكبيرة في النار ولا تشمله الشفاعة

. شرح المواقف ج ٤ جزء ٨ ص ٣١٢

أجمعت الأمة على ثبوت أصل الشفاعة المقبولة له عليه الصلاة والسلام ، ولكن هي عندنا لأهل الكبائر من الأمة في إسقاط العقاب عنهم . . . وقالت المعتزلة : إنما هي لزيادة الثواب لا لدرأ العقاب ، لقوله تعالى : **وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ** ، وهو عام في شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام وغيره .

الجواب : أنه لا عموم له في الأعيان ، لأن الضمير لقوم معينين هم اليهود ، فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم .

. تأويلات أهل السنة ج ١ ص ٥٩٠

قال المعتزلة : لا تكون الشفاعة إلا لأهل الخيرات خاصة ، الذين لا ذنب لهم أو كان لهم ذنب فتابوا عنه .

. تفسير الرازي ١١ جزء ٢٢ ص ١٦٠

احتجت المعتزلة بقوله تعالى : **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** ، على أن الشفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبائر ، لأنه لا يقال في أهل الكبائر إن الله يرتضيه .



. تفسير الرازي ١١ جزء ٢٢ ص ١١٨

المعتزلة قالوا : الفاسق غير مرضي عند الله تعالى ، فوجب أن لا يشفع الرسول (ص) في حقه لأن هذه الآية (**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ**) دلت على أن المشفوع له لا بد وأن يكون مرضياً عند الله .

. تفسير الرازي ج ١٢ جزء ٢٣ ص ٦٦

أما قوله (**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**) احتجت المعتزلة بهذه الآية في نفي الشفاعة .

وقال في ج ١٤ جزء ٢٧ ص ٣٣

احتج الكعبي بهذه الآية على أن تأثير الشفاعة في حصول زيادة الثواب للمؤمنين ، لا في إسقاط العقاب عن المذنبين .

. وقال في ج ٤ جزء ٧ ص ١٠

قال القفال : إنه لا يأذن في الشفاعة لغير المطيعين . . . وأقول إن هذا القفال عظيم الرغبة في الاعتزال . . . ومع ذلك فقد كان قليل الإحاطة بأصولهم . وذلك لأن من مذهب البصريين أن العفو عن صاحب الكبيرة حسن في العقول . . إلا أن السمع دل . . لا يقع ، وإذا كان كذلك كان الاستدلال العقلي على المنع من الشفاعة في حق العصاة خطأ على قولهم .

. وفي إرشاد الساري للقسطلاني ج ٨ ص ٣٤٠

قوله تعالى : **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ، استدلت بهذه الآية المعتزلة على أنه تعالى لا يعفو عن شيء من السيئات .

. وفي إرشاد الساري ج ٩ ص ٤٤٧

المعصية لا تخرج المسلم عن الإيمان ، خلافاً للمعتزلة المكفرين بالذنب ، القائلين بتخليد العصاة بالنار .

. وفي معجم الأدباء للحموي ج ٩ جزء ١٧ ص ٨١

قال عبد العزيز بن محمد الطبري : كان أبو جعفر (الطبري) يذهب في حل

مذاهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف . . . وكان يذهب إلى مخالفة أهل الإعتزال في جميع ما خالفوا فيه الجماعة ، من القول بالقدر وخلق القرآن وإبطال رؤية الله في القيامة ، وفي قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار ، وإبطال شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي قولهم إن استطاعة الإنسان قبل فعله .

. وفي طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ٣٤٧

يصف تحول الأشعري من الإعتزال إلى خط الدولة (أهل السنة والجماعة) قام علي بن اسماعيل بن أبي بشر على الإعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماماً . . . وهو الذي قال : تكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء فاستهديت الله فهديني إلى اعتقاد ما أودعته في كتي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده . . . ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنة للناس . . . وأخذ في نصره الأحاديث في الرؤية والشفاعة . انتهى .

هذا وقد تقدمت نصوص عن رأي المعتزلة في آراء المرجئة والخوارج في هذا الفصل وفي تعريف الشفاعة في الفصل الأول .





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork

الفصل الحادي عشر

المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة

اتفق الجميع نظرياً على أن الشفاعة من مختصات نبينا ﷺ

قد يستشكل على أحاديث اختصاص الشفاعة بنبينا ﷺ الواردة في مصادر

الفريقين ، بأنها تنافي الأحاديث الصحيحة التي تثبت الشفاعة لغير نبينا ﷺ .

والجواب : أن وجه الجمع بين الأحاديث أن باب الشفاعة إنما يفتح يوم القيامة

إكراماً لنبينا ﷺ . . وكل من يشفع من الملائكة والأنبياء والأوصياء والعلماء والشهداء

والمؤمنين ، فإنما يشفع بإجازته وبالسهم الذي يعطيه إياه شفيع المحشر ﷺ !

فلا منافاة بين أحاديث اختصاصه بالشفاعة ﷺ وبين ما دل على ثبوتها لغيره من

الأنبياء ﷺ إلا ما دل منها على أن لغيره شفاعة مستقلة أو أنه يشفع قبله كما في

أحاديث الإسرائيليات الآتية .



. من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٤٠

قال النبي ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، ونصرت بالرعب ، وأحل لي المغنم ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأعطيت الشفاعة . ورواه في وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٣٨ وفي سائل الشيعة ج ٣ ص ٤٢٢ وفي مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٥٢٩

. علل الشرائع ج ١ ص ١٢٧

حدثنا أبو الحسين محمد بن علي بن الشاه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر بن أحمد البغدادي بآمد قال : حدثنا أبي قال : حدثنا أحمد بن السخت قال : حدثنا محمد بن الأسود الوراق عن أيوب بن سليمان عن حفص بن البخترى عن محمد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ :

أنا أشبه الناس بآدم وإبراهيم أشبه الناس بي خلقه وخلقته .

وسماني الله من فوق عرشه عشرة أسماء وبين الله وصفي وبشري على لسان كل رسول بعثه الله إلى قومه .

وسماني ونشر في التوراة باسمي وبث ذكري في أهل التوراة والإنجيل وعلمني كتابه ورفعني في سمائه وشق لي إسماً من أسمائه فسماني محمداً وهو محمود .

وأخرجني في خير قرن من أمتي وجعل اسمي في التوراة أحييد فبالتوحيد حرم أجساد أمتي على النار .

وسماني في الإنجيل أحمد فأنا محمود في أهل السماء .

وجعل أمتي الحامدين وجعل اسمي في الزبور ماحي محي الله عز وجل بي من الأرض عبادة الأوثان .

وجعل اسمي في القرآن محمداً فأنا محمود في جميع القيامة في فصل القضاء لا يشفع أحد غيري .



- وسماني في القيامة حاشراً يحشر الناس على قدمي .
- وسماني الموقف أوقف الناس بين يدي الله عز وجل .
- وسماني العاقب أنا عقب النبيين ليس بعدي رسول .

وجعلني رسول الرحمة ورسول الملاحم والمقتفي قفيت النبيين جماعة وأنا المقيم الكامل الجامع ومن علي ربي وقال لي يا محمد صلى الله عليك فقد أرسلت كل رسول إلى أمته بلسانها وأرسلتك إلى كل أحر وأسود من خلقي ونصرتك بالرعب الذي لم أنصر به أحداً وأحللت لك الغنيمة ولم تحل لأحد قبلك وأعطيتك لك ولأمتك الأرض كلها مسجداً وتراهما طهوراً وأعطيتك ولأمتك التكبير وقرنت ذكرك بذكري حتى لا يذكرني أحد من أمتك إلا ذكرك مع ذكري فطوبى لك يا محمد ولأمتك .

. تفسير القمي ج ١ ص ١٩٤

ثم قال حكاية عن قريش : وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، يعني رسول الله ﷺ ، ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ، فأخبر عز وجل أن الآية إذا جاءت والمملك إذا نزل ولم يؤمنوا هلكوا ، فاستغنى النبي ﷺ من الآيات رافئاً ورحمةً على أمته ، وأعطاه الله الشفاعة .



. صحيح البخاري ج ١ ص ٨٦

جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة .



ورواه أيضاً في ص ج ١ جزء ١ ص ١١٣ وج ٢ جزء ٢ ص ١٠٥ ونحوه في مسلم ج ٢ ص ٦٣ وفي سنن النسائي ج ١ ص ٢٠٩ وفي سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٤ وفي مسند أحمد ج ٥ ص ١٤٩

. وفي ج ٤ ص ٤١٧ منه :

عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خمساً : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، ونصرت بالرعب شهراً ، وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل شفاعتي وإني أحبأت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئاً . ونحوه في ج ١ ص ٣٠١ وفي الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٤ وج ٥ ص ٢٣٧ وسنن الدارمي ج ١ ص ٣٢٢ وسنن البيهقي ج ٩ ص ٤ وتفسير الطبري ج ٣ ص ٢ وصفة الصفة لابن الجوزي جزء ١ و ٢ ص ٧٦ وتفسير المنار لرشيد رضا ج ٩ ص ٣٠٠

. ولكن الهيثمي ضعف روايته في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٥٩ فقال :

ابن يزيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضلت على الأنبياء بخمس : بعثت إلى الناس كافة ، ودخرت شفاعتي لأمتي ، ونصرت بالرعب شهراً أمامي وشهراً خلفي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي . رواه الطبراني وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك .



نبينا ﷺ أول شافع يوم القيامة

في مصادرنا نصوص واضحة صريحة في أن نبينا ﷺ هو خطيب المحشر والشفيع الأول قبل الأنبياء ، بل هو شفيع الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً . . وقد تقدم بعضها آنفاً وفي تفسير قوله تعالى (**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**) وفي



بعضها أن الله تعالى قد أذن لنبينا ﷺ بالشفاعة وهو في الدنيا فلا يحتاج إلى إذن يوم القيامة .

. في تفسير القمي ج ٢ ص ٢٠١

قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي العباس الكبير قال : دخل مولى لامرأة علي بن الحسين ﷺ على أبي جعفر ﷺ يقال له أبو أيمن فقال : يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون شفاعة محمد شفاعة محمد فغضب أبو جعفر ﷺ حتى تريد وجهه ثم قال : ويحك يا أبا أيمن أغرك أن عف بطنك وفرجك ! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد ﷺ ! ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ثم قال : ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة .

ثم قال أبو جعفر ﷺ : إن لرسول الله ﷺ الشفاعة في أمته ولنا الشفاعة في شيعتنا ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم .

ثم قال : وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول : يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد . ورواه في بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٨ وفي تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٣٤ ، وقد تقدم ذلك في الرد على الخوارج .

. الصحيفة السجادية ج ٢ ص ٢٩٠

اللهم أنزل محمداً في أشرف منازل الأبرار ، اللهم اجعل محمداً أول شافع وأول مشفع ، وأول قائل وأنجح سائل . . . اللهم أحسن عنا جزاءه ، وعظم حباؤه ، وأكرم مشواه ، وتقبل شفاعته في أمته ، وفي من سواهم من الأمم ، واجعلنا ممن تشفعه فيه ، واجعلنا برحمتك ممن يرد حوضه يوم القيامة . ونحوه في المقنعة ص ٤١١

. الصحيفة السجادية ج ٢ ص ٣٠

اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك ، حتى لا يساوى في



منزلة ، ولا يكافأ في مرتبة ، ولا يوازيه لديك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وعرفه في أهله الطاهرين وأمتهم المؤمنين من حسن الشفاعة أجل ما وعدته ، يا نافذ العدة ، يا وافي القول ، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات ، إنك ذو الفضل العظيم .

ونحوه في المقنعة ص ١٢٥

. تهذيب الأحكام ج ٣ ص ١٢١

اللهم إني أسألك من فضلك بأفضله . اللهم واجعل محمدًا ﷺ أدنى المرسلين منك مجلسا ، وأفسحهم في الجنة عندك منزلاً ، وأقربهم إليك وسيلة ، واجعله أول شافع وأول مشفع ، وأول قائل وأجح سائل ، وابعثه للمقام الحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون يا أرحم الراحمين .

. تأويل الآيات ج ٢ ص ٣٧

قال علي بن إبراهيم : روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : لا يقبل الله الشفاعة يوم القيامة لأحد من الأنبياء والرسل حتى يأذن في الشفاعة لرسول الله ﷺ فإن الله قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة فالشفاعة له ولأمير المؤمنين وللائمة من ولده ثم بعد ذلك للأنبياء عليهم السلام أجمعين . (ورواه في تفسير القمي ج ٢ ص ٢٠١ ونحوه في تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٣٤) .

. بحار الأنوار ج ١٦ ص ٣٢٦

الأمالي : أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن مهدي ، عن ابن عقدة ، عن الحسن بن جعفر بن مدرار ، عن عمه طاهر ، عن الحسن بن عمار ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تشق الأرض عنه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع (أمالي ابن الشيخ ١٧٠) .

. بحار الأنوار ج ١٦ ص ٣٠٤

عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا . عسى من الله واجبة ، والمقام بمعنى البعث



فهو مصدر من غير جنسه ، أي يبعثك يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه ، ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة أي يقيمك ربك مقاماً يجمدك فيه الأولون والآخرون ، وهو مقام الشفاعة يشرف فيه على جميع الخلائق يسأل فيعطى ويشفع فيشفع ، وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس ، وهو المقام الذي يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه وتجتمع تحته الأنبياء والملائكة ، فيكون ﷺ أول شافع وأول مشفع .

. بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٧

تفسير العياشي : عن عيص بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام إن أناساً من بني هاشم أتوا رسول الله ﷺ فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي وقالوا : يكون لنا هذا السهم الذي جعله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم ، ولكني وعدت الشفاعة . ثم قال : والله أشهد أنه قد وعدتها . فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة الباب أتروني مؤثراً عليكم غيركم ؟ ثم قال : إن الجن والإنس يجلسون يوم القيامة في صعيد واحد ، فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون : إلى من ؟ فيأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة فقال : هيهات قد رفعت حاجتي ، فيقولون : إلى من إلى إبراهيم ، فيأتون إلى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول : هيهات قدر رفعت حاجتي ، فيقولون : إلى من فيقال : إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول : هيهات قد رفعت حاجتي ، فيقولون إلى من ؟ فيقال إيتوا محمداً ، فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتي باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب ثم يقرعه ، فيقال : من هذا ؟ فيقول : أحمد فيرحبون ويفتحون الباب ، فإذا نظر إلى الجنة خر ساجداً يمجده ربه بالعظمة ، فيأتيه ملك فيقول : إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فيرفع رأسه ، فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً ويمجده ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول : إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه . انتهى .



وقد تقدمت الأحاديث بهذا المضمون ، وهي محل اتفاق في مصادر الطرفين ، وفيها دلالة على أن نبينا ﷺ هو أول من يتقدم للشفاعة يوم القيامة .

الأحاديث الموافقة لمذهبنا في مصادر السنين

في مصادر السنين نوعان من الأحاديث في هذا الموضوع : النوع الأول يوافق ما في مصادرنا ، وقد روته صحاحهم كالذي رواه ابن ماجة ج ٢ ص ٧٢٤ : عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ، غير فخر .

. والذي رواه مسلم في ج ١ ص ١٣٠

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً . . .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة . . .

أنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أول شفيع في الجنة ، لم يصدّق نبي من الأنبياء ما صدّقت ، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد .

. وروى في ج ٧ ص ٥٩

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع . انتهى .

. وفي سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٤٨

عن ابن عباس قال : جلس ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنوا منهم سمعهم يتذكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ من إبراهيم خليلاً . وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً . وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه . وقال



آخر : آدم اصطفاه الله . فخرج عليهم فسلم وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم ، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجي الله وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر . هذا حديث غريب . انتهى . وروى نحوه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٤٠ وأحمد في ج ٣ ص ٢

. وفي سنن الدارمي ج ١ ص ٢٦

عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أولهم خروجاً ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا مشفعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا . الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي .

. وفي فردوس الأخبار ج ١ ص ٨٠ ح ١٢٤

أنس بن مالك : أنا أول شفيع يوم القيامة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، إن من الأنبياء لمن يأتي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد . انتهى .

. وفي شعب الإيمان للبيهقي ج ٢ ص ١٣٢ وص ١٧٩

أبو هريرة قال قال رسول الله (ص) : أنا سيد ولد آدم ، وأول شافع وأول مشفع .

. وفي شعب الإيمان ص ١٨١

عن أنس قال : سمعت النبي (ص) يقول : إني أول الناس تنشق الأرض عن مجمعي يوم القيامة ، وأنا أول من يدخل الجنة . . . ونحوه في تهذيب الكمال ج ١٥ ص ٤٢٥ وج ٢٢ ص ٥٥١ وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٩٣ وكنز العمال ج ١١ ص ٤٠٤ فما بعدها بروايات متعددة ، وفي ج ١٤ ص ٣٩٣ فما بعدها . وفيه في ج ١١ ص ٤٣٥ : أنا سيد المرسلين إذا بعثوا وسابقهم إذا وردوا ، ومبشرهم إذا أيسوا ، وإمامهم إذا سجدوا ، وأقربهم مجلساً إذا اجتمعوا ، أتكلم فيصدقني ، وأشفع فيشفعني ، وأسأل فيعطيني .



. وفي الدر المنثور ج ٤ ص ٩٣

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال وأول ما يأذن الله عز وجل له يوم القيامة في الكلام والشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال له قل تسمع وقل تعطه قال : فيخر ساجداً فيثني على الله ثناء لم يثن عليه أحد فيقال إرفع رأسك . . .

. وفي سيرة ابن كثير ج ١ ص ١٩٥

فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد . . . عن ابن عباس قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : فذاك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة؟ قال : فتبسم حتى بدت نواجذته ، ثم قال : كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح ، وقذف بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتق أبواي على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسبية إلى الأرحام الطاهرة ، صفيماً مهذباً ، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام عهدي ، ونشر في التوراة والإنجيل ذكرى ، وبين كل نبي صفتي تشرق الأرض بنوري والغمام بوجهي ، وعلمني كتابه وزادني شرفاً في سمائه ، وشق لي اسماً من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد ، ووعدني أن يجوبني بالحوض والكوثر ، وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع ، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي ، وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

. فتاوى ابن باز ج ١ ص ١٨٧

قال رسول الله : أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة ، وأنا أول شافع وأول مشفع . انتهى .



الأحاديث المتأثرة بالإسرائيليات في مصادر السنيين

وهي أحاديث تجعل الشفاعة أولاً لإبراهيم ، ثم لموسى ، ثم لعيسى عليه السلام وتجعل

نبينا الشفيع الرابع عليه السلام !!



— روى الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٤٩٦ حديثاً طويلاً عن الدجال ويأجوج ومأجوج وأشراط الساعة والقيامة والشفاعة ، وصححه على شرط الشيخين ، وفيه أمورٌ وتفصيلاتٌ غير معقولة ، جاء فيه :

عن أبي الزعراء قال كنا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فذكر عنده الدجال فقال عبد الله بن مسعود : تفترقون أيها الناس لخروجه على ثلاث فرق ، فرقة تتبعه وفرقة تلحق بأرض آباءها بمنابت الشيخ ، وفرقة تأخذ شط الفرات يقاتلهم ويقاتلونهم حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام ، فيبعثون اليهم طليعة فيهم فارس على فرس أشقر وأبلق قال فيقتلون فلا يرجع منهم بشر

قال : ثم تقوم الساعة على شرار الناس ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه . والصور قرنٌ ، فلا يبقى خلق في السماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربك . . .

قال : ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فينطلق كل نفس إلى جسدها حتى يدخل فيه ثم يقومون فيحيون حياة رجل واحد قياماً لرب العالمين . قال : ثم يتمثل الله تعالى إلى الخلق فيلقاهم فليس أحد يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه ، قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون ؟ قال فيقولون نعبد عزيزاً قال هل يسركم الماء ؟ فيقولون نعم ، إذ يرهبهم جهنم كهيئة السراب ! قال ثم قرأ عبد الله : وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ، قال ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون ؟ فيقولون المسيح ، قال فيقول هل يسركم الماء ؟ قال فيقولون نعم ، قال فيرهبهم جهنم كهيئة السراب ! ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً . قال : ثم قرأ عبد الله : وفقوهم إنهم مسؤولون .

قال : ثم يتمثل الله تعالى للخلق حتى يمر على المسلمين قال فيقول من تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً فيقول من تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً . قال فيقول هل تعرفون ربكم ؟ قال

فيقولون سبحانه إذا اعترف لنا عرفناه! قال فعند ذلك يكشف عن ساقٍ فلا يبقى مؤمن إلا خسر الله ساجداً ، ويبقى المنافقون ظهورهم طبقاتاً واحداً كأنما فيها السفافيد! قال فيقولون : ربنا فيقول قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون .

قال ثم يأمر بالصراف فيضرب على جهنم فيمر الناس كقدر أعمالهم زمراً كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كأسرع البهائم ، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعياً ثم مشياً ، ثم يكون آخرهم رجلاً يتلطف على بطنه !

قال فيقول أي رب لماذا أبطأت بي ؟ فيقول لم أبطء بك ، إنما أبطأ بك عملك .

قال ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فيكون أول شافع روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام ، ثم إبراهيم خليل الله ، ثم موسى ، ثم عيسى عليهما الصلاة والسلام قال : ثم يقوم نبيكم رابعاً ، لا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه ، وهو المقام المحمود الذي ذكره الله تبارك وتعالى : **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا .**

قال فليس من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة أو بيت في النار . . .

قال : ثم يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله .

قال ثم يقول الله : أنا أرحم الراحمين فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته ، قال ثم يقول : أنا أرحم الراحمين ، قال ثم قرأ عبد الله : **مَا سَأَلَكُم فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّوْمِ الدِّينِ ،** قال فعقد عبد الله بيده أربعاً ثم قال : هل ترون في هؤلاء من خير ؟ ما ينزل فيها أحد فيه . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . انتهى .

ورواه البيهقي في البعث والنشور ص ٣٢٦ والديلمي في فردوس الأخبار ج ١ ص ٥٤

وص ٨٠ والنيسابوري في الوسيط ج ٤ ص ٣٨٧ وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ج ١ جزء ٢ ص ١٧٠ . وغيرهم .

أما الهيثمي فقد روى في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣١ حديث أنه ﷺ أول شافع ،



ووصفه لأنه موضوع ، وقال عن بعض طرقه في ج ٨ ص ٢٥٤ (وفيه صالح بن عطاء بن خباب ولم أعرفه وبقيه رجاله ثقات)

ولكنه في نفس الوقت ردّ الحديث الذي صححه الحاكم على شرط الشيخين في ج ١٠ ص ٣٣٠ وقال (رواه الطبراني وهو موقوف ، مخالف للحديث الصحيح وقول النبي : أنا أول شافع) ! فيبدو أنه اطلع على طريق آخر صحيح للحديث ، غير الطريقين اللذين ضعفهما . ولكننا لم نطلع عليه .

البخاري يفضل أنبياء بني إسرائيل على نبينا ﷺ

أما البخاري فقد روى في تاريخه الذي ألفه قبل صحيحه أن نبينا ﷺ هو الشافع الأول ، وتوقف في رواية أنه الشافع الرابع ، لوجود ما يعارضها .
قال في تاريخه ج ٤ ص ٢٨٦ :

عن جابر بن عبد الله : قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا قائد المسلمين ، ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر .
وقال في تاريخه ج ٥ ص ٢٢١ .

عبد الله بن هانيء أبو الزعراء الكوفي سمع ابن مسعود رضي الله عنه سمع منه سلمة بن كهيل يقال عن أبي نعيم إنه الكندي روى عن ابن مسعود رضي الله عنه في الشفاعة : ثم يقوم بكم رابعهم والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أول شافع . ولا يتابع في حديثه . انتهى .

ولكنه في صحيحه لم يرو هذه الرواية ولا غيرها مما ينص على أن نبينا ﷺ أول شافع !

نعم ، روى أن الشفاعة من مختصات نبينا ﷺ دون الأنبياء عليهم السلام :

قال في ج ١ ص ١١٣

جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خمساً لم



يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة . انتهى .

. وروى في ج ٥ ص ٢٢٦

رواية الشفاعة المعروفة في المصادر وأن الأنبياء ﷺ يهابون التقدم للشفاعة للخلق ، ويطلبون من نبينا ﷺ أن يشفع إلى الله تعالى فيتقدم ويشفع . . وهي تدل على أنه ﷺ الشفيع الأول ، قال فيها : إذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ! فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه علي أحد قبلي ، ثم يقال يا محمد إرفع رأسك ، سل تعطه واشفع تشفع . انتهى .

والى هنا يبدو أنه لا مشكلة . .

ولكن البخاري روى في صحيحه ما يعارض ذلك ، ويجعل درجة نبي الله موسى ﷺ في درجة نبينا ﷺ أو أفضل منه ! فقد روى أن النبي ﷺ نهى المسلمين أن يفضلوه على موسى ، وقال إنه عندما يبعث من قبره يجد موسى جالساً عند العرش قبله ! !

. قال البخاري في صحيحه ج ٧ ص ١٩٣

عن أبي هريرة قال : استبَّ رجلان ، رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين ، قال فغضب المسلم عند ذلك فلطم وجه اليهودي ، فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخيروني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان



موسى فيمن صعق فأفاق قبلي؟ أو كان ممن استثنى الله؟! . انتهى .

— ورواه في صحيحه في سبعة مواضع أخرى على الأقل! في ج ٣ ص ٨٩ ، وج ٤ ص ١٢٦ ، وج ٥ ص ١٩٦ ، وج ٦ ص ٣٤ ، وج ٨ ص ٤٨ ، وص ١٧٧ ، وص ١٩٢ ، وهي روايات متفاوتة في دلالتها على تفضيل موسى ، ولكن مجموعها كافٍ في الدلالة عليه ، مهما حاول الشراح تأويلها !

فقد نصت الرواية المذكورة كما رأيت على نهي النبي ﷺ عن تفضيله على موسى ، ووردت هذه العبارة (لا تخيروني على موسى) في رواية البخاري الأخرى ج ٧ ص ١٩٣ وفي ج ٨ ص ١٩٢ وكذا في مسلم ج ٧ ص ١٠١ ، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٤٠٧ ، وأحمد ج ٢ ص ٢٦٤ . وورد في رواية ج ٥ ص ١٩٦ (قال لا تخيروني من بين الأنبياء)

كما نصت على أن موسى ﷺ مستثنى دون نبينا ﷺ من الصعقة التي يقول الله تعالى عنها : **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** . الزمر . ٦٨ ، وهذا امتياز له على جميع الأنبياء ! وروى مثلها في ج ٨ ص ١٩٢ .

. وجاء في ج ٨ ص ١٧٧

(فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش) وزاد في ج ٥ ص ١٩٦ وج ٨ ص ٤٨ (فلا أدري أفاق قبلي ، أم جُزِيَ بصعقة الطور)

. وفي ج ٥ ص ١٩٦

(قال إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة ، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش) وفي رواية أخرى في غير البخاري أن النبي ﷺ أول ما ينفض رأسه من التراب يرى موسى جالسا عند العرش !!

قد يقال : إن رواية البخاري لا تدل على أن موسى أفضل من نبينا ﷺ لأنها تنص على أن استثناءه من الصعقة إنما هو بسبب صعقته في الطور ولا علاقة له بالأفضلية .



والجواب : أن الرواية واردة أساساً في مقام بيان أفضلية موسى ، أو بالأقل عدم أفضلية نبينا عليه ، فهذا هو موضوع الخلاف بين المسلم واليهودي ، وهو موضوع الحديث ، وموضوع النهي المزعوم من النبي ﷺ عن تفضيله على موسى !!

وقد يقال : لو سلمنا أن الرواية تدل على مساواة موسى لنبينا ﷺ أو أفضليته عليه ، فهي لا تدل على أن موسى هو الشفيع الأول .

والجواب : أن مقام الشفاعة الأول إنما أعطي لنبينا ﷺ بسبب أنه أفضل الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً ، فإذا ثبت أن موسى أفضل منه ، فلا يبعد أن يكون هو رئيس المحشر وشفيعه . . الخ .

وقد حاولت بعض الروايات أن تحل المسألة مع الإسرائيليات حلاً سلمياً ، فتجعل الأفضلية لموسى ، وتحفظ بدرجة الشفيع الأول لنبينا ﷺ كالتالي رواها الطبري في تفسيره ج ٢٤ ص ٢٠ قال : عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله قال : أتاني ملكٌ فقال يا محمد اختر نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ، فأومأ اليّ أن تواضع ، قال نبياً عبداً ، قال فأعطيت خصلتين : أن جعلت أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، فأرفع رأسي فأجد موسى آخذاً بالعرش ، فالله أعلم أصعب بعد الصعقة الأولى ، أم لا . انتهى .

ولكنها على أي حال محاولات في مصلحة تصديق الإسرائيليات التي لا نثق بها !

ومن جهة أخرى . . فإن تأويل الروايات الواردة في موسى على نبينا وآله وعليه السلام حتى لو أمكن فهو لا يحل المشكلة ، لأنه توجد في صحاح إخواننا ومصادرهم روايات مشابهة عن كبار أنبياء بني إسرائيل ، فهي تفضلهم على نبينا ﷺ أو تجعلهم في درجته ، فلا بد من معالجتها جميعاً !

ويحاول العلماء السنيون حل المشكلة بالتأويلات والإحتمالات البعيدة ، حتى لا يقعوا في محذور رد الأحاديث الصحيحة أو تكذيب روايتها . . والدخول في هذا البحث يخرجنا عن موضوعنا ، وإن كان من بحوث السيرة المهمة ، لكن نكتفي بذكر نماذج من هذه الأحاديث :

فمنها حديث الحاكم المتقدم الصحيح على شرط الشيخين ، الذي يعطي الشفاعة في الموحدين ليعقوب عليه السلام قبل نبينا ﷺ بحجة أن يعقوب هو الذبيح !!

ومنها حديث البخاري المتقدم في ج ٤ ص ١٣٣ حيث جاء فيه (فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث ، فإذا موسى آخذاً بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور ، أم بعث قبلي . ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى !) ومثله في مسلم ج ٧ ص ١٠٠

. وفي البخاري ج ٤ ص ١٢٥ :

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا ينبغي لعبدي أن يقول أنا خير من يونس بن متى ، ونسبه إلى أبيه .

. وفي ج ٤ ص ١٣٢ :

عن ابن عباس أيضاً ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يقولن أحدكم إني خير من يونس ، زاد مسدد يونس بن متى . ونحوه في ج ٤ ص ١٣٢ وج ٤ ص ١٣٣ وج ٥ ص ١٨٥ وص ١٩٣ بروايتين ، وفي ج ٨ ص ٢١٣

وقد صرحت رواية مسلم ج ٧ ص ١٠٢ بأنه حديث قدسي !! وأنه يشمل كل الناس حتى نبينا ﷺ قال :

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يعني الله تبارك وتعالى : لا ينبغي لعبدي . وقال ابن المثنى لعبدي . أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام) ! وروى نحوه في ص ١٠٣

أما ابن ماجة فقد شدد على الموضوع فروى في ج ٢ ص ١٤٢٨ عن النبي ﷺ أنه قال) ومن قال : أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ! . في الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات .

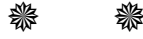
وروى نحوه ما في البخاري أبو داود في سننه ج ٢ ص ٤٠٦ والترمذي ج ١ ص ١١٨ وج ٥

ص ٥١



. وعلل أفضلية يونس في كنز العمال ج ١٢ ص ٤٧٦

فروى عن عدة مصادر ، عن علي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا ينبغي لأحدٍ . وفي لفظ لعبدٍ . أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى ، سبح الله في الظلمات !



أما رواياتهم عن نبي الله داود عليه السلام فقد تكون أكثر صراحةً بتفضيله على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم !

. ففي مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٠٦

عن أبي الدرداء قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر داود صلى الله عليه وسلم قال : كان أعبد البشر . رواه البزار في حديث طويل وإسناده حسن .

. وفي كنز العمال ج ١٢ ص ٤٧٦

عن ابن عساكر ، عن أنس أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا خير الناس ، قال : ذاك إبراهيم ! قال : يا أعبد الناس ، قال : ذاك داود ! ! . وفي ج ٣ ص ٦٧١ (إن أخي داود كان أعبد البشر)

. وفي صحيح البخاري ج ٦ ص ٣١ ونحوه في ج ٤ ص ١٣٥

قال سألت مجاهدًا عن سجدة (سورة) (ص) فقال سألت ابن عباس : من أين سجدت (يعني لماذا) فقال : أو ما تقرأ : ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، فكان داود ممن أمرَ نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به ، فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! !

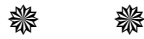


ونفس المشكلة تجدها في رواياتهم عن يحيى عليه السلام ، فقد روى الهندي في كنز العمال ج ١١ ص ٥٢١ عن مسند أحمد وطبقات ابن سعد وغيرهما ، عن ابن عباس : ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ، إلا يحيى بن زكريا ، فإنه لم يهمل بها ولم يعملها (

— وفي كنز العمال ج ١١ ص ٥٢٢ عن ابن عساكر : لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا ، ما همَّ يخطيئة ولا جالت في صدره امرأة .



والنتيجة : أنه لا بد للباحث من القول بأن روايات بني اسرائيل وجدت طريقها الى مصادر إخواننا السنين في عقيدة الشفاعة ، وبقيت ضعيفة في بعض الحالات ، ولكنها في حالاتٍ أخرى صارت الى صفِّ الروايات الإسلامية وبستواها من الصحة . . وأحياناً صارت أقوى منها وحلت محلها ! !



أحسن تصور في مصادر السنين عن شفاعة نبينا ﷺ

— حاول القاضي عياض في كتابه (الشفا) أن يقدم أفضل صورة عن شفاعة النبي ﷺ ولذلك لم يتقيد بروايات الصحاح ، وجمع روايات لم يصححوها ، وجردها من كثير من الإسرائيليات التي تفضل أنبياء بني إسرائيل على نبينا ، كما جرّد بعض رواياتها من تجسيم الاسرائيليات ، وبقي في بعضها ، ولم يجردها من التهم التي تضمنتها لآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ عندما يطلب الناس منهم الشفاعة يوم القيامة فيتكلمون عن خطاياهم وجرائمهم التي لم تغفر ! فجاءت صورة عياض قريبة إلى أحاديث أهل البيت ﷺ ، وكانت أحسن تصور قدمها عالم سني عن شفاعة النبي ﷺ .

وفيما يلي مقتطفات من كلامه من ص ٢١٦ وما بعدها :

— وعن أبي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله : **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا** ، فقال : هي الشفاعة .

— وروى كعب بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم : يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمّتي على تل ، ويكسوني ربي حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن



أقول ، فذلك المقام المحمود .

— وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال : فيمشي حتى يأخذ بخلقة الجنة ، فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده .

— وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لقائم المقام المحمود ، قيل وما هو ؟ قال : ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسیه . . . ! !

— وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير : سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه : قال قلت نعم ، قال : فإنه مقام محمد المحمود ، الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار ، وذكر حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين .

— وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم : يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا . ومن طريق آخر عنه ماج الناس بعضهم في بعض ، وعن أبي هريرة : وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون

— وفي رواية : فآتي تحت العرش فأخر ساجداً ، وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها ، إلا أنه يلهمنيها الله ، وفي رواية : فيفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه علي أحد قبلي . . .

— وفي رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود . . .

— ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر ، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ومعني لواء الحمد يوم القيامة ، وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر ، فآتي فأخذ بخلقة الجنة ، فيقال من هذا ؟ فأقول محمد ، فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى ! فأخر ساجداً . . .



— وفي رواية أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر .

فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها ، من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحاجر ، ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه ، وذلك قبل الحساب ، فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ، ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة ، وهذا الحديث أتقن ، فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة . . .

ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله . وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم . . .

. وفي ص ٢٠٧

أورد القاضي عياض أحاديث في أن نبينا ﷺ هو الشفيع الأول قبل غيره من الأنبياء منها :

أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شفيعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا ، لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ، ويطوف عليّ ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون .

وعن أبي هريرة : وأكسى حلةً من حلال الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري .

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر .

— وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها

فيدخل معي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا سيد الناس يوم القيامة ،

وتدرون لم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين . . وذكر حديث الشفاعة .

— وفي حديث آخر : أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ، ثم

قال إنهما في أمي يوم القيامة ، أما إبراهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلي من

أمتك ، وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علاتٍ أمهاتهم شتى ، وإن عيسى أخي ليس

بيني وبينه نبي ، وأنا أولى الناس به . . .

— قوله أنا سيد الناس يوم القيامة : هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن أشار

صلى الله عليه وسلم لإنفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره ، إذ لجأ الناس إليه في

ذلك فلم يجدوا سواه . والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم ، فكان حينئذ

سيداً منفرداً من بين البشر لم يزاخمه أحد في ذلك ولا ادعاه . انتهى .



والنتيجة أن روايات الشفيع الأول في مصادر السنين متعارضة بشكل لا يمكن

الجمع بينها فلا بد من ترجيح طائفة منها وإسقاط الأخرى ، ولا شك في أن

الأرجحية للطائفة الموافقة لأحاديث أهل البيت عليهم السلام وللعقل ، المخالفة لليهود .



مسألنا : الذبيح وأول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة

يوجد مسألان على الأقل ترتبطان بمسألة الشفيع الأول ، تغلب فيهما الإسرائيليات في مصادر السنين يناسب أن نتعرض لهما باختصار ، خاصة أن شفاعه إسحاق وإبراهيم عليهما السلام وردت في روايتهما :

الأولى منهما في تعيين الذبيح المذكور في القرآن ، وهل هو إسحاق أو إسماعيل ؟

والثانية في أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة ، هل هو إبراهيم أم نبينا صلى الله

عليهما وآلهما !

المسألة الأولى

رأى الشيعة أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام كما سيأتي .

وقالت اليهود إن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل .

قال السيد جعفر مرتضى في (الصحيح) من السيرة ج ٢ ص ٤٧ :

السؤال الذي يلح في طلب الإجابة عليه هو : من أين جاء هذا الأمر الغريب :

أن الذبيح هو إسحاق ؟

والجواب : هو ما قاله ابن كثير وغيره (إنما أخذوه والله أعلم من كعب الأبحار أو

من صحف أهل الكتاب ، وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك

من أجله ظاهر الكتاب .^(١)

فاليهود إذن قد أرادوا ترويح عقيدتهم بين المسلمين ، وتخصيص هذه الفضيلة

بجدهم إسحاق حسب زعمهم . ولكن اليهود أنفسهم قد فاتهم أن التوراة المتدواله

نفسها متناقضة في هذا الأمر ، فإنها في حين تقول (خذ ابنك وحيذك الذي تجبه

إسحاق . وإذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على . . الخ .^(٢) فقد عبرت

هنا بكلمة وحيذك الدالة على أن إسحاق هو أكبر ولد إبراهيم ، ولكنها تعود فتكذب

نفسها وتنص على أن إسحاق لم يكن وحيداً وإنما ولدَ وعمراً إسماعيل أربعة عشر سنة . انتهى .

وقال في هامشه :

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٦١ و ١٥٩ . وراجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨ عن ابن تيمية .

(٢) سفر التكوين : الإصحاح ٢٢ الفقرة ١ . ٣٣ . ولتراجع سائر فقرات الإصحاح أيضاً .

(٣) سفر التكوين الإصحاح ١٦ فقرة ١٥ . ١٦ . نص على أن عمر إبراهيم حين ولادة إسماعيل ٨٦ سنة .

وفي سفر التكوين الإصحاح ١٧ والإصحاح ١٨ نص على أنه ولد له إسماعيل وهو ابن ٩٩ أو مئة سنة . انتهى .

أما السنيون فقد تحيروا تحييراً شديداً في من هو الذبيح ، وروت مصادرهم روايات (صحيحة) متناقضة ! فقد روى الحاكم مثلاً عدة روايات في أن الذبيح المذكور في القرآن هو إسماعيل ، وصحح بعضها على شرط الشيخين !

. قال الحاكم في ج ٢ ص ٤٣٠ .

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل :
وَأَنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ، قال من شيعة نوح إبراهيم على مناجاه وسنته . بلغ معه السعي : شب حتى بلغ سعيه إبراهيم في العمل . فلما أسلما : ما أمرا به .

وتله للجبين : وضع وجهه إلى الأرض فقال لا تذبحي وأنت تنظر عسى أن ترحمي فلا تجهز علي ، إربط يدي إلى رقبتي ثم ضع وجهي على الأرض ، فلما أدخل يده ليذبحه فلم يحرك المديعة حتى نودي : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده ورفع .

قوله فديناه بذبح عظيم : بكبش عظيم متقبل . وزعم ابن عباس أن الذبيح إسماعيل ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . انتهى .

وقال في ج ٢ ص ٥٥٤

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الذبيح إسماعيل . هذا حديث صحيح على



شرط الشيخين ولم يخرجاه . انتهى .

وروى في الصفحة التي بعدها :

عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : المفدى اسمعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود . انتهى .

ثم روى الحاكم عدة روايات في أن الذبيح هو إسحاق ، وأنه هو الذي يشفع للموحدين ! ولم يذكر فيها شيئاً عن شفاعة نبينا ﷺ وصحح بعضها أيضاً على شرط الشيخين ! قال في ج ٢ ص ٥٥٧ عن إحدى رواياته : قال الحاكم : سياقة هذا الحديث من كلام كعب بن ماعة الأحبار ، ولو ظهر فيه سندٌ لحكمتُ بالصحة على شرط الشيخين ، فإن هذا إسنادٌ صحيحٌ لا غبار عليه !

. وقال في ص ٥٥٩

حدثنا إسماعيل بن الفضل بن محمد الشعرائي ، ثنا جدي ، ثنا سنيد بن داود ، ثنا حجاج بن محمد ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال عبد الله قال : الذبيح إسحاق . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وحدثنا محمد بن عمرو الأويسى ، عن أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه قال : لما رأى إبراهيم في المنام أن يذبح إسحاق أخذ بيده . فذكره بطوله . . . قال الحاكم : وقد ذكره الواقدي بأسانيده . وهذا القول عن أبي هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وعمير بن قتادة الليثي ، وعثمان بن عفان ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والله أعلم . وقد كنت أرى مشائخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيها ، وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل ، وقاعدتهم فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الذبيحين ، إذ لا خلاف أنه من ولد إسماعيل ، وأن الذبيح الآخر أبوه الأذن عبد الله بن عبد المطلب . والآن فإني أجد مصنفى هذه الأدلة يختارون قول من قال إنه إسحاق . انتهى .

فقد بين الحاكم أنه يوجد عند السنين اتجاهان في تعيين الذبيح : قول بأنه اسماعيل ، وهو الإتجاه الشعبي عند الناس وعند مشايخ الحديث الأكثر تقديساً للنبي ﷺ واختلاطاً بالناس ، ولم يكن عندهم شكٌ ولا خلافتٌ بأن الذبيح اسماعيل .

وقول بأنه إسحاق ، وهو اتجاه (مصنفي هذه الأدلة) أي مجموعات الأحاديث التي أمرت دولة الخلافة بتصنيفها ، وكانت تكتبها على دفاتر وتبعث بها الى الآفاق ، ومن راجع قصص دفاتر الزهري والعلماء الذين صنفوا الحديث برعاية الدولة ، يعرف أن مقصود الحاكم هؤلاء المصنفين ! ثم أشار الحاكم إلى أن هذه الأحاديث أوجبت عليه أن يتوقف فيما هو مشهور عند مشائخ الحديث ، وأن يميل إلى اتجاه المصنفين ، وأن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل !

ثم أورد رواية عن وهب ابن منبه (اليهودي المقبول في مصاديرهم) تؤكد أن الذبيح إسحاق وأنه هو شفيع الموحدين ! ! قال الحاكم :

عن وهب بن منبه قال : حديث إسحاق حين أمر الله إبراهيم أن يذبحه : وهب الله لإبراهيم إسحاق في الليلة التي فارقتهم الملائكة ، فلما كان ابن سبع أوحى الله إلى إبراهيم أن يذبحه ويجعله قرباناً ، وكان القربان يومئذ يتقبل ويرفع ، فكتم إبراهيم ذلك إسحاق وجميع الناس وأسره إلى خليل له ، فقال العازر الصديق وهو أول من آمن بإبراهيم وقوله ، فقال له الصديق : إن الله لا يبتلي بمثل هذا مثلك ولكنه يريد أن يجربك ويختبرك ، فلا تسوأن بالله ظنك ، فإن الله يجعلك للناس إماماً ولا حول ولا قوة لإبراهيم وإسحاق إلا بالله الرحمن الرحيم . فذكر وهب حديثاً طويلاً إلى أن قال وهب : وبلغني أن رسول الله ﷺ قال : لقد سبق إسحاق الناس إلى دعوة ما سبقها إليه أحد ! ويقومون يوم القيامة فليشفعن لأهل هذه الدعوة ، وأقبل الله على إبراهيم في ذلك المقام فقال :

إسمع مني يا إبراهيم أصدق الصادقين . وقال لإسحاق : إسمع مني يا أصبر الصابرين ، فإني قد ابتليتكما اليوم ببلاءٍ عظيمٍ لم أبتل به أحداً من خلقي ، ابتليتك يا



إبراهيم بالحريق فصبر صبراً لم يصبر مثله أحد من العالمين ، وابتليتك بالجهاد في
 وأنت وحيدٌ وضعيفٌ فصدقت وصبرت صبراً وصدقاً لم يصدق مثله أحد من
 العالمين ، وابتليتك يا إسحاق بالذبح فلم تبخل بنفسك ولم تعظم ذلك في طاعة
 أبيك ، ورأيت ذلك هنيئاً صغيراً في الله كما يرجو من أحسن ثوابه ويسر به حسن لقائه ،
 وإني أعاهدكما اليوم عهداً لا أحسن به : أما أنت يا إبراهيم فقد وجبت لك الجنة عليّ
 فأنت خليلي من بين أهل الأرض دون رجال العالمين ، وهي فضيلة لم ينلها أحد قبلك
 ولا أحد بعدك ، فخرّ إبراهيم ساجداً تعظيماً لما سمع من قول الله متشكراً لله .

وأما أنت يا إسحاق فتمنّ عليّ بما شئت ، وسلني واحتكم ، أوتك سؤالك .

قال : أسألك يا إلهي أن تصطفيني لنفسك ، وأن تشفعني في عبادك الموحدين ،
 فلا يلقاك عبداً لا يشرك بك شيئاً إلا أجرته من النار .

قال له ربه : أوجبت لك ما سألت وضمنت لك ولأبيك ما وعدتكما على نفسي ،
 وعداً لا أخلفه ، وعهداً لا أحسن به ، وعطاء هنيئاً ليس بمردود . انتهى .

والنتيجة أن الحاكم يشهد بأن الروايات القائلة بأن الذبيح اسماعيل صحيحة
 ومشهورة عند مشائخ الحديث وعمامة الناس .

ويشهد أيضاً بأن الروايات القائلة بأن الذبيح إسحاق صحيحة أيضاً عند أهل
 المصنفات ، وهو يرجحها مع أنها مخالفة للمشهور !

لكن يبقى السؤال : من أين جاء هذان الإتجاهان في المسألة !

أما البخاري فقد تهرب في صحيحه من تعيين الذبيح ولكنه اختار في تاريخه أنه
 إسحاق وليس إسماعيل رغم وجود عدة روايات صحيحة على شرطه تقول إنه
 اسماعيل ومن البعيد جداً أنه لم يرها !

. قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٨٢

وأخرج عبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي



حاتم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال : الذبيح إسحاق . انتهى .

بل يمكن القول إن البخاري اختار في صحيحه أيضاً أن الذبيح إسحاق لأن الرواية القيمة التي رواها عن الموضوع اقتطعها وانتقاهها من رواية مجاهد المتقدمة في مستدرک الحاكم ، وقد حذف منها أن الذبيح اسماعيل ! !

. قال البخاري في صحيحه ج ٨ ص ٧٠ .

باب رؤيا إبراهيم وقوله تعالى : **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى** . . . قال مجاهد : أسلما : سلما ما أمرا به ، وتله : وضع وجهه بالأرض . انتهى .

ولا بد أن البخاري لم يرتض رأي مجاهد في أصل هذه الرواية وغيرها بأن الذبيح اسماعيل ، ولذلك حذفه من تفسيره للآيات الذي نقله عنه ! ولكنه لم يشير إلى ما فعل مع الأسف !

ووما يدل على أن رأي مجاهد القاطع بأن الذبيح اسماعيل : ما رواه السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٨٠ قال :

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق مجاهد ويوسف بن ماهك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الذبيح اسماعيل عليه السلام .

— وأخرج عبد بن حميد وابن جرير من طريق يوسف بن مهران وأبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الذبيح اسماعيل عليه السلام .

— وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير قالوا : الذي أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه اسماعيل عليه السلام .

— وأخرج ابن جرير عن الشعبي ومجاهد والحسن ويوسف بن مهران ومحمد بن كعب القرظي مثله . انتهى .

وأما مسلم ، فلم نجد فيه رواية تعين الذبيح ! ولو كان يرى أنه اسماعيل لذكره ،



لوجود روايات عديدة صحيحة على شرطه في ذلك ، ومن البعيد أنه لم يرها ! فلا بد أنه كالبخاري والحاكم رجع أن الذبيح إسحاق .

أما لماذا فعل أصحاب المصنفات والصحاح ذلك ؟

ولماذا أسقطوا الأحاديث الصحيحة بأن الذبيح اسماعيل !

فالجواب : أنهم فعلوه لحاجة في نفس يعقوب !!

والحاجة التي في نفس يعقوب هنا : أن قريشاً تبنت القول بأن الذبيح هو إسحاق حتى لا تضطر إلى الإعتراف بحديث (أنا ابن الذبيحين) لأن هذا الحديث يعطي لعبد المطلب مقاماً شبيهاً بمقام إبراهيم عليه السلام وأنه كان ولياً ملهماً كالأنبياء وأن الله تعالى امتحنه فأمره بذبح أحد أبنائه . . . وإذا اعترفت بذلك ، فإن حق الحكم بعبد النبي يجب أن يكون في ذرية عبد المطلب دون غيرهم من بيوتات قريش وقبائلها !!

فالأفضل للقريشيين في تصورهم أن يقولوا إن عبد المطلب وأبا طالب وكل أسرة النبي الماضين ، كانوا كفاراً وأنهم في النار ، وأن ورثة سلطان النبي صلى الله عليه وسلم هم جيل قريش الذين عاصروه من جميع قبائل قريش الثلاث والعشرين !

ولهذا نجد أن شخص (الخليفة) يتدخل في هذا الموضوع ويصير راوياً ، ويقول إن النبي لم يقل إنه ابن الذبيحين ، ولكن بدوياً فقيراً تقرب إليه بهذه العبارة ، فتبسم لها النبي صلى الله عليه وسلم ! وقد كان تبسمه اشتهاً ورأياً رآه من عنده ولم ينزل عليه به وحي !!

— روى الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٥٥٤ عن : عبد الله بن سعيد الصناجعي قال : حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم اسمعيل وإسحاق بن إبراهيم فقال بعضهم : بل إسحاق الذبيح فقال معاوية : سقطتم على الخير كنا عند رسول الله فأتاه الأعرابي فقال : يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابساً هل لك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين فتبسم رسول الله ولم ينكر عليه !!

فقلنا يا أمير المؤمنين وما الذبيحان قال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر الله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله

فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا : أرض ربك وافد ابنك . قال ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسماعيل الثاني . انتهى .

وفي ظني أن الراوي تصرف في القسم الأخير من كلام معاوية ، لأنه في القسم الأول نفى مسألة الذبيح من أصلها ! ولا بد أن تكون بقية حديث معاوية في نفي الذبيحين بلسان معاوية أو عن لسان النبي ﷺ !

لقد التقت مصلحة القرشيين في هذه المسألة مع مصلحة اليهود ! وكعب الأحرار وجماعته حاضرون لاغتنام هذه الفرصة ، ليثبتوا أن الذبيح اسحاق ، وليس إسماعيل ، وينقضوا على الشفاعة للموحدين فيأخذوها من النبي ﷺ ، ويجعلوها لإسحاق !!

ويتضح عمل كعب في الموضوع من الرواية التالية التي رواها عبد الرزاق في تفسيره ج ٢ ص ١٢٣ عن الزهري عن القاسم بن محمد في قوله : إني أرى في المنام أني أذبحك ، قال : اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة يحدث كعباً عن النبي (ص) وجعل كعب يحدث أبا هريرة عن الكتب !! فقال : أبو هريرة قال النبي (ص) : إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فقال له كعب : أنت سمعت هذا من رسول الله ! قال نعم .

قال كعب : فداه أبي وأمي أفلا أخبرك عن إبراهيم إنه لما رأى ذبح ابنه إسحاق قال الشيطان : إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهما أبدا فخرج إبراهيم بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال : أين ذهب إبراهيم بابنك قالت : غدا به لبعض حاجته فقال : إنه لم يغد به لحاجة إنما ذهب ليذبحه . قالت : ولم يذبحه ! قال : يزعم أن ربه أمره بذلك ! قالت : فقد أحسن أن يطيع ربه في ذلك فخرج الشيطان في أثرهما فقال للغلام أين يذهب بك أبوك قال لحاجته قال إنما يذهب بك ليذبحك ! قال لم يذبحني قال يزعم أن ربه أمره بذلك ! قال والله لعن كان أمره بذلك ليفعلن .

قال فتركه ولحق بإبراهيم فقال : أين غدوت بابتك فقال لحاجة قال : فإنك لم تغد به حاجة إنما غدوت لتذبحه ! قال ولم أذبحه قال تزعم أن ربك أمرك بذلك ! قال : فوالله لئن كان أمرني بذلك لأفعلن . قال : فتركه ويئس أن يطاع . انتهى .

. وروى الطبري في تاريخه ج ١ ص ١٨٧

رواية معاوية وعدة روايات عن كعب الأحمري في أن الذبيح إسحاق ، ومنها رواية عبد الرزاق بألفاظ مشابهة وزاد فيها : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله وفداه بذبح عظيم قال إبراهيم لإسحاق قم أي بني فإن الله قد أعفأك فأوحى الله إلى إسحاق إني أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق : اللهم فإني أدعوك أن تستجيب لي بما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة . انتهى .

وبذلك يقول لنا كعب : إن الذبيح هو إسحاق جد اليهود وليس جد العرب ، ثم إنكم تزعمون أن محمداً يشفع في الموحدنين ، وقد سبقه إلى ذلك إسحاق فلم يبق معنى لشفاعة نبيكم !

. وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٢٨٢

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن كعب رضي الله عنه أنه قال لأبي هريرة : ألا أحبرك عن إسحاق قال بلى قال : لما رأى إبراهيم أن يذبح إسحاق . . . وذكر شفاعة إسحاق للموحدنين بنحو رواية الطبري المتقدمة !

. وقال ابن خلدون في تاريخه ج ٢ ص ٣٨

واختلف في ذلك الذبيح من ولديه ، فقيل اسمعيل وقيل إسحاق وذهب إلى كلا القولين جماعة من الصحابة والتابعين فالقول باسمعيل لابن عباس وابن عمر والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي وقد يحتجون له بقوله صلى الله

عليه وسلم : أنا ابن الذبيحين ولا تقوى الحجة به لأن عم الرجل قد يجعل أباه بضرب من التجوز لا سيما في مثل هذا الفخر !!

ويحتجون أيضاً بقوله تعالى : **فَبَشِّرْ نَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ولو كان ذبيحاً في زمن الصبا لم تصح البشارة بابن يكون له لأن الذبيح في الصبا ينافي وجود الولد ولا تقوم من ذلك حجة لأن البشارة إنما وقعت على وفق العلم بأنه لا يذبح وإنما كان ابتلاء لإبراهيم .

والقول بإسحاق للعباس وعمر وعلي وابن مسعود وكعب الأحرار وزيد بن أسلم ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والزهري ومكحول والسدي وقادة . انتهى .

وينبغي الإلتفات هنا إلى أن أصل القول بأن الذبيح إسحاق من شخصين حسب رواية ابن خلدون وغيره :

الأول : الخليفة عمر مؤسس الخلافة القرشية وصاحب مشروع عزل بني هاشم عن الخلافة .

والثاني : كعب الأحرار حامل راية الثقافة الإسرائيلية .

وقد ذكر الرواة المؤيدون للخلافة القرشية اسم علي والعباس ، ورووا عنهما أن الذبيح إسحاق لأنهما من أولاد عبد المطلب ، ومن المناسب الاحتجاج بشهادتهما لسلب هذه المنقبة العظيمة عن عبد المطلب ، التي تجعله بنص الرسول ﷺ إبراهيم الثاني !

ويظهر أن قريشاً وكعباً لم يستطيعوا إقناع جمهور المسلمين بمقولاتهم المخالفة لظاهر القرآن ، ولا إسكات بني هاشم ومنهم ابن عباس بأن الذبيح هو إسحاق ، وإن رووا ذلك عنهم ، فقد بقي عوام المسلمين مع ظاهر القرآن وفطرتهم ، وبقيت روايات أهل البيت الصريحة ، وروايات ابن عباس التي تقدمت في مستدرك الحاكم ج

٢ ص ٥٥٥ : قال : المفدى إسماعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود . انتهى .
بقي كل ذلك يتحدى رواة الخلافة القرشية واسرائيلياتها !

رأي أهل البيت عليهم السلام

تؤكد مصادر أهل البيت عليهم السلام أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وقد قوى العلماء رواياته
وضعفوا رواية أن الذبيح إسحاق حتى صار ذلك من مختصات مذهبنا . . ففي تفسير
القمي ج ٢ ص ٢٢٦ : قال : وحدثنى أبي عن صفوان بن يحيى وحماد عن عبد الله بن
المغيرة عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألتناه عن صاحب الذبح فقال :
اسماعيل . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنا ابن الذبيحين يعني اسماعيل وعبد
الله بن عبد المطلب .

. وفي تفسير التبيان ج ٨ ص ٥١٧

واختلفوا في الذبيح فقال ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي
وسعيد بن المسيب والحسن في إحدى الروايتين عنه والشعبي : إنه كان إسماعيل
وهو الظاهر في روايات أصحابنا ويقويه قوله بعد هذه القصة وتامها : وبشرناه
بإسحاق نبياً من الصالحين فدل على أن الذبيح كان اسماعيل . ومن قال : إنه بشر
بنبوة إسحاق دون مولده فقد ترك الظاهر لأن الظاهر يقتضي البشارة بإسحاق دون
نبوته .

ويدل أيضاً عليه قوله : **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ولم يذكر
اسماعيل . فدل على أنه كان مولوداً قبله .

وأيضاً فإنه بشره بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب فكيف يأمره بذبحه مع ذلك ؟
وأجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل إن يعقوب يكون من ولد إسحاق .

وقالوا أيضاً يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب . والأول هو الأقوى
على ما بيناه . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنا ابن الذبيحين ولا خلاف أنه كان من
ولد اسماعيل والذبيح الآخر عبد الله أبوه . انتهى .

. وفي تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٤٢١

في أمالي شيخ الطائفة عليه السلام بإسناده إلى سليمان بن يزيد قال : حدثنا علي بن موسى قال : حدثني أبي عن أبيه عن أبي جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : الذبيح اسماعيل عليه السلام .

وفي مهج الدعوات في دعاء مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم : يا من فدى اسماعيل من الذبح .

. وفي مستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٩٨

وفي العيون : عن أحمد بن الحسن القطان عن أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي عن علي بن حسن بن فضال عن أبيه قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الذبيحين قال : يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وعبد الله بن عبد المطلب . . . إلى أن قال : وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلق بملقة باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة قال : قد وفى الله تعالى لي فلا فئس الله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله . . . الخبر .

— ابن شهر آشوب في المناقب : تصور لعبد المطلب أن ذبح الولد أفضل قرينة لما علم من حال اسماعيل فنذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكوراً أن ينحس أحدهم في الكعبة شكراً لربه فلما وجدهم عشرة قال لهم : يا بني ما تقولون في نذري فقالوا : الأمر إليك ونحن بين يديك . . . الخبر . انتهى .

بحث في إيمان عبد المطلب ورواية أنا ابن الذبيحين

نظراً لأهمية هذه المسألة وارتباطها بشفاعة النبي وشخصية أبيه وجده صلى الله عليه وسلم . . . نستعرضها بشكل موجز ، ونبين ظلامه عبد المطلب في مصادر السنين :

فقد روت مصادرهم بأسانيد صحيحة عن لسان أصدق الصادقين الناطق بإلهام



رب العالمين ﷺ ، نقاطاً ملفتة في مدح عبد المطلب ، توجب الإعتقاد بأن شخصيته شخصية رباية ، وتوجب رفض الروايات التي تعارضها وتنهمه بالشرك وعبادة الأصنام !

فمن هذه الأحاديث :

أنه عندما انهزم المسلمون في حنين وتركوا نبيهم ﷺ بين سهام الكفار ورماحهم وسيوفهم في أشد ظروف الخطر ، ولم يبق معه إلا الملائكة وعلي وبعض بني هاشم ترجل ﷺ للحرب وافتخر على الكفار بأمرين : نبوته ، وأنه ابن عبد المطلب وباهاهم بذلك بين يدي الله تعالى وقتلهم !

والنبي العادي لا يفتخر بجده وآبائه إذا كانوا كفاراً ، فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين وأتقى الموحدين ﷺ !

. قال البخاري في صحيحه ج ٥ ص ٩٨

عن أبي إسحاق قال سمعت البراء وجاءه رجل فقال : يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين ! فقال أما أنا فأشهد على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتم هوازن وأبو سفيان بن الحرث (بن عبد المطلب) آخذ برأس بغلته البيضاء (وهو) يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

. وقال البخاري في ج ٣ ص ٢٢٠

قال : لا والله ما ولي النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن ولي سرعان الناس ، فلقيهم هوازن بالنبل ، والنبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان بن الحرث آخذ بلجامها ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

. وقال في ج ٤ ص ٢٨

. . . فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
قال : فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه ! ورواه مسلم في ج ٥ ص ١٦٨ و ١٦٩

. وقال البخاري في صحيحه ج ٤ ص ١٦١

باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية . وقال ابن عمرو وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الكريم ابن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله . وقال البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب .

ومن هذه الأحاديث :

ما دل أن الله تعالى جعل في شريعته الخالدة مالية خاصة لأبناء عبد المطلب إلى يوم القيامة ، فحرم عليهم الصدقات لأنها أوساخ الناس ، وجعل لهم بدلها الخمس . وإن شخصاً يكون في ذريته أبرار وأخيار بهذا المستوى إلى يوم القيامة ، يستبعد أن يكون مشركاً عابداً للأصنام !

. قال النسائي في سننه ج ٧ ص ١٣٤

عن مجاهد قال الخمس الذي لله وللرسول كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقربته لا يأكلون من الصدقة شيئاً . . . قال الله جل ثناؤه : **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ .**

. وقال أبو داود في سننه ج ٢ ص ٢٦

حدثنا حسين بن علي العجلي ، ثنا وكيع ، عن الحسن بن صالح ، عن السدي ، في ذي القربى قال : هم بنو عبد المطلب .

. وقال النسائي ج ٥ ص ١٠٥

باب استعمال آل النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة . . . أخبرنا عمرو بن سواد بن الأسود بن عمرو عن ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب عن عبد الله بن الحرث بن نوفل الهاشمي أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب أخبره أن أباه ربيعة بن الحرث قال لعبد المطلب بن ربيعة بن الحرث والفضل بن العباس بن عبد المطلب اثنتا عشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولا له استعمالنا يا



رسول الله على الصدقات ، فأتى علي بن أبي طالب ونحن على تلك الحال فقال لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعمل منكم أحداً على الصدقة ، قال عبد المطلب : فانطلقت أنا والفضل حتى أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لنا : إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس ، وإنما لا تحل لمحمد ولا لآل محمد !

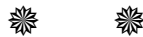
. وفي صحيح مسلم ج ٣ ص ١١٨

عن النبي ﷺ قال : إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس . . . وقال أيضاً : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدعوا لي محمية بن جزء ، وهو رجل من بني أسد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمله على الأحماس . انتهى .

ونحوه في سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨ ومسند أحمد ج ٤ ص ١٦٦ والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٣١ . وشبهه في ج ٦ ص ٣٣٨

وروى إحدى رواياته الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٤٨٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وروى نحوه في كنز العمال ج ٦ ص ٤٥٨ بعدة روايات .

ومعنى قوله ادعوا لي محمية : أدعوا لي المسؤول عن الأحماس التي هي شرعاً لبني عبد المطلب ، حتى أعطي هؤلاء منها . وهو يدل على أن النبي ﷺ نفذ في حياته الحكم الشرعي في الخمس ، وجعل له مسؤولاً هو محمية بن جزء ، ولكن ذلك انتهى بوفاته ، ولم يبق له أثر عند خلفاء قريش !



وقد يشكل على هذا التشريع الإسلامي : بأنه قد أسس الطبقة في المجتمع الإسلامي ، وجعل أسرة النبي ﷺ من بني هاشم وعبد المطلب ، أسرة مميزة اجتماعياً ومالياً ، بل ومرتفعة على غيرها ، فهي لا تأكل من أموال بيت المال التي تتجمع من الزكوات والضرائب لأنها أوساخ الناس ، بل لها ماليتها الخاصة في موارد الدولة .

وقد اختلف الفقهاء في موارد مالية بني عبد المطلب هذه ، فحصرها فقهاء الخلافة القرشية بغنائم الحرب وجعلوا خمسها لذوي قرى النبي من بني هاشم . . وعممها فقهاء الشيعة لكل ما يغنم في الحرب والكسب ، مما زاد على مصارف المسلم السنوية . . فقد يقال إن هذه الأموال تشكل ميزانية دولة ، فكيف يجعلها الله تعالى لاسرة النبي ﷺ ! ؟

والجواب : أولاً ، أن الخمس ليس لأغنياء بني هاشم ، بل هو مختص بفقرائهم المؤمنين .

وثانياً ، إن الإهتمام بالفقراء من أسر الأنبياء والنابعين أمر حضاري ، فلو أن مجلس العموم البريطاني مثلاً أقرَّ قانوناً بإعطاء أبناء آينشتاين من أموال الدولة ما يكفي لمعيشة فقراءهم ، بسبب أنهم من ذرية عالم نابغ ، ويؤمل أن ينبغ منهم آخرون . . لرأى فيه المعتضون على الخمس الإسلامي عملاً عصبياً صحيحاً ، واهتماماً جيداً من دولة متحضرة !

فما هو الإشكال في أن تهتم الشريعة الخاتمة بذرية سيد الأنبياء وأسرته ﷺ وتجعل لهم ميزانية من أزكى الموارد ، لمن كان منهم مؤمناً محتاجاً .

وثالثاً ، إن الذي يشكل على تشريع الخمس لآل النبي ﷺ عليه أن يرجع إلى القرآن ليرى ما هو أعظم من الخمس ، فإن نبينا ﷺ هو الوحيد من بين الأنبياء الذي أوجب الله تعالى على أمته إعطاءه أجراً على تبليغ الرسالة ، وجعل هذا الاجر : مودة آله فقال (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) ولذا أفتى كل فقهاء المذاهب بنفاق الناصبي الذي يكره آل النبي ﷺ ، وأفتى بعضهم بكفره !**

إن المتأمل في آيات القرآن وتاريخ الأديان ، لا مفر له من القول بأن الله تعالى من الأصل قد اختار الأنبياء وأسره لتبليغ الدين الإلهي ، وإقامة الحكم به في المجتمعات البشرية . فالأسرة المختارة أساساً في نظام الدين الإلهي ، ولكنها أسرة



مصطفاة من الله العليم بشخصيات عباده ، الحكيم في اختيار أنبيائه وأوليائه . . لا كالأسر التي يختارها الناس بأهوائهم ، أو بعلمهم المحدود ، أو الأسر التي تتسلط بالقوة وتفرض نفسها على الناس !

قال الله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ .**

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ آل عمران ٣٣ . ٣٤

. وقال عن جمهرة أسر الأنبياء :

— وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم .

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون .

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا

قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ . الأنعام . ٨٣ . ٨٩

. وقال عن دعاء زكريا بالذرية الطيبة :

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

آل عمران . ٣٨

. وقال عن ذرية نبينا ﷺ وكثرتهم :

وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ

اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ



لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ . الرعد ٣٧ . ٣٨

. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . الكوثر ١ . ٣

. وقال عن دعاء الملائكة للذريات المؤمنة :

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . غافر ٧ . ٩

. وقال عن نظام الذرية والأسر في الآخرة أيضاً :

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَاطَانِيَةً
وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . الرعد ٢٢ . ٢٤

— مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُورٍ مَصْفُوفَةٍ وَرَوَّجْنَا لَهُمُ بُحُورٍ عَيْنٍ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ
بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ .
الطور ٢٠ . ٢١ انتهى .

فنظام الأسرة والذرية نظام طبيعي في بني آدم ، وقد أقره الله تعالى واستفاد منه
في الدين الإلهي .

وإذا كانت البشرية قد عانت الويلات والمآسي وأنواع الظلم والإضطهاد من نظام
الأسر الفاسدة المتجبرة . . فإن ذلك يرجع إلى فساد تلك الأسر ولا يصح أن يكون
سبباً لرفض بنية الأسرة وفكرتها . . فهذه البنية تختزن إيجابيات كبرى لحمل الرسالة
واستمرارها كما أن فيها خطر سلبيات كبرى أيضاً وأن تتحول إلى ملك عضوض . .



وقد تحدث القرآن عن الأجيال التي فسدت من أسر الأنبياء وأتباعهم فقال تعالى :

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنِ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا . فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا .

مریم ٦٠ . ٥٨

لكن عندما يختار الله تعالى أسرة كأسرة نبينا ﷺ وبصطفيتها فليس معناه أنه يختار كل أفرادها على علاقتهم بل معناه أنه يختارها بصورة عامة بسبب علمه بأنه سيوجد منها أفراد معصومون يختارهم لهداية الأمة وقيادتها .

ولو فكرت فيما نقلته الصحاح من قول النبي ﷺ في حديث الثقلين (ولقد أخبرني اللطيف الخبير أنهم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) لما وجدت له معنى إلا أن الله تعالى أخبر نبيه بأنه سيكون من عترته شخص معصوم يواصل خط نبوته في كل عصر إلى يوم القيامة ! فالاختيار لبني عبد المطلب كلياً عام لأنهم معدن النبي ﷺ ومعدن الأئمة من عترته ﷺ ولأنهم الأفضل بالمقايسة مع غيرهم من الأسر ، فهي أقلهم سلبيات وأكثرهم إيجابيات . . وهو اختيار ترافقه تشريعات حازمة شرعها الله تعالى بشأنهم تتلخص بما يلي :

. أن المودة والإحترام لجميع بني هاشم ، بشرط الإسلام والإيمان .

. أن الخمس لفقرائهم المؤمنين بمقدار كفايتهم وتمشية أمور معيشتهم .

— أن وجوب الإطاعة فقط لأولي الأمر المعصومين منهم ﷺ الذين هم الأئمة

الإثنا عشر لا غير . . وقد تقدم في الفصل الثامن تفسير آية المصطفين الذين أورثهم

الله الكتاب بعد نبينا ﷺ ، وأنهم محصرون في ذرية فاطمة الزهراء ﷺ ، وأن

الصالحين منهم ثلاثة أنواع : سابق بالخيرات وهم الأئمة ﷺ ومقتصد وظالم لنفسه .



ومن الأمور الطريفة أن الذين ينتقدون الشيعة لتمسكهم بمودة أهل البيت وولايتهم عليهم السلام ويقولون إن مذهب التشيع مذهب أسري ، ينسون أنهم أسريون أكثر منا ! فنحن نعتقد أن الخلافة في هذه الأمة إلى يوم القيامة مخصوصة في ذرية النبي عملاً بنصه صلى الله عليه وآله . . بينما هم يقولون إن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على أحد ، وبعضهم يقول إنه على أن الخلافة في قريش إلى يوم القيامة ، لأنهم قبيلة النبي صلى الله عليه وآله .

فنحن أسريون بالنص ، وهم قبليون بغير نص ، أو بنص !

ونطاق ولائنا نحن لبني هاشم وعبد المطلب بصورة عامة ، ولائنا عشري إماماً منهم بصورة خاصة . . بينما نطاق ولائهم لبضع وعشرين قبيلة ، هم مجموعة قبائل قريش ، ومنهم أئمة الشرك ، والكفر ، والنفاق !

وقد روينا ورووا أن علياً عليه السلام بعد أن فرغ من مراسم تغسيل النبي والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وآله بلغه أن بعض زعماء قريش ذهبوا إلى السقيفة حيث كان رئيس الأنصار مريضاً ، واحتجوا على الأنصار بأنهم قوم النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته وأولى منهم بسلطانه ! فقال علي عليه السلام فيما قال : احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة ! !

وغرضنا هنا أن نوضح أن جميع المسلمين ما عدا من شذ قد أجمعوا على أن نظام الحكم في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله إما أن يكون أسرياً مخصوصاً بعترته صلى الله عليه وآله ، أو قبلياً مخصوصاً بقبائل قريش الثلاث والعشرين أو الخمس والعشرين .

فنحن نقول إنه نظام أسري بالنص واختيار الله تعالى كما قال (**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**) ، والسنة يقولون إنه نظام قبلي باختيار الناس لكن من داخل قريش ، ولا يجب أن يكون الحاكم عندهم من أسرة النبي صلى الله عليه وآله ، بل لعله يستحبون أن يكون من غيرها !

ومن الأحاديث والنصوص الدالة على إيمان عبد المطلب :

ما ثبت في الحديث والتاريخ من كرامات بل معجزات لعبد المطلب ، في حملة أبرهة لهدم الكعبة تدل على توحيده وإيمانه ويقينه ، وعلى أنه كان يعرف أن الله

تعالى سيرسل عليهم طيراً أبابيل ، وكان يرسل بعض أولاده إلى الجبل لينظروا هل جاء سرب الطيور من قبل البحر !

وروا كذلك مخاطبته للفيصل وجواب الفيصل له بالإشارة بأنه لن يدخل إلى محيط الكعبة . . . إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولي مقرب !

ومن هذه الأحاديث والنصوص :

ما دل على الكرامة التي أكرمها الله بها بأن أعاد نبع زمزم على يده وما رافق ذلك من آيات فقد كان الله تعالى أكرم بهذا النبع جده اسماعيل وأمه هاجر ثم نضب وعفي على مر الزمن حتى أعاده الله تعالى على يد عبد المطلب عن طريق الرؤيا الصادقة التي لا تكون إلا للأنبياء والأوصياء وكبار الأولياء .

ومن هذه الأحاديث والنصوص :

ما دل على معرفته بنبوة حفيده ﷺ ، واهتمامه الخاص به ورعايته المميّزة له في طفولته وصباه ، وتوصيته به إلى أرشد أبنائه أبي طالب ، وإخباره إياه بأمره . . . إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون ، مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولي مقرب !

ومن هذه الأحاديث والنصوص :

ما دل على المكانة الدينية التي كانت لعبد المطلب في قلوب قبائل العرب وجماهيرها والتي لم يكن لأحد مثلها حتى لرؤساء قبائلهم . . . كل ذلك مع حسد قريش له وعمل رؤسائها للحط من مكانته خاصة بنو عبد الدار أصحاب لواء قريش الذين قادوا معركة بدر وبنو المغيرة الذين كان يرأسهم أبو جهل وبنو أمية الذين كان يرأسهم صخر .

وقد نصت مصادر التاريخ على هذه المكانة وأن طابعها كان تقديساً دينياً غير وثني بل مرتبطاً بالكعبة وزمزم وإسماعيل وإبراهيم عليه السلام . ويلاحظ ذلك من مواقف



عقلاء العرب وأصحاب الأذهان الحرة منهم واحترامهم للنبي ﷺ باعتباره ابن عبد المطلب لأن عبد المطلب عندهم وارث أجداد اسماعيل وإبراهيم وبركتهما !

. روى النسائي في سننه ج ٤ ص ١٢٤

عن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه (إذ) جاء رجل من أهل البادية قال : أيكم ابن عبد المطلب

قالوا : هذا الامغر المرتفق . قال حمزة : الأمغر الأبيض مشرب حمرة .

فقال : إني سائلك فمشتد عليك في المسألة .

قال : سل عما بدا لك .

قال : أسألك بربك ورب من قبلك ورب من بعدك الله أرسلك .

قال : اللهم نعم .

قال : فأنشدك به الله أمرك أن تصلي خمس صلوات في كل يوم وليلة .

قال : اللهم نعم .

قال : فأنشدك به الله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا .

قال : اللهم نعم .

قال : فأنشدك به الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من إثني عشر شهراً .

قال : اللهم نعم .

قال : فأنشدك به الله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلاً .

قال : اللهم نعم .

فقال : فإني آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة . انتهى .

ورواه البخاري مختصراً في صحيحه ج ١ ص ٢٣ وأبو داود في سننه ج ١ ص ١١٧ . ١١٨ .

ويفهم من هذا النص أن لعبد المطلب وأولاده مكانة خاصة في قلوب المتفكرين من العرب . .

بل يشير النص التالي في صحيح البخاري إلى أن أولاد بني عبد المطلب لهم



مميزات نورانية خاصة . ففي ج ٥ ص ١٤٠ : أن علي بن أبي طالب عليه السلام خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت . . . ! ورواه البخاري أيضاً في ج ٧ ص ١٣٦

ومن هذه الأحاديث والنصوص :

ما دل على العاطفة النبوية الجياشة التي كانت تفيض من قلب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على بني هاشم وبني عبد المطلب وذريتهما وأحاديث ذلك كثيرة صحيحة مليئة بالدلالات لمن تأملها ووجد ذهنه عن ستار التلقين القرشي ضد عبد المطلب .

قال البخاري في صحيحه ج ٢ ص ٢٠٤

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه . . . ورواه في ج ٧ ص ٦٧

فهل كانت هذه العاطفة النبوية والحفاوة الحمديّة بأطفال كافرين ! أم بأطفال أبائهم طلقاء أسلموا لتوهم تحت السيف !

كلا بل كانت عاطفة على غصون شجرة مباركة يحملون إرث أجدادهم الأنبياء والأوصياء ، ولم يظهر منهم إلى الآن انحراف عنها !!

وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعمد في حجة الوداع أن يوعى الأمة على ظلم قريش للنبوة ، ولكل بني هاشم وعبد المطلب !

. قال البخاري في ج ٢ ص ١٥٨

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من الغد يوم النحر وهو



بمضى : نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر . يعني بذلك المحصب ، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب أو بني المطلب ، أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم . انتهى .

ثم لاحظ ذلك التعبير النبوي المليء بالعاطفة والحنان والإيمان بنوعيته أبناء عبد المطلب المميزة حيث قال ﷺ كما حديث الكافي الآتي (فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أتروني مؤثراً عليكم غيركم !) .

. ويؤيده ما رواه ابن شبة في تاريخ المدينة ج ٢ ص ٢٦٤ قال :

حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء العباس ﷺ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يبلغوا الخير أو قال الإيمان حتى يجرؤكم الله ولقرايتي أيرجو سؤلهم شفاعتي عن مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتي انتهى . وروى نحوه غيره .

ومن هذه الأحاديث :

ما دل على أن أولاده سادة أهل الجنة هم بنو عبد المطلب السبعة من بني عبد المطلب ! فقد روى ابن ماجة في سننه ج ٢ ص ١٣٦٨ : حدثنا هدية بن عبد الوهاب ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد اليمامي عن عكرمة بن عمار عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة : أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي . انتهى . وهو حديث صحيح عند إخواننا السنة وقد أوردنا مصادره وطرقه العديدة في معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ فزادت على مئة مصدر . وضح العديد منها علماء الجرح والتعديل .



إن المجموعة الواحدة من هذه النصوص تكفي الباحث السوي الذهن ، لأن يعيد النظر في الأحكام التي أصدرتها الخلافة القرشية وفقهاؤها على عبد المطلب . . ! فكيف بهذه المجموعات الثمانية مجتمعة ، ومثلها معها !

وإذا انهار البناء القرشي ضد عبد المطلب ، انهارت الجدران القرشية الأخرى وانكشفت محاصرهم الجديدة لبني هاشم وبني عبد المطلب . . التي أحكموها أكثر من محاصرهم لهم في شعب أبطالب ، لأنهم فعلوها هذه المرة باسم الإسلام فطالت قروناً ، وعمت أجيالاً ، إلا من رحم ربك من أصحاب البصائر !

عبد المطلب عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك

اتفقت أحاديث أهل البيت عليهم السلام على أن عبد المطلب رضوان الله عليه مؤمن بالله الواحد الأحد على ملة جده إبراهيم ولي من أولياء الله ملهم بواسطة الملائكة والرؤية الصادقة . . بل يحتمل الناظر في هذه الأحاديث أن عبد المطلب كان من الأنبياء وأنه كان مأموراً أن يعبد ربه على دين إبراهيم ويأمر أولاده بذلك .

. وقد روت ذلك مصادرنا وبعض مصادر السنين قال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ٩٨ :

وأخرج ابن أبي عمير العديني في مسنده والبخاري وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن مجاهد في قوله : وتقلبك في الساجدين قال : من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبياً . انتهى .

. قال المجلسي في بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٥٥

روي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك .

. وروى الكليني في الكافي ج ٤ ص ٥٨

عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان بن يحيى عن عيص بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام قال :



إن أناساً من بني هاشم أتوا رسول الله ﷺ فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي وقالوا : يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم ولكني قد وعدت الشفاعة . ثم قال أبو عبد الله ﷺ : والله لقد وعدتها . فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بملقة باب الجنة أتروني مؤثراً عليكم غيركم !

ثم قال : إن الجن والإنس يجلسون يوم القيمة في صعيد واحد فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون : إلى من فيأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة فيقول : هيهات قد رفعت حاجتي فيقولون إلى من فيقال : إلى إبراهيم فيأتون إلى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول : هيهات قد رفعت حاجتي فيقولون إلى من فيقال : إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول : هيهات قد رفعت حاجتي فيقولون : إلى من فيقال : إيتوا عيسى فيأتونه ويسألونه الشفاعة فيقول : هيهات قد رفعت حاجتي فيقولون : إلى من فيقال إيتوا محمداً فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتي باب الجنة فيأخذ بملقة الباب ثم يقرعه فيقال : من هذا ؟ فيقول : أحمد فيرحبون ويفتحون الباب فإذا نظر إلى الجنة خر ساجداً بمجد ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول : إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً وبمجد ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول : إرفع رأسك وسل تعط وأشفع تشفع فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه .

ورواه في تهذيب الأحكام ج ٤ ص ٥٨ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٩٣ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٣٥ ووسائل الشيعة ج ٦ ص ١٨٥ ومستدرک الوسائل ج ٧ ص ١١٩ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٢١٠

هذا وقد تكفلت مصادر الحديث والتفسير عندنا بإثبات إيمان عبد المطلب وجميع آباء النبي ﷺ ، وقد وافقنا على ذلك عدد من العلماء السنين منهم السيوطي والفخر الرازي والشعراني . . وغيرهم .



آراء شيعة مخالفة للمشهور في الذبيحين

رأي الشيخ الصدوق بأن إسحاق ذبيح أيضاً !

— من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٣٠ : وسئل الصادق عليه السلام عن الذبيح من كان فقال :
إسماعيل عليه السلام لأن الله عز وجل ذكر قصته في كتابه ثم قال : وبشرناه بإسحاق نبياً من
الصالحين .

وقد اختلفت الروايات في الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسماعيل ومنها ما ورد بأنه
إسحاق ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيح إسماعيل لكن إسحاق
لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي امر أبوه بذبحه وكان يصبر لأمر الله عز
وجل ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب فعلم الله عز
وجل ذلك من قبله فسماه بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه لذلك وقد ذكرت إسناد ذلك في
كتاب النبوة متصلاً بالصادق عليه السلام . انتهى .

. وقال الجزائري في هامش تفسير القمي ج ١ ص ٣٥١

قال جدي السيد الجزائري رحمته الله في قصص الأنبياء : اختلف علماء الإسلام في
تعيين الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فذهبت الطائفة المحقة من أصحابنا
وجماعة من العامة إلى أنه إسماعيل والأخبار الصحيحة دالة عليه مع دلالة غيرها من
الآيات ودلائل العقل . وذهبت طائفة من الجمهور إلى أنه إسحاق وبه أخبار واردة
من الطرفين وطريق تأويلها إما أن تحمل على التقية وأما حملها على ما قاله الصدوق
صار ذبيحاً بالنية والتمني . . . حمل عليه السلام قول النبي ﷺ (أنا ابن الذبيحين) على ذلك .

أقول : إن بعض الروايات المعتبرة كرواية هذا التفسير وغيره آتية عن الحمل فإنها
مصرحة بذبح إسحاق حقيقة لا مجازاً وفداه بكبش فعلياً لا مجال إلى ما ذهب إليه
الصدوق عليه السلام من الحمل فإما أن تحمل هذه الروايات كما قال جدي عليه السلام على التقية أو
على تعدد الواقعة . انتهى .



ملاحظة : إن الشيخ الصدوق عليه السلام صحت عنده رواية أن الذبيح هو إسماعيل ورواية أنه إسحاق بالجواز وصحت عنده رواية نذر عبد المطلب ذبح ولده عبد الله وقول النبي ﷺ (أنا ابن الذبيحين) ففسره بأنه ابن الذبيحين من وجهين : أي من جهة عبد الله وإسماعيل ومن جهة إسماعيل وإسحاق . وقد صرح بذلك في آخر كلامه في الخصال . ولكن كلامه جاء متداخلاً فالتبس الأمر على الجزائري وعلى الغفاري وتصوراً أنه يفسره بالوجه الثاني فقط ويرفض الوجه الأول !

وروايته التي استند عليها في أن إسحاق ذبيح مجازي رواية عامية من نوع روايات معاصره الحاكم النيسابوري . ولو صحت لتعين ترجيح الموافق لمذهب أهل البيت عليهم السلام على الموافق لليهود والنواصب . أو حملها كما ذكر السيد الجزائري على التقية من الحكام خاصة أن المسألة كانت مطروحة في دار الخلافة في المدينة وفي قصور الخلافة في الشام كما رأيت من رواياتها .

محاولة أحد المعاصرين تفسير الذبيحين بإسماعيل وإسحاق

. من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٨٩

روى حماد بن عيسى عن أخيه عن حريز عن أبي جعفر عليه السلام قال : أول من سوهم عليه مريم بنت عمران وهو قول الله عز وجل : **وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ** والسهم ستة ثم استهموا في يونس عليه السلام لما ركب مع القوم فوقعت السفينة في اللجة فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال : فمضى يونس عليه السلام إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى نفسه .

ثم كان عند عبد المطلب تسعة بنين فنذر في العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله ﷺ في صلبه فجاء بعشر من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهم على عبد الله فزاد عشرراً فلم تنزل السهم تخرج على عبد الله ويزيد عشرراً فلما أن خرجت مائة خرجت السهم على



الإبل فقال عبد المطلب : ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال : الآن علمت أن ربي قد رضي فتحرها . انتهى .

. وقال الأستاذ علي أكبر غفاري في تعليقه على هذا الحديث :

جاءت هذه القصة في كثير من كتب الحديث من الطريقتين ، واشتهرت بين الناس وأرسلها جماعة من المؤلفين إرسال المسلمات ، ونقلوها في مصنفاتهم دون أي نكير ، وهي كما ترى تضمنت أمراً غريباً بل منكرأ لا يجوز أن ينسب إلى أحد من أوساط الناس والسذج منهم ، فضلاً عن مثل عبد المطلب الذي كان من الأصفياء وهو في العقل والكياسة والفطنة على حد يكاد أن لا يدانيه أحد من معاصريه ، وقد يفتخر النبي ﷺ مع مقامه السامي بكونه من أحفاده وذريته ويباهي به القوم ويقول :

أنا النبي لا كذبُ أنا ابن عبد المطلب

وفي الكافي روايات تدل على عظمته وجلالته وكمال إيمانه وعقله ودرايته ، ورئاسته في قومه ، ففي المجلد الأول منه ص ٤٤٦ في الصحيح عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة وحده ، عليه سيماء الأنبياء وهيئة الملوك . يعني إذا حشر الناس فوجاً فوجاً يحشر هو وحده ، لأنه كان في زمانه منفرداً بدين الحق من بين قومه ، كما قاله العلامة المجلسي عليه السلام . وفي حديث آخر رواه الكليني أيضاً مسنداً عن الصادق عليه السلام قال : يبعث عبد المطلب أمة وحده عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء ، وذلك أنه أول من قال بالبداء .

وفي الحسن كالصحيح عن رفاعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره ، وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دناءته . . . إلى أمثالها الكثير الطيب كلها تدل على كمال إيمانه وعقله وحصافة رأيه . . . وإن أردت أن تحيط بذلك خيراً فانظر إلى تاريخ اليعقوبي المتوفى في أواخر القرن الثالث ، وما ذكر من سننه التي سننها وجاء بها الإسلام مثل تحريمه الخمر ، والزنا ، ووضع الحد عليه ، وقطع يد السارق ، ونفي ذوات الرايات ، ونهيته عن قتل

المؤودة ، ونكاح المحارم ، وإتيان البيوت من ظهورها ، وطواف البيت عرياناً وحكمه بوجوب الوفاء بالندى ، وتعظيم الأشهر الحرم ، وبالمباهلة بمائة إبل في الدينة . ثم تأمل كيفية سلوكه مع أبرهة صاحب الفيل في تلك الغائلة المهلكة المهدامة ، كيف حفظ بحسن تدبيره وسديد رأيه قومه ودماءهم وأموالهم من الدمار والبوار ، دون أي مؤونة ، وقال : أنا رب الإبل ولهذا البيت رب يمنع ، مع أن الواقعة موحشة بحيث تضطرب في أمثالها قلوب أكثر السائسين .

فإذا كان الأمر كذلك فكيف يصح أن يقال : إنه نذر أن يذبح سليله وثمره مهجته وقررة عينه قررة إلى الله سبحانه ، وأن يتقرب بفعل منهى عنه في جميع الشرايع ، والقتل من أشنع الأمور وأقبحها ، والعقل مستقل بقبحه بل يعده من أعظم الجنائيات ، مضافاً إلى كل ذلك أن النذر بذيح الولد قرباناً للمعبود من سنن الوثنيين والصابئين ، وقد ذكره الله تعالى في جملة ما شنع به على المشركين ، وقال في كتابه العزيز بعد نقل جملة من بدعهم ومفتريآهم : **وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ .**

الأنعام . ١٣٧

وهذا غير مسألة الوأد المعروف الذي كان بنو تميم من العرب يعلمون به ، فإن المفهوم من ظاهر لفظ الأولاد أعم من المذكور منهم والبنات ، والأوآد مخصوص بالبنات ، وأيضاً غير قتلهم أولادهم من إملاق أو خشيته ، بل هو عنوان آخر يفعلونه على سبيل التقرب إلى الآلهة .

فإن قيل : لعله كان مأموراً من جانب الله سبحانه كما كان جده إبراهيم عليه السلام مأموراً ؟ قلنا : هذا التوجيه مخالف لظاهر الروايات ، فإنه صرح في جميعها بأنه نذر مضافاً إلى أنه لو كان مأموراً فلا محيص له عنه ويجب عليه أن يفعله كما أمر ، فكيف فداه بالإبل ولم لم يقل في جواب من منعه كما في الروايات : إني مأمور بذلك .

وبالجملة في طرق هذه القصة وما شاكلها مثل خبر (أن ابن الذيبين) رواه



جماعة كانوا ضعفاء أو مجهولين أو مهملين ، أو على غير مذهبنا مثل أحمد بن سعيد الهمداني المعروف بابن عقدة ، وهو زيدي جارودي أو أحمد بن الحسن القطان ، وهو شيخ من أصحاب الحديث عامي ويروي عنه المؤلف في كتبه بدون أن يردفه بالترضية ، مع أن دأبه أن يتبع مشايخه بما إن كانوا إمامية ، وكذا محمد بن جعفر بن بطة الذي ضعفه ابن الوليد وقال : كان مخطئاً فيما يسنده ، وهكذا عبد الله بن داهر الأحمري وهو ضعيف كما في الخلاصة والنجاشي ، وأبو قتادة ووكيع بن الجراح وهما من رجال العامة ورواتهم ولا يحتج بحديثهم إذا كان مخالفاً لأصول المذهب ، وإن كانوا يسندون خبرهم إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام .

وإنك إذا تتبعت أسانيد هذه القصة وما شابهها ما شككت في أنها من مفتعلات القصاصين ومخترعاتهم نقلها المحدثون من العامة لجرح عبد المطلب ونسبة الشرك والعياذ بالله إليه ، رغباً للإمامية حيث أنهم نزهوا آباء النبي صلى الله عليه وآله عن دنس الشرك .

ويؤيد ذلك أن كثيراً من قدماء مفسريهم كالزنجشيري والفخر الرازي والنيشابوري وأضرابهم ، والمتأخرين كالمراغي وسيد قطب وزمرة كبيرة منهم ، نقلوا هذه القصة أو أشاروا إليها عند تفسير قوله تعالى : **وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ** ، وجعلوا عبد المطلب مصداقاً للآية انتصاراً لمذهبهم الباطل في اعتقاد الشرك في آباء النبي صلى الله عليه وآله وأجداده .

قال العلامة المجلسي رحمته الله : اتفقت الإمامية رضوان الله عليهم على أن والدي الرسول صلى الله عليه وآله وكل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين بل كانوا من الصديقين إما أنبياء مرسلين أو أوصياء معصومين ثم نقل عن الفخر الرازي أنه قال : قالت الشيعة إن أحداً من آباء الرسول صلى الله عليه وآله وأجداده ما كان كافراً . ثم قال : نقلت ذلك عن إمامهم الرازي ليعلم أن اتفاق الشيعة على ذلك كان معلوماً بحيث اشتهر بين المخالفين .

وإن قيل : لا ملازمة بين هذا النذر وبين الشرك ، ويمكن أن يقال إن نذر عبد المطلب كان لله ، وأما المشركون فنذروا لأهلهم .

قلت : ظاهر الآية أن النذر بذبح الولد من سنن المشركين دون الموحدين ، فالناذر إما مشرك أو تابع لسنن الشرك وجلت ساحة عبد المطلب أن يكون مشركاً والعياذ بالله أو تابعاً لسنن المشركين ، والإصرار بتصحيح أمثال هذه القصص مع نكارتها كثيراً ما يكون من الغفلة عما جنته يد الإفتعال .

ثم اعلم أن المصنف رضوان الله تعالى عليه لم يحتج بهذا الخبر في حكم من الأحكام ، إنما أورده في هذا الكتاب طرداً للباب ، ويكون مراده جواز القرعة فقط وهو ظاهر من الخبر . انتهى .

ثم كرر الأستاذ الغفاري رأيه في ج ٤ ص ٣٦٨ فقال :

قال المصنف رحمه الله في الخصال (ص ٢٧ باب الإثنين) قد اختلفت الروايات في الذبيح ، فمنها ما ورد بأنه اسماعيل لكن اسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه فكان يصير لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه ، فينال بذلك درجته في الثواب ، فعلم الله عز وجل ذلك من قلبه فساماه بين الملائكة ذبيحاً ، لتمنيه لذلك . انتهى .

أقول : على هذا فالمراد بالذبيحين إسماعيل وإسحاق : أحدهما ذبيح بالحقيقة والآخر ذبيح بالمجاز ، مع أن كليهما لم يذبحا بعد . وتقدم فيه كلام ج ٣ ص ٨٩ والإشكال بأن إسحاق كان عماله دون أب ممنوع لأن إطلاق الأب على العم شائع ، وفي رواية سليمان بن مهران عن الصادق عليه السلام في قول النبي صلى الله عليه وآله : أنا ابن الذبيحين يريد بذلك العم ، لأن قد سماه الله عز وجل أبا في قوله : **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ** . وكان اسماعيل عم يعقوب فساماه الله في هذه الموضع أباً ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : العم والد . فعلى هذا الأصل أيضاً يطرد قول النبي صلى الله عليه وآله : أنا ابن الذبيحين أحدهما ذبيح بالحقيقة والآخر ذبيح بالمجاز . انتهى .

. والجواب على ما ذكره الأستاذ الغفاري :

أولاً : أن الرواية التي استدل بها الصدوق على أن اسحاق ذبيح أيضاً مجازاً ، عامية ضعيفة ، وقد ضعف سندها الأستاذ الغفاري نفسه من حيث لا يدري كما ستري !
ثم إن إطلاق العم على الأب في اللغة وإن كان أمراً شائعاً ، ولكن لا ينطبق على قول القائل (أنا ابن فلان) مفتحراً أو مباهياً ، لأن المتبادر منه الإفتخار بعمود نسبه من آبائه وأن منهم ذبيحين قربانين لله تعالى ، لا من أعمامه ، وإلا لقال : أنا من قوم فيهم ذبيحان أو من آل إبراهيم آل الذبيحين .

كما أن إطلاق اسم الذبيح المجازي على إسحاق أيضاً ضعيف لغوةً ، لأن كلمة (الذبيح) لا تصدق إلا على من قصدوا ذبحه لله تعالى قصداً عملياً حقيقياً ورضي به ، ولو كان يكفي لإطلاقها مجازاً أن الشخص قد أحب ذلك ونواه كما في إسحاق ، لصح أن تطلق على كل آباء النبي أو جلهم ، بل على كثير من المؤمنين ، لأن أكثر الأنبياء والأوصياء والمؤمنين يجبون مقام إسماعيل وينوون أن لو كانوا مكانه لقبوا بما قبل به .

فارتكاب المجاز في معنى الإبن وجعله العم ، ثم ارتكاب المجاز في الذبيح وجعله من يجب أن يكون ذبيحاً . . . خلاف الظاهر جداً ، وهو يكاد يفرغ الكلمة من هدفها بل من معناها !

ثانياً : لعل الغفاري لم يطلع على تاريخ القربان لله تعالى في الشرائع الإلهية السابقة ، فقد كان عامة الناس يقدمون قربانين من الأنعام ، وكان من المشروع أن يقدم كبار المؤمنين أحد أولاده قرباناً لله تعالى ، وعلى أساسه كان منام إبراهيم عليه السلام . . ولم يثبت نسخ هذا التشريع قبل الإسلام .

فالمشركون لم يخترعوا القربان لأوثانهم ، وإنما أخذوه من الأديان وجعلوه لألهتهم المزعومة بدل الله تعالى . وما عابه الله تعالى عليهم من قتلهم أولادهم وتقديمهم إياهم قربانين لألهتهم ، إنما عاب فيه شركهم وتقريهم للأوثان .



ثالثاً : إن وجود عبد المطلب في مجتمع وثني يتقرب إلى الأصنام بالقرابين وقد يذبح أحدهم ولده قرباناً لصنمه . . وإعلان عبد المطلب أنه على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام ، وإحيائه عدداً من سننها ، وما جرى في عهده من حفظ الله تعالى لكعبة إبراهيم في حادثة الفيل ، وإعادة ماء زمزم المفقود على يده . . . كل ذلك يساعد على فهم نذر عبد المطلب أنه إذا رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً لله تعالى على ملة إبراهيم ، ويجعل هذا النذر أمراً طبيعياً مشروعاً في ذلك الوقت ، بل دعوة لعبد الأصنام أن يعبدوا رب البيت رب إبراهيم ، ويقدموا له قرابينهم ، ولا يقدموها لأصنامهم .

أما لماذا نذر عبد المطلب ذلك ، ولماذا عزم على تنفيذ نذره جدياً فشاور أولاده فأطاعوه ، وأقرع بينهم فرست القرعة على عبد الله ، وقال لأبيه كما قال إسماعيل . . ثم كيف تحلل من عبد المطلب من نذره بطريقة القرعة بين ذبح ولده أو نحر الإبل . . فهي إشكالات واردة . وجوابها : أنها واردة على شريعتنا لا على شريعة إبراهيم وعبد المطلب . وهي واردة عندنا لعدم معرفتنا بتفاصيل الحوادث وبالمستند الشرعي الذي استند عليه عبد المطلب في نذره وطريقة وفائه به .

ولكن معرفتنا بشخصية عبد المطلب وإيمانه العميق ، تكفي للقول بأنه لم يكن يقدم على نذره ثم على التحلل منه بالقرعة إلا بحجة بينة من ربه تعالى .

ويكفي لإثبات هذه الصفة في شخصيته ، حادثنا زمزم والفيل حيث ظهر للناس على نحو اليقين أنه كان يتلقى أوامره من ربه عز وجل !

فما المانع أن تكون قصة نذر ولده من هذه الإلهامات ، خاصة أن الولد الذي رست عليه القرعة هو والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أعطاه الله تعالى ما أعطى جده إسماعيل من شرف الرضا بأن يذبحه أبوه قرباناً لله تعالى ، ثم فداه الله بطريقة أهمها لأبيه ليعطيه شرف أبوة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم .

هذا ، وقد روى الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي ص ٤١ ط دار



المعارف المصرية ، أن المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة المعاصر لعبد المطلب ،
والذي كان أعظم ملك وثني في العرب ، قد أسر ابن الحارث بن شمر ملك الغساسنة
النصراني في حربه معه ، فذبحه قرباناً للعزى ! !

فلعل نذر عبد المطلب أن يذبح واحداً من أولاده لرب البيت سبحانه ، كان
تعزيزاً لدين إبراهيم ، ورداً على عمل المنذر ، وإبطالاً لتأثير عمله في تعزيز مكانة
صنم العزى !

وأخيراً ، فإن نذر عبد المطلب رضوان الله عليه لم يكن ارتجالاً بل امتد وقته
طويلاً ، فقد ذكرت الروايات أنه كان في أيام رؤيته الصادقة في حفر زمزم ، وكان له
ولدٌ واحدٌ ، فنذر إن رزقه الله عشرة أولاد وكبروا أن يذبح واحداً منهم قرباناً لله تعالى
. . وقد يكون نذره تحقق بعد عشرين سنة أو ثلاثين !

رابعاً : إن خصوم عبد المطلب أحرص الناس على أن يجدوا له مذمة أو منقصة ،
وقد رأيت في رواية الحاكم المتقدمة أن معاوية ذكر نذر عبد المطلب ، وأنه كان نذراً
لله تعالى مرتبطاً بأمر الله له بجفر زمزم (قال إن عبد المطلب لما أمر بجفر زمزم نذر الله
إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله ،
فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا : أرض ربك وافد ابنك) .

فقد كان الأمر بجفر زمزم أمراً من الله تعالى وقد انكشفت صحته . . وهذا يقرب أن
يكون النذر لله تعالى بأمره سبحانه ، ويشير إليه أن عبد المطلب أخذ أولاده العشرة
إلى داخل الكعبة وأقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله ورضي عبد الله بها
واستعد للذبح مختاراً ، وقرر عبد المطلب تنفيذ ذلك كما قرر جده إبراهيم . . ولكن
أسرته ومحبيه من قريش وأخوال عبد الله طلبوا منه أن يرضي ربه بفدائه ، فترث
عبد المطلب يومه حتى أمره الله بطريقته التي كان يتلقى بها أن يقرع بين عبد الله
وبين فدائه من الإبل ، ويزيد في عدد الفداء حتى تخرج القرعة عليه فيفديه به .

إنه لو كان في عمل عبد المطلب منقصة لشنعوا بها عليه ، ولكنها كرامة زادت من



مكانته في حياته ، وذكرت له باحترام وإجلال حتى من أعدائه بعد وفاته .

بل زادت من تفكير الناس الوثنيين بإله إبراهيم وعبد المطلب ، وهياتهم للدعوة إلى عبادته بدل أصنامهم .

خامساً : لقد وقع الغفاري في اشتباهين كبيرين : أولهما أنه جعل سند رواية الذبيح المجازي لرواية نذر عبد المطلب وضعفها بسببه ! فإن ابن داهر وأبا قتادة ووكيع لم يردوا في سند رواية النذر عن الإمام الرضا عليه السلام ، بل وردوا في رواية أن الذبيح المجازي إسحاق ! وقد التبس الأمر عليه لأن الصدوق ذكر مضمونها قبل سندها ، فيكون الأستاذ الغفاري قد ضعف دليله متصوفاً أنه ضعف رواية نذر عبد المطلب ! وليس في رواية النذر ممن ضعفهم الغفاري إلا القطان الذي قال فيه (ويروي عنه المؤلف في كتبه بدون أن يردفه بالترضية) فإن كان هذا مستنده في التضعيف فقد قال في طرائف المقال ص ١٥٥ عن القطان هذا (كثيراً ما يروي عنه الصدوق مترضياً) !

ولو سلمنا ضعفه ، فإن روايته المعتضدة بالشهرة التي سنذكر طرفاً منها والمخالفة لليهود والخط القرشي المعادي لعبد المطلب ، والمؤيدة بتصحيح عدد من العلماء منهم الصدوق . . لهي جديرة بالقبول .

والإشتباه الثاني الذي وقع فيه الأستاذ الغفاري أنه حسب أن رواية الإمام الصادق عليه السلام تتعلق بإطلاق الأب على العم وترتبط بموضوع الذبيحين ، مع أنها لا علاقة لها بالعم والأب ، وإنما استشهد الصدوق على ذلك بالآية وبقول النبي صلى الله عليه وآله : العم أب . ويتضح الأمر من ملاحظة النص بتمامه وهو في الخصال للصدوق كما يلي :

— قول النبي صلى الله عليه وآله : أنا ابن الذبيحين حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال : حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : أنا ابن



الذبيحين قال : يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وعبد الله بن عبد المطلب .
 أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم : فلما بلغ معه السعي قال يا
 بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر (ولم
 يقل له يا أبت افعل ما رأيت) ستجدي إن شاء الله من الصابرين فلما عزم على ذبحه
 فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد
 ويمشي في سواد ويبول وييعر في سواد وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين
 عاماً وما خرج من رحم أنثى وإنما قال الله عز وجل له كن فكان ليفدي به إسماعيل
 فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة فهذا أحد الذبيحين .

وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلق بملقة باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن
 يرزقه عشرة بنين ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته فلما
 بلغوا عشرة أولاد قال : قد وفي الله لي فلافين لله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم
 بينهم فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحب ولده إليه ثم أجالها ثانية
 فخرج سهم عبد الله ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله فأخذه وحبسه وعزم على
 ذبحه فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن
 فقالت له ابنته عاتكة : يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك : قال :
 فكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة قالت : إعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم
 فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل وأعط ربك حتى يرضى . فبعث
 عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله
 فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فاضرب السهم على الإبل فكبرت
 قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة فقال عبد المطلب لا حتى أضرب بالقداح
 ثلاث مرات فاضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل فلما كان في الثالث
 احتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجليه فحملوه وقد انسلخت جلدة خده
 الذي كان على الأرض وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب وأمر

عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحسرة ولا يمنع أحد منها وكانت مائة .

وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجزأها الله عز وجل في الإسلام : حرم نساء الآباء على الأبناء وسن الدية في القتل مائة من الإبل وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وسمى زمزم لما حفرها سقاية الحاج ولولا أن عبد المطلب كان حجة وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي ﷺ بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان في قوله ﷺ : أنا ابن الذبيحين .

والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله وهي كون النبي ﷺ والأئمة ﷺ في صلبيهما فببركة النبي والأئمة ﷺ رفع الله الذبح عنهما فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم وكل ما يتقرب الناس به إلى الله عز وجل من أضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة .

قال مصنف هذا الكتاب أدام الله عزه : قد اختلف الروايات في الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسماعيل ومنها ما ورد بأنه إسحاق ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيح إسماعيل لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب فعلم الله عز وجل ذلك من قلبه فساماه الله عز وجل بين ملائكته ذبيحاً لتمنيته لذلك . وحدثنا بذلك محمد بن علي البشاري القزويني ﷺ قال : حدثنا المظفر بن أحمد القزويني قال : حدثنا محمد بن جعفر الكوفي الأسدي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن عبد الله بن داهر عن أبي قتادة الحراني عن وكيع بن الجراح عن سليمان بن مهران عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد ﷺ .

وقول النبي ﷺ : أنا ابن الذبيحين يريد بذلك العم لأن العم قد سماه الله عز وجل

أبا في قوله **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي**



قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ . وكان إسماعيل عم يعقوب فسماه الله في هذا الموضع أبا وقد قال النبي ﷺ : العم والد .

فعلى هذا الأصل أيضاً يطرد قول النبي ﷺ : أنا ابن الذبيحين أحدهما ذبيح بالحقيقة والآخر ذبيح بالمجاز واستحقاق الثواب على النية والتمني فالنبي ﷺ هو ابن الذبيحين من وجهين على ما ذكرناه . انتهى .

وأورده في البحار ج ١٢ ص ٢٢ عن العيون والخصال .

وفي هذا النص أمور متعددة تكفي للرد على رأي الأستاذ الغفاري حفظه الله في إنكار قصة نذر عبد المطلب . . . ومن هذه الأمور أن الصدوق حكم بصحة الرواية من عنونها الذي وضعه لها .

ومنها قوة حجج الإمام الرضا عليه السلام فيها وسنذكر بعضها .

ومنها أن الصدوق قبل تفسير الذبيحين بعبد الله وإسماعيل من وجهه ، وبإسماعيل وإسحاق من وجه آخر ، كما صرح في آخر كلامه .

والواقع أن نقطة الضعف الوحيدة فيها هي اعتماد الصدوق عليه على رواية الذبيح بالمجاز العامة . . . والتي ضعفها الغفاري ، والحمد لله !

سادساً : ولو أن المحقق الغفاري تأمل في قول الإمام الرضا عليه السلام في رواية الصدوق (ولولا أن عبد المطلب كان حجة وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيبة بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل ، لما افتخر النبي ﷺ بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان في قوله عليه السلام : أنا ابن الذبيحين .

والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله ، وهي كون النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام في صلبهما . . . فبركة النبي والأئمة ﷺ رفع الله الذبح عنهما ، فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم) لعرف أن إشكاله على نذر عبد المطلب يرد بعينه على إبراهيم ﷺ لأنهما عمالان من نوع واحد ، غاية الأمر أن إبراهيم أمر بالذبح في المنام وأمر بالفداء بالوحي . وما دام

عبد المطلب لا نعرف كيف أمر بنذر الذبح والفداء ، ولكن نعرف أنه حجة وعمله صحيح ، ولا بد أنه كان عنده حجة شرعية على نذره وفدائه .

وحينئذ فما يجب به عن عمل إبراهيم ، يجب به عن عمل عبد المطلب بلا فرق ، فلا معنى لاستظهار أن ذبح الولد كان من عادات المشركين ، ولا معنى للقول بأنه لو كان عبد المطلب نذر ذلك فلماذا لم يقدم عليه . . . الخ .

سابعاً : إن ما ذكره حفظه الله من ملاحظات روائية ليس شاملاً ولا مقنعاً ، والظاهر أنه لم يطلع على مصادر رواية (أنا ابن الذبيحين) وطرقها ، واشتهارها عند الشيعة من العصر الأول ، بل عند السنة أيضاً حتى أن فقهاءهم أخذوا بها ، وإن لم يأخذ بها أهل صحاحهم ، وممن صححها من الأحناف أبو بكر الكاشاني في **بدائع الصنائع ج ٥ ص ٨٥ قال** (ودليل ما قلنا الحديث وضرب من المعقول . أما الحديث فقول النبي عليه الصلاة والسلام : أنا ابن الذبيحين أراد أول آبائه من العرب وهو سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام وآخر آبائه حقيقة وهو عبد الله بن عبد المطلب سماهما عليه الصلاة والسلام ذبيحين ومعلوم أنهما ما كانا ذبيحين حقيقة فكانا ذبيحين تقديراً بطريق الخلافة لقيام الخلاف مقام الأصل . انتهى .

. وقال ابن كثير في **السيرة النبوية ج ١ ص ١٨٤**

(وهو ابن عبد الله وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذبيح الثاني المفدي بمائة من الإبل كما تقدم) . انتهى .

وفي اطمئناني أن المتبوع يجد لهذا الحديث طرقاً أخرى سواء في مصادرنا أو في مصادر السنيين ، ويجد المزيد ممن صححه من علماء الفريقين .

المسألة الثانية : أول من يكسى كسوة الجنة

ذكرت بعض الروايات أن الناس يخرجون من قبورهم عرياناً يوم القيامة ثم يكسون على حسب عملهم . ولكن الظاهر أن المقصود بحديث أول من يكسى هنا ليس



الكسوة من العري ، بل كسوة الجنة كما ورد في النص .

وقد ادعى اليهود أن إبراهيم أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة . . ولا أظن أن هذه المسألة كانت مطروحة في ثقافتهم ، ولكن لما رأوا المسلمين يروون عن نبيهم ﷺ أنه رئيس المحشر ، والشفيع الأول ، وخطيب الأنبياء ، وأول من يكسى يوم القيامة . . ادعى اليهود أن أول من يكسى إبراهيم ، وروى ذلك أحبارهم الذين أسلموا (؟) عن رسول الله ﷺ !! وأخذها عنهم من أخذها من الرواة فدخلت في مصادر المسلمين وثقافتهم ، وساعد عليها أن إبراهيم هو جد النبي صلى الله عليهما وآلهما ، وأن من المعقول أن يكون إكرام الله تعالى للجد قبل إكرام الإبن .

وقد اختار البخاري أن أول من يكسى إبراهيم وليس محمداً صلى الله عليهما وآلهما ! قال في صحيحه ج ٤ ص ١١٠ :

ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ : **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعُدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** . وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ! فأقول كما قال العبد الصالح : **وكننت عليهم شهيداً ما دمت قال العبد الصالح **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ** إلى قوله الحكيم . انتهى .**

ورواه أيضاً في ج ٤ ص ١٤٢ وروته بقية الصحاح وغيرها بألفاظ متقاربة مثل الترمذي في ج ٤ ص ٣٨ والنسائي ج ٤ ص ١١٧ والدارمي ج ٢ ص ٣٢٥ وفيه (فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله تعالى : **إكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين من رباط الجنة ثم أكسى على أثره**)

وروى نحوه في أحمد ج ١ ص ٣٩٨ ورواه أيضاً موجزاً في ج ١ ص ٢٢٣ وص ٢٢٩

ورواه السيوطي في الدر المنثور ج ١ ص ١١٦ عن أبي نعيم في الحلية وابن أبي شيبة



وأحمد . ورواه في ج ٢ ص ٢٣١ عن البيهقي في الأسماء والصفات ، وفي ج ٤ ص ١٩٧ عن أحمد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن ابن مسعود . ورواه في ج ٣ ص ٢٨٤ .

وفيه من تجسيمات اليهود لله تعالى (قال ذاك يوم ينزل الله فيه على كرسیه يعط فيه كما يعط الرجل الجديد من تضايقه وهو كسعة ما بين السماء والأرض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله اكسوا خليلي) .

وقد حاول القسطلاني في إرشاد الساري ج ٥ ص ٣٤٣ أن يخفف من وقع الحديث على المسلمين فقال (ولا يلزم من تخصيص إبراهيم بأولية الكسوة هنا أفضليته على نبينا (ص) لأن حلة نبينا (ص) أعلى وأكمل وكم لنبينا (ص) من فضائل مختصه به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها ولو لم يكن له سوى خصوصية الشفاعة العظمى لكفى) . انتهى .

ولعل القسطلاني رأى أن اليهود أخذوا الشفاعة في الموحدنين من نبينا ﷺ وأعطوها لإسحاق عليه السلام ! وصارت حديثاً صحيحاً على شرط الشيخين كما تقدم في مستدرك الحاكم !

ومن المؤكد أنه رأى الأحاديث التي تنفي أن تكون الشفاعة خصوصيةً لنبينا ﷺ ، ورأى الروايات التي تفضل أنبياء بني إسرائيل حتى يونس ويحيى على نبينا ﷺ ، لأن البخاري رواها وشرحها القسطلاني وفسرها !

والذي يدخل في بحثنا هنا أن نعرف لماذا وافقت الحكومة القرشية اليهود من في تقديمهم إبراهيم على نبينا ﷺ في الكسوة وفي الشفاعة ، وتبناها رواهم ؟ !

يتوقف الجواب على التأمل في النص الذي روتته صحاحهم ، فقد تضمن موضوعين : أولهما أن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم . والثاني أن بعض الصحابة يؤمر بهم إلى النار ، لأنهم انحرفوا وكفروا بمجرد وفاة النبي ﷺ . ولم يبين الحديث العلاقة بين الموضوعين ! وبما أن النبي ﷺ أفصح من نطق بالضاد وقد أوتي جوامع

الكلم ، وكلامه دائماً مترابط . . فلا بد أن تكون في الحديث حلقة مفقودة . . عن عدم كسوة بعض الصحابة مثلاً فما هي !

هذه الحلقة تجدها في مصادر السنين مجزأة ، ولكنك تجدها في أحاديث أهل البيت عليهم السلام مجتمعمة ، لأنها تذكر نص النبي صلى الله عليه وآله على أن علياً يوم القيامة هو أول ينشق عنه قبره بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو أول من يصفحه ، وهو أول من يكسى بعده ، وهو حامل لوائه لواء الحمد ، وهو وزيره في المحشر ، وهو الساقى على حوض النبي صلى الله عليه وآله .

. قال القاضي النعماني في شرح الأخبار ج ٢ ص ٤٧٥

في حديث وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : يا علي أنا أكرم ولد آدم ولا فخر ، وليس بيني وبين ربي حجاب إلا النور ، وأول من يكسى كسوة الجنة ولا فخر ، وأول من يؤذن له في الكلام ولا فخر ، وأول من يؤذن له في السجود ولا فخر ، وأول من يؤذن له في الشفاعة ولا فخر ، وأول من يسعى نوره أمامه ولا فخر .

. وقال الصدوق في من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٧٤

يا علي : إن الله تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصال : أنت أول من ينشق عنه القبر معي ، وأنت أول من يقف على الصراط معي ، وأنت أول من يكسى إذا كسيت ، ويحيى إذا حييت ، وأنت أول من يسكن معي في عليين ، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك . انتهى . ورواه في الخصال ص ٣٤٢

. وروى محمد بن عباس في تأويل الآيات ج ٢ ص ٦٥٧

يا علي أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت ، وأول من يحيى محمد ثم أنت ، وأول من يكسى محمد ثم أنت . فانكسب علي عليه السلام ساجداً وعيناه تذرغان بالدموع . انتهى .

. وقال ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٦ : قال الحميري :

يدعو النبي فيكسوه ويكرمه	رب العباد إذا ما أضر الأئمة
ثم الوصي فيكسى مثل حلتته	خضراء يرغم منها أنف من رغما



وله أيضاً :

عليٌّ غداً يدعى ويكسوه ربه
فإن كنت منه حيث يكسوه راغماً
ويدنوه منه في ربيع مكرم
وتبدي الرضى كرهاً من الآن فارغم

وقال أعرابي :

إن رسول الله يعطني لواء
يدعى فيعطني كسوة المصطفى
ء الحمد علياً حين يلقاه
وعن يمين العرش مشواه . انتهى .

فحديث الكسوة يوم القيامة فيه إذن سهم لعلي عليه السلام ، فلا عجب إذا قفزت عنه قبائل قريش .

لكن السهم الأكبر لعلبي والأخطر على قريش أنه هو الساقى على حوض النبي صلى الله عليه وآله وهو الذي يذود الذين قال عنهم البخاري (وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال) وقال عنهم في ج ٨ ص ٨٦ (قال أنا على حوضي انتظر من يرد علي فيؤخذ بناس من دوبي فأقول أمي فيقول لا تدري مشوا على القهقري) . انتهى .

وقال عنهم مسلم في ج ٧ ص ٦٨ . ٧٠ (قال رسول الله (ص) أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم ، فأقول يا رب أصحابي أصحابي ! فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ! ! . . . قال لأذودن عن حوضي رجالاً كما تزداد الغيبة من الإبل) ونحوه في ج ١ ص ١٥٠

وقد صرحت أحاديث أخرى بأن الذائد عن حوض النبي صلى الله عليه وآله هو علي عليه السلام ، من ذلك ما رواه الحاكم وصححه قال في ج ٣ ص ١٣٨ :

عن علي بن أبي طلحة قال : حججنا فمررنا على الحسن بن علي بالمدينة ومعنا معاوية بن حديج فقبل للحسن إن هذا معاوية بن حديج الساب لعلبي فقال علي به فاتي به فقال أنت الساب لعلبي فقال : ما فعلت فقال والله إن لقيته وما أحسبك تلقاه يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله صلى الله عليه وآله يذود عنه رايات المنافقين بيده عصا من عوسج ! حدثني الصادق المصدوق عليه السلام وقد خاب من افتري . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . انتهى .



. وروى الديلمي في فردوس الاخبار ج ٥ ص ٤٠٨ ح ٨٣١٤ عن أبي سعيد :

يا علي أنت يوم القيامة بيدك عصاً من الجنة تذود بها المنافقين !!

. وروى في مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢ . ١٤ عن الفائق للزمخشري

أن النبي قال لعلي : أنت الذي يدعون حوضي يوم القيامة ، تذود عنه الرجال كما يذاد الأصيد . البعير الصادي أي الذي به الصيد والصيد داء يلوي عنقه .

ونقل في المناقب قول حسان بن ثابت :

له الحوض لا شك يحيى به
ومن ناصب القوم لم يسقه
وقول الحميري :

أومل في حبه شربة
إذا ما وردنا غداً حوضه
متي يمدن مولاه منه يقل
وإن يمدن منه عدو له
فمن شاء أسقي برغم العدى
ويدعو إلى الورد للأوليا
من الحوض تجمع أمنياً ورئياً
فأدنى السعيد وذاد الشقيقيا
رد الحوض واشرب هنيئاً مرياً
يذده علي مكاناً قصياً . انتهى .

وعلى هذا فذكر كسوة النبي ﷺ أولاً وعلي ثانياً ، وأنه يذود الصحابة المنحرفين عن الحوض ، حديث ليس في مصلحة القرشيين ، لأن معناه أن موقف علي هو الصحيح وموقف من يعارضه خطأ . . فالأسلم لهم الأخذ بحديث يكسى إبراهيم أولاً والنبي ثانياً ، لأنه ليس فيه ذكر لعلي !

وهكذا التقت مصلحة قریش مع مصلحة اليهود . . وصار حديث كعب الأخبار أسلم طريق للتخلص من علي بن أبي طالب حتى لو صححه الحاكم ، ولم يروه الشيخان !

وهكذا يدون الخلفاء السنة ، كما يكتب الحكام التاريخ !!





نسخة مقرءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork

الفصل الثاني عشر

شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء

من مصادرنا

. قال الحميري في قرب الإسناد ص ٦٤

عن مسعدة بن صدقة قال : حدثني جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه : أن رسول الله ﷺ قال : ثلاثة يشفعون إلى اليوم القيامة فيشفعهم : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء . انتهى .

ورواه في مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٢٠ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٢٦٤

. من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٩٩

إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد ، ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء ، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء .

. علل الشرائع للصدوق ج ٢ ص ٣٩٤

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة بعث الله عز وجل العالم والعابد ،



فإذا وقف بين يدي الله عز وجل قيل للعابد : انطلق إلى الجنة ، وقيل للعالم قف تشفع للناس بحسن تأديبك لهم .

. تفسير الإمام العسكري ٧ ص ٣٤٤

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام : يقال للعابد يوم القيامة : نعم الرجل كنت ، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك ، فادخل الجنة . إلا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره ، وأنقذهم من أعدائهم ، ووفر عليهم نعم جنان الله ، وحصل لهم رضوان الله تعالى . ويقال للفقيه : يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيه ومواليه ، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك ، فيقف فيدخل الجنة ومعه فثاماً وفتاماً حتى قال عشراً ، وهم الذين أخذوا عنه علومه ، وأخذوا عن أخذ عنه ، إلى يوم القيامة ، فانظروا كم فرق ما بين المنزلتين !

— وروى المجلسي في البحار حديثاً يدل على أن العالم الذي يشفع يوم القيامة ليس من العلماء السبعة المذمومين . . قال في بحار الأنوار ٨ ص ٣٠٧ : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن من العلماء من يجب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه ، فذاك في الدرك الأسفل من النار .

ومن العلماء من إذا وعظ أنف ، وإذا وعظ عنف ، فذاك في الدرك الثاني من النار .

ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة ، ولا يرى له في المساكين ، فذاك في الدرك الثالث من النار .

ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجباة والسلاطين ، فإن رد عليه شيء من قوله أو قصر في شيء من أمره غضب ، فذاك في الدرك الرابع من النار .

ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه ، فذاك في الدرك الخامس من النار .

ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول : سلوني ولعله لا يصيب حرفاً واحداً



والله لا يجب المتكلفين ، فذاك في الدرك السادس من النار .

ومن العلماء من يتخذ علمه مروءةً وعقلاً ، فذلك في الدرك السابع من النار (نقلاً

عن الخصال ج ٢ ص ٧) .

. وفي تفسير التبيان ج ٩ ص ٦٥

وقوله : **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ، نفياً من الله أن يكون للظالمين

شفيع يطاع ، ويحتمل أن يكون المراد بالظالمين الكفار فهؤلاء لا يلحقهم شفاعة

شافع أصلاً ، وإن حملنا على عموم كل ظالم من كافر وغيره جاز أن يكون إنما أراد

نفى شفيع يطاع ، وليس في ذلك نفى شفيع يجاب ، ويكون المعنى : إن الذين

يشفعون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والمؤمنين إنما يشفعون على وجه المسألة

إليه والإستكانة إليه ، لا أنه يجب على الله أن يطيعهم فيه .

. تفسير التبيان ج ٩ ص ٤٢٩

قوله تعالى : **وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ**

يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى . . . يقول الله تعالى مخبراً بأن كثيراً من ملائكة السموات

لا تغني شفاعتهم ، أي لا تنفع شفاعتهم في غيرهم بإسقاط العقاب عنهم شيئاً ، إلا

من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفعوا فيه ويطلق لهم ذلك ويرضى ذلك .

وقيل : إن الغرض بذلك الإنكار على عبدة الأوثان وقولهم إنها تشفع لا الملك ، إذا لم

تغن شفاعته شيئاً فشفاعة من دونه أبعد من ذلك . وفي ذلك التحذير من الإتكال

على الشفاعة لأنه إذا لم تغن شفاعة الملائكة كانت شفاعة غيرهم أبعد من ذلك .

ولا ينافي ما نذهب إليه من أن النبي ﷺ والأئمة والمؤمنين يشفعون في كثير من

أصحاب المعاصي فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم ، لأن هؤلاء عندنا لا يشفعون إلا

بإذن من الله ورضاه ، ومع ذلك يجوز أن لا يشفعوا فيه ، فالزجر واقع موقعه .



. تفسير التبيان ج ٧ ص ٢٠٩

قوله **يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا** ، يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً . . .
أحبر الله تعالى أن ذلك اليوم لا تنفع شفاعة أحد في غيره ، إلا شفاعة من أذن الله له أن يشفع ورضي قوله فيها ، من الأنبياء والأولياء والصدّيقين والمؤمنين .

. مجمع البحرين ج ٤ ص ٤٦٧

وفي الحديث : الساعي بين الصفا والمرورة تشفع له الملائكة بالإيجاب ، أي القبول ، يعني أن الله تعالى يثبت لهم الشفاعة .

. دعائم الإسلام ج ١ ص ٣٤٣

روينا عن رسول الله (ص) أنه قال : كل مؤمن من أمّتي صديق شهيد ، ويكرم الله بهذا السيف من شاء من خلقه ، ثم تلا قول الله عز وجل : **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ .**

. دعائم الإسلام ج ١ ص ٢١٧

وعن علي عليه السلام أنه قال : المريض في سجن الله ما لم يشك إلى عواده ، تمحى سيئاته . وأي مؤمن مات مريضاً مات شهيداً ، وكل مؤمن شهيد ، وكل مؤمنة حوراء ، وأي ميتة مات بها المؤمن فهو شهيد ، وتلا قول الله جل ذكره : **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ .**

من مصادر السنيين

. تاريخ البخاري ج ٩ ص ٣٧

عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فيتقاذع بهم جنبنا الصراط تقاذع الفراش في النار : ثم يؤذن للملائكة والنبیین والشهداء والصالحين فيشفعون ، ويخرجون فيشفعون ويرجون فيشفعون فيجابون .



. سنن النسائي ج ٢ ص ٢٢٩

عن عطاء بن يزيد قال كنت جالساً إلى أبي هريرة وأبي سعيد فحدث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منصت ، قال : فتأتي الملائكة فتشفع وتشفع الرسل ، وذكر الصراط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأكون أول من يجيز ، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه ، وأخرج من النار من يريد أن يخرج ، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع فيعرفون بعلاماتهم أن النار تأكل كل شيء من ابن آدم إلا موضع السجود ، فيصب عليهم من ماء الجنة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل .

. سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٧٢٤

عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء .

— ورواه البيهقي في شعب الإيمان ج ٢ ص ٢٦٥ والديلمي في فردوس الأخبار ج ٥ ص ٤٢٨ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٥١ وتهذيب الكمال ج ٢٢ ص ٥٥١ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ١٩٥ ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٨١ راجع أيضاً سنن البيهقي ج ٩ ص ١٦٤

. سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٦

عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة . هذا حديث حسن .

. مسند أحمد ج ٣ ص ٢٠

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قد أعطى كل نبي عطية فكل قد تعجلها وإني أخرت عطيتي شفاعة لأمتي ، وإن الرجل من أمتي ليشفع للفئام من الناس فيدخلون الجنة ، إن الرجل ليشفع للقبيلة وإن الرجل ليشفع للعصبة ، وإن الرجل ليشفع للثلاثة ، وللرجلين ، وللرجل .



. مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٨٠

باب شفاعة الصالحين . وعن أبي برزة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر وإن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها . رواه أحمد ورجاله ثقات . . .

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة . رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

وعن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق ، فعطش العابد حتى سقط فجعل صاحبه ينظر إليه وهو صريع فقال والله لئن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعى ماء لا أصيب من الله خيراً وإن سقيته مائي لأموتن فاتكل على الله وعزم ورش عليه من مائه وسقاه من فضله قال فقام حتى قطع المفازة قال فيوقف الذي به رهق يوم القيامة للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد فيقول يا فلان أما تعرفني قال فيقوب من أنت قال أنا فلان الذي آثرتك على نفسي يوم المفازة قال فيقول بلى أعرفك قال فيقول للملائكة قفوا ويحيى حتى يقف ويدعو ربه فيقول يا رب قد تعرف يده عندي وكيف آثرتني على نفسه يا رب هبه لي قال فيقول : هو لك ويأخذ بيده فيدخله الجنة . رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبي ظلال القسمللي قد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه غير واحد .

. فردوس الأخبار للديلمي ج ١ ص ٣٩٦

ابن عباس : إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد : أدخل الجنة وتنعم بعبادتك ، وقيل للعالم هاهنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت ، فقام مقام الأنبياء . ورواه في كنز العمال ج ١٠ ص ١٣٦ وص ١٧٣ وص ٢٥٦

. مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٩٣

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للشهيد عند الله عز وجل ست خصال :



أن يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجلى حلة الإيمان ،
 ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع
 على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج ثنتين وسبعين
 زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه . رواه أحمد هكذا قال
 مثل ذلك ، والبزار والطبراني إلا أنه قال سبع خصال وهي كذلك ، ورجال أحمد
 والطبراني ثقات .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهيد يغفر له في أول
 كل دفقة من دمه ، ويزوج حوراوين ويشفع في سبعين من أهل بيته ، والمرابط إذا
 مات في رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة ، وأتى عليه ريح برزقه ، ويزوج
 سبعين حوراء ، وقيل له قف فاشفع إلى أن يفرغ من الحساب . قلت روى ابن ماجه
 بعضه . رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه بكر بن سهل الدميطي ، قال الذهبي
 مقارب الحديث وضعفه النسائي . انتهى . وروى عدداً من هذه الروايات في مجمع
 الزوائد ٢ ص ٩٨ وص ١١٥ وج ٤ ص ٣٩٨ وص ٤٠١ وص ٤٠٥ وص ٤١٠

. الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤

— وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله : ولا يملك
 الذين يدعون من دونه الشفاعة ، قال : عيسى وعزير والملائكة . إلا من شهد بالحق
 قال كلمة الإخلاص . وهم يعلمون أن الله حق . . .

— وأخرج عبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله : إلا
 من شهد بالحق وهم يعلمون ، قال : الملائكة وعيسى وعزير فإن لهم عند الله شفاعة .

. الدر المنثور ج ٤ ص ٩٤

وأخرج الحاكم في الكافي عن حماد رضي الله عنه قال : سألت إبراهيم عن هذه الآية : **رُبَمَا**
يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ، قال : حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من



أهل الإسلام ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون ، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبين : اشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم ، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين .

. تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٦٢

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معنى ذلك ولا يملك عيسى وعزيز والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركين لشفاعة عند الله لأحد إلا من شهد بالحق فوحده الله وأطاعه . . . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبره أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من الله الشفاعة عنده لأحد ، إلا من شهد بالحق . . . ويعني بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها ، كما قال جل ثناؤه : **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** ، فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزيز ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان ، باستثنائه الذي استثناه .

. تفسير الطبري ج ٢٧ ص ٣٧

وقوله : **وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ** ، عند الله لمن شفعا له شيئاً إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم ، بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى ، يقول ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له ، فتنفعه حينئذ شفاعتهم . . .

. تفسير الرازي ج ٤ جزء ٧ ص ١١

هؤلاء المذكورون في هذه الآية (**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**) يحتمل أن يكونوا هم الملائكة وسائر من يشفع يوم القيامة من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين .

. الجواهر الحسان للثعالبي ج ١ ص ٣٥١

فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط .



. الأنساب ج ٥ ص ٦٢٣

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبعة لهم شفاعة كشفاعة الأنبياء : المؤذن ، والإمام ، والشهيد وحامل القرآن ، والعالم ، والمتعلم ، والتائب .



ما يوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنين له

. الكافي ج ٢ ص ٢٤٨

عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن عبد الله عن خالد العمري عن خضر بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام : المؤمن مؤمنان : مؤمن وفي الله بشروطه التي شرطها عليه فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وذلك من يشفع ولا يشفع له وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة .

ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفأ وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة ويشفع له وهو على خير . وروى نحوه في الكافي ج ٢ ص ١٨٨ وفي تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥١٤ وج ٤ ص ٢٦٠

. الكافي ج ٦ ص ٣

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع ومشفع فإذا بلغوا اثنتي عشرة سنة كانت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات .

. الكافي ج ٨ ص ١٠١

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال عن علي بن عقبة عن عمر بن أبان عن عبد الحميد الوابشي عن أبي جعفر عليه السلام قال . . .



وإن المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول : يا رب جاري كان يكف عني الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى : أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنة وماله من حسنة ! وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار : **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ .**

. وسائل الشيعة ج ٨ ص ٤٠٧

وعن إبراهيم بن الغفاري عن جعفر بن إبراهيم عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : أكثروا من الأصدقاء في الدنيا فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فحوائج يقومون بها وأما في الآخرة فإن أهل جهنم قالوا : **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ .**

— وعن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : استكثروا من الأخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة وقال : استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة . وقال : أكثروا من مؤاخاة المؤمنين فإن لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة .

. مستدرک الوسائل ج ٨ ص ٣٢٣

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمعون إلى قوله تعالى : **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ .**

. بحار الأنوار ج ٨ ص ٤١

ثواب الأعمال : أبي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبي ولاد عن ميسر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به قال : فيقول له : يا فلان أغثنى فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا وأسعفتك في الحاجة تطلبها مني فهل عندك اليوم مكافاة فيقول المؤمن للملك المؤكل به : حل سبيل قال : فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن فيخلي سبيله . (المصدر ص ١٦٧)



من مصادر السنين

. تاريخ البخاري ج ٦ ص ٥٣٣

روى وكيع عن محمد بن قيس قال : أدنى أهل الجنة منزلة الذي يشفع في الرجل من أهل بيته .

. مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٢٩٢

حدثنا أبو بكر حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا بن أبي زائدة حدثني عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أمتي من يشفع للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته .

. فردوس الأخبار للديلمي ج ١ ص ١٠٥

أنس بن مالك : أكثروا من المعارف من المؤمنين ، فإن لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة .

. الدر المنثور ج ٦ ص ٨

وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن أبي إبراهيم اللخمي في قوله : **وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ** قال يشفعون في إخوان إخوانهم .

. تفسير الطبري ج ٢٥ ص ١٨

قوله تعالى : **وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ** وقيل إن ذلك الفضل الذي ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه هو أن يشفعهم في إخوان إخوانهم ، إذا هم شفعوا في إخوانهم فشفعوا فيهم .

. تفسير الطبري ج ٢٩ ص ١٠٥

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّاافِعِينَ ، يقول فما يشفع لهم الذين شفّعهم الله في أهل الذنوب . . وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله مشفع بعض خلقه في بعض .



. هامش طبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٣٤٦

عن أبي أمامة عن النبي (ص) قال : إن ذراري المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافع مشفع .

. الإيمان لابن تيمية ص ١١٥

أبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان مع أنه نصر المشهور من أهل السنة في أنه يستثنى في الإيمان فيقول : أنا مؤمن إن شاء الله لأنه نصر مذهب أهل السنة في أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة ولا يخلدون في النار وتقبل منهم الشفاعة ونحو ذلك .

. فتاوي الألباني ص ٢٨٦

سؤال : هل تارك الصلاة كافر ولا ينفعه أي عمل ؟

جواب : نحن قلنا إن إخواننا كانوا يصلون ويصومون إلى آخره ، فيأذن الله عز وجل بأن يشفع لهم فيشفعون ، ثم يشفعون لوجبة أخرى .



الفصل الثالث عشر

شفاعة القرآن ، والكعبة ، والحجاج ، والزوار

وأصناف أخرى من الناس . . .

وردت في مصادر الفريقين أحاديث عن شفاعة القرآن ، وصرح بعضها بأن القرآن يتجسد يوم القيامة على صورة إنسان وملك نوراني ، ويتكلم مع أهل المحشر .
وقد ورد في أحاديث البعث والقيامة والحساب والجنة والنار ، من طرق الجميع ما يدل على تجسد القرآن ، وتجسد بعض الأعمال ، والأمور والأمكنة والأزمنة . .
وقد كان هذا الأمر صعب التصديق بل صعب التصور في العصور السابقة ، أما في عصر الذرة والجينات فقد عرف الناس حقائق مدهشة من خلق الله تعالى وقوانينه ، وصار الإيمان بضبط أعمال الإنسان وتجسدها في هذه الدنيا أمراً معقولاً فضلاً عن عالم الآخرة !



شفاعة القرآن

. في نهج البلاغة ج ٢ ص ٩١

واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ، والهادي الذي لا يضل ،
والمحدث الذي لا يكذب .

وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى أو نقصان في
عمى .

واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحد قبل القرآن من غنى ،
فاستشفوه من أدوائكم ، واستعينوا به على لأوائكم ، فإن فيه شفاء من أكبر الداء ،
وهو الكفر والنفاق والغي والضلال .

فاسألوا الله به ، وتوجهوا إليه بحبه ، ولا تسألوا به خلقه ، إنه ما توجه العباد إلى الله
بمثله .

واعلموا أنه شافع مشفع ، وقائل مصدق ، وإنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع
فيه ، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه ، فإنه ينادي مناد يوم القيامة : ألا إن
كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله ، غير حرث القرآن ، فكونوا من حرثه
وأتباعه ، واستدلوه على ربكم ، واستنصحوه على أنفسكم ، واتهموا عليه آراءكم ،
واستغشوا فيه أهواءكم . العمل العمل ، ثم النهاية النهاية . انتهى .

. وفي الكافي ج ٢ ص ٥٩٦ . كتاب فضل القرآن

علي بن محمد ، عن علي بن العباس ، عن الحسين بن عبد الرحمن ، عن سفيان
الحريري ، عن أبيه ، عن سعد الخفاف ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا سعد تعلموا
القرآن ، فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق ، والناس
صفوف عشرون ومائة ألف صف ، ثمانون ألف صف أمة محمد عليه السلام وأربعون ألف
صف من سائر الأمم ، فيأتي على صف المسلمين في صورة رجل فيسلم ، فينظرون
إليه ثم يقولون : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، إن هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته



وصفته ، غير أنه كان أشد اجتهاداً منا في القرآن ، فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه ، ثم يجاوز حتى يأتي على صف الشهداء ، فينظرون إليه ثم يقولون : لا إله إلا الله الرب الرحيم ، إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته ، غير أنه من شهداء البحر ، فمن هناك أعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه ، قال : فيتجاوز حتى يأتي على صف شهداء البحر في صورة شهيد ، فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجبهم يقولون : إن هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته ، غير أن الجزيرة التي أصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أصبنا فيها ، فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه ، ثم يجاوز حتى يأتي صف النبيين والمرسلين في صورة نبي مرسل ، فينظر النبيون والمرسلون إليه ، فيشتد لذلك تعجبهم ويقولون : لا إله إلا الله الحلِيم الكَرِيم ، إن هذا النبي مرسل نعرفه بسمته وصفته ، غير أنه أعطي فضلاً كثيراً ، قال : فيجتمعون فيأتون رسول الله ﷺ فيسألونه ويقولون : يا محمد من هذا ؟ فيقول لهم : أو ما تعرفونه ؟ فيقولون ما نعرفه ، هذا ممن لم يغضب الله عليه ، فيقول رسول الله ﷺ : هذا حجة الله على خلقه .

فيسلم ثم يجاوز حتى يأتي على صف الملائكة في سورة ملك مقرب ، فتنظر إليه الملائكة فيشتد تعجبهم ، ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ، ويقولون : تعالی ربنا وتقديس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته ، غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عز وجل ، مقاماً ، فمن هناك ألبس من النور والجمال ما لم نلبس ، ثم يجاوز حتى ينتهي إلى رب العزة تبارك وتعالى ، فيختر تحت العرش ، فيناديه تبارك وتعالى : يا حجتی فی الأرض وكلامی الصادق الناطق ، إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فيرفع رأسه ، فيقول الله تبارك وتعالى : كيف رأيت عبادي ؟ فيقول : يا رب منهم من صانني وحافظ علي ولم يضيع شيئاً ، ومنهم من ضيعني واستخف بحقي وكذب بي وأنا حجتك على جميع خلقك ، فيقول الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي ، وارتفاع مكاني لأثيبن عليك اليوم أحسن الثواب ، ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب . (ورواه في وسائل الشيعة ج ٤ ص ٢١٣)

— علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أيها الناس إنكم في دار هدنة ، وأنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يلبان كل جديد ، ويقريان كل بعيد ، ويأتیان بكل موعود ، فأعدوا الجهاز لبعث المجاز .

قال : فقام المقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله وما دار الهدنة ؟ قال : دار بلاغ وانقطاع ، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع ، وماحلٌ مصدق ، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو الدليل يدل على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل ، وهو الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر وبطن ، فظاهره حكم وباطنه علم ، ظاهره أنيق وباطنه عميق ، له نجوم وعلى نجومه نجوم ، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى ، ومنار الحكمة ، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة . . . فليُجَلِّجَ جَلَّالٍ بصره ، وليبلغ الصفة نظره ، ينج من عطب ، ويتخلص من نشب ، فإن التفكير حياة قلب البصير ، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، فعليكم بحسن التخلص وقلة التبرص . انتهى .

ورواه في وسائل الشيعة ج ٤ ص ٢١٨ وفي تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ١٣



. وفي صحيح مسلم ج ٢ ص ١٩٧

عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير ، صوافٌ تحاجان عن أصحابهما . إقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة . قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة . انتهى .

ورواه أحمد في ج ٥ ص ٢٤٨ . ٢٤٩



. وفي مستدرک الحاكم ج ١ ص ٥٥٤

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام رب إني منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعتك النوم بالليل فيشفعان . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . انتهى . ورواه أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٧٤ وقال عنه في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٨٠ : رواه أحمد وإسناده حسن على ضعف في ابن لهيعة وقد وثق . وقال في عنه الدر المنثور ج ١ ص ١٨٢ : وأخرج أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع والطبراني والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو . ورواه الديلمي في فردوس الأخبار ج ٢ ص ٥٦٨ ح ٣٦٣١ وكنز العمال ج ٨ ص ٤٤٤

. وفي مستدرک الحاكم ج ١ ص ٥٦٨

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : إعملوا بالقرآن ، أحلوا حلاله وحرموا حرامه ، واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه ، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي الأمر من بعدي كيما يخبروكم .

وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور ، وما أوتي النبيون من ربهم .

وليسعكم القرآن وما فيه من البيان ، فإنه شافع مشفع وماحل مصدق . ألا ولكل آية نور يوم القيامة ، وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول ، وأعطيت طه وطواسين والحواميم من ألواح موسى ، وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وروى نحوه في ج ٣ ص ٥٧٨ ورواه في كنز العمال ج ١ ص

١٩٠

. وفي مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤٨

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال : إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول ما أعرفك ! فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول ما أعرفك ! فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي



أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك يمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين ، لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان بم كسينا هذه ؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن ! ثم يقال له : إقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيباً . وروى نحوه في الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧٧ : عن ابن أبي شيبة وابن الضريس عن مجاهد

. وفي الدر المنثور ج ٣ ص ٥٦

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد ، وابن الضريس ، ومحمد بن نصر ، والطبراني عن ابن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع وماحل مصدق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعل خلفه ساقه إلى النار . انتهى . وروى نحوه في كنز العمال ج ١ ص ٥٥٢ ونحوه في ج ١ ص ٥١٦ وص ٥١٩ وج ٢ ص ٢٩٢ عن ابن مسعود وكذا في فردوس الأخبار ج ٣ ص ٢٨١ ح ٤٧١٠ وفي المعجم الكبير للطبراني ج ٩ ص ١٣٢

. وفي كنز العمال ج ١٤ ص ٣٩٠

عن فردوس الأخبار عن أبي هريرة : الشفعاء خمسة : القرآن ، والرحم ، والأمانة ، ونيكم ، وأهل بيته .

. وفي سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٣٠

عن أبي هريرة يقول : إقرؤوا القرآن ، فإنه نعم الشفيع يوم القيامة ، إنه يقول يوم القيامة : يا رب حلّ له حلية الكرامة ، فيحلى حلية الكرامة ، يا رب أكسه كسوة الكرامة ، فيكسى كسوة الكرامة ، يا رب ألبسه تاج الكرامة ، يا رب إرض عنه ، فليس بعد رضاك شيء .

عن ابن عمر قال : يجيء القرآن يشفع لصاحبه يقول : يا رب لكل عامل عمالة من عمله ، وإني كنت أمنعه اللذة والنوم فأكرمه ، فيقال : أبسط يمينك فيملاً من رضوان



الله ، ثم يقال أبسط شمالك فيملاً من رضوان الله ، ويكسى كسوة الكرامة ، ويجلى حلية الكرامة ، ويلبس تاج الكرامة .

عن أبي صالح قال : القرآن يشفع لصاحبه فيكسى حلة الكرامة ، ثم يقول : رب زده ، فيكسى تاج الكرامة ، قال فيقول رب زده فأته فأته ، يقول : رضائي .
قال أبو محمد : قال وهيب بن الورد : إجعل قراءتك القرآن علماً ولا تجعله عملاً .

. وفي سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٣٣

عن ابن مسعود كان يقول : يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه ، فيكون له قائداً إلى الجنة ، ويشهد عليه ، ويكون سائقاً به إلى النار .

. وفي الدر المنثور ج ١ ص ١٨

وأخرج أبو عبيد وأحمد وحميد بن زنجويه في فضائل القرآن ومسلم وابن الضريس وابن حبان والطبري وأبو ذر الهروي في فضائله والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . انتهى .

ورواه الطبراني في المعجم الكبير ج ٨ ص ١١٨



— وقد بالغ بعضهم في شفاعة القرآن حتى جعلها أعظم من شفاعة النبي ﷺ ! قال السبكي في طبقات الشافعية ج ٦ ص ٣٠١ نقلاً عن إحياء الدين للغزالي : ما من شفيع أعظم عند الله منزلة من القرآن !



شفاعة سور القرآن وآياته

روت مصادر الشيعة والسنة أحاديث كثيرة في فضل سور القرآن وآياته ،



وشفاعتها لمن قرأها أو حفظها أو علمها أو تعلمها أو عمل بها ، أو إعطائه حق الشفاعة بسبب ذلك . . ويطول الكلام لو أردنا استعراض هذه الأحاديث لكثرتها وضعف سند بعضها أو متنه . . لذا نكتفي بتقديم نماذج منها من مصادر الفريقين :

. ففي وسائل الشيعة ج ٤ ص ١٩٩

عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقيام بها ، فإنها لا تقدر في قلوب المنافقين ، وتأتي بها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح ، حتى تقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله منها ، فيقول لها : من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك ؟ فتقول : يا رب فلان وفلان ، فتبيض وجوههم ، فيقول لهم : إشفعوا فيمن أحببتم ، فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا أحد يشفعون له ، فيقول لهم : أدخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من قرأ التغابن في فريضة كانت شفيعة له يوم القيامة ، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها ، ثم لا يفارقها حتى يدخل الجنة .

. وفي تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢

— في كتاب ثواب الأعمال بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : من قرأ سورة الأعراف في كل شهر ، كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فلا تدعوا قراءتها ، فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها .

وفي مصباح الكفعمي عنه عليه السلام : من قرأها جعل الله بينه وبين إبليس ستراً ، وكان آدم عليه السلام شفيعاً له يوم القيامة . (ورواه في فردوس الأخبار ج ٤ ص ٣٤ ح ٨ ٥٥٩)

. وفي مستدرک الوسائل ج ٤ ص ٣٥١

وعنه عليه السلام قال : ومن قرأ سورة الممتحنة ، كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة .

. وفي مستدرک الوسائل ج ٤ ص ٣٣٥

وقال عليه السلام : من قرأ آية الكرسي مرة ، محي اسمه من ديوان الأشقياء ، ومن قرأها



ثلاث مرات ، استغفرت له الملائكة ، ومن قرأها أربع مرات شفع له الأنبياء ، ومن قرأها خمس مرات كتب الله اسمه في ديوان الأبرار ، واستغفرت له الحيتان في البحار ووقى شر الشيطان ، ومن قرأها سبع مرات أغلقت عنه أبواب النيران ، ومن قرأها ثماني مرات فتحت له أبواب الجنان ، ومن قرأها تسع مرات كفى هم الدنيا والآخرة ، ومن قرأها عشر مرات نظر الله إليه بالرحمة ، ومن نظر الله إليه بالرحمة فلا يعذبه .

. وفي مستدرك الوسائل ج ٤ ص ٣٢٣

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس ، فمن قرأ يس في نهاره قبل أن يمسي ، كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي ، ومن قرأها في ليلة قبل أن ينام وكَّل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رحيم ، ومن كل آفة وإن مات في يومه أدخله الله الجنة . . . ثم يقول له الرب تعالى : إشفع عبيدي اشفعك في جميع ما تشفع ، وسليني عبيدي أعطك جميع ما تسأل ، فيسأل ويعطى ويشفع فيشفع ، ولا يحاسب فيمن يحاسب ، ولا يذل مع من يذل ، ولا ييكت بخطيئته ولا بشيء من سوء عمله ، ويعطى كتاباً منشوراً فيقول الناس بأجمعهم : سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ، ويكون من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله .

. وفي مستدرك الوسائل ج ٦ ص ٣٥٦

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يصلي ليلة السبت أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وآية الكرسي ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد مرة ، فإذا سلم ، قرأ في دبر هذه الصلاة آية الكرسي ثلاث مرات ، غفر الله تبارك وتعالى له ولوالديه ، وكان ممن يشفع له محمد صلى الله عليه وآله .



. وفي سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٥٢٥

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن سورة في القرآن ، ثلاثون



آية ، شفعت لصاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك .

ورواه أبو داود ج ١ ص ٣١٦ والترمذي ج ٤ ص ٢٣٨ والحاكم ج ١ ص ٥٦٥ وأحمد ج ٢

ص ٢٩٩ وكنز العمال ج ١ ص ٥٨٣ وص ٥٩٤ وفردوس الأخبار ج ٢ ص ٤٧٠ ح ٣٣١٨

. وفي سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٥٤

عن خالد بن معدان قال : إقرأوا المنجية ، وهي أ . ل . م . تنزيل ، فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرأها ما يقرأ شيئاً غيرها ، وكان كثير الخطايا ، فنشرت جناحها عليه ، وقالت : رب اغفر له ، فإنه كان يكثر قراءتي ، فشفعها الرب فيه وقال : اكتبوا له بكل خطيئة حسنة ، وارفعوا له درجة .

. وفي سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٥٩

عن سعيد بن المسيب يقول إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بني له بما قصر في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بني له بما قصران في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له بما ثلاثه قصور في الجنة . فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله إذن لنكثرن قصورنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أوسع من ذلك .

. وفي الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٧

وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً قال : يبعث رجل يوم القيامة لم يترك شيئاً من المعاصي إلا ركبها ، إلا أنه كان يوحد الله ، ولم يكن يقرأ من القرآن إلا سورة واحدة ، فيؤمر به إلى النار ، فطار من جوفه شيء كالشهاب ، فقالت : اللهم إني مما أنزلت على نبيك صلى الله عليه وسلم ، وكان عبدك هذا يقرأني ، فما زالت تشفع ، حتى أدخلته الجنة ، وهي المنجية : تبارك الذي بيده الملك .

. وفي فردوس الأخبار ج ٤ ص ٣٠ ح ٥٥٨٧

أبو الدرداء : من قرأ مائتي آية في كل يوم ، شفع في سبع قبور حول قبره ، وخفف



الله عز وجل عن والديه ، وإن كانا مشركين . ورواه في كنز العمال ج ١ ص ٥٣٧ ٢٤٠٨ عن ابن أبي داود في المصاحف والديلمي .

شفاعة القرآن لمن يتعلمه ويعلمه

. في سنن ابن ماجة ج ١ ص ٧٨

عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته ، كلهم قد استوجب النار .

ورواه أحمد في مسنده ج ١ ص ١٤٨ وفي ج ١ ص ١٤٩ عن علي أيضاً ، ورواه الترمذي في ج ٤ ص ٢٤٥ عن علي أيضاً ورواه البيهقي في شعب الإيمان ج ٢ ص ٣٢٨ وص ٣٢٩ وص ٥٥٢ وكنز العمال ج ١ ص ٥٢١ وروى الخطيب في تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٩٥ نحوه عن عائشة .

. وفي مسند أحمد ج ٣ ص ٤٤٠

عن سهل ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة . ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه ، ألبس والديه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس في بيوت من بيوت الدنيا لو كانت فيه ، فما ظنكم بالذي عمل به !



كما روت المصادر ذم من يتعلم القرآن للدنيا ، ففي سنن النسائي ج ٦ ص ٢٣ :

عن أبي هريرة فقال له قائل من أهل الشام : أيها الشيخ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة : رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت ليقال فلان جرى فقد قيل ! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار !

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما



عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم! وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب كما أردت أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال كذبت، ولكن ليقال إنه جواد، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه فألقى في النار! ورواه الحاكم في المستدرک ج ١ ص ١٠٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. انتهى.

شفاعة الكعبة لمن زارها

. في الدر المنثور ج ١ ص ١٣٧

وأخرج ابن مردويه والإصبهاني في الترغيب والندب عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة البيت الحرام إلى قبري، فتقول: السلام عليك يا محمد، فأقول وعليك السلام يا بيت الله، ما صنع بك أمي بعدي؟ فتقول: يا محمد من أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعاً، ومن لم يأتني فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً.

وروى في مستدرک الوسائل ج ٨ ص ٤٠ رواية أخرى في تجسد الكعبة وشفاعتها

أشبهه من رواية السيوطي بالاسرائيليات وإن كان موضوعها الكعبة الشريفة! قال:

عن وهب بن منبه أنه قال: مكتوب في التوراة: إن الله تعالى يبعث يوم القيامة سبعمئة ألف ملك، ومعهم سلاسل من الذهب ليأتوا بالكعبة إلى عرصات القيامة، فيأتون بها بسلاسل الذهب إلى موقف القيامة فيقول لها ملك: يا كعبة الله سييري، فتقول: لا أذهب حتى تقضي حاجتي، فيقول ما حاجتك؟ إلى أن قال ما حاجتك سلي حتى تعطي؟ فتقول: إلهي عبادك العصاة، أتوا إلي من كل فج عميق، شعناً



غبراً وخلفوا أهلهم وأولادهم وبيوتهم ، وودعوا أحبائهم وأصحابهم لزيارتي وأداء المناسك كما أمرت ، إلهي فاشفع لهم لتؤمنهم من الفزع الأكبر ، فاقبل شفاعتي واجعلهم في كنفني .

فينادي ملك : إن فيهم أصحاب الكبائر والمصرين على الذنوب ، المستحقين النار ! فتقول الكعبة : أنا أشفع في أهل الكبائر ، فيقول الله تعالى : قبلت شفاعتك وقضيت حاجتك ، فينادي ملك : ألا من كان من أهل الكعبة فليخرج من بين أهل الجمع ، فيخرج جميع الحاج من بينهم ، ويحتوشون الكعبة بيض الوجوه آمنون من الجحيم ، يطوفون حول الكعبة ، وينادون لبيك ، فينادي ملك : يا كعبة الله سيرني ، فتسير الكعبة وتنادي : لبيك اللهم لبيك لبيك ، إن الحمد والمك والنعمة لك لا شريك لك لبيك ، وأهلها يتبعونها . انتهى .



وقد روت المصادر أحاديث في شفاعاة الحجر الأسود أعزه الله تعالى ، كالذي في الدر المنثور ج ١ ص ١٣٦ عن عائشة : قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهدوا هذا الحجر خيراً ، فإنه يأتي يوم القيامة شافع مشفع ، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه . وقد رواه في مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٤٢ وفي كنز العمال ج ١٢ ص ٢١٧ .

وورد في مصادر الطرفين أن الحجر الأسود ملكٌ من ملائكة الجنة ، وأنه شهد على ميثاق بني آدم ، ثم أنزله الله تعالى مع آدم إلى الأرض ، ولا يتسع المجال لبحث ذلك .

شفاعة حجاج بيت الله الحرام

. في الكافي ج ٤ ص ٢٥٥

محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عيسى ، عن زكريا المؤمن ، عن إبراهيم بن صالح ، عن رجل من أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الحاج



والمعتمر وفد الله ، إن سألوه أعطاهم ، وإن دعوه أجابهم ، وإن شفعوا شفّعهم ، وإن سكتوا ابتدأهم ، ويعوضون بالدرهم ألف درهم . (وفي نسخة ألف ألف درهم)
ورواه في وسائل الشيعة ج ٨ ص ٦٨ وروى أحاديث متعددة عن استحقاق الحاج للجنة .

. وفي من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢١٧

ومن حج أربعين حجة قيل له : اشفع فيمن أحببت ، ويفتح له باب من أبواب الجنة ، يدخل منه هو ومن يشفع له .

. وفي وسائل الشيعة ج ٨ ص ٩٢

عن زكريا الموصلي كوكب الدم ، قال : سمعت العبد الصالح عليه السلام يقول : من حج أربعين حجة ، قيل له : إشفع فيمن أحببت ، ويفتح له باب من أبواب الجنة ، يدخل منه هو ومن يشفع له .

. وفي سائل الشيعة ج ٩ ص ٥١٢

وقال علي بن الحسين عليه السلام : الساعي بين الصفا والمروة ، تشفع له الملائكة ، فيشفع فيه بالإيجاب .



. وفي مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢١١

الحاج يشفع في أربعمئة أهل بيت ، أو قال من أهل بيته ، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . ورواه في كنز العمال ج ٥ ص ١٤ وفي الدر المنثور ج ١ ص ٢١٠

. وفي ذكر أخبار أصبهان ج ١ ص ١٤٨

عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان عشية يوم عرفة أشرف الرب عز وجل من عرشه إلى عباده فيقول : يا ملائكتي أنظروا إلى عبادي شعناً غيراً ، قد أقبلوا يضربون إلى من كل فج عميق ، أشهدكم أنني قد شفّعت

محسنهم في ميسئهم ، وأني قد غفرت لهم جميع ذنوبهم ، إلا التبعات التي بينهم وبين خلقي . قال : فإذا أتوا المزدلفة وشهدوا جمعاً ، ثم أتوا مني فرموا الجمار وذبحوا وحلقوا ثم زاروا البيت ، قال : يا ملائكتي أشهدكم أنني قد شفعت محسنهم في ميسئهم ، وأني غفرت لهم جميع ذنوبهم ، وأني قد خلفتهم في عيالاتهم ، وأني قد استجبت لهم جميع ما دعوا به ، وأني قد غفرت لهم التبعات التي بينهم وبين خلقي ، وعليّ رضا عبادي .

. وفي مجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٧٥

عن أنس بن مالك قال : كنت قاعداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد مني ، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما عليه ودعيا له دعاء حسناً فقالا : يا رسول الله جئنا لنسألك ، فقال : إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت ، وإن شئتما أسكت وتسألاني فعلت ؟ فقالا : أخبرنا يا رسول الله نزدد إيماناً أو يقيناً . الشك من إسماعيل قال لا أدري أيهما قال إيماناً أو يقيناً . فقال الأنصاري للثقفني : سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الثقفني : بل أنت فسله فإني أعرف لك حقا ، فسأله فقال : أخبرني يا رسول الله .

قال : جئت تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ، وما لك فيه ، وعن طوافك بالبيت وما لك فيه ، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما ، وعن طوافك بالصف والمروة وما لك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه ، وعن رميك الجمار وما لك فيه ، وعن نحرك وما لك فيه ، وعن حلقك ورأسك وما لك فيه ، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك يعني طواف الإفاضة .

قال : والذي بعثك بالحق عن هذا جئت أسألك .

قال : فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام ، لا تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة وحوط عنك به خطيئة ورفعك درجة ، وأما ركعتاك بعد



الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل .

وأما طوافك بين الصفا والمروة بعد ذلك ، كعتق سبعين رقبة .

وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى السماء الدنيا يباهي بكم الملائكة ، يقول هؤلاء عبادي جاؤوا شعثاً شفعاء من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ومغفرتي ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل وكعدد القطر وكزبد البحر لغفرتها ! أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له . . .

وروى بعضه في كنز العمال ج ٥ ص ٧١ وروى في ص ٧٤

ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف فيستقبل القبلة ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ثم يقرأ أم الكتاب مائة مرة ، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله مائة مرة ، ثم يسبح الله مائة مرة فيقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، ثم يقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة ، إلا قال الله تعالى : يا ملائكتي ما جزاء عبدي هذا سبحني وهللني وكبرني وعظمي ومجدي ونسبني وعرفني وأثنى علي وصلى على نبيي . . . إشهدوا يا ملائكتي أي قد غفرت له وشفعته في نفسه ، ولو شاء أن يشفع في أهل الموقف لشفعته . (هب وابن النجار والديلمي عن جابر) قال أبو بكر بن مهران الحافظ : تفرد به عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن محمد بن سودة وقال (هب) : هذا متن غريب وليس في إسناده من نسب إلى الوضع . انتهى .

وقد أوردنا عدداً من أحاديث عرفة في المجلد الثاني ، في أحاديث النزول

وغيرها ، ونقدنا ما فيها من تجسيد !



شفاعة النبي ﷺ الخاصة لزوار قبره

. في الكافي ج ٤ ص ٥٤٨

أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبان عن السدوسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة . ورواه في تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٤

. وفي تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٤١

علي بن محمد بن بنادر عن إبراهيم بن إسحاق عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبي حجر الأسلمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من أتى مكة حاجاً ولم يزرنني إلى المدينة جفوته يوم القيامة ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة . ورواه في من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٥٦٥ وفي تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٤ وفي وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٢٦١

وروى في الوسائل ج ١ ص ٢٦٣ :

عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ قال : من زارني حياً أو ميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة .

. وفي المقنعة للمفيد ص ٤٥٧

روي عن الصادق عليه السلام ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال : قال رسول الله ﷺ : من زارني بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي ، فإن لم تستطعوا فابعثوا إليّ بالسلام ، فإنه يبلغني . وقال عليه السلام : من أتاني زائراً ، كنت شفيعه يوم القيامة .

. وفي مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ١٨٥

القطب الراوندي في لب اللباب : عن النبي ﷺ أنه قال : من زار قبري وجبت له شفاعتي ، ومن زارني ميتاً فكأنما زارني حياً .
وعنه عليه السلام أنه قال : من زار قبري حلت له شفاعتي .



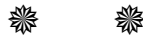
. وفي سنن الدارقطني ج ٢ ص ٢٧٨ ح ١٩٤

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من زار قبري وجبت له شفاعتي .

ورواه الذهبي في تاريخ الإسلام ج ١١ ص ٢١٢ ورواه بنص آخر : من زارني بعد موتي وجبت شفاعتي .

. وفي هامش طبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ١٦٧ ونحوه في ج ١ ص ٥٥

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي ، كان حقاً على الله أن أكون له شافعاً يوم القيامة . انتهى .



وقد اقتصرنا من أحاديث زيارة قبره ﷺ على ما ورد فيه ذكر الشفاعة ، وسنورد بقية أحاديثها في محلها إن شاء الله تعالى ، مع الجواب على شبهة الوهابيين في تحريمهم زيارة القبور وخيرها وأشرفها قبر سيد المرسلين ﷺ !

هذا وقد تقدم ذكر عدد من الأصناف الذين يستحقون الشفاعة فتشملهم ، أو يعطيهم الله تعالى حق الشفاعة بغيرهم ويقبل شفاعتهم ، في الفصل السادس (حدود الشفاعة) وهم أنواع عديدة .

وكل هذه الأحاديث تدل على أن شفاعة المؤمنين حقيقة مسلّمة عند الجميع ، فلا عجب أن تكون شفاعة الأئمة الأطهار من عترة النبي أعظم من جميع الشفاعات بعد شفاعة جدهم ، وأشمل وأكمل ، صلى الله عليه وعليهم ، ورزقنا شفاعتهم .



فهرس كتاب

العقائد الإسلامية . المجلد الثالث

مسائل الشفاعة

الفصل الأول : تعريف الشفاعة وتاريخها

- ٧ موقع الشفاعة من الرحمة الإلهية
- ٨ شبهة حول أصل الشفاعة
- ٨ مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة
- ١٠ محاولات المستشرقين التشكيك في الشفاعة
- ١٠ تمافت منطق الوهابيين في الشفاعة والإستشفاع
- ١٨ تعريف الشفاعة في اللغة
- ٢٠ تعريف الشفاعة عند المتكلمين

الفصل الثاني : تحريف اليهود والنصارى للشفاعة

- ٢٥ أولاً : مقولاتهم في الشفاعة من مصادرهم
- ٢٥ عراقة عقيدة الشفاعة
- ٢٦ شفاعة ابراهيم للمؤمنين وإسماعيل ولوط
- ٢٧ شفاعة زكريا لبني إسرائيل
- ٢٧ البشارة بالشفيع الذي سيأتي (البراقليطس)
- ٢٧ توسيع بولس للشفاعة وحصرها بالمسيح ﷺ
- ٣٢ ثانياً : مقولاتهم في الشفاعة من مصادرنا



الفصل الثالث : الشفاعة عند عرب الجاهلية

٤٦ مكانة اللات والعزى عند مشركي العرب
٤٨ اليمين الرسمي المقدس عند قريش باللات والعزى
٤٩ اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى وضرهما
٥١ مصادرنا تروي بغض النبي ﷺ لأصنام قريش
٥٢ وتمسك سدنة اللات والعزى بهما إلى آخر نفس
٥٢ وحطم النبي ﷺ كل الأصنام
٥٣ واخترعت قريش قصة الغرائق انتصاراً للات والعزى
٥٩ البخاري ومسلم رويافرية الغرائق
٦٢ نماذج من ردود علماء مذهب أهل البيت على فرية الغرائق
٦٧ تنبؤ عميق للنبي ﷺ حول اللات والعزى

الفصل الرابع : كليات الشفاعة في القرآن

٦٩ آيات الشفاعة وعناوينها
----	------------------------------

الفصل الخامس : شفاعة نبينا ﷺ

٧٣ تفسير (المقام المحمود) لنبينا ﷺ
٧٣ مصادرنا تصف المقام المحمود لنبينا ﷺ في المحشر
٨٨ تفسير السنين القريب من تفسيرنا
٩١ تفسيرهم الذي فيه تحسيم
٩٤ القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية
٩٥ انتقاد بعض علماء السنة تفسيرها بالجلوس على العرش
٩٧ تفسير قوله تعالى (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ)
٩٨ تفسير الآية بالعطاء الإلهي الأعم من الشفاعة



٤٨٥ فهرس الموضوعات
١٠٠ تفسيرها بالشفاعة لأمته أو بالشفاعة مطلقاً
١٠٣ تفسيرها بشفاعة النبي ﷺ لأهل بيته خاصة
١٠٥ تفسيرها بشفاعة النبي ﷺ لجميع أمته !
١٠٧ ملاحظتان

الفصل السادس : حدود الشفاعة

١١٢ المذاهب والأقوال في حدود الشفاعة
١١٣ حدود الشفاعة عند أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١١٣ ما دل على استثناء المشرك والظالم من الشفاعة
 أصناف من الناس موعودون بالشفاعة
١١٨ ١ . من قضى لأخيه المؤمن حاجة
١١٩ ٢ . من سعى في حوائج ذرية النبي ﷺ
١٢٠ ٣ . من زار قبر النبي ﷺ
١٢٠ ٤ . من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى
١٢١ ٥ . من يدعو للمؤمنين
١٢١ ٦ . شفاعة الملائكة لأهل مجلس الدعاء
١٢٢ ٧ . من شيع جنازة مسلم
١٢٢ ٨ . من حفظ على أمتي أربعين حديثاً
١٢٣ ٩ . من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة
١٢٣ ١٠ . مجموعة أعمال وصفات توجب الشفاعة
 من الأعمال التي توجب الجنة :
١٢٤ ١ . من شفيع لأخيه المؤمن في حاجة
١٢٤ ٢ . من قام بخدمة لمجتمع المسلمين



٣. من ربي بنتاً أو أكثر ١٢٤

٤. من احترم نعمة الله تعالى ١٢٤

٥. أصناف أخرى موعودون بالجنة ١٢٥

أصناف لا تنالهم الشفاعة

١. السلطان الظالم الغشوم ١٢٥

٢. المنان والبخيل والنمام ١٢٦

رأي السنين القريب من رأي أهل البيت عليهم السلام ١٢٧

١. من قضى لآخيه حاجة ١٢٩

٢. من صلى على النبي صلى الله عليه وآله ١٢٩

٣. من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله ١٣٠

٤. من دعا للنبي صلى الله عليه وآله بالوسيلة ١٣١

٥. من حفظ من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله أربعين حديثاً ١٣١

٦. من حفظ أسماء الله الحسنى ١٣١

٧. من قرأ بعض سور القرآن ١٣٢

من لا تنالهم الشفاعة :

١. السلطان الظلوم الغشوم ١٣٢

٢. الذي يكذب على النبي صلى الله عليه وآله ١٣٣

٣. الذي يبغض ذرية النبي صلى الله عليه وآله أو يظلمهم ١٣٣

٤. أصحاب البدع المخالفين للسنة ١٣٤

٥. من طلب العلم للدنيا أو طلب الدنيا بعمل الآخرة ١٣٤

٦. من يؤذي حيرانه ١٣٤

٧. الذي يسيء إدارة من تحت يده ١٣٥

٨. المتكبر ولو مثقال حبة خردل ١٣٥



٤٨٧	فهرس الموضوعات
١٣٦	٩ . من قتل نفسه
١٣٧	١٠ . من نبت لحمه من سحت
١٣٧	١١ . من زنى بذات محرم
١٣٧	١٢ . من نسب نفسه إلى غير أبيه
١٣٧	١٣ . مدمن الخمر وقاطع الرحم والنمام وقاسي القلب . . . الخ
١٤٠	١٤ . الذي يقتل أحداً من أهل الذمة
١٤٠	١٥ . الذي يغش العرب
١٤٠	١٦ . اللعان الفحاش
١٤١	١٧ . ورووا أن أكثر النساء في النار
١٤٢	١٨ . ورووا في من أطال إزاره أو ثوبه
١٤٣	شرط الشفاعة في المظالم الشخصية
١٤٤	نتيجة

الفصل السابع : توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر وأتباعه

١٤٧	الرأي الأول : أن الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين !
١٥٦	الرأي الثاني : أن الشفاعة تشمل كل موحد ، حتى لو كفر بنبوة النبي ﷺ !
١٦٦	ملاحظات على روايات هذا الرأي
١٧١	أحاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه !
١٧٤	الرأي الثالث : أن الشفاعة تشمل جميع الخلق !
١٧٨	الرأي الرابع أن العقاب في الآخرة ينتهي كلياً وأن جهنم تغنى وينقل أهلها إلى الجنة !
١٧٨	آراء المسلمين في آيات الخلود وأحاديثه
١٧٩	أجمع المسلمون على خلود الكفار في جهنم
١٨١	الروايات التي توافق هذا الرأي عند السنيين



١٨٥ سبب خلود أهل النار فيها
١٨٦ آيات الخلود في الجنة والنار
١٩٠ عدم خلود الموحدين في النار في مصادرنا
١٩١ عدم خلود الموحدين في النار في مصادر السنيين
١٩٦ روايات عندهم تقول بخلود الموحدين في النار
١٩٨ ما دل من مصادرنا على أن الدار الآخرة لا موت فيها
١٩٩ ما دل من مصادر السنيين على أن الدار الآخرة لا موت فيها
٢٠٠ عودة إلى رأي عمر بفناء النار
٢٠٧ الجهمية أخذت من الخليفة عمر
٢٠٨ والمرجئة أخذوا من عمر
٢٠٨ وابن العاص أخذ من عمر
٢٠٩ ورووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر
٢٠٩ والشعبي أخذ من عمر
٢٠٩ والمعتزلة أخذت من عمر
٢٠٩ والجاحظ أخذ من عمر
٢١٠ وابن عربي والجيلي أخذاً من عمر
٢١٠ أما عمر فقد أخذ من كعب الأخبار
٢١٢ عمر ينظر إلى كعب كأنه نبي ويتلقى منه

الفصل الثامن : شفاعات وحرمانات غير معقولة روتها الصحاح

٢١٩ النوع الأول : شفاعات اثنين لصاحب الجنائز
٢٢٧ رأي أهل البيت <small>عليهم السلام</small> في الشهادة للجنائز
٢٢٩ النوع الثاني : شفاعات النبي للظالمين من الأمة



٤٨٩ فهرس الموضوعات
٢٣٠ قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين وهم في الجنة
٢٣١ وقال الخولاني إنه قرأ ذلك في كتب اليهود
٢٣١ عائشة وعثمان يوافقان كعباً على تفسيره
٢٣٢ الحسن البصري يرد تفسير كعب الأحبار
٢٣٣ الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب
٢٣٨ قال أهل البيت <small>عليهم السلام</small> لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة
٢٤٤ النوع الثالث : نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى !
٢٤٦ النوع الرابع : إسقاط المحرمات عن أهل بدر
٢٥٤ النوع الخامس : حرمان من سب الصحابة من الشفاعة
٢٦٠ النوع السابع : حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر
٢٦٣ ماذا يصنع رواة الخلافة القرشية بهذه الأحاديث ؟
٢٦٥ رأي أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٢٦٧ خلاصة المسألة
٢٦٨ النوع الثامن : مرسوم بحرمان الزوجة التي تطلب الطلاق

الفصل التاسع : محاولة القرشيين حرمان بني هاشم من شفاعته النبي صلى الله عليه وآله

٢٧٣ المسألة الأولى ، في إيمان آباء النبي وأمهاته <small>صلى الله عليه وآله</small>
٢٧٤ المسألة الثانية ، في شفاعته النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>
٢٧٤ المسألة الثالثة : في موقع علي وعمرة النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> من الشفاعة
٢٧٥ حساسية قريش من أسرة النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>



- ٢٧٦ حادثة خطيرة مبهمّة ، تفتتها الصحاح
- ٢٨٦ براعة البخاري في تضييع القصة
- ٢٨٧ ماذا قال كبار الشراح ؟
- ٢٩٢ الحادثة في بعض روايات أهل البيت عليهم السلام
- ٢٩٨ وسعوا شفاعة النبي لليهود والنصارى ولم يسمحوا أن تشمل أسرته ! !
- ٣٠٠ روايات أخرى غير منطقية أيضاً
- ٣١٠ أغرب شفاعة اخترعها القرشيون لرئيس بني هاشم
- ٣١٥ بماذا يفسرون قول النبي صلى الله عليه وآله سأبلها ببلاها
- ٣١٧ ضحضاح النور لا ضحضاح النار
- ٣١٨ محاولتهم التخلص من الوعد النبوي لبني هاشم
- ٣٢٠ عمل المعروف ينجي الكفار من النار إلا أبا طالب
- ٣٢٢ أحاديث نُجت من الرقابة القرشية
- ٣٢٦ بخلهم على أبي طالب وخديجة وسخاؤهم على غيرهما
- ٣٣١ أهم الأدلة على إيمان أبي طالب

الفصل العاشر : ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة

- ٣٤١ عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان
- ٣٤٢ إخبار النبي صلى الله عليه وآله بظهور المرجئة والقدرية وتحذيره منهم
- ٣٤٣ تعريف المرجئة ومذهبهم
- ٣٤٦ المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر
- ٣٤٧ أول من تصدى لمذهب المرجئة علي عليه السلام
- ٣٥٣ كان المرجئة خداماً لبني أمية ومبررين لجرائمهم
- ٣٥٤ تورط أصحاب المذاهب الأربعة في الإرجاء



٤٩١ فهرس الموضوعات
٣٥٦ تورط أصحاب الصحاح الستة في الإرجاء
٣٦٠ حب المستشرقين للمرجئة وحزنهم عليهم
٣٦٢ المرجئة والجبرية شقيقان لأب وأم
٣٦٤ القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)
٣٦٦ القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر)
٣٦٨ القدر عند أهل البيت : لا جبر ولا تفويض
٣٧٠ ردة فعل الخوارج على توسيع الدولة للشفاعة
٣٧٨ تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة !
٣٧٩ المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج
٣٧٩ الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة
٣٨١ وصاحب الكبيرة في النار ولا تشملها الشفاعة

الفصل الحادي عشر : تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة

٣٨٥ اتفق الجميع نظرياً على أن الشفاعة من محتصات نبينا ﷺ
٣٨٨ نبينا ﷺ أول شافع يوم القيامة
٣٩٢ الأحاديث الموافقة لمذهبنا في مصادر السنيين
٣٩٤ الأحاديث المتأثرة بالإسرائيليات في مصادر السنيين
٣٩٧ البخاري يفضل أنبياء بني إسرائيل على نبينا ﷺ
٤٠٣ أحسن تصور عن شفاعة نبينا ﷺ في مصادر السنيين
٤٠٧ مسألتنا : الذبيح ، وأول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة
٤١٨ بحث في إيمان عبد المطلب ، ورواية أنا ابن الذبيحين
٤٣١ عبد المطلب عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك
٤٣٣ آراء شيعية مخالفة للمشهور في الذبيحين



٤٣٣ رأي الشيخ الصدوق بأن إسحاق ذبيح أيضاً !

٤٣٤ محاولة أحد المعاصرين تفسير الذبيحين بإسماعيل وإسحاق

٤٤٦ المسألة الثانية : أول من يكسى كسوة الجنة

الفصل الثاني عشر : شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء

٤٥٣ من مصادرنا

٤٥٦ من مصادر السنين

٤٦١ ما يوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنين

الفصل الثالث عشر : شفاعة القرآن والكعبة والحجاج والزوار وأصناف أخرى من الناس

٤٦٦ شفاعة القرآن

٤٧١ شفاعة سور القرآن وآياته

٤٧٥ شفاعة القرآن لمن يتعلمه ويعلمه

٤٧٦ شفاعة الكعبة لمن زارها

٤٧٧ شفاعة حجاج بيت الله الحرام

٤٨١ شفاعة النبي الخاصة لزوار قبره



تم الفهرس ، وبه تم المجلد الثالث من كتاب :

العقائد الإسلامية

ويليه المجلد الرابع في بقية مسائل الشفاعة ، والإستشفاع والتوسل ، إن شاء الله تعالى .

